

## بعض كتب المطبعة الكاثوليكية

### كتب مدرسية عربية

القواعد الجلية في علم العربية تأليف الاب جيمائيل اده السوعي طبعة جديدة مصححة مع حواشي وهو جزءان

بحث الطالب للسيد جرمانوس فرحات مع حواشي عليه لصححه المعلم سميد الحوري الشرتوني

مرقاة الطلاب في مبادي علم الحساب

مسائل مقتطفة في علم الحساب

جداول الافعال

الانفاظ الكتابية لعبد الرحمن الحمذاني اعتنى بصطحه وتصحيفه احد الابهاء اليسوعيين مدرس البيان في كنية القديس يوسف

الشهاب الثاقب في صناعة الكتاب انشاء المعلم سميد الحوري الشرتوني معلم اللغة وآداب الانشاء في كنية القديس يوسف اقتصر عليه احد الابهاء اليسوعيين لطائف الاقوال في امثال وقصص مقتطفة افادة للمدارس للاب بوناوتورا جبرودو اليسوعي

دفاتر لتعليم الخط العربي على طريقة مستحدثة

معرض الخطوط العربية وضع لتحرير احداث المدارس على قراءة ماورد لهم من اصناف الكتابات ومطالعة عويص الخطوط ومستفاد الرسائل

هدية الاحباب في علم الحساب تأليف ميخائيل اصاف اللبناني

مائة حكاية تأليف كريستوفر روس شعيد معربة بقلم ميخائيل س فرئيس المساهكي مجاني الادب في حدائق العرب جمع احد الابهاء اليسوعيين مدرس البيان في كنية القديس يوسف سبعة اجزاء

مرقاة المجاني للجامع مجاني امدب جزءان

مختصر الجغرافية تأليف جديد للاب كسافاروس اوجي اليسوعي

ديوان ابي العتاهية اعتنى بجمعه وضطحه احد الابهاء اليسوعيين

مختصر في الصرف لشرح جدول الافعال تأليف احد الابهاء اليسوعيين

تأريخ على كتاب القواعد الجلية في علم العربية تأليف المعلم رشيد الشرتوني

فتح اللغة لابي منصور الثعابي اعتنى بجمعه وضطحه احد الابهاء اليسوعيين مدرس

البيان في كنية القديس يوسف











وجه	الكلام
٢٩٥	٢٤٧
البحث السادس في المطابقة ٣١٢	البحث الاول في وجوه البلاغة
البحث السابع في حقيقة التجنيس ٣١٧	وطبقات الكلام ٢٤٧
البحث الثامن في ذكر انواع التجنيس ٣٢٠	البحث الثاني في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع ٢٥٤
الفصل الثامن في فنون الاشياء ٣٢٦	البحث الثالث في السجع وانواعه ٢٥٨
البحث الاول في المثل وشرفه ٣٢٦	البحث الرابع في اقسام السجع وضروبه ٢٦١
البحث الثاني في آداب المثل وشروطه ٣٢٩	البحث الخامس في الایجاز ٢٦٥
البحث الثالث في آداب المحادثة والرواية ٣٣٢	البحث السادس في المساواة ٢٧٣
البحث الرابع في حقيقة التاريخ وموضوعه ٣٣٤	البحث السابع في الاطناب ٢٧٥
البحث الخامس في شرف التاريخ ٣٣٦	البحث الثامن في مواقع الاطناب ٢٧٩
البحث السادس في شروط التاريخ ٣٤١	الفصل السابع في البديع ٢٨٧
البحث السابع في الاصول العشرة التي يعتمدها الكاتب في المكاتبات ٣٤٣	البحث الاول في حقيقة علم البديع ٢٨٧
الفصل التاسع في حل الشعر والاحتذاء ٣٤٩	البحث الثاني في ان البديع احد علوم الادب الستة ٢٨٩
البحث الاول في حسن الاخذ ٣٤٩	البحث الثالث في نسبة علم البديع الى علمي المعاني والبيان ٢٩٠
البحث الثاني في قبح الاخذ ٣٦٣	البحث الرابع في اقسام البديع ٢٩٢
البحث الثالث في حل الشعر ٣٦٧	البحث الخامس في تاريخ علم البديع وفي اصحاب البديعيات ٢٩٣
	بديعية الحوري الفاضل ارسانيوس

وجه

البحث الحادي والعشرون في  
المذهب الكلاسي ١٨٤

الفصل الخامس في محاسن الانشاء  
ومعانيه ١٨٧

البحث الاول في تمييز الكلام جيده  
من رديئه ونادره من بارده ١٨٧

البحث الثاني في التنبيه على خطأ  
المعاني وصوابها ١٩٥

البحث الثالث في كيفية نظم الكلام  
وما ينبغي استعماله في تأليفه ٢١٠

البحث الرابع في خواص الكلام  
الحر ٢١٣

البحث الخامس في تهذيب الكلام  
وتنقيحه ٢١٥

البحث السادس في شروط  
الكلام ٢١٩

البحث السابع في عيوب الكلام ٢٢٥

البحث الثامن في الالتباس والاسباب  
المانعة من فهم المعاني ٢٢٨

البحث التاسع في المعاطلة ٢٣٦

البحث العاشر في المنافرة بين  
الالفاظ في السبك ٢٤٣

الفصل السادس في وجوه

وجه

البحث السابع في جيد الاستعارة  
ورديتها ومتوسطها ١٢٢

البحث الثامن في ما جاء من  
الاستعارات في كلام العرب ١٢٥

البحث التاسع في مراعاة النظير ١٣١

البحث العاشر في المجاز المرسل ١٣٤

البحث الحادي عشر في القول عن  
الكناية ١٣٩

البحث الثاني عشر في التعريض ١٤٢

البحث الثالث عشر في ما ورد من  
الكنائيات عن العرب ١٤٤

البحث الرابع عشر في المبالغة ١٤٩

البحث الخامس عشر في التكرير ١٥٦

البحث السادس عشر في حقيقة  
التشبيه وتحديدده ١٦٤

البحث السابع عشر في اركان  
التشبيه ومحاسنه وفوائده ١٦٦

البحث الثامن عشر في اقسام  
التشبيه ١٧٠

البحث التاسع عشر في التشابيه

المستعملة عند العرب ١٢٦

البحث العشرون في معايير  
التشبيه ١٨١



وجه

البحث الخامس في الترجيع بين

٧٩

المعاني

البحث السادس في الفصل

٨٢

والوصل

البحث السابع في تأكيد الكلام

٨٧

وقصره وتعزيزه بان وانما

البحث الثامن في التقديم والتأخير

٩٠

البحث التاسع في الحذف والاضمار

٩٦

البحث العاشر في جوامع الكلام

٧٩

البحث الحادي عشر في الانسجام

١٠٢

البحث الثاني عشر في القول في

١٠٣

النظم

الفصل الرابع في البيان

١٠٥

البحث الاول في تحديد البيان على

١٠٥

وجه الاجمال

البحث الثاني في تعريف علم

١٠٦

البيان

البحث الثالث في الحقيقة والمجاز

١٠٨

البحث الرابع في الاستعارة

١١٣

البحث الخامس فيما تدخله الاستعارة

١١٧

وما لا تدخله

البحث السادس في اقسام

١١٧

الاستعارة

وجه

البحث الاول في تحديد الفصاحة

البحث الثاني في الفرق بين الفصاحة

والبلاغة وموضوعهما

البحث الثالث في حقيقة الفصاحة

البحث الرابع في احكام الفصاحة

وشروطها

البحث الخامس في الالفاظ المترادفة

والاسماء المشتركة

البحث السادس في فصاحة المفرد

وفصاحة المركب

الفصل الثاني في البلاغة

البحث الاول في الابانة عن حد

البلاغة

البحث الثاني اقوال في تحديد

البلاغة

البحث الثالث في اوصاف البلاغات

على السنة اقوام من اهل البلاغات

الفصل الثالث في المعاني

البحث الاول في حقيقة المعاني

البحث الثاني في صحة المعاني

البحث الثالث في انواع المعاني

البحث الرابع في الحكم على المعاني

# فهرس

## المقالات

وجه	وجه
١٨ البحث السابع في الحافظة	٣ توطئة
٢٠ البحث الثامن في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان	٣ البحث الاول في حد علم الادب
٢٢ البحث التاسع في المطالعة	٢ البحث الثاني في تقسيم الادب وانواع العلوم الادبية
٢٥ البحث العاشر في الارتياض والممارسة	٢ البحث الثالث في موضوع علم الادب واركانه
٢٦ البحث الحادي عشر في طرائق مختلفة من الممارسة والتعمرين	٥ البحث الرابع في شرف الادب ومنافعه
فصل في صفة الكاتب وما يحتاج اليه	٧ فصل في قوى العقل الغريزية
٢٨ من المعارف	٩ البحث الاول في العقل وشرفه واصل تسميته وتقسيمه
٢٨ البحث الاول في صفة الكاتب الظاهرة	٩ البحث الثاني في تقسيم العقل الى غريزي ومكتسب
٢٨ البحث الثاني في ادوات علم الكتابة	١٠ البحث الثالث في العقل الغريزي وتعريفه
٢٩ البحث الثالث فيما يجب على الكاتب معرفته	١١ البحث الرابع في العقل المكتسب
٣٧ الجزء الاول في علم الانشاء	١٦ البحث الخامس في التصور والتمثيل
٣٧ بحث في تعريف الانشاء	١٧ البحث السادس الخيال والخيالي
٣٩ الفصل الاول في الفصاحة	

أَشْنَاءُ كَلَامِهِ وَجَاءَتْ أَلْفَاظُهُ مَغْسُولَةً مَغْسُولَةً وَكَانَ عَلَيْهَا حِدَّةٌ  
حَتَّى تَكَادَ تَرْقُصُ رَقْصًا . وَهَذَا شَيْءٌ خَازِنُهُ بِالْجَرَبَةِ وَلَا يُنْثِيكَ مِثْلُ  
خَيْرٍ

تَمَّ بِعَوْنِهِ تَعَالَى





فِي صِنَاعَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَاعَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمَعْنَى فَتِلْكَ الدَّرَجَةُ الْأَعْلَى  
وَالْأَحْسَنُ التَّصَرُّفُ وَاتَّقِنِ التَّلَافُيفَ لِيَكُونَ أَوَّلَى بِذَلِكَ الْمَعْنَى  
مِنْ صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ آيَاتِ الشِّعْرِ مَا يَتَّبِعُ الْجَمَالَ  
لِأَثَرِهِ فَيُورِدُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ . وَذَلِكَ عِنْدِي شَيْءٌ بِالْمَسَائِلِ  
السَّيِّئَةِ فِي الْحِسَابِ الَّتِي يُجَابُ عَنْهَا بَعْدَ أَجْوَبَةٍ . وَمِنْ الْآيَاتِ مَا  
يَضِيقُ فِيهِ الْجَمَالَ حَتَّى يَكَادَ الْمَاهِرُ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ أَنْ لَا يُخْرِجَ  
عَنْ ذَلِكَ اللَّفْظِ وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِعَدَمِ النَّظِيرِ . . . وَإِذَا أُنْتَهَى بِمَا  
الْكَلَامُ إِلَى هَاهُنَا فِي التَّنْبِيهِ عَلَى نَثْرِ الشِّعْرِ وَكَيْفِيَّةِ نَثَرِهِ وَذِكْرِ  
مَا يَسْهُلُ مِنْهُ وَمَا يَعْسُرُ . فَلْنَتَّبِعْ ذَلِكَ بِقَوْلِ كُلِّي فِي هَذَا الْبَابِ  
فَنَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا أَوْ كَانَ عِنْدَهُ طَبْعٌ مُجِيبٌ  
فَعَلَيْهِ حِفْظُ الدَّوَابِّ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَلَا يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ .  
يُحِبُّ يَأْخُذُ فِي نَثْرِ الشِّعْرِ مِنْ مَحْفُوظَاتِهِ . وَطَرِيقُهُ أَنْ يَبْتَدِئَ فَيَأْخُذَ  
قَصِيدًا مِنَ الْقَصَائِدِ فَيَنْثُرُ بَيْنًا بَيْنًا عَلَى التَّوَالِي . وَلَا يَسْتَنْكِفُ فِي  
الْإِبْتِدَاءِ أَنْ يَنْثُرَ الشِّعْرَ بِالْفَاطَةِ أَوْ بِأَكْثَرِهَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا  
ذَلِكَ وَإِذَا مَرَّتْ نَفْسُهُ وَتَدَرَّبَ خَاطِرُهُ أَرْتَفَعَ عَنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ  
وَصَارَ يَأْخُذُ الْمَعْنَى وَيَكْسُوهُ عِبَارَةً مِنْ عِنْدِهِ . ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَنْ ذَلِكَ  
فَيَكْسُوهُ ضَرْبًا مِنَ الْعِبَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لَخَاطِرِهِ بِمُبَاشَرَةٍ  
الْمَعْنَى لِقَاحٌ فَيَسْتَنْتِجُ مِنْهَا مَعَانِي غَيْرَ تِلْكَ الْمَعْنَى وَسَيِّئُهُ أَنْ  
يَكْثُرَ الْأَدْمَانُ لَبًّا وَنَهَارًا وَلَا يَرَّالَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى يَصِيرَ  
لَهُ مَلَكَ . فَإِذَا كَتَبَ كِتَابًا أَوْ خَطَبَ خُطْبَةً تَدَقَّقَتِ الْمَعْنَى فِي

وَحَدَاهُ تَمْلَأُ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً وَبَلَاغَةً وَتُدِرُّ كُلُّ وَرِيدٍ  
 قَوْلُهُ ( تَمْلَأُ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً ) مِنْ الْكَلَامِ الْحَسَنِ وَهُوَ أَحْسَنُ  
 مَا فِي الْبَيْتِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْثُرَ هَذَا الْمَعْنَى فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِعْمَالِ  
 لَفْظِهِ بِعَيْنِهِ لِأَنَّهُ فِي الْعَالِيَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْقَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . فَعَلَيْكَ  
 أَنْ تُؤَاجِيَهُ بِمِثْلِهِ وَهَذَا عَسِرٌ جِدًّا وَهُوَ أَضْعَفُ مِثَالًا مِنْ نَثْرِ الشَّعْرِ  
 بِغَيْرِ لَفْظِهِ لِأَنَّهُ مَسْلُوكٌ ضَيْقٌ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمِثَالَةٍ مَا هُوَ فِي  
 غَايَةِ الْحَسَنِ وَالْجُودَةِ . وَأَمَّا نَثْرُ الشَّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ فَذَلِكَ يَتَصَرَّفُ  
 فِيهِ نَازِلُهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ وَلَا يَكُونُ مُقَيَّدًا فِيهِ بِمِثَالٍ يُضْطَرُّ إِلَى  
 مُوَاجَهِتِهِ . وَقَدْ نَثَرْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَشَارَ إِلَيْهَا وَآتَيْتُ بِهَا فِي  
 جُمْلَةِ كِتَابِ فَقُلْتُ : وَكَلَامِي قَدْ عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ وَأَشْهَرَ . وَفَاقَ  
 مَسِيرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . وَإِذَا عُرِفَ الْكَلَامُ صَارَتْ الْمَعْرِفَةُ لَهُ  
 عَلَامَةً . وَأَمِنْ مَنْ سَرَقْتَهُ إِذْ لَوْ سُرِقَ لَدَلَّتْ عَلَيْهِ الْوَسَامَةُ . وَمِنْ  
 خَصَائِصِ عِفَافَتِهِ أَنْ يَمْلَأَ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً . وَيَجْعَلُ فَصَاحَةً كُلِّ لِسَانٍ  
 عُجْمَةً . وَإِذَا جَرَتْ نَفَاتُهُ فِي الْأَفْهَامِ قَالَتْ : أَهْذِهِ بِنْتُ فِكْرَةٍ  
 أَمْ بِنْتُ كَرَمَةٍ . فَانْظُرْ كَيْفَ فَعَلْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنِّي لَمَّا  
 أَخَذْتُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ اتَّزَمْتُ بِأَنْ أُؤَاجِيَهَا  
 بِمَا هُوَ مِثْلُهَا أَوْ أَحْسَنُ مِنْهَا فَجِئْتُ بِهَذَا الْفَصْلِ كَمَا تَرَاهُ . وَكَذَلِكَ  
 يَتَّبِعِي أَنْ يُفْعَلَ فِيمَا هَذَا سَبِيلُهُ . ( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ ) وَهُوَ أَعْلَى  
 مِنَ الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى فَيُصَاغَ بِالْأَقَاظِ غَيْرِ  
 الْأَقَاظِ . وَتَمَّ يَتَبَيَّنُ حِذْقُ الصَّائِغِ فِي صِيَاغَتِهِ وَيُعْلَمُ مِقْدَارُ تَصَرُّفِهِ



كَقَوْلِهِ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

وَالَّذِي حَقَّ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ  
أَرْجِيئِهِ عَنِّي فَأَبْصُرْ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِ  
(فَيُقَالُ) فِي نَذْرِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : فَكَمْ لَقِيَ الدَّذَا حَقُّ  
كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْكَوَاصِبِ مِنْ عَلٍ وَتَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فَكَوَاهُ  
فَوْقَ نَاطِرِيهِ وَأَكْبَهُ لِقَمِهِ وَيَدِيهِ . فَلَمْ يَزِدْ هَذَا النَّأْثُرُ عَنِّي أَن  
أَزَالَ رَوْنَقَ الْوُزْنِ وَطَلَاوَةَ النَّظْمِ لَاغَيْرُ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ ضَرْبُ  
مَحْمُودٍ لَا عَيْبَ فِيهِ وَهُوَ أَن يَكُونَ الْبَيْتُ مِنَ الشِّعْرِ قَدْ تَضَمَّنَ شَيْئًا  
لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُ لَفْظِهِ فَحِينَئِذٍ يُعْذَرُ نَأْثَرُهُ إِذَا أَتَى بِذَلِكَ اللَّفْظِ .  
وَكَذَلِكَ الْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا عَلَى مَا جَاءَتْ فِي  
الشِّعْرِ . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي) فَهُوَ وَسْطُ بَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثِ فِي  
الْمُرْتَبَةِ وَهُوَ أَن يَثْرُ الْمَعْنَى الْمَنْظُومَ بِبَعْضِ الْفَاطَةِ وَيُعْبَرُ عَنِ الْبَعْضِ  
بِالْفَاطِ أُخْرَ وَهَمَّاكَ تَطْهَرُ الصَّنْعَةُ فِي الْمُمَاثَلَةِ وَالْمُشَابَهَةِ وَمَوَاقِفِ  
الْأَلْفَافِ الْبَاقِيَةِ بِالْأَلْفَافِ الْمُرْتَجَلَةِ فَإِنَّهُ إِذَا أَخَذَ لَفْظًا لِشَاعِرٍ مُجِيدٍ  
قَدْ نَفَحَهُ وَصَحَّحَهُ فَقَرَنَهُ بِمَا لَا يُلَائِمُهُ كَانَ كَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ لُؤْلُؤَةٍ وَحَصَاةٍ .  
وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِتِّصَابِ لِلْقَدَحِ وَالْإِسْتِهْدَافِ لِلطَّعْنِ  
وَالطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ أَن تَأْخُذَ بَعْضُ بَيْتٍ مِنْ  
الْآيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ هُوَ أَحْسَنُ مَا فِيهِ ثُمَّ تُمَثِّلُهُ . وَسَاوَرِدُ هَهُنَا مِثَالًا  
وَاحِدًا لِيَكُونَ قُدْوَةً لِلْمُتَعَلِّمِ (فَأَقُولُ) : قَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ  
شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ فِي وَصْفِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِ حَيٍّ وَصُدُورَ الْقَتَا بِوَجْهِ وَقَاحٍ  
وَهَذَا كُلُّهُ مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ :  
لَا يَبْقَى الطَّغْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ  
وَهُوَ دُونَ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ . وَقَدْ آتَيْتُ فِي هَذَا أَلْبَابَ عَلَى  
الْكَفَايَةِ . فَتَسْ بِمَا أَوْرَدْتُهُ عَلَى مَا تَرَكْتُهُ فَإِنِّي لَوْ اسْتَقْصَيْتُهُ خَرَجَ  
هَذَا الْكِتَابُ عَنِ الْمُرَادِ وَزَاغَ عَنِ الْإِثَارِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ

### البحث الثالث

### في حل الشعر

( عن المثل السائر والوشى المرقوم لابن الاثير )

( راجع صفحة ٢٤٤ من علم الادب )

حَلُّ الْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : ( الْأَوَّلُ )  
مِنْهَا وَهُوَ إِذَا نَاقَهَا مَرْتَبَةٌ أَنْ يَأْخُذَ النَّاسُ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ فَيَنْتَرَهُ بِلَفْظِهِ  
مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَهَذَا عَيْبٌ فَاحِشٌ . وَمِثَالُهُ كَمَنْ أَخَذَ عَقْدًا قَدْ  
أُتِقِنَ نَظْمُهُ وَأَحْسِنَ تَأْلِيفُهُ فَأَوْهَاهُ وَبَدَّدَهُ وَكَانَ يَقُومُ عُذْرُهُ فِي  
ذَلِكَ أَنْ لَوْ نَقَلَهُ عَنْ كَوْنِهِ عَقْدًا إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى مِثْلِهِ أَوْ أَحْسَنَ  
مِنْهُ . وَآيضًا فَإِنَّهُ إِذَا نُثِرَ الشَّعْرُ بِلَفْظِهِ كَانَ صَاحِبُهُ مَشْهُورَ السَّرِقَةِ  
فَيُقَالُ : هَذَا شِعْرُ فُلَانٍ بَعَيْنِهِ لِكُونِ الْفَظِ بَاقِيَةً لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهَا شَيْءٌ  
وَقَدْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ بَعْضُ الْعِرَاقِيِّينَ فَجَاءَ مُسْتَهْجِنًا لَا مُسْتَحْسِنًا .

فَيَا لَأَيِّ دَعْنِي أَغَالِي بِقِيَمَتِي فَقِيَمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ  
فَأَخَذَهُ بِلَفْظِهِ وَأَخْرَجَهُ بَغِيضًا مُتَكَلِّفًا : وَأَحْيَدُ قَوْلِ الْآخِرِ :  
( فَقِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ عِلْمُهُ ) فَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ بِبَعْضِ لَفْظِهِ فَإِنَّ  
بَيْتَهُ أَحْسَنُ مَوْقِعًا مِنْهُ مِنْ بَيْتِ ابْنِ طَبَاطَبَا . وَمِمَّا قَصَرَ فِيهِ الْجُبْنِيُّ  
قَوْلُهُ :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مَشْغُوفَةٌ بِمَوَاطِنِ الْكِتَانِ  
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرَبَ :

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْبَضٍ مُرْهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ  
فَإِنَّ قَوْلَهُ ( مَجَامِعُ الْأَضْغَانِ ) أَجُودُ مِنْ قَوْلِهِ : مَوَاطِنُ الْكِتَانِ  
لَا نَهْمُ إِنَّمَا يُطَاعِنُونَ الْأَعْدَاءَ مِنْ أَجْلِ أَضْغَانِهِمْ فَإِذَا وَقَعَ الطَّنُّ  
فِي مَوْضِعِ الضَّغْنِ فَذَلِكَ غَايَةُ الْمُرَادِ . وَأَنشَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ :  
حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحٍ طَفَنُ مُدِيرٍ وَتَنَدَّقُ قِدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا  
مُسَلَّمَةٌ عَجَازُ خَيْلِي فِي الْوَعَى مُكَلَّمَةٌ لَبَّاتُهَا وَخُحُورُهَا  
أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ :

أَنَاسٌ إِذَا مَا اسْتَحْكَمَ الرُّوْعُ كَسَرُوا

صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكِتَابِ

فَأَحْسَنًا جَمِيعًا وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

يَلْقَى السُّيُوفَ بِخَرِّهِ وَبِوَجْهِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْغَفْرِ  
وَيَقُولُ لِلطَّرَفِ أَضْطَرَّ لِشَبَابِ الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْحَجْدِ إِنْ لَمْ يُغْفَرَ  
وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :



مُسْتَرَدَّةً . وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي كَرِيمَةَ :  
 قَفَاهُ وَجْهَهُ ثُمَّ وَجْهَ الَّذِي قَفَا هُ وَجْهَهُ يُشَبِّهُ الْبَدْرَا  
 وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :  
 بَرَّ حُسْنَ الْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَانَا

وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَّاسٍ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ بِقَوْلِهِ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِّدِ :  
 أَيَفَاخِرُكَ ابْنُ جَفَّةَ وَاللَّاتِ لَا مَسْكَ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِهِ وَلَقَدْ أَلَكَ أَحْسَنُ  
 مِنْ وَجْهِهِ وَلَيْسَارَكَ أَسْمَحُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَعَيْدُكَ أَكْثَرُ مِنْ قَوْمِهِ  
 وَلَنَفْسُكَ أَكْبَرُ مِنْ جُنْدِهِ وَلَيَوْمُكَ أَشْرَفُ مِنْ دَهْرِهِ . وَلَوْ عَدُّكَ  
 أَنْجَزُ مِنْ رِفْدِهِ . وَلَهْزَلُكَ أَضَوْبُ مِنْ جَدِّهِ . وَلَكُرْسِيُّكَ أَرْفَعُ مِنْ  
 بَرِيرِهِ . وَلَقَتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شِيرِهِ . وَلَأَمْكُ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ . وَسَمِعَ  
 بَعْضُهُمْ قَوْلَ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقِ :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً  
 فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ  
 إِذَا مَسَّ بِالْأَسْرَاءِ عَمَّ سُورُهَا  
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ  
 فَقَالَ وَآسَاءُ :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ إِنْ أَلَّهَ ذُو نِعَمٍ  
 شُكْرِي لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ  
 لَمْ يُخْصِهَا عَدَدًا بِالشُّكْرِ مِنْ حَمْدَا  
 شُكْرٌ يَكُونُ لِشُكْرِ قَبْلَهُ مَدَدَا  
 فَهَذَا مِثَالُ قُبْحِ الْإِخْذِ فَأَعْلَمُهُ . وَأَخَذَ ابْنُ طَبَاطِبَا قَوْلَ عَلِيٍّ  
 قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُخْسِنُهُ . فَقَالَ :



تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا وَذَلِكَ قَوْلُ طَرْفَةٍ :

وَقُوفًا بِهَا صَخِيٍّ عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَدَّ

وَهُوَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَقُوفًا بِهَا صَخِيٍّ عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلْ

فَعَبَّرَ طَرْفَةُ الْقَافِيَةَ . وَقَالَ الْبُعَيْثُ :

أَتَرْجُو كَلِيبٌ أَنْ يَجِيَّ حَدِيثُهَا بَحِيرٌ وَقَدْ أَعْيَا كُلِّيًّا قَدِيمُهَا

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَتَرْجُو رَيْعٌ أَنْ تَجِيَّ صِغَارُهَا بَحِيرٌ وَقَدْ أَعْيَا رَيْعًا كِبَارُهَا

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ جِدًّا وَالْأَخَذُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ

كَانَ مَعِيًّا وَإِنْ أَدْعَى الْآخِرُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الْأَوَّلِ بَلْ وَقَعَ

لَهُ كَمَا وَقَعَ لِذَلِكَ فَإِنَّ صِحَّةَ ذَلِكَ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَالْغَيْبُ لَا زِمَ لِلْآخِرِ . وَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ فِي قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ

خَوَاطِرَهُمْ تَقَعُ مُتَقَابِرَةً كَمَا أَنَّ أَخْلَاقَهُمْ وَشَمَائِلَهُمْ تَكُونُ مُتَضَارِعَةً

وَأَنشَدْتُ الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ :

كَانَتْ سَرَاةُ النَّاسِ تَحْتَ أَظْلَةٍ

فَسَبَقَنِي وَقَالَ :

فَعَدَّتْ سَرَاةُ النَّاسِ فَوْقَ سَرَاتِهِ

وَكَذَلِكَ كُنْتُ قُلْتُ : فَعَلَى هَذَا جَائِزٌ مَا يُدْعَى لَهُمْ وَالظَّاهِرُ

مَا قُلْنَاهُ فَهَذَا ضَرْبٌ . وَالضَّرْبُ الْآخِرُ مِنَ الْأَخَذِ الْمُسْتَهْجَنِ أَنْ

يَأْخُذَ الْمَعْنَى فَيُفْسِدُهُ أَوْ يُعْرِضُهُ أَوْ يُخْرِجُهُ فِي مَعْرِضٍ قَبِيحٍ وَكُسُوةٍ

فَاخَذَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ :  
 بِهِ صَدَقَ اللَّهُ الْأَمَانِي حَدِيثُهَا  
 وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :  
 أَنْصَرْتُ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى  
 عَادَ غُضْبِي سَاقًا وَكَانَ قَضِييَا  
 فَقَالَ الْبُخَيْرِيُّ وَرَدَّ :  
 حَتَّى يَعُودَ الذِّبُّ لِيَنَاضِغَمَا  
 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَفِيهَا أوردتُ كِفَايَةً

### البحث الثاني

### في قبح الـ اخذ

( من كتاب الصناعتين للعسكري )

(راجع صفحة ٢٤٣ من علم الادب)

وَقَبِحُ الْاِخْذِ أَنْ تَعِيدَ إِلَى الْمَعْنَى فَتَتَأَوَّلَهُ بِلَفْظِهِ كُلهِ أَوْ  
 أَكْثَرِهِ أَوْ تُخْرِجَهُ فِي مَعْرُضٍ مُسْتَهْجِنٍ . وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يُحْسَنُ بِالْكُسُوفِ .  
 أَخْبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : إِنَّا إِذَا سَمِعْنَا الْحَدِيثَ مِنْكَ  
 نَسْمَعُهُ بِخِلَافِ مَا نَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِكَ . قَالَ : إِنِّي أَجِدُهُ عَارِيًا  
 فَأَكْشُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِيهِ حَرْفًا . أَيُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِي  
 مَعْنَاهُ شَيْئًا فَمَا أُخِذَ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ وَادَّعَى اخِذَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهُ  
 وَلَكِنْ وَقَعَ كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ كَمَا سُئِلَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ عَنْ  
 الشَّاعِرَيْنِ يَتَّفِقَانِ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنَى . فَقَالَ : عُقُولُ الرِّجَالِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّأْيَاتِ حَتَّى كَانَهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَهَا لَا تُقَاتِلُ  
وَقَوْلُهُ : ( أَقَامَتْ مَعَ الرَّأْيَاتِ زِيَادَةً ) وَزَادَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ  
الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ :

حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَانِهِمْ تَقَعُ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

هَمَّةٌ تَنْطَحُ الْجُبُومَ وَجِدُّهُ أَلْفٌ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضُ  
أَخَذَهُ الْبَحْثَرِيُّ فَحَسَنَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعِزِّهِ قَانِمٌ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجِدِّ قَائِدٍ

وَمِمَّا أَخَذَهُ مِنْ أَبِي تَمَّامٍ فَقَسَمَهُ تَقْسِيمًا حَسَنًا قَوْلُهُ :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيمَةٌ إِقْدَامُ غِرٍّ وَأَعْتِرَامُ مُجَرَّبٍ  
هُوَ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فَادَّا لُقُوا فَكَانَهُمْ أَعْمَارُ  
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

كَمْ نِعْمَةٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا لِلَّهِ فِي طَيِّ الْمَكَارِهِ كَأَمَّةٍ  
أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلُوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَلَيَّ اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ  
فَزَادَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ أَتَى بِعَكْسِ الْمَعْنَى وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

رَأَيْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحَدَّكَ هَمَّةٌ وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعٌ  
فَأَخَذَهُ الْبَحْثَرِيُّ فَأَخْتَصَرَهُ فَقَالَ :

ثَنَى أَمَلِي فَأَخْتَارَهُ عَنْ مَعَايِيرِ يَسْتُونُ وَالْأَمَالَ فِيهِمْ مَطَامِعُ



وَمَا الْلَطْفَ قَوْلَ مَنْ قَالَ :

وَمَا الدَّهْرُ فِي حَالِ السُّكُونِ بِسَاكِنٍ

سِوَى أَنَّهُ مُسْتَجِمِعٌ لَوُثُوبٍ

وَأَمَّا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَقُلْتُ يَا قَوْمُ إِنَّ أَلَيْتَ مُنْقِضٌ عَلَى بَرَاثِنِهِ لَوُثْبَةُ الضَّارِي  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

كَانَ أَبَاهُ حِينَ سَمَاهُ صَاعِدًا رَأَى كَيْفَ يَرْقَى فِي الْعَالِي وَيَصْعَدُ

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْبُحْثَرِيِّ :

سَمَاهُ أَمْرُهُ الْعَلَاءُ وَأَمَّا قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنْ يَتِمَّ عَلَيْهِ  
وَزَادَ أَبُو تَمَّامٍ عَلَى الْأَفْوِهِ وَالنَّابِغَةِ وَآبِي نُوَّاسٍ وَمُسْلِمٍ فِي مَعْنَى  
تَدَاوُلُوهُ وَهُوَ قَوْلُ الْأَفْوِهِ :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى أَرْمَاحِنَا رَأَى عَيْنٍ ثِقَّةً أَنْ سَتَارَ

وَقَالَ النَّابِغَةُ :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ  
جَوَانِحُ قَدْ آيَقْنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ  
وَقَوْلُ آبِي نُوَّاسٍ :

تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غَزْوَتَهُ ثِقَّةً بِالسَّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

وَقَوْلُ مُسْلِمٍ :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقْنَ بِهَا فَهَنْ يَتَّبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ  
فَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

فَإِنْ نَحْنُ عِلَّةٌ نَعْمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضِهِ  
فَكَتَبَ مَنْ تَرَلَّ مَزَلَّتِي مِنْ طَاعَتِكَ وَمُشَارَكَتِكَ كَانَ حَقِيقًا  
أَنْ يُهَنَّا بِالنِّعْمَةِ تَحْدُثُ عِنْدَكَ وَيُعْزَى عَلَى النَّبَاةِ ثَلَمُ بَكَ . فَفَقَلَ  
الْعِيَادَةَ إِلَى الْمَصِيبَةِ وَالْعَزِيَّةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْكِتَابَةُ نَقْضُ الشَّعْرِ .  
وَقِيلَ لِلْعِتَابِيِّ : بِمِ قَدَرْتَ عَلَى الْبَلَاغَةِ . فَقَالَ : بِحِلِّ مَعْقُودِ الْكَلَامِ  
وَأَحْسَنَ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ :

إِلَيْكَ هَتَكُنَّا جَمْعُ لَيْلٍ كَأَنَّمَا قَدْ أَكْتَحَلْتُ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِثْمِ  
وَزَادَ فِيهِ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ وَمِنْهُ أَخَذَ . وَهُوَ قَوْلُهُ :  
وَجَمْعُ لَيْلٍ مُكْتَحِلٌ بِقَارٍ  
لَأَنَّ الْأَكْتَحَالَ يَكُونُ بِالْإِثْمِ وَلَا يَكُونُ بِالْقَارِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ  
أَبْنُ الْعَبَّاسِ :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ  
فَبَسَطْتُهَا الْغِنَى وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ  
وَبَاطِنُهَا لِلْنَدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ  
وَأَخَذَ الْغِنَى الْأَمِيرُ أَبُو عَزِيزٍ قَتَادَةَ أَمِيرُ مَكَّةَ فَقَالَ مُشِيرًا إِلَى  
يَدِهِ مِنْ آيَاتٍ :

تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَأْتِمُ ظَهْرَهَا وَفِي بَطْنِهَا لِلنَّجْدَيْنِ رَيْعُ  
فَاتَّبَعَهُ أَبُو الرُّومِيِّ فَأَحْسَنَ إِلَّا تَبَاعَ فَقَالَ :  
أَصْبَحْتُ بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَجَمَلٍ وَآخِرُ بَيْنَهُمَا يُمُوتُ هَزِيلًا  
فَأَمْدُدْ إِلَيَّ يَدًا تَعُودَ بَطْنُهَا بَذَلُ النِّوَالِ وَظَهْرُهَا التَّقْيِيلُ

مُسْتَقِيمًا وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : فَوَادُ الْفَتَى نِصْفٌ وَلِسَانُهُ نِصْفٌ . وَلَا  
يُمْكِنُ فِي الْمِضْرَاعِ الثَّانِي ذَلِكَ حَتَّى تَزِيدَ فِيهِ أَوْ تَقْصُصَ مِنْهُ لِأَنَّ  
الْمِضْرَاعَ الثَّانِي إِنَّمَا هُوَ تَذْيِيلٌ لِلْمِضْرَاعِ الْأَوَّلِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْلَهُ  
حَلًّا مُقْتَصِرًا بِغَيْرِ لَفْظِهِ قُلْتَ : أَلَا نَسَانُ شَطْرَانِ لِسَانٌ وَجَنَانٌ . وَمِمَّا  
لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ بِتَقْدِيمِ لَفْظَةٍ مِنْهُ وَتَأْخِيرِ أُخْرَى أَيْضًا قَوْلُ أَبِي  
نُؤَاسٍ :

أَلَا يَا أَبْنَ الَّذِينَ فُتُوا وَبَادُوا      أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِيَتَّبَعِي  
فَقَتَحْتُاجُ فِي نَثَرِهِ إِلَى تَغْيِيرِهِ وَابْدَالِ الْفَازِطِ فَقَتُولُ : أَلَا يَا أَبْنَ  
الَّذِينَ مَاتُوا وَمَضُوا وَطَعْنُوا فَنَآوَا فَوَاللَّهِ مَا ظَنُّوا لِيُتَّقِمَ وَمَا رَأَوْا إِلَّا  
لِتَرِيْمٍ . وَلَا مَاتُوا لِيَحْيَا وَلَا فُتُوا لِيَتَّبَعِي . وَفِي هَذِهِ أَلَا لَفَازِطٍ طُولٌ وَلَيْسَ  
بِصَافِرٍ عَلَى مَا خَبَرْتُكَ فَإِنْ أَرَدْتَ اخْتِصَارَهُ قُلْتَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ  
أَلَمْتُ لَمْ يُصَبِّكَ فِي آيِكَ إِلَّا لِيُصِيبَكَ فِيكَ . وَالضَّرْبُ الرَّابِعُ  
أَنْ تَكْسُوَ مَا تَحْلَهُ مِنَ الْمَنْظُومِ الْفَازِطًا مِنْ عِنْدِكَ . وَهَذَا أَرْفَعُ  
دَرَجَاتِكَ . وَمِنْهُ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ وَقَدْ رَأَى اجْتِهَادَهُ  
فِي الْعِبَادَةِ : قَتَلْتَ نَفْسَكَ . فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطْلُبُ . فَقَالَ الشَّاعِرُ :  
سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لَتَقْرُبُوا      وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَجْمَدَا  
وَمِنْهُ مَا جَاءَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَقَالَ نَثَرًا : إِنْ أَمْرًا لَمْ يَعُدَّ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبَا مَيْتَةٍ لَمُغْرَقٍ لَهُ فِي أَلَمٍ . فَاخَذَهُ أَبُو نُؤَاسٍ فَقَالَ :  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ      وَذُو نَسَبٍ فِي أَلْهَالِكِينَ عَرِيقُ  
وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ :



صَدَرَ كَلَامٍ قُلَيْبِ الْمُعْتَرِي . وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي فَمِثَالُهُ مَا ذَكَرَ  
بَعْضُ الْكُتَّابِ مِنْ قَوْلِ الْجُبَّارِيِّ :

نَطْلُبُ الْأَكْثَرِ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ تُبْلَغُ الْحَاجَةُ فِيهَا بِالْأَقْلِ  
ثُمَّ قَالَ : فَإِذَا نَثَرْتَ ذَلِكَ وَلَمْ تَرُدِّ فِي الْفَاطَةِ شَيْئًا قُلْتَ :  
نَطْلُبُ فِي الدُّنْيَا الْأَكْثَرَ وَنَبْلَغُ مِنْهَا الْحَاجَةَ بِالْأَقْلِ . فَأَمَّا  
الضَّرْبُ الثَّلَاثُ فَهُوَ أَنْ تُضَعَ الْفَاطَةُ أَلْبَيْتٍ فِي مَوَاضِعَ لَا يَحْسُنُ  
وَضْعُهَا فِي غَيْرِهَا فَيَحُلُّ إِذَا نَثَرَ بِتَأْخِيرٍ لَفْظٍ وَتَقْدِيمٍ آخَرَ فَيَحْتَاجُ  
نَثَرُهُ إِلَى التَّنْقِصَانِ مِنْهُ وَالزِّيَادَةِ فِيهِ . كَقَوْلِ الْجُبَّارِيِّ أَيْضًا :

يُسِرُّ بِعُمَرَانَ الدِّيَارِ مُضَلِّلٌ وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا  
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ حَمِيَّهَا فَكَيْفَ أَرْتَضِيهَا أَوْ أَنْ ذَهَابِهَا  
فَإِذَا نَثَرَ عَلَى هَذَا أَلَوْجِهِ قِيلَ : يُسِرُّ مُضَلِّلٌ بِعُمَرَانَ الدُّنْيَا وَمِنْ  
خَرَابِهَا عُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ وَلَمْ أَرْتَضِ أَوْ أَنْ حَمِيَّهَا الدُّنْيَا فَكَيْفَ أَرْتَضِيهَا  
ذَهَابِهَا أَرْتَضِيهَا . فَهَذَا نَثَرٌ فَاسِدٌ فَإِذَا غَيَّرْتَ بَعْضَ الْفَاطَةِ حَسَنًا  
وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : يُسِرُّ الْمُضَلِّلُ بِعُمَرَانَ الدِّيَارِ وَأَمَّا يُسْتَأْنَفُ عُمَرَانُهَا  
مِنْ خَرَابِهَا . وَمَا أَرْتَضَيْتُ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ حَمِيَّهَا فَكَيْفَ أَرْتَضِيهَا أَوْ أَنْ  
ذَهَابِهَا . وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ مِنَ النَّظْمِ مَا لَا يُمَكِّنُ حَالَهُ أَصْلًا بِتَأْخِيرِ  
لَفْظَةٍ وَتَقْدِيمِ أُخْرَى مِنْهُ حَتَّى يُلْحَقَ بِهِ التَّغْيِيرُ وَالزِّيَادَةُ وَالتَّنْقِصَانُ .  
مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

إِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ فَوَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ الْحَمِّ وَاللِّمِّ  
فَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ يُمَكِّنُ أَنْ تُؤَخَّرَ الْفَاطَةُ وَتُقَدَّمَ فَيَصِيرُ نَثَرًا

أَبْنُ أَبِي رُوَادٍ : مَا أَحْسَنَ هَذَا مِنْ أَيْنَ أَخَذْتُهُ . قَالَ : مِنْ قَوْلِ  
 أَبِي نُوَّاسٍ وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بُسْتَنَكِرٌ . أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ  
 وَمَنْ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ يَظُنُّهُ مَسْرُوقًا مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ :  
 إِذَا غَضِبْتَ عَلَيَّ بَنُو تَيْمٍ رَأَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا  
 وَسَمِعَ قَلِيبُ الْمُعْتَرِي أَيْتَاتِ اللَّغْنِيِّ وَهِيَ :  
 أَفَلْتَ بَطَالَتُهُ وَرَاجَعَهُ حِلْمٌ وَأَعَقَبَهُ أَهْوَى نَدَمًا  
 أَلْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كَلْسَكَهُ وَأَعَادَهُ الْإِقْتَارَ وَالْعَدَمَا  
 فَإِذَا أَلَمَ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ غَضَّ الْجُفُونَ وَمَجْمَعُ الْكَلِمَا  
 فَقَالَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ يَسْتَعِطِفُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِهِ : جَعَلَنِي اللَّهُ  
 فِدَاكَ . لَيْسَ هُوَ الْيَوْمَ كَمَا كَانَ أَمْسٍ إِنَّهُ وَحْيَاتِكَ أَفَلْتَ بَطَالَتُهُ  
 إِي وَاللَّهِ وَرَاجَعَهُ حِلْمُهُ وَأَعَقَبَهُ وَحَقِّكَ أَهْوَى نَدَمًا أَلْقَى الدَّهْرُ عَلَيْهِ  
 كَلْسَكَهُ فَهُوَ الْيَوْمَ إِذَا رَأَى أَخَا ثِقَةٍ غَضَّ بَصَرَهُ وَمَجْمَعُ كَلَامِهِ .  
 وَبِهَذَا يُعْرَفُ أَنَّ حَلَّ الْمَنْظُومِ وَنَظْمَ الْحَمُولِ أَسْهَلُ مِنْ أَيْدَائِهِمَا  
 لِأَنَّ الْمَعَانِي إِذَا حُلَّتْ مَنْظُومًا أَوْ نُظِمَتْ مَنْشُورًا حَاضِرَةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ  
 تَرِيدُ فِيهَا شَيْئًا فَتَحُلُّ أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا فَتَنْتَظِمُ . وَإِذَا أَرَدْتَ  
 أَيْدَاءَ كَلَامٍ وَجَدْتَ الْمَعَانِي غَائِبَةً عَنْكَ فَتَحْتَاجُ إِلَى فِكْرٍ يُخَضِّرُكَهَا  
 وَالْحَمُولُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرُبٍ : ضَرْبٌ مِنْهَا يَكُونُ  
 بِإِذْخَالِ لَفْظَةٍ بَيْنَ الْفَاطِطِ . وَضَرْبٌ يَحُلُّ بِتَأْخِيرِ لَفْظَةٍ مِنْهُ وَتَقْدِيمِ  
 أُخْرَى فَيَحْسُنُ مُحْوُلُهُ وَيَسْتَقِيمُ . وَضَرْبٌ مِنْهُ يَحُلُّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ  
 وَلَا يَحْسُنُ وَلَا يَسْتَقِيمُ . فَأَمَّا الضَّرْبُ الْأَوَّلُ فَمَثَالُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

الْأَمْرُ وَضَاعَ الْعَمَلُ . وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ نُصَيْبٍ :

وَلَوْ سَكَتُوا أَثَبْتُ عَلَيْكَ الْحَقَّابِ

فَكُتِبَ وَلَوْ أُنْمِسِكَ لِسَانِي عَنْ شُكْرِكَ لَنُطِقَ أَثْرُكَ عَلَيَّ .  
وَفِي فَضْلِ آخَرَ : وَلَوْ جَعَدْتُكَ إِحْسَانَكَ لَا كُذِّبْتَنِي آثَارُهُ وَنَمَتْ  
عَلَيَّ شَوَاهِدُهُ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : شَاهِدَاتُ الْأَحْوَالِ أَعْدَلُ مِنْ  
شَهَادَاتِ الرِّجَالِ . أَخَذَهُ ابْنُ الْأَرَوِّحِيِّ فَشَرَحَهُ فِي قَوْلِهِ :

حَالُ السِّدَادِ فِي عَمَائِرِيكُمْ لَكِنْ فَمُ الْحَالِ بَيْنِي غَيْرُ مَسْدُودٍ

حَالٌ تَصِيحٌ مِمَّا أَوَّلَيْتَ مُعْلَنَةً وَكُلُّ مَا تَدَّعِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ

كُلِّي هِجَاءً وَقَتْلِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَمَا يَدَاوِيكُمْ وَبَيْنِي سَوَى الْجُودِ

وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِتِّبَاعِ أَيْضًا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ  
عَلِيٍّ : لَا تَكُونَنَّ كَمَنْ يَغْزُرُ عَنْ شُكْرِ مَا أُتِيَ وَيَلْتَمِسُ الزِّيَادَةَ  
فِيمَا بَقِيَ . فَكُتِبَ : أَحَقُّ مَنْ أَثَبْتَ لَكَ الْعُذْرَ فِي حَالِ شُغْلِكَ  
مَنْ لَمْ يَخْلُ سَاعَةً مِنْ بَرِّكَ فِي وَقْتِ فَرَاغِكَ . وَأَخَذَهُ أَخْذًا ظَاهِرًا  
أَحْمَدُ بْنُ صُبَيْحٍ فَقَالَ : فِي شُكْرِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِ الْأَمِيرِ شَاغِلٌ  
عَنْ اسْتِيطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ . وَأَخَذَهُ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فَقَالَ : لَسْتُ  
مُسْتَقِلًّا لِشُكْرِ مَا مَضَى مِنْ بَلَائِكَ فَاسْتَبْطِئْ دَرَكَ مَا أُوَمِّلُ مِنْ  
مَزِيدِكَ . وَمِنْ هَذَا أَيْضًا قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِقَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

وَأَخْبَرَ الْأَخْفَشُ قَالَ : قَالَ أَبُو تَمَّامٍ لِابْنِ أَبِي رُوَّادٍ لَمَّا غَضِبَ  
عَلَيْهِ : أَنْتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَلَا طَاقَةَ لِي بِغَضَبِ جَمِيعِ النَّاسِ . فَقَالَ



وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَاذِي لَأَشَعْتُ      وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَآثِمِ  
 أَنْصِرْ لِلْبُلُوَى حَيَاءً وَحِسْبَةً      فَتَوَجَّرُ أَمْ تَسْلُوسُوا إِلَهَائِمِ  
 خُلِقْنَا رَجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْأَسَى      وَتِلْكَ أُنْعَوَانِي لِلْبُكَاءِ وَالْمَآثِمِ  
 وَأَلْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَمَّا قُتِلَ مُضْعَبٌ .  
 وَإِنَّمَا التَّسْلِيمُ وَالسَّلَوةُ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ . وَإِنَّ أَهْلَهُمَ وَالْجَزَعَ لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ  
 وَسَمِعَ قَوْلَ زِيَادٍ لِأَبِي الْأَسْوَدِ . لَوْ أَنَّكَ ضَعِيفٌ لَأَسْتَعْمَلْتُكَ . فَقَالَ  
 أَبُو الْأَسْوَدِ : إِنْ كُنْتُ تُرِيدُنِي لِلصَّرَاعِ فَلَا تَنِي لَا أَضِلُّ لَهُ وَإِلَّا فَغَيْرُ  
 شَدِيدٍ أَنْ أَمُرَ وَأَنْهَى فَقَالَ أَبُو ثَمَامٍ :

تَجَبُّ أَنْ رَأَتْ جَنْسِي حَيْفًا      كَانَ الْحَجْدُ يُدْرِكُ بِالصَّرَاعِ  
 وَلَمَّا قَالَ بَشَارٌ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ      وَفَارَ بِالطَّيِّبَاتِ أَلْفَاتِكَ اللَّهُمَّ  
 تَبِعَهُ سَلَمٌ الْحَاسِرُ فَقَالَ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا      وَفَارَ بِاللَّدَّةِ الْجُسُورُ

فَلَمَّا سَمِعَ بَشَارٌ هَذَا أَلْبَيْتَ قَالَ : ذَهَبَ الْحَيْثُ بَيْتِي . وَمِنْ  
 حُسْنِ الْإِتْبَاعِ أَيْضًا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ حَيْثُ كَتَبَ : إِذَا  
 كَانَ لِلْمُحْسِنِ مِنَ الثَّوَابِ مَا يُقْنِعُهُ وَلِلْمُسِيءِ مِنَ الْعِقَابِ مَا يَشْمَعُهُ  
 أَزْدَادُ الْمُحْسِنِ فِي الْإِحْسَانِ رَغْبَةً وَأَنْقَادُ الْمُسِيءِ لِلْحَقِّ رَهْبَةً . أَخَذَهُ  
 مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ : يَجِبُ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَتَّهَدَ أُمُورَهُ وَيَتَفَقَّدَ أَعْوَانَهُ  
 حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ ثُمَّ لَا يَتْرُكُ وَاحِدًا  
 مِنْهُمَا بِغَيْرِ جَزَاءٍ . فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ تَهَوَّنَ الْمُحْسِنُ وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ وَفَسَدَ

وَكُنْتُ إِذَا هَيَّأتُ مَدْحًا لِمَاجِدِ

آتَانِي الَّذِي فِيهِ بِأَذْنِي الَّذِي عِنْدِي

وَمِنْ هَاهُنَا أَخَذَ أَبُو نُؤَاسٍ قَوْلَهُ :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا تُشْنِي وَفَوْقَ الَّذِي تُشْنِي

وَأَنْ جَرَتْ أَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ لِعَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

وَيُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الْحَنَسَاءِ :

وَمَا بَلَغَ الْهَدُونَ فِي الْقَوْلِ مَدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدَّرُوعَ لِمَوْقِفٍ لَيْسَتْهُمْ الْأَحْسَابُ فِيهِ دُرُوعًا

أَتَمُّ وَأَجُودُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

لَبَسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ عِظَاهِينَ لِدَفْعِ ذَلِكَ

وَقَالَ أَغْرَابِيُّ : إِنْ أَلْدَى حَيْثُ تَرَى الضِّعَاطَا . فَأَخَذَهُ بَشَّارٌ

وَقَدْ شَرَحَهُ وَيَبَيَّنَهُ فَقَالَ :

تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَشِرُ الْحَبُّ م وَتُغَشَّى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

يَزْدَجِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّرْحَامِ

وَسَمِعَ أَبُو تَمَّامٍ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ :

إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ قَضَاءُ اللَّهِ وَأَنْتَ مَوْزُورٌ . وَإِنَّكَ إِنْ

لَمْ تَسْلُ أَحْسَابًا سَبَوْتَ كَمَا تَسْلُو الْبَهَائِمَ فَحَكَاهُ حِكَايَةً حَسَنَةً فِي

قَوْلِهِ :

أَشْمُ طُوالُ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يُلَاثُ مِجَادَا سَيْفِهِ بِلِوَاءٍ  
 أَحْسَنُ لَفْظًا وَسَبْكًَا مِنْ قَوْلِ عَنَذَرَةَ :  
 بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرَحَةٍ يُحْدِي نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ  
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي ابْنِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :  
 لَهْفَنِي عَلَى تِلْكَ اَلْخَمَائِلِ فِيهِمَا لَوْ أَهْلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا  
 لَوْ يُنْسَبَانِ لَكَانَ هَذَا غَارِبًا . اَلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هَذَا كَاهِلًا  
 إِنَّ اَلْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ غَوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنَّ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا  
 أَحْسَنُ وَأَجُودُ مِمَّا أَخَذَ مِنْهُ هَذِهِ اَلْمَعَانِي وَهُوَ قَوْلُ اَلْفَرَزْدَقِ :  
 وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِظَةٍ لَوْ أَنَّ اَلْمَنَايَا اَنَسَاتُهُ لَيَايَا  
 لَا يَقَعُ بَيْتُ اَلْفَرَزْدَقِ مَعَ آيَاتِ آيِي تَمَامٍ مَوْقِعًا . وَأَخَذَ قَوْلُ  
 اَلْفَرَزْدَقِ :  
 وَمَا وَاعَرْتَنِي اَلنَّفْسُ فِي رِحْلَةٍ لَهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا  
 فَسَرَحَهُ وَقَالَ :  
 وَمَا طَوَّفْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي  
 مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلِقْتُ رِكَائِي فِي اَلْبِلَادِ  
 وَإِلَى بَيْتِ اَلْفَرَزْدَقِ يُشِيرُ اَلْقَائِلُ :  
 مَدَحْتُكَ جَهْدِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ  
 فَقَصَّرَ عَمَّا فِيكَ مِنْ صَالِحِ جَهْدِي  
 مَا كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ اَلْخَيْرِ قُلْتُهُ  
 وَلَا كُلُّ مَا فِيهِ يَقُولُ اَلَّذِي بَعْدِي



مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْحَيَّاطِ :

لَسْتُ بِكَفِي كَفِّهِ أَبْتَغِي الْغَنَى  
فَلَا أَنَامُهُ مَا أَفَادَ دَوُو الْغَنَى  
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ :

أَحِبُّ الرِّيحَ مَا هَبَّتْ شَمَالًا  
وَأَحْسُدُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبًا  
قَسَمَ تَقْسِيمًا حَسَنًا وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الشَّمَالَ تَحِيٌّ مِنْ نَاحِيَةِ صَدِيقِهِ  
إِلَيْهِ فَاحْبَبَهَا وَالْجَنُوبَ تَهَبُّ إِلَى الْحَبِيبِ فَحَسُدَهَا لِمُبَاشَرَتِهَا جِسْمَهُ وَهُوَ  
مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ جِرَّانِ الْعَوْدِ :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ  
وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كَيْدِي بَرْدًا  
وَزَادَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا :

وَيُعْمِدُ السَّيْفَ بَيْنَ النَّحْرِ وَالْجِدِّ  
عَلَى السَّابِقِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ بَعْضُ الْفَرَسَانِ إِذَا يَقُولُ :  
جَعَلْتُ السَّيْفَ بَيْنَ اللَّيْثِ مِنْهُ وَبَيْنَ سَوَادِ لَحْيَيْهِ عِذَارًا  
لِأَنَّ الْإِعْمَادَ فِيهِ أَشَدُّ تَأْثِيرًا مِنْ وَضْعِ الْعِدَارِ عَلَيْهِ . وَقَدْ زَادَ  
أَبُو نُوَّاسٍ عَلَى جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ :  
وَقَدْ أَطُولُ نِجَادَ السَّيْفِ مُحْتَبَا  
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ هَزَّتُهُ الْأَنَابِيبُ  
فَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

سَبَطُ الْبَلَّانِ إِذَا أَحْتَبَى بِنِجَادِهِ  
غَمْرُ الْجَمَاجِمِ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ  
قَوْلُهُ : غَمْرُ الْجَمَاجِمِ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ  
وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

وَسَنَتَّبِعُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْبَابِ وَالْحَاقِقُ يُخْفِي دَبِيئَهُ إِلَى الْمَعْنَى  
يَأْخُذُهُ فِي سِتْرَةٍ فَيُحْكَمُ لَهُ بِالسَّبْقِ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ مَعْنَى  
مِنْ أَنْظَمَ فَيُورِدُهُ فِي نَثَرِهِ . أَوْ مِنْ نَثَرٍ فَيُورِدُهُ فِي نَظْمٍ أَوْ يَنْقُلُ  
الْمَعْنَى الْمُسْتَعْمَلِ فِي صِفَةِ حَرٍّ فَيَجْعَلُهُ فِي مَدِيحٍ أَوْ فِي مَدِيحٍ فَيَنْقُلُهُ إِلَى  
وَصْفٍ . إِلَّا أَنَّهُ لَا يَكْمُلُ بِهَذَا إِلَّا الْمُبَرِّزُ وَالْكَامِلُ الْمُقَدَّمُ فَمَنْ  
أَخْفَى دَبِيئَهُ إِلَى الْمَعْنَى وَسَتَرَهُ غَايَةَ السَّتْرِ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ :

جَمَعْتَ عَرَى أَعْمَالَهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنْأَيْبَ عَامِلُ  
قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْجَبَالِ الرَّبْعِيِّ :

أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزْنُهُمْ فَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِضْبَعٌ ثُمَّ إِضْبَعٌ  
وَهَكَذَا قَوْلُهُ وَقَدْ نَقَلَهُ مِنْ مَعْنَى إِلَى آخَرٍ :

مَكَارِمُ لَبَّتْ فِي غُلُوٍّ كَأَنَّمَا تَحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكُوَاكِبِ  
قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَخْطَلِ :

عُرُوفٌ لِحَقِّ السَّائِلِينَ كَأَنَّهُ بَعْقَرُ الْمَتَالِيِّ طَالِبٌ بِذُنُوبٍ  
وَيَمَّا أَخَذَهُ وَزَادَ فِيهِ عَلَى الْأَوَّلِ قَوْلُهُ :

أَفَنَاهُمْ الصَّبْرُ إِذَا أَبْقَاكُمُ الْجُرْعُ

مِنْ قَوْلِ السَّمَوَلِ :

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ أَجَالُهُمْ قَتْلُولُ  
أَوْرَدَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي نِصْفِ بَيْتٍ وَأَسْتَوْفَى التَّطْيِيقَ وَمِنْ هَذَا  
الضَّرْبِ قَوْلُهُ :

عَلَّمَنِي جُودَكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ

كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ وَقَعَ لِلآخِرِ . وَهَذَا أَمْرٌ عَرَفْتُهُ مِنْ نَفْسِي فَلَسْتُ  
أَمْتَرِي فِيهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ كَانَ لَهُ سَالِحًا  
وَمَنْ أَخَذَهُ فَكَسَاهُ لَفْظًا مِنْ عِنْدِهِ أَجُودَ مِنْ لَفْظِهِ كَانَ هُوَ  
أَوَّلَى بِهِ يَمِّنُ تَقَدَّمَهُ . وَقَالُوا : إِنَّ أَبَا عُدْرَةَ أَلْكَامَ مِنْ سَبَكِ  
أَفْظُهُ عَلَى مَعْنَاهُ . وَمَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ . عَلَى أَنَّ  
أَبْتِكَارَ أَلْمَعْنَى وَالسَّبْقَ إِلَيْهِ لَيْسَ هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى أَلْمَعْنَى وَأَمَّا  
هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي أَبْتَكَرَهُ وَسَبَقَ إِلَيْهِ . فَأَلْمَعْنَى الْجِدُّ جِدُّ  
وَأَنْ كَانَ مَسْبُوقًا إِلَيْهِ وَالْوَسْطُ وَسَطٌ وَالرَّدْيُ رَدْيٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
مَسْبُوقًا إِلَيْهِمَا . وَقَدْ أَطْبَقَ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرُونَ عَلَى تَدَاوُلِ أَلْمَعْنَى  
بَيْنَهُمْ فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا إِذَا أَخَذَهُ بِلَفْظِهِ كُلِّهِ وَأَخَذَهُ فَأَفْسَدَهُ  
وَقَصَرَ فِيهِ عَمَّنْ تَقَدَّمَهُ وَرَبَّمَا أَخَذَ الشَّاعِرُ الْقَوْلَ الْمَشْهُورَ وَلَمْ يُبَالِ  
كَمَا فَعَلَ النَّابِغَةُ فَإِنَّهُ أَخَذَ قَوْلَ وَهْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرٍ :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ

وَقَالَ النَّابِغَةُ

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْأِظْلَامُ إِظْلَامٌ  
وَأَخَذَ قَوْلَ رَجُلٍ مِنْ كِنْدَةَ فِي عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ :

هُوَ الشَّمْسُ وَأَفَتْ يَوْمَ دَجَنٍ فَأَفْضَلَتْ  
عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ

فَقَالَ :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبُ



# الفصل التاسع

في حل الشعر والاحتذاء

البحث الاول

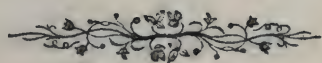
في حسن الاخذ

( من كتاب الصناعتين للعسكري )

( راجع صفحة ٢٣٩ من علم الادب )

لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصَافِ الْقَائِلِينَ غَنَى عَنْ تَنَاوُلِ الْمَعَانِي مِمَّنْ  
تَقَدَّمَهُ وَالصَّبُّ عَلَى قَوَالِبِ مَنْ سَبَقَهُ وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِذَا أَخَذَهَا أَنْ  
يَكْسُوَهَا أَلْفَافًا مِنْ عِنْدِهِ وَيُبْرِزَهَا فِي مَعَارِضَ مَنْ تَأْلَيْفَهُ وَرَضَفَهُ  
وَيُودِّيَهَا فِي غَيْرِ حِلَّتَيْهَا الْأُولَى وَيَزِيدَ فِي حُسْنِ تَأْلِيفِهَا وَجُودَةِ  
تَرْكِيبِهَا وَجَمَالِ حِلَّتَيْهَا وَمَعْرِضِهَا . فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَوْلَى بِهَا مِمَّنْ  
سَبَقَ إِلَيْهَا وَلَوْلَا أَنَّ الْقَائِلَ يُودِّي مَا سَمِعَ لَمَا كَانَ فِي طَاقَتِهِ أَنْ  
يَقُولَ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ الطِّفْلُ بَعْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنَ الْبَالِغِينَ . وَقَالَ أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ : لَوْلَا أَنَّ الْكَلَامَ يُعَادُ لَنَفَدَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كُلُّ  
شَيْءٍ شَنِئْتَهُ قَصُرَ إِلَّا الْكَلَامَ فَإِنَّكَ إِذَا شَنِئْتَهُ طَالَ . عَلَى أَنَّ الْمَعَانِيَ  
مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ فَرَبَّمَا وَقَعَ الْمَعْنَى الْجَيِّدُ لِلشُّوقِيِّ وَالنَّبْطِيِّ وَالزَّنْجِيِّ  
وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِي الْأَلْفَافِ وَرَضَفِهَا وَتَأْلِيفِهَا وَتَنْظِيمِهَا . وَقَدْ  
يَقَعُ لِلْمَتَأَخِّرِ مَعْنَى سَبَقَهُ إِلَيْهِ الْمُتَقَدِّمُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلِمَّ بِهِ وَلَكِنْ

يَصِلُ إِلَيْهِ فَهَهُ مِنْ الْخُطَابِ ( اِسْتِشْهَادٌ مِنْ كِتَابِ الصِّنَاعَتَيْنِ ) .  
 ( الْأَصْلُ التَّاسِعُ ) أَنْ يُرَاعِيَ رُتَبَةَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ  
 فِي الْخُطَابِ فَيُعَبِّرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَلِيْقُ بِهِ . وَيُخَاطَبَ  
 الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ بِمَا يَلِيْقُ بِمَقَامِهِ . فَأَمَّا الْمَكْتُوبُ عَنْهُ فَيُخْتَلَفُ الْحَالُ  
 فِيهِ بِاخْتِلَافِ مَنْصِبِهِ وَرُتَبَتِهِ فَيُعَبِّرُ فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ أَبْوَابِ  
 الْخِلَاقَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : فَجَرَى أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 فِي كَذَا عَلَى كَذَا . وَأَوْعَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فَلَانٍ بِكَذَا وَأَقْتَضَى  
 رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَذَا وَهَلَمْ جَرَاءً . وَكَذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ الْمَكْتُوبِ  
 إِلَيْهِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْوُكَلَاءِ لِيَفْرُقَ بَيْنَ مَنْ  
 يَكْتُبُ إِلَيْهِ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ خَاطَبْتَ سُلْطَانًا أَوْ وَزِيرًا بِالتَّغْرِيزِ  
 عَنْ الْمَصِيبَةِ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا لَمَا جَازَ أَنْ تَبْنِي الْكَلَامَ عَلَى وَعْظِهِ  
 وَتَبْصِيرِهِ وَارْشَادِهِ وَحَضِّهِ عَلَى الْإِخْذِ بِمِحْطَةٍ مِنَ الصَّبْرِ . . وَأَمَّا الصَّوَابُ  
 أَنْ تَبْنِي الْخُطَابَ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَى شَأْنًا وَارْفَعُ مَكَانًا مِنْ أَنْ يُعْزَى  
 بِخِلَافِ الْمَتَاخِرِ فِي الرُّتَبَةِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُعْزَى تَنْبِيْهًا وَتَذَكِيرًا وَتَصْغِيرًا  
 وَتَعْرِيفًا لِلْوَاجِبِ فِي تَلَقِّي السَّرَاءِ بِالشُّكْرِ وَالضَّرَاءِ بِالصَّبْرِ . .  
 ( الْأَصْلُ الْعَاشِرُ ) أَنْ يُرَاعِيَ مَوَاقِعَ الْآيَاتِ وَالسَّجَعِ فِي الْكُتُبِ  
 وَذَكَرَ آيَاتِ الشِّعْرِ فِي الْمَكَاتِبَاتِ . . .



فَإِنْ كَانَ فِي الْهَنَاءِ وَالشُّكْرِ أَوْ التَّغْزِيَةِ أَتَى كُلًّا بِمَا يُنَاسِبُهُ . (الرَّابِعُ)  
 أَنْ يَعْرِفَ مَوَاضِعَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ... (الْأَعْلَى السَّادِسُ)  
 أَنْ يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَلْقَابِ فَيُعْطِيَهُ حَقَّهُ  
 مِنْهَا . . . كَالْمَقَامِ وَالْمَقَرِّ وَالْجَنَابِ وَالنَّادِي وَالْجَلِيسِ فِي زَمَانِنَا . . .  
 وَكَذَلِكَ النُّعُوتُ . (الْأَعْلَى السَّابِعُ) أَنْ يُرَاعِيَ مَقَاصِدَ الْمَكَاتِبَاتِ  
 فَيَأْتِي لِكُلِّ مَقْصِدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى أَمْرَيْنِ : (الْأَمْرُ الْأَوَّلُ)  
 أَنْ يَأْتِيَ مَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ بِمَا يَلِيْقُ بِهَا وَيَخْتَارُ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَا يُشَاءُ كُلُّهَا  
 فَإِنْ ذَكَرَ النِّعْمَةَ حَمْدَ اللَّهِ وَإِنْ ذَكَرَ الْبَلَاةَ شَفَعَهَا بِالِاسْتِعَانَةِ  
 بِاللَّهِ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ فِيهَا . وَيَلْتَمِصُ بِذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الرَّئِيسَ  
 فِي أَثْنَاءِ الْمَكَاتِبَةِ دَعَا لَهُ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ ذِكْرِ السُّلْطَانِ :  
 خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَمِمَّا يَجْرِي هَذَا الْحَرْجُ . (الْأَمْرُ الثَّانِي) أَنْ يَتَحَقَّى  
 التَّصْرِيحَ إِلَى التَّلْوِيحِ وَالْإِشَارَةِ إِذَا أَلْجَأَتْهُ الْحَالُ إِلَى الْمَكَاتِبَةِ بِمَا  
 لَا يَجُوزُ كَشْفُهُ وَإِظْهَارُهُ عَلَى صَرَاحَتِهِ بِمَا فِي ذِكْرِهِ أَطْرَاحَ مَهَابَةٍ  
 السُّلْطَانِ وَإِسْمَاعُهُ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِخْلَالُ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ كَمَا لَوْ أَطْلَقَ  
 لِسَانَهُ فِيهِ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَسُوؤُهُ سَمَاعُهُ فَيَحْتَاجُ الْمُنْشِئُ إِلَى اسْتِعْمَالِ  
 التَّوْزِيَةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَالتَّلَطُّفِ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ  
 غَيْرِ حَيَاتَةٍ فِي طَيِّ مَا لَا غَنَى بِهِ عَنْ عَلَيْهِ . وَهَذَا بِمَا لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ  
 إِلَّا الْمُبَرِّزُ فِي الصَّاعَةِ الْمُتَصَرِّفُ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ . . . (الْأَصْلُ  
 الثَّامِنُ) أَنْ يَعْرِفَ مَقْدَارَ فَهْمِ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ فِي  
 الْمَكَاتِبَاتِ مِنَ اللِّسَانِ فَيَخَاطِبُ كُلَّ أَحَدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ اللَّفْظِ وَمَا



الكَاتِبُ قَدْ أَخْلَى مِنَ الصَّنَاعَةِ مُعْظِمَهَا وَتَرَكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ غَايَةَ  
مُحْكِمَهَا بَلْ يَجِبُ أَنْ بَدَأَ بِخَطَابِ رَئِيسٍ أَوْ نَظِيرٍ أَوْ مَرْؤُوسٍ أَنْ  
يَكُونَ مَا يَتَخَلَّلُ مَكَاتِبَتَهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ عَلَى اتِّسَاقٍ إِلَى آخِرِهَا وَأَطْرَادٍ  
مِنْ غَيْرِ مُخَالَفَةٍ بَيْنَهَا وَلَا مُضَادَّةٍ وَلَا مُنَاقِضَةٍ . نَعَمْ يَحْسُنُ ذَلِكَ فِي  
مُعَاتَبَاتِ الْأَخْوَانِ وَالْمُدَاعَبَاتِ الْجَارِيَةِ بَيْنَ الْأَحْلَانِ . . . ( الْأَصْلُ  
الْحَامِسُ ) الْأَدْعِيَةُ الَّتِي جَرَتْ عَادَةُ السَّلَفِ وَتَبِعَهُمُ الْخَلْفُ بِاسْتِعْمَالِهَا  
فِي الْمَكَاتِبَاتِ . وَالنَّظَرُ فِيهَا مِنْ سِتَّةِ أَوْجُهٍ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَعْرِفَ  
مَرَاتِبَ الدُّعَاءِ لِيُوقِعَهَا فِي مَوَاقِعِهَا وَيُورِدَهَا فِي مَوَارِدِهَا . وَيَأْتِي ذَلِكَ  
فِي عِدَّةِ أَدْعِيَةٍ مِنْهَا : الدُّعَاءُ بِاطَالَةِ الْبَقَاءِ وَالدُّعَاءُ بِاطَالَةِ الْعُمُرِ .  
فَالدُّعَاءُ بِاطَالَةِ الْبَقَاءِ أَرْفَعُ مِنَ الدُّعَاءِ بِاطَالَةِ الْعُمُرِ . وَذَلِكَ أَنَّ  
الْبَقَاءَ لَا يَدُلُّ عَلَى مُدَّةٍ تَنْقُضِي لِأَنَّهُ ضِدُّ الْفَنَاءِ وَالْعُمُرُ يَدُلُّ عَلَى  
مُدَّةٍ تَنْقُضِي وَلِذَلِكَ يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَقَاءِ وَلَا يُوصَفُ بِالْعُمُرِ . .  
( الثَّانِي ) أَنْ يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ  
الْجَلِيلَةِ مِنَ الدُّعَاءِ فَيُخَصِّصُهُ بِهِ فَيَأْتِي بِالدُّعَاءِ فِي مَكَاتِبَةِ الْمُلُوكِ بِدَوَامِ  
السُّلْطَانِ وَخُلُودِ الْمُلْكِ . وَإِلَى الْأُمَرَاءِ بِالدُّعَاءِ بِعِزِّ النَّصْرِ وَمُدَاوِمَةِ  
النِّعْمَةِ . وَإِلَى الْوُزَرَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ بِسُبُوغِ النِّعْمَاءِ وَتَحْلِيلِ  
السَّعَادَةِ وَدَوَامِ النِّجْدِ . وَإِلَى الْقُضَاةِ وَالْحُكَّامِ بِالدُّعَاءِ بِعِزِّ الْأَحْكَامِ .  
وَإِلَى الشُّجَرَاءِ بِالدُّعَاءِ بِزَيْدِ الْإِقْبَالِ وَشِبهِ ذَلِكَ . ( وَالثَّلَاثُ ) أَنْ  
يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ كُلَّ حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْمَكَاتِبَاتِ فَيَأْتِي كُلَّ حَالَةٍ  
بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ الدُّعَاءِ فَتَكُونُ الْأَدْعِيَةُ دَالَّةً عَلَى مَقَاصِدِ الْكُتَّابِ

ذَلِكَ بَسَاطًا لِّمَا يُرِيدُ الْقَوْلَ فِيهِ وَحُجَّةٌ يَسْتَظْهِرُ بِهَا السُّلْطَانُ لِأَنَّ كُلَّ  
كَلَامٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَرَشٍ يُفْرَشُ قَبْلَهُ لِيَكُونَ مِنْهُ بَيِّنَةٌ لِالْأَسَاسِ  
مِنَ الْبَيِّنَاتِ . ( قَالَ ) : وَيَرْجَعُ فِي هَذِهِ الْمَقْدَمَاتِ إِلَى مَعْرِفَةِ  
الْكَاتِبِ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ  
الَّتِي تُشَاطَرُهَا . ( ثُمَّ قَالَ ) وَالطَّرِيقُ فِي إِصَابَةِ الرَّمْحِ فِي هَذِهِ  
الْمَقْدَمَاتِ أَنْ تُجْعَلَ مُشْتِمِلَةً عَلَى مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ  
وَأَنْ يُوَضَعَ لِلْأَمْرِ الْخَاصِّ مُقَدِّمَةٌ خَاصَّةٌ وَلِلْأَمْرِ الْعَامِّ مُقَدِّمَةٌ عَامَّةٌ  
وَلَا يَطُولُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْتِصَارِ وَلَا يَقْصُرُ فِي مَوْضِعِ الْإِيْجَازِ . وَلَا  
تُجْعَلَ أَغْرَاضُهَا بَعِيدَةً الْمَاخِذِ مُعْتَصَةً عَلَى الْمُتَصَفِّحِ وَذَلِكَ أَنَّ  
الْكَاتِبَ رَبَّمَا قَصَدَ إِظْهَارَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكَلَامِ وَالتَّصَرُّفِ فِي وَجْهِهِ  
النُّطْقِ فَحَرَجَ إِلَى الْإِمْلَالِ وَالْإِضْجَارِ الَّذِي تَتَرَدَّدُ مِنْهُ النُّفُوسُ وَذَوُّ  
الْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ . أَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي لَا تُشْتَمِلُ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْجَلِيلَةِ  
كَرِقَاعِ التَّخْفِ وَالْهَدَايَا وَنَحْوِهَا فَلَا تُجْعَلُ لَهَا مُقَدِّمَةٌ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ  
جَائِزٍ وَغَيْرُ وَاقِعٍ مَوْقِعُهُ . ( الْأَصْلُ الرَّابِعُ ) مَوَاقِعُ الْأَلْفَاظِ الدَّائِرَةِ  
فِي الْكُتُبِ فَيَلْزِمُ أَنْ يُعَيَّنَ مَوْقِعُ كُلِّ لِيَضَعَهُ مَكَانَهُ . وَقَالَ فِي  
ذَخِيرَةِ الْكُتَّابِ : يُجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ الرَّئِيسِ أَنْ يَعْرِفَ مَوَاقِعَ  
الْأَلْفَاظِ وَمَوَاقِعَهَا لِإِبْرَتِهَا وَيُفَرِّقَ بَيْنَهَا فَرْقًا يَقِفُهُ عَلَى الْوَاجِبِ وَيُنْتَهِي  
بِهِ إِلَى الصَّوَابِ فَيُخَاطَبُ كُلًّا فِي مُكَاتَبَتِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ  
الْخُطَابِ . . . وَمَتَى اسْتَمَرَ الْكَاتِبُ عَلَى هَذِهِ الْمُخَالَفَةِ مِنَ الْأَلْفَاظِ  
وَالْمَقَاصِدِ نَقَصَتْ الْعِلْمَانِي وَرَدَّتْ الْأَلْفَاظُ وَسَقَطَتِ الْمَقَاصِدُ وَكَانَ



وَصِحَّةُ السَّبَكِ وَوُضُوحُ الْمَعْنَى وَتَجَنُّبُ الْحَشْوِ وَغَيْرُ ذَلِكَ . . . . (الْأَصْلُ  
الثَّانِي) بَرَاءَةُ الْإِسْتِهْلَالِ الْمَطْلُوبَةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْكَلَامِ  
بِأَن يَأْتِيَ فِي صَدْرِ الْمَكَاتِبَةِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى عَجْزِهَا فَإِنْ كَانَ الْكَاتِبُ  
يَهْتَمُّ بِأَيِّ فَنٍّ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّهَنُّةِ . أَوْ كَانَ الصَّدَدُ فِي  
التَّغْزِيَةِ أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّغْزِيَةِ أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي  
أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لِيُعْلَمَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ . . .  
ثُمَّ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ مَا يَعْسُرُ مَعَهُ الْإِثْنَانُ بَرَاءَةُ الْإِسْتِهْلَالِ فَيَأْتِي بِهَا  
فِيمَا يَلِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ فِي مُقَدِّمَةِ الْمَكَاتِبَةِ قَبْلَ الْخَوْضِ فِي  
الْمَقْصُودِ . . . (الْأَصْلُ الثَّلَاثُ) الْمُقَدِّمَةُ الَّتِي يَلْزِمُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا فِي  
صَدْرِ الْكُتُبِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْجَلِيلَةِ تَأْسِيسًا لِمَا يَأْتِي فِي  
مَكَاتِبَتِهِ . مِثْلَ أَنْ يَأْتِيَ فِي صَدْرِ كُتُبِ الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ بِذِكْرِ  
أَقْتِرَاحِهِ عَلَى الْأُمَّةِ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ نَصْرِ أَوْلِيَائِهِ وَخِذْلَانِ  
أَعْدَائِهِ وَإِعْزَازِ الْمُوَحِّدِينَ وَقَعْرِ الْخُلُودِينَ . وَفِي صُدُورِ كُتُبِ الْقَتْلِ  
بِالْمَنَاجِزِ وَعَدِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَهُ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَأَظْهَارِ  
دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . وَفِي صُدُورِ كُتُبِ جَبَايَةِ الْخَرَاجِ بِحَاجَةِ قِيَامِ  
الْمَلِكِ إِلَى الْأَسْتِعَانَةِ بِمَا يُسْتَخْرَجُ مِنْ حُقُوقِ السُّلْطَانِ فِي عِمَارَةِ الشُّعُورِ  
وَتَحْصِينِ الْأَعْمَالِ وَتَقْوِيَةِ الرِّجَالِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي عَلَى هَذَا النَّمَطِ .  
قَالَ فِي مَوَادِّ الْبَيَانِ : وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ جَرَتْ سُنَّةُ الْكُتَّابِ فِي  
جَمِيعِ الْكُتُبِ مِنْ أَيْ نَوْعٍ مِنَ الْمَعَانِي كَالْفَتْوحِ وَالتَّهَانِي وَالتَّعَاذِي  
وَالْتَهَادِي وَالْإِسْتِخْبَارِ وَالْإِسْتِنبَاطِ وَالْإِحْمَادِ وَالْإِذْمَامِ وَغَيْرِهَا لِيَكُونَ



نَاسٍ إِلَى نَهْجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : فَإِنَّهُ الْكِتَابُ  
الَّذِي يُتَعَلَّمُ مِنْهُ الْحُكْمُ وَالْمَوَاعِظُ وَالْخُطْبُ وَالشَّجَاعَةُ وَالزُّهْدُ وَعُلُوُّ  
الْهِمَّةِ وَادْنَى فَوَائِدِهِ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ . وَكَذَلِكَ كُتِبُ التَّوَارِيخِ  
فَإِنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا أَضْجَرَتْهُ الْمَهَامُ وَالْأَشْغَالُ فَأَذَارُوحَ فِكْرُهُ بِالنَّظَرِ  
فِيهَا دَفَعَ بِهَا أَلْمَلَّالَ وَتَذَكَّرَ بِهَا مَا أَنْسَتْهُ الْأَشْغَالُ . . .

### البحث السابع

في الاصول العشرة التي يعتمدها الكاتب في المكاتبات

( من كتاب صبح الاعشى لابي العباس احمد القلقشندي )

( راجع صفحة ٢٠٧ من علم الادب )

( الْأَصْلُ الْأَوَّلُ حُسْنُ الْإِفْتِاحِ ) الْمَطْلُوبُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ  
الْكَلَامِ مِنْ نَثَرٍ وَنَظْمٍ مِمَّا يُوجِبُ التَّحْسِينَ لِيَكُونَ دَاعِيَةً لِاسْتِمَاعِ  
مَا بَعْدَهُ . وَيَرْجِعُ حُسْنُ الْإِفْتِاحِ فِي الْمَكَاتِبَةِ إِلَى مَعْنَيْنِ : ( الْمَعْنَى  
الْأَوَّلُ ) أَنْ يَكُونَ الْحُسْنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى الْمُبْتَدَأِ بِهِ إِمَّا بِالْإِفْتِاحِ  
بِالْحَمْدِ لِلَّهِ كَمَا فِي بَعْضِ الْمَكَاتِبَاتِ لِأَنَّ النَّفْسَ تَلْشَوِّقُ إِلَى  
الْبُتْنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . أَوْ بِالسَّلَامِ الَّذِي جَعَلَهُ الشَّارِعُ مُفْتَتِحَ الْخُطَابِ  
أَوْ تَحْوِ ذَلِكَ . فَإِنَّ أَمْرَ الْمَكَاتِبَاتِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّلَطُّفِ وَاسْتِحْلَابِ  
الْخَوَاطِرِ وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْجَرَى عَلَى مَا  
يَقْتَضِيهِ اضْطِلَاحُ كُلِّ رَمَنْ فِي الْإِبْتِدَاءِ . ( الْمَعْنَى الثَّانِي ) أَنْ  
يَكُونَ الْحُسْنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى مَا يُوجِبُ التَّحْسِينَ مِنْ سُهُولَةِ اللَّفْظِ

وَلَا تَنْطِقَ فِيهِ إِلَّا بِالْعَدْلِ . وَأَنْ تَعَزِّلَ سُلْطَانَ الْهَوَى وَتَخْرُجَ مِنْ  
حُكْمِ الْمُنْشَأِ وَالْمَرْبَى وَتَقْرِضَ نَفْسَكَ غَرِيبًا عَنْهُمْ وَأَجْنِيًا بَيْنَهُمْ .  
وَتَأْيِيهُمَا أَنْ تُعَبِّرَ عَنِ الْمَعَانِي بِعِبَارَاتٍ وَاضِحَةٍ تَقْرُبُ مِنَ الْإِفْهَامِ  
لِتَنْفَعَ بِهِ كُلَّ أَحَدٍ عَادِلًا عَنِ الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَضْعَبَةِ الَّتِي يُقْصَدُ فِيهَا إِظْهَارُ  
الْفَصَاحَةِ وَإِبْثَاتُ الْبَلَاغَةِ فَطَالَمَا رَأَيْتُ مُصَنِّفِي الْكُتُبِ قَدْ أَعْرَضَتْهُمْ  
مَحَبَّةُ إِظْهَارِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فَخَفِيتُ اغْرَاضَهُمْ وَأَعْتَاصَمْتُ مَعَانِيَهُمْ فَقَلَّتْ  
الْفَائِدَةُ بِمُصَنَّفَاتِهِمْ . هَذَا وَإِنْ كُتِبَ التَّوَارِيخُ إِنْ نُظِرَ بِعَيْنِ الْإِنْصَافِ  
إِلَيْهَا رُئِيتُ أَنْفَعُ مِنَ الْحِمَاسَةِ الَّتِي لَهَجَ النَّاسُ بِهَا وَأَخَذُوا أَوْلَادَهُمْ  
بِحِفْظِهَا فَإِنَّ الْحِمَاسَةَ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي الشَّجَاعَةِ  
وَالْضِيَّاقَةِ وَشَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي الْبَابِ الْمُسَمَّى بِابِ الْأَدَبِ  
وَالْتَأَنُّ بِالْمَذَاهِبِ الشَّعْرِيَّةِ . وَالتَّارِيخُ يُسْتَفَادُ مِنْهُ هَذِهِ الْخِصَالُ  
الْمَذْكُورَةُ . وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ قَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَأَدَوَاتُ الرِّئَاسَةِ . فَهَذَا  
فِيهِ مَا فِي الْحِمَاسَةِ وَلَيْسَ فِي الْحِمَاسَةِ مَا فِيهِ وَإِنَّهُ يُفِيدُ الْعَقْلَ قُرَّةً  
وَالذِّهْنَ حِدَّةً وَالْبَصِيرَةَ نُورًا وَهُوَ لِلْخَاطِرِ الذَّكِيِّ بِمَثَرَةِ الْمَسْنَنِ لِلْقَوْلِ إِذِ  
الْحَيِّدُ وَهُوَ أَيْضًا أَنْفَعُ مِنَ الْمَقَامَاتِ الَّتِي النَّاسُ فِيهَا مُعْتَقِدُونَ وَفِي تَحْفِظِهَا  
رَاغِبُونَ إِذِ الْمَقَامَاتُ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا سِوَى التَّمَرُّنِ عَلَى الْإِنْشَاءِ وَالْوُقُوفِ  
عَلَى مَذَاهِبِ النِّظَمِ وَالتَّثَرُّ . نَعَمْ وَفِيهَا حِكْمٌ وَحِيلٌ وَتَجَارِبُ إِلَّا أَنَّ  
ذَلِكَ يَمَّا يُصَغَّرُ الْهِمَّةَ إِذْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّؤَالِ وَالِاسْتِجْدَاءِ وَالتَّحْمِيلِ الْقَبِيحِ  
عَلَى تَحْصِيلِ التَّرَدُّدِ الطَّافِفِ فَإِنْ نَفَعَتْ مِنْ جَانِبٍ ضَرَّتْ مِنْ جَانِبٍ  
وَبَعْضُ النَّاسِ تَنَبَّهُوا عَلَى هَذَا مِنْ الْمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ وَالْبَدِيعَةِ فَعَدَلَ

وَقَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا سَبْرُوهَا بِمِغْيَارِ الْحِكْمَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ  
الْكَاثِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنْ الْحَقِّ  
وَتَاهُوا فِي بَيْدَاءِ أَلْوَهَمِ وَالْعَلَطِ سَيًّا فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْوَالِ  
وَالْعَسَاكِرِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَظْنَةُ الْكَذِبِ  
وَمَطِيَّةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ

البحث السادس

في شروط التاريخ

( عن الفخري )

( راجع صفحة ١٩٧ من علم الادب )

وَأَنْ بَلَّشَتْ بِكِتَابَةِ تَارِيخِ عَامٍ فَتَسَكَّلَمَ عَلَى دَوْلَةٍ دَوْلَةٍ بِمَجْمُوعِ  
مَا حَصَلَ ذَهْنُكَ مِنَ الْهَيْئَةِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي أَفَادَتْكَهَا مُطَالَعَةُ السِّيَرِ  
وَالْتَوَارِيخِ وَأَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ أَيْتَادُهَا وَأَنْتَهَاؤُهَا وَطَرَفًا مُتَمَعًا مِنْ  
مَحَاسِنِ مُلُوكِهَا وَأَخْبَارِ سُلَاطِينِهَا . ثُمَّ إِذَا ذَكَرْتَ دَوْلَةً فَدَوْلَةً  
تَكَلَّمْتَ عَلَى كَلِّيَّاتِ أُمُورِهَا ثُمَّ ذَكَرْتَ وَاحِدًا وَاحِدًا مِنْ مُلُوكِهَا  
وَمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ مِنَ الْوَقَائِعِ الْمَشْهُورَةِ وَالْحَوَادِثِ الْمَأْثُورَةِ فَإِذَا  
أَنْقَضَتْ أَيَّامُ ذَلِكَ الْمَلِكِ ذَكَرْتَ وَزَرَءَهُ وَاحِدًا وَاحِدًا وَطَرَائِقَ  
مَا جَرَى لَهُمْ . فَإِذَا أَنْقَضَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ وَوُزَرَءِهِ أَيْتَادُ الْمَلِكِ الَّذِي  
بَعْدَهُ وَبِمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ وَيَسِيرِ وَزَرَءِهِ كَذَلِكَ إِلَى آخِرِ تِلْكَ  
الدَّوْلَةِ وَالتَّرْتِيبِ فِيهِ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ لَا تَمِيلَ فِيهِ إِلَّا مَعَ الْحَقِّ



حَادِثٍ وَاقِعًا عَلَى أُصُولِ كُلِّ خَبَرٍ وَحِينَئِذٍ يَعْزُضُ الْخَبَرُ الْمَنْقُولَ عَلَى مَا  
عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ . فَإِنْ وَافَقَهَا وَجَرَى عَلَى مُتَقَضَّاهَا كَانَ  
صَحِيحًا وَإِلَّا زَيَّفَهُ وَأَسْتَعْنَى عَنْهُ . وَمَا أَسْتَكْبَرَ الْقَدَمَاءُ عِلْمَ التَّأْرِيخِ  
إِلَّا لِذَلِكَ حَتَّى اتَّخَذَهُ الطَّبَرِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَأَبْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قَلِيلِهِمَا  
وَأَمَثَلُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ . وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السِّرِّ فِيهِ  
حَتَّى صَارَ اتِّخَاذُهُ جَهْلَةً وَأَسْتَحْفَ الْعَوَامُّ وَمَنْ لَا رُسُوخَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ  
طَالَعَتُهُ وَحَمَلُهُ وَالْحَوْضُ فِيهِ وَالتَّطَفُّلُ عَلَيْهِ فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْهَمَلِ  
وَالثُّبَابُ بِالْقِسْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِنَّ لِلَّهِ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ  
وَأَعْلَمُ أَنْ فَنَ التَّأْرِيخِ فَنُّ غَزِيرُ الْمَذْهَبِ جَمُّ الْفَائِدَةِ شَرِيفُ  
الْعَائِدَةِ إِذْ هُوَ يَقِفُنَا عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ  
وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سَيْرِهِمْ وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ حَتَّى تَتِمَّ فَائِدَةُ  
الْإِقْدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرُومُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ  
إِلَى مَا خِذَ مُتَعَدِّدَةٍ وَمَعَارِفَ مُتَوَعَّةٍ وَخُسْنَ نَظَرٍ وَتَثَبُّتٍ يُفِيضَانِ  
بِصَاحِبِهِمَا إِلَى الْحَقِّ وَيُسَكِّبَانِ بِهِ عَنِ الْمَرَلَاتِ وَالْمَغَالِطِ . لِأَنَّ  
الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَمِدَ فِيهَا مُجَرَّدُ النَّقْلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أُصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ  
السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ وَلَا  
قِيَاسُ الْغَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرِ بِالذَّاهِبِ فَرُبَّمَا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا  
مِنَ الثُّبُورِ وَمَرَلَةِ الْقَدَمِ وَالْحَيْدِ عَنْ جَادَةِ الصِّدْقِ . وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ  
لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَائِمَّةِ النَّقْلِ الْمَغَالِطُ فِي حِكَايَاتِ الْوُقَاعِ  
لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ غَنًا أَوْ سَمِينًا . لَمْ يَعْزُضُوهَا عَلَى أُصُولِهَا

تَطَّلَعًا بَعْدُ إِلَى اِفْتِقَادِ اَحْوَالِ مَبَادِي الدُّوَلِ وَوَرَاتِهَا . مُفْتَشًّا عَنْ  
اَسْبَابِ تَرَاوُحِهَا اَوْ تَعَاقِبِهَا . بَاحِثًا عَنِ الْمُنْفَعِ فِي تَبَايُنِهَا اَوْ فِي تَنَاسُلِهَا .  
ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِاِفْرَاطِ الْاِخْتِصَارِ . وَذَهَبُوا إِلَى الْاِكْتِفَاءِ بِاَسْمَاءِ  
الْمُلُوكِ وَالْاِقْتِصَارِ . مَقْطُوعَةً عَنِ الْاَنْسَابِ وَالْاَخْبَارِ . مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا  
اَعْدَادُ اَيَّامِهِمْ بِحُرُوفِ الْغُبَارِ . كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ رَشِيقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ  
وَمَنْ اَقْنَعَى هَذَا الْاَثَرُ مِنَ الْهَمَلِ . وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ هُوَ لَا مَقَالٌ . وَلَا  
يُعَدُّ لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا اَنْتِقَالٌ . لِمَا اَذْهَبُوا مِنَ الْقَوَائِدِ . وَاخْلَوْا  
بِالْمَذَاهِبِ الْاَعْرُوقَةَ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ

وَقَدْ زَلَّتْ اَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْاَثْبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ اَلْحَفَاطِ فِي  
مِثْلِ هَذِهِ الْاَحَادِيثِ وَالْاَرَاءِ . وَعَلَقَتْ بِاَفْكَارِهِمْ وَنَقَلَهَا عَنْهُمْ  
الْكُفَاةُ مِنْ ضَعْفَةِ النَّظَرِ وَالْعَقْلَةِ عَنِ الْقِيَاسِ وَتَلَقَّوْهَاهُمْ اَيْضًا  
كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَانْدَرَجَتْ فِي مَحْفُوظَاتِهِمْ حَتَّى صَارَ  
فَنُ التَّارِيخِ وَاهِيًا مُخْطِطًا . وَنَازِلًا مُرْتَبِكًا وَعَدَّ مِنْ مَنَاجِي الْعِلْمَةِ .  
فَإِذَا يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ  
الْمَوْجُودَاتِ وَاخْتِلَافِ الْأُمَمِ وَالْبِقَاعِ وَالْأَعْصَارِ فِي السَّيْرِ وَالْأَخْلَاقِ  
وَالْعَوَائِدِ وَالنَّحْلِ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ  
ذَلِكَ . وَثَمَانِيَّةٌ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَائِبِ مِنَ الْوَفَاقِ اَوْ بَيْنَ مَا بَيْنَهُمَا  
مِنْ اِلْخِلَافِ وَتَعْلِيلِ الْمُتَّفِقِ مِنْهَا وَالْخُتِافِ . وَالْقِيَامِ عَلَى أُصُولِ  
الدُّوَلِ وَالْمَلَلِ وَمَبَادِي ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَائِي كَوْنِهَا .  
وَأَحْوَالِ الْقَائِمِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَوْعِبًا لِأَنْسَابِ كُلِّ



الآفاقَ وَالْمَمَالِكَ وَتَنَاوَلَهَا الْبَعِيدَ مِنَ الْعَالِيَاتِ فِي الْمَأْخِذِ وَالْمَتَارِكِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ اسْتَوْعَبَ مَا قَبْلَ الْمَلَّةِ مِنَ الدُّوَلِ وَالْأُمَمِ وَالْأَمْرِ  
الْعَمَمِ . كَالْمَسْعُودِيِّ وَمَنْ نَحَا مَتَحَاهُ . وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ عَدَلَ عَنْ  
الْإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ . وَوَقَفَ فِي الْعُمُومِ وَالْإِحَاطَةِ عَنِ الشَّوْهِدِ الْبَعِيدِ  
فَقَيَّدَ شَوَارِدَ عَصَرِهِ . وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أَقْبِهِ وَقُطْرِهِ . وَاقْتَصَرَ عَلَى  
أَحَادِيثِ دَوْلَتِهِ وَمِصْرِهِ . كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانَ مُوَرِّخُ الْأَنْدَلُسِ  
وَالدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِهَا . وَأَبْنُ الرَّقِيقِ مُوَرِّخُ أَفْرِيقِيَّةِ وَالِدَوْلَةِ الَّتِي كَانَتْ  
بِالْقَيْرَوَانِ . ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ إِلَّا الْمُقَلِّدُ . وَبَيْدُ الطَّبَعِ وَالْعَقْلِ  
أَوْ مُتَّبِلِدُ . يُلْسِجُ عَلَى ذَلِكَ الْمَنَوَالِ . وَيَحْتَذِي مِنْهُ بِالْمِثَالِ . وَيَذْهَبُ  
عَمَّا أَحَالَتْهُ الْأَيَّامُ مِنَ الْأَحْوَالِ . وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ الْأُمَمِ  
وَالْأَجْيَالِ . فَيَجْلِبُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الدُّوَلِ . وَحِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ فِي الْعُصُورِ  
الْأَوَّلِ . صُورًا قَدْ تَجَرَّدَتْ عَنْ مَوَادِّهَا وَصِفَالِهَا أَنْثَضَتْ مِنْ أَعْمَادِهَا  
وَمَعَارِفِ تَسْتَكْرُ لِلْجَهْلِ بِطَارِفِهَا وَتِلَادِهَا . إِنَّمَا هِيَ حَوَادِثُ لَمْ تُعْلَمْ  
أَعْمُولُهَا . وَأَنْوَاعٌ لَمْ تُعْتَبَرِ أَجْنَاسُهَا وَلَا تَحَقَّقَتْ فُصُولُهَا . يُكْرَرُونَ فِي  
نَوْضِعَاتِهَا الْأَخْبَارَ الْمَتَدَاوِلَةَ بِأَعْيَانِهَا . آتِبَاعًا لِمَنْ عَنِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ  
بِشَأْنِهَا . وَيُفَضِّلُونَ أَمْرَ الْأَجْيَالِ النَّاشِئَةِ فِي دِيَوَانِهَا . بِمَا أَعُوذَ عَلَيْهِ  
مِنْ تَرْجَاتِهَا قَسَتْجِمُ صُحُفُهُمْ عَنْ بَيَانِهَا . ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ  
الدَّوْلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسَقًا . مُحَافِظِينَ عَلَى ثَقْلِهَا وَهَمًّا أَوْ صِدْقًا .  
لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبِدَائِهَا وَلَا يَذْكُرُونَ السَّبَبَ الَّذِي رَفَعَ مِنْ رَأْيَتِهَا  
وَأَظْهَرَ مِنْ آيَتِهَا . وَلَا عِلَّةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا . فَيَبْقَى النَّظَرُ



كَمَا سَمِعُوهَا . وَلَمْ يُلَاحِظُوا أَسْبَابَ أَلْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يَرَأَوْهَا .  
 وَلَا رَفَضُوا تَرْهَاتِ الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوهَا . فَالْتَحَقُّ قَلِيلٌ . وَطَرَفُ التَّنْقِيحِ  
 فِي الْغَالِبِ كَلِيلٌ . وَالْقَلْطُ وَالْوَهْمُ نَسِيبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ . وَالتَّقْلِيدُ  
 عَرِيقٌ فِي الْأَدَمِيَّتَيْنِ وَسَلِيلٌ . وَالتَّطَفُّلُ عَلَى الْفَنُونِ عَرِيضٌ طَوِيلٌ .  
 وَمَرَعَى الْجَهْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَيْلٌ . وَالْحَقُّ لَا يَقَاومُ سُلْطَانَهُ . وَالْبَاطِلُ  
 يُقْذَفُ بِشَهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ . وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ يَلِي وَيَنْقُلُ . وَالْبَصِيرَةُ  
 تَنْقُذُ الصَّحِيحَ إِذَا تَمَقَّلُ . وَالْعِلْمُ يَجْلُو لَهَا صَفَحَاتِ الصَّوَابِ وَيَضْقُلُ .  
 هَذَا وَقَدْ دَوَّنَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَأَكْثَرُوا . وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ  
 وَالْأَدْوَلِ فِي الْعَالَمِ وَسَطَرُوا . وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهْرَةِ وَالْإِمَامَةِ  
 الْمُعْتَبَرَةِ . وَاسْتَفْرَعُوا دَوَاوِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فِي صُحُفِهِمُ الْمُتَأَخَّرَةِ . هُمْ قَلِيلُونَ  
 لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنَامِلِ . وَلَا حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ . مِثْلُ أَبِي  
 إِسْحَاقَ وَالطَّبْرِيِّ وَأَبْنِ الْكَلْبِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ وَسَيْفِ  
 أَبِي عَمْرٍو الْأَسَدِيِّ وَالْمَسْعُودِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ الْمُتَمَيِّزِينَ عَنِ  
 الْجَمَاهِيرِ . وَإِنْ كَانَ فِي كُتُبِ الْمَسْعُودِيِّ وَالوَاقِدِيِّ مِنَ الْمَطْعَنِ  
 وَالْمَعْمَرِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثَابَةِ وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْحَفَظَةِ الثَّقَاتِ .  
 إِلَّا أَنَّ الْكَافَّةَ اخْتَصَّتْهُمْ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ . وَاقْتِفَاءِ سُنَنِهِمْ فِي  
 التَّصْنِيفِ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ . وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ قَسْطَاسُ نَفْسِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ  
 فِيمَا يَنْقُلُونَ أَوْ اعْتَبَارِهِمْ . فَلِلْعُمَرَانِ طَبَاعُ فِي أَحْوَالِهِ تَرْجَعُ إِلَيْهَا  
 الْأَخْبَارُ . وَتَحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ وَالْآثَارُ . ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ التَّوَارِيخِ  
 لَهُوْلَاءِ عَامَّةُ الْمَنَاجِحِ وَالْمَسَالِكِ . لِعُمُومِ الدَّوْلَتَيْنِ صَدَرَ الْإِسْلَامُ فِي

## البحث الخامس

### في شرف التاريخ

( عن ابن خلدون )

( راجع صفحة ١٩٤ من علم الادب )

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ قَنَّ التَّارِيخِ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُهَا الْأُمَمُ  
وَالْأَجْيَالُ وَتُشَدُّ إِلَيْهَا الرُّكَّابُ وَالرَّحَالُ وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِقَتِهَا السُّوقَةُ  
وَالْأَغْفَالُ . وَتَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَالْأَقْيَالُ . وَتَتَسَاوَى فِي فَهْمِهَا  
الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَّالُ . إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارٍ عَنِ الْأَيَّامِ  
وَالدُّوَلِ . وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأَوَّلِ . تَسْمُو فِيهَا الْأَقْوَالُ وَتُضْرَبُ  
فِيهَا الْأَمْثَالُ . وَتُطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَصَّهَا الْإِحْتِفَالُ . وَتُؤَدِّي لَنَا  
شَانَ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ . وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا النِّطَاقُ  
وَالْجَمَالُ . وَعَمَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمُ الْإِلَازِحَالُ . وَحَانَ مِنْهُمْ الزَّوَالُ .  
وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ . وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ وَمِبَادِيهَا دَقِيقٌ . وَعِلْمٌ  
بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ . فَهُوَ لِذَلِكَ أَصِيلٌ فِي الْحِكْمَةِ  
عَرِيقٌ . وَجَدِيرٌ بِأَنْ يُعَدَّ فِي عُلُومِهَا وَخَلِيقٌ . وَإِنَّ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ  
فِي الْإِسْلَامِ قَدْ اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا وَسَطَرُوهَا فِي صَفَحَاتِ  
الدَّفَاتِرِ وَأَوْدَعُوهَا . وَخَطَّهَا الْمُتَطَفِّلُونَ بِدَسَائِسَ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّوا  
فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا . وَزَخَّارِفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُضَعَّفَةِ لَفَقُوهَا وَوَضَعُوهَا .  
وَأَقْتَنَى تِلْكَ الْأَثَارَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ وَاتَّبَعُوهَا . وَادَّوَاهَا إِلَيْنَا

الْمَاضِيَةِ وَالْتَّصُّحُ بِهَا وَحُصُولُ مَلَكََةِ التَّجَارِبِ بِالْوُقُوفِ عَلَى تَقَلُّبَاتِ  
الزَّمَنِ لِيُجْتَرَزَ عَنْ أَمْثَالِ مَا نُقِلَ مِنَ الْمَضَارِ وَيُسْتَجْلَبَ نَظَائِرُهَا مِنْ  
الْمَنَافِعِ . وَهَذَا الْعِلْمُ كَمَا قِيلَ عُمَرُ الْآخَرُ لِلنَّاطِرِينَ وَأَنْتِفَاعُ (لِلْمُطَالِعِ)  
فِي مَضَرِهِ بِمَنَافِعِ تَحْصُلُ لِلْمَسَافِرِينَ

وَلَوْلَا تَقْيِيدُ الْعُلَمَاءِ خَوَاطِرَهُمْ عَلَى الدَّهْرِ لَبَطَلَ أَوَّلُ الْعِلْمِ  
وَضَاعَ آخِرُهُ إِذْ كَانَ كُلُّ عِلْمٍ مِنَ الْأَخْبَارِ يُسْتَنْبِطُ وَالْفِئَةُ مِنْهَا  
يُسْتَشَارُ وَالْفَصَاحَةُ مِنْهَا تُسْتَفَادُ وَأَصْحَابُ الْقِيَاسِ مِنْهَا يَنْتُونُ . وَأَهْلُ  
الْمَقَالَاتِ بِهَا يَخْتَجُونَ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِ مِنْهَا تُؤْخَذُ وَأَمْثَالُ الْحُكَمَاءِ فِيهَا  
تُوجَدُ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا مِنْهَا تُقْتَبَسُ . وَآدَابُ سِيَاسَةِ الْمُلْكِ  
وَالْحَرْبِ مِنْهَا تُلْتَمَسُ وَكُلُّ غَرِيبَةٍ مِنْهَا تُعْرَفُ وَكُلُّ أُعْجُوبَةٍ مِنْهَا  
تُسْتَطَرَفُ . وَهُوَ عِلْمٌ يَسْتَمْتَعُ بِسَمَاعِهِ الْعَالَمُ وَالْجَاهِلُ وَيَسْتَعِزُّ بِ  
مَوْقِعِهِ الْأَمَقِّ وَالْعَاقِلُ وَيَأْنَسُ بِمَكَانِهِ وَيَتَرَعُّ إِلَيْهِ الْخَاصِيُّ وَالْعَامِيُّ  
وَيَمِيلُ إِلَى رِوَايَتِهِ الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ . وَبَعْدُ فَإِنَّهُ يُوصَلُ بِهِ كُلُّ كَلَامٍ  
وَيُتَرَيْنُ بِهِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَيُحْتَمَلُ بِهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ وَيُجْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
كُلِّ مُحْفِلٍ . فَفَضِيلَةُ عِلْمِ الْأَخْبَارِ بَيِّنَةٌ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ وَشَرَفُ مِثْرَتِهِ  
صَحِيحَةٌ فِي كُلِّ فَهْمٍ وَلَا يَصِيرُ عَلَى عَلَيْهِ وَتَيَقَّنَ مَا فِيهِ وَإِيرَادِهِ  
وَأَصْدَارِهِ إِلَّا إِنْسَانٌ قَدْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ وَفَقِهَ مَعْنَاهُ وَذَاقَ ثَمَرَتَهُ  
وَأَسْتَشْعَرَ مِنْ عِزِّهِ وَنَالَ مِنْ سُرُورِهِ





بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سِخْرٌ وَمَا سِوَاهُ حَرَامٌ  
وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مَنْ ذَهَبَ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِلَى اسْتِمَاعِ الْعُلَمَاءِ

## البحث الرابع

### في حقيقة التاريخ وموضوعه

( عن كشف الظنون للحاج خلفا ومروج الذهب للسعودي )

( راجع صفحة ١٩٤ من علم الادب )

التَّارِيخُ فِي اللُّغَةِ تَعْرِيفُ الْوَقْتِ مُطْلَقًا . وَيُقَالُ : أَرَحْتُ  
الْكِتَابَ تَارِيخًا وَوَرَّخْتُهُ تَوْرِيخًا كَمَا فِي الصِّحَاحِ وَهُوَ مُعَرَّبٌ . وَعُرْفًا  
هُوَ تَعْيِينُ وَقْتٍ لِيُنْسَبَ إِلَيْهِ زَمَانٌ يَأْتِي عَلَيْهِ أَوْ مُطْلَقًا يَعْنِي سَوَاءً  
كَانَ مَاضِيًّا أَوْ مُسْتَقْبَلًا . وَقِيلَ : تَعْرِيفُ الْوَقْتِ بِاسْتِنَادِهِ إِلَى أَوَّلِ  
حُدُوثِ أَمْرِ شَائِعٍ مِنْ ظُهُورِ مِلَّةٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَوْ أَمْرِ هَائِلٍ مِنَ الْأَثَارِ  
الْعُلُويَّةِ وَالْحَوَادِثِ السُّفْلِيَّةِ مِمَّا يَنْدُرُ وَقُوعُهُ جُعِلَ ذَلِكَ مَبْدَأً لِمَعْرِفَةِ  
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْقَاتِ الْحَوَادِثِ وَالْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ ضَبْطُ أَوْقَاتِهَا فِي  
مُسْتَأَنَفِ السِّنِينَ . وَقِيلَ : عَدَدُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي بِالنَّظَرِ إِلَى مَا مَضَى  
مِنَ السَّنَةِ وَالشُّهُورِ إِلَى مَا بَقِيَ . وَعِلْمُ التَّارِيخِ هُوَ مَعْرِفَةُ أَحْوَالِ  
الْطُّوَائِفِ وَبُلْدَانِهِمْ وَرُسُومِهِمْ وَصَنَائِعِ أَشْخَاصِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَوَقَايَتِهِمْ  
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَمَوْضُوعُهُ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ  
وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ . وَالْغَرَضُ  
مِنْهُ الْوُقُوفُ عَلَى الْأَحْوَالِ الْمَاضِيَةِ . وَقَائِدُهُ الْعِبَرَةُ بِتِلْكَ الْأَحْوَالِ

الْحَدِيثِ وَوُجِبَتْهُ أَنْ لَا يُقْتَضَبَ اقْتِضَابًا وَلَا يُجْعَمَ عَلَيْهِ وَأَنْ  
يُتَوَصَّلَ إِلَى إِجْرَائِهِ بِمَا يُشَاكِلُهُ . وَأَنْ يُسْتَنْسَبَ لَهُ مَا يَحْسُنُ أَنْ  
يَجْرِيَ فِي غَرَضِهِ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُ الْمَفَاوِظَةِ مُتَعَلِّقًا بِبَعْضٍ عَلَى حَسَبِ  
مَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ : إِنَّ الْحَدِيثَ ذُو شُجُونٍ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ تَشَعُّبَهُ  
وَتَفَرُّعَهُ عَنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ إِلَى وَجُوهِ مِنَ الْمَعَانِي كَثِيرَةٍ إِذَا كَانَ  
الْعَيْشُ كُلُّهُ فِي الْجَلِيسِ الْمُمْتَعِ . وَقَالَ رَجُلٌ : إِنِّي مَا أَمَلْتُ الْحَدِيثَ .  
فَقَالَ السَّامِعُ : إِنَّمَا يَمْلُ الْعَتِيقُ لَا الْحَدِيثُ . وَقَدْ أَكْثَرَتِ الشُّعْرَاءُ  
مَنْ الْأَغْرَاقِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ  
الرُّومِيِّ :

وَسَمَّيْتُ كُلَّ مَارِي فَكَانَ أَطْيَبَهَا عَيْشُ

إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ مِثْلُ أَسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :  
وَصَحِّحْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَدِّثٍ حَسَنِ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمًا  
وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّ مِنَ الْأَدَبِ  
عَدَمَ إطالةِ الْحَدِيثِ مِنَ النَّدِيمِ وَأَنْ أَحَلَى لِحَدِيثِهِ وَأَحْسَنَ لِمَوْقِعِهِ  
أَنْ يَجْتَنِبَ مِنْهُ الْأَحَادِيثَ الطُّوَالَ ذَاتَ الْمَعَانِي الْمَغْلَغَلَةِ وَالْأَلْفَاظِ  
الْحَشَوِيَّةِ الَّتِي أَقْنَتْ بِاقْتِصَاصِهَا سَمَارُ الْجُلَاسِ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا النُّفُوسُ وَتَحْتَسِي  
عَلَى أَوَاخِرِهَا الْكُؤُوسُ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَجَالِسُ الْقُصَاصِ أَشْبَهَ مِنْهُ  
يَجَالِسُ الْخَوَاصِّ . وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى فَاجَادَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
الْمُعْتَزِّ وَوَصَفَ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّرَابِ عَلَى الْمَعَاوَرَةِ فَقَالَ :

بِذَلِكَ الْمَصَوِّرُ وَالنَّاسِخُ أَبَدًا. وَالْفَرْضُ الرَّابِعُ وَهُوَ الْأَقْصَى مُخْصُوصٌ  
بِأَفِيلَسُوفٍ خَاصَّةً لِتَكُونَ الْأَمْثَالُ رِيَاضَةً لِعَقْلِهِمْ إِذْ فِيهَا يُجِدُونَ مَا  
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ وَجَمِيعِ مَا  
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ وَأَوْلَاهُ وَيَحْضُهُ عَلَى حُسْنِ  
طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَيُجَنِّبُهُ مَا تَكُونُ مُجَانِبَتُهُ خَيْرًا لَهُ \*

### البحث الثالث

## في آداب المحادثة والرواية

( عن مروج الذهب للسعودي )

( راجع صفحة ١٦٩ من علم الادب )

قَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَا تَحْسُنُ الْمُحَادَثَةَ إِلَّا بِحُسْنِ الْفَهْمِ .  
وَقَالُوا : تَعَلَّمْ حُسْنَ الْأَسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ . وَحُسْنَ  
الْأَسْتِمَاعِ هُوَ أَشْهَى إِلَى التَّحَدُّثِ حَتَّى يَنْقُضِيَ حَدِيثُهُ . وَمِنْ آدَابِ

\* وقال بعضهم في وصف كيلة ودمنة :

إذا افتخر الرجال بفضل علم	ومدَّتْ فِيهِ السَّنَةُ طَوِيلَهُ
ففاخر ما استطعت بما حوته	بطون كتاب دمنه مع كيلة
كتاب يفرق البلغاء فيه	والباب الورى منه كيلة
وكم فيه عجائب كامنات	على دنيا وآخرة دليله
وكم حكم على أفواه طير	وآداب واثال مقوله
يراها الجاهل المأفون هزلًا	وحسبها لعالمها فضيلة



شَبَكْتُهُ فِي الْجَبْرِ فَاشْتَمَلَتْ عَلَى سَكَّةٍ كَانَتْ قُوَّتَ يَوْمِهِ . فَخَلَّاهَا  
وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَقَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً  
لَا شَيْءَ فِيهَا بِمَا ظَنَّ قَدِيمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى  
مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَالْقَى  
شَبَكْتَهُ فَاصَابَ حُوتًا صَغِيرًا وَرَأَى أَيْضًا صَدَقَةً سَيِّئَةً فَلَمْ يَلْتَمِثْ إِلَيْهَا  
وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . وَاجْتَارَ بِهَا بَعْضُ الصَّيَادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا  
دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا . . . وَكَذَلِكَ الْجُهَالُ عَلَى إِغْفَالِ أَمْرِ التَّفَكُّرِ  
فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِغْتِرَارِ بِهَا وَتَرْكِ الْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهَا وَالْأَخْذِ  
بِظَاهِرِهَا دُونَ الْأَخْذِ بِبَاطِنِهَا . وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي  
أَبْوَابِ الْهَزْلِ مِنْهَا فَهُوَ كَرَجُلٍ أَعَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حُرَّةً وَحَبًّا  
صَحِيحًا فَرَزَعَهَا وَسَقَاهَا حَتَّى إِذَا قَرُبَ خَيْرُهَا تَشَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا  
مِنَ الزَّهْرِ وَقَطَعَ الشَّرْلُكَ فَأَهْلَكَ بِتَشَاغُلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ فَائِدَةٍ  
وَأَجَلَ عَائِدَةٍ . وَيَتَّبِعِي لِلنَّظَرِ فِي الْأَمْثَالِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا تَقْسِمُ  
إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْرَاضٍ : أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهَا عَلَى السَّنَةِ  
الْبَهَائِمِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ مِنْ مُسَارَعَةِ أَهْلِ الْهَزْلِ مِنَ الشُّبَّانِ إِلَى قِرَائَتِهَا  
فَتُسْتَأَلُ بِهِ قُلُوبُهُمْ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْغَرَضُ بِالنَّوَادِرِ مِنْ حِيلِ الْحَيَوَانَاتِ .  
وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ الْحَيَوَانَاتِ بِصُوفِ الْأَصْبَاحِ وَالْأَلْوَانِ لِيَكُونَ  
أَنْسَاءً لِقُلُوبِ الْمُلُوكِ وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهَا أَشَدَّ لِلْإِثْرَةِ فِي تِلْكَ  
الصُّورِ . وَالثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَتَخْذُهَا الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةُ  
فَيَكْثُرُ بِذَلِكَ اتِّسَاحُهَا وَلَا يَبْطُلُ فَيَخْلُقَ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ . وَلَيْسَتْ تَنْفَعُ

سَقَطَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ : أَسَقَطَ اللَّهُ  
جَنَّتِكَ أَخْبَاطُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِ هَذَا الْخَطَابِ . فَكَانَ الْفَضْلُ  
أَبْنُ الرَّيِّعِ مَعَ قَلَّةٍ عَلَيْهِ أَعْلَمَ بِمَا يُسْتَعْمَلُ مِنَ الْكَلَامِ فِي مُحَاوَرَةِ  
الْخُلَفَاءِ مِنَ الْأَضْمَعِيِّ الَّذِي هُوَ وَاحِدُ عَصْرِهِ وَقَرِيعُ دَهْرِهِ . وَالْأَمْثَالُ  
مِنْ الْكَلَامِ مَوْقِعٌ فِي الْأَسْمَاعِ وَتَأْثِيرٌ فِي الْقُلُوبِ لَا يَكَادُ الْكَلَامُ  
الْمُرْسَلُ يَبْلُغُ مَبْلَغَهَا وَلَا يُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهَا لِأَنَّ الْمَعَانِي بِهَا لَا نِجَّةَ وَالشَّوَاهِدُ  
بِهَا وَاضِحَةٌ وَالنُّفُوسُ بِهَا وَامِقَّةٌ وَالْقُلُوبُ بِهَا وَاثِقَةٌ وَالْعُقُولُ لَهَا  
مُوَافَقَةٌ . وَلَهَا أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ : أَحَدُهَا صِحَّةُ التَّشْبِيهِ . وَالثَّانِي أَنْ  
يَكُونَ الْعِلْمُ بِهَا سَابِقًا وَالْكُلُّ عَلَيْهَا مُوَافِقًا . وَالثَّالِثُ أَنْ يُسْرِعَ  
وُضُوعُهَا لِلْفَهْمِ وَيَجْعَلَ تَصَوُّرَهَا فِي الْوَهْمِ مِنْ غَيْرِ ارْتِيَاءٍ فِي اسْتِخْرَاجِهَا  
وَلَا كَدٍ فِي اسْتِنْبَاطِهَا . وَالرَّابِعُ أَنْ تُنَاسِبَ حَالَ السَّامِعِ لِتَكُونَ  
أَبْلَغَ تَأْثِيرًا وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا . فَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِي الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ  
هَذِهِ الشُّرُوطُ الْأَرْبَعَةُ كَانَتْ زِينَةً لِلْكَلَامِ وَجَلَاءً لِلْمَعَانِي وَتَذَكُّرًا  
لِلْأَفْهَامِ .

قَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدِئَنَةِ : يُجِبُّ عَلَى قَارِي الْأَمْثَالِ أَنْ يُدِيمَ  
النَّظَرَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ ضَجَرٍ وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهَا وَلَا يَطْنَنَّ أَنْ تَنْتَبِهَا  
إِنَّمَا هِيَ الْأَخْبَارُ عَنْ حِيلَةٍ بَيْمَتَيْنِ أَوْ مُحَاوَرَةٍ سَبْعٍ لِشُورٍ فَيَنْصَرِفَ  
بِذَلِكَ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ وَيَكُونُ مِثْلُهُ مِثْلَ الصَّيَادِ الَّذِي كَانَ فِي  
بَعْضِ الْخُطْبَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي زَوْقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي  
عَقِيقِ الْمَاءِ صَدَقَةً تَتَلَاأُ حُسْنًا فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى

تَلَوِيحًا صَارَتْ مِنْ أَوْجَزِ الْكَلَامِ وَأَكْثَرِهِ اخْتِصَارًا . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قِيلَ فِي حَدِّ الْمَثَلِ : إِنَّهُ الْقَوْلُ الْوَجِيزُ الْمُرْسَلُ لِيُعْمَلَ عَلَيْهِ وَحَيْثُ هِيَ الْمَثَابَةُ فَلَا يَنْبَغِي الْإِخْلَالُ بِمَعْرِفَتِهَا

## البحث الثاني

### في آداب المثل وشروطه

( عن الماوردي ومقدمة كلبلة ودمنة )

( راجع صفحة ١٣٣ من علم الادب )

وَمِنْ آدَابِ الْحَكِيمِ أَنْ يَحْتَنِبَ أَمْثَالَ الْعَامَّةِ الْغَوَاةِ وَيَتَخَصَّصَ بِأَمْثَالِ الْعُلَمَاءِ الْأَدَبَاءِ فَإِنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ أَمْثَالًا تُشَاقُّ لَهُمْ فَلَا تَجِدُ إِسَاقِطًا إِلَّا مَثَلًا سَاقِطًا وَتَشْبِيهًا مُسْتَقْبَجًا . . . .

وَلِذَلِكَ عِلَّتَانِ : إِحْدَاهُمَا أَنَّ الْأَمْثَالَ مِنْ هَوَاجِسِ الْهَمَمِ وَخَطَرَاتِ النُّفُوسِ وَلَمْ يَكُنْ لِذِي الْهَمَّةِ السَّاقِطَةُ إِلَّا مَثَلٌ مَرْدُودٌ وَتَشْبِيهٌ مَعْلُولٌ . وَالثَّانِيَةُ أَنَّ الْأَمْثَالَ مُسْتَخْرَجَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْمُتَمَثِّلِينَ بِهَا فَجَسِبَ مَا هُمْ عَلَيْهِ تَكُونُ أَمْثَالُهُمْ . فَلِهَاتَيْنِ الْعِلَّتَيْنِ وَقَعَ الْفَرْقُ بَيْنَ أَمْثَالِ الْخَاصَّةِ وَأَمْثَالِ الْعَامَّةِ وَرَبَّمَا آلَفَ الْمُتَخَصِّصُ مَثَلًا عَامِيًّا أَوْ تَشْبِيهًا رَكِيكًا لِكَثْرَةِ مَا يَطْرُقُ سَمْعُهُ مِنْ مُحَالِطَةِ الْأَرَادِلِ فَيَسْتَرْسِلُ فِي ضَرْبِهِ مَثَلًا فَيَصِيرُ بِهِ مَثَلًا كَالَّذِي حُكِيَ عَنْ الْأَضْمَعِيِّ : إِنَّ الرَّشِيدَ سَأَلَهُ يَوْمًا عَنْ أَنْسَابِ بَعْضِ الْعَرَبِ . فَقَالَ : عَلَى الْخَيْرِ



أَلْعَرَبُ مِنْ جُمْلَةِ أَمْثَالِهِمْ ( إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ عَلَيْكَ  
 الْقَمَرُ ) . وَهُوَ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلْأَمْرِ الظَّاهِرِ الْمَشْهُورِ وَالْأَصْلُ فِيهِ كَمَا  
 قَالَ الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ : أَنَّهُ بَلَّغْنَا أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ فِي  
 الْجَاهِلِيَّةِ تَرَاهُنُوا عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنَ الشَّهْرِ .  
 فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : تَطَاعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُرَى . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : يَغِيبُ  
 الْقَمَرُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَتَرَاوُوا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ حَكَمًا . فَقَالَ  
 وَاحِدٌ مِنْهُمْ : إِنْ قَوْمِي يَبْغُونَ عَلَيَّ . فَقَالَ الْحَكَمُ : إِنْ يَبْغِ  
 عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ . فَذَهَبَتْ مَثَلًا . وَمِنْ الْمَعْلُومِ  
 أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : ( إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ ) .  
 إِذَا أُخِذَ عَلَى حَقِيقَتِهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْقَرَأْنِ الْمُنَوَّطَةِ بِهِ وَالْأَسْبَابِ  
 الَّتِي قِيلَ مِنْ أَجْلِهَا لَا يُعْطِي مِنَ الْمَعْنَى مَا قَدْ آعْطَاهُ الْمَثَلُ . وَذَلِكَ  
 أَلَمْثَلُ لَهُ مُقَدِّمَاتٌ وَأَسْبَابٌ قَدْ عُرِفَتْ وَصَارَتْ مَشْهُورَةً بَيْنَ النَّاسِ  
 مَعْلُومَةً عِنْدَهُمْ . وَحَيْثُ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ جَازَ إِيْرَادُ هَذِهِ اللَّفْظَاتِ  
 فِي التَّعْيِيرِ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَلَوْ لَا تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتُ الْمَعْلُومَةُ وَالْأَسْبَابُ  
 الْمَعْرُوفَةُ لَمَا فَهِمَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : ( إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ  
 عَلَيْكَ الْقَمَرُ ) مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بَلْ مَا كَانَ يُفْهِمُ  
 مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَعْنَى مُفِيدَةٍ . لِأَنَّ الْبَغْيَ هُوَ الظُّلْمُ وَالْقَمَرُ لَيْسَ مِنْ  
 شَأْنِهِ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا فَكَانَ يَصِيرُ مَعْنَى الْمَثَلِ : إِنْ كَانَ يَظْلِمُكَ  
 قَوْمُكَ لَا يَظْلِمُكَ الْقَمَرُ . وَهَذَا كَلَامٌ مُحْتَمِلٌ الْمَعْنَى لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ .  
 فَلَمَّا كَانَتْ الْأَمْثَالُ كَالرُّمُوزِ وَالْإِشَارَاتِ الَّتِي يُلَوِّحُ بِهَا عَلَى الْمَعْنَى

فِي الْعُقُولِ مُشْتَقَّةً مِنَ الْمَثُولِ الَّذِي هُوَ الْإِنْتِصَابُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ  
النِّظَامُ : يَجْتَمِعُ فِي الْمَثَلِ أَرْبَعَةٌ لَا تَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ  
إِيجَازُ اللَّفْظِ وَإِصَابَةُ الْمَعْنَى وَحُسْنُ التَّشْبِيهِ وَجُودَةُ الْكِتَابَةِ فَهُوَ  
نِهَايَةُ الْبَلَاغَةِ . قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا جُعِلَ الْكَلَامُ مَثَلًا كَانَ أَوْضَحَ  
لِلنَّاطِقِ وَأَتَقَى لِلسَّمْعِ وَأَوْسَعَ لِشُعُوبِ الْحَدِيثِ . قَالَ آخَرُ : إِنَّ  
الْأَمْثَالَ هِيَ وَثِي الْكَلَامِ وَجَوْهَرُ اللَّفْظِ وَحُلَى الْمَعْنَى الَّتِي تَحْيَرَتْهَا  
الْعَرَبُ وَقَدَمَتْهَا النِّجْمُ وَنَطَقَ بِهَا كُلُّ زَمَانٍ وَدَارَتْ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ .  
فَهِىَ آتَتْ مِنَ الشَّعْرِ وَأَشْرَفَ مِنَ الْخُطَابَةِ . لَمْ يَسِرْ شَيْءٌ مَسِيرَهَا  
وَلَا عَمَّ عُمُومَهَا حَتَّى قِيلَ : أَسِيرٌ مِنْ مَثَلٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا مَثَلٌ سَائِرٌ يَعْرِفُهُ الْجَاهِلُ وَالْعَابِرُ

هَذَا وَإِنَّ الْأَمْثَالَ تَحَلَّى بِفَرَائِدِهَا صُدُورُ الْحَافِلِ وَالْحَاضِرِ .  
وَتَحَلَّى بِفَوَائِدِهَا قُلُوبُ الْبَادِي وَالْحَاضِرِ . وَتَقَيَّدُ أَوَائِدُهَا فِي بُطُونِ  
الدَّفَائِرِ وَالصَّخَائِفِ . وَتَطِيرُ نَوَاضِعُهَا فِي رُؤُوسِ الشَّوَاهِقِ وَظُهُورِ  
الْتِمَاقِفِ . يَحْتَاجُ الْخَطِيبُ وَالشَّاعِرُ إِلَى إِدْمَاجِهَا وَإِدْرَاجِهَا لِاسْتِمَالِهَا

عَلَى آسَالِيْبِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْأَمْثَالِ شَدِيدَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ  
تَضَعْ الْأَمْثَالَ إِلَّا لِأَسْبَابٍ أَوْجَبَتْهَا وَحَوَادِثُ أَقْضَتْهَا . فَصَارَ الْمَثَلُ  
الضَّرُوبُ لِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ عِنْدَهُمْ كَالْعَلَامَةِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الشَّيْءُ  
وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ أَوْجَزُ مِنْهَا وَلَا أَشَدُّ اخْتِصَارًا . وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا  
أَذْكُرُهُ لَكَ لَتَكُونَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ عَلَى يَقِينٍ فَأَقُولُ : قَدْ جَاءَ عَنْ

## الفصل الثامن

في فنون الانشاء

البحث الاول

في المثل وشرفه

( عن الميداني )

( راجع صفحة ١٢٦ من علم الادب )

قَالَ الْمُبَرِّدُ: الْمَثَلُ مَاخُوذٌ مِنَ الْمَثَالِ وَهُوَ قَوْلٌ سَائِرٌ يُشَبَّهُ بِهِ  
حَالُ الثَّانِي بِالْأَوَّلِ وَالْأَصْلُ فِيهِ التَّشْبِيهُ . فَقَوْلُهُمْ : مَثَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
إِذَا انْتَصَبَ مَعْنَاهُ : أَشَبَّ الصُّورَةَ الْمُنَاصِبَةَ . وَفُلَانٌ أَمْثَلُ مِنْ فُلَانٍ  
أَيُّ أَشَبَّ بِمَا لَهُ الْفَضْلُ . وَالْمَثَالُ الْقِصَاصُ لِتَشْبِيهِ حَالِ الْمُقْتَصِرِ مِنْهُ  
بِحَالِ الْأَوَّلِ فَحَقِيقَةُ الْمَثَلِ مَا جُعِلَ كَالْعَلَمِ لِلتَّشْبِيهِ بِحَالِ الْأَوَّلِ . كَقَوْلِ  
كُتُبِ بْنِ زُهَيْرٍ :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُوقٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ  
فَوَاعِيدُ عُرُوقٍ عَلِمَ لِكُلِّ مَا لَا يَصِحُّ مِنَ الْمَوَاعِيدِ . وَقَالَ ابْنُ  
السَّكَيْتِ : الْمَثَلُ لَفْظٌ يُخَالِفُ لَفْظَ الْمَضْرُوبِ لَهُ وَيُؤَافِقُ مَعْنَاهُ  
مَعْنَى ذَلِكَ اللَّفْظِ . شَبَّوهُ بِالْمَثَالِ الَّذِي يُعْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . وَقَالَ غَيْرُهُمَا :  
سُمِّيَتْ الْحِكْمُ الْقَائِمُ صِدْقُهَا فِي الْقَوْلِ أَمْثَالًا لِأَنَّهُ يَنْتَصِبُ صُورَهَا



إِنْ تَرَأَيْتُنَا أَغَارَتْ وَنُجُومَ السَّعْدِ غَارَتْ  
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ شَتَّى كُلَّمَا جَارَتْ أَجَارَتْ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمَغْنَوِي) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ رُكْنَيْ  
الْجِنَاسِ دَالًّا عَلَى مَعْنَى الْآخَرِ فِي غَيْرِ الْفَافِظِ وَهَذَا النَّوعُ اسْتَدْرَكَهُ فَضْلًا  
الْمُتَأَخِّرِينَ وَاسْتَحْجَوْهُ وَبَعْضُهُمْ لَا يَعُدُّهُ جِنَاسًا لِأَنَّهُ قَلَّمَا يُوجَدُ فِي  
الْكَلَامِ اتِّوَاعٌ مَسْلُوكٌ. وَسَبَبُ وُرُودِ هَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ  
أَنَّ الشَّاعِرَ يَقْصِدُ الْجِنَاسَةَ فِي كَلَامِهِ بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ فَلَا يُؤَافِقُهُ الْوِزْنُ  
عَلَى اثْبَاتِ أَحَدِ رُكْنَيْ الْجِنَاسِ فَيَعْدِلُ إِلَى مَا يُؤَافِقُهُ مَعْنًى وَيُجَالِفُهُ  
لَفْظًا وَعَلَى هَذَا لَا وُرُودَ لِهَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ اَلْمَشْهُورِ إِذْ لَا وَزْنَ  
يُضْطَرُّهُ إِلَى الْإِثْنَانِ بِذَلِكَ. وَمِنْ أَمْثَلِهِ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ فِي هَذَا  
النَّوعِ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَدْحُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ وَيَذْكُرُ فَعْلُهُ  
بِقَطْرِي بْنِ الْفُجَاءَةِ وَكَانَ قَطْرِيٌّ يُكْنَى أَبَا نَعَامَةَ :

حَدَا بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ فَاجْفَلَتْ نَعَامَتُهُ مِنْ عَارِضٍ مُتَلَهَّبٍ  
أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : حَدَا بِأَبِي نَعَامَةَ فَاجْفَلَتْ نَعَامَتُهُ أَيُّ رُوحُهُ فَلَمْ  
يُسَاعِدْهُ الْوِزْنُ فَقَالَ : بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ لِأَنَّ الرِّثَالَ فِرَاحُ النَّعَامَةِ.  
وَأَعْلَمَ أَنَّ الشُّعْرَاءَ عِنْدَ نَظْمِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَا لَحَّوْا هَذِهِ الْقَاصِدَ  
الْبَعِيدَةَ. وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا مِنَ التَّكَلُّفِ وَالتَّعَسُّفِ

إِنَّ أَلْيَالِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ      تُطَوَّى وَتُنَشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ  
فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ      وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُورِ قِصَارُ  
وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّجْنِيسِ لَهُ حَلَاوَةٌ وَعَلِيَّةٌ رَوْنَقٌ وَقَدْ سَمَّاهُ  
قِدَامَةً بَنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ : (التَّبْدِيلُ) . وَذَلِكَ أَسْمٌ مُنَاسِبٌ لِسَمَاءِهِ  
لِأَنَّ مُؤَلِّفَ الْكَلَامِ يَأْتِي بِمَا كَانَ مُقَدِّمًا فِي جُزْءِ كَلَامِهِ الْأَوَّلِ  
مُؤَخَّرًا فِي الثَّانِي وَبِمَا كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الْأَوَّلِ مُقَدِّمًا فِي الثَّانِي . وَأَمَّا  
الضَّرْبُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَهُوَ عَكْسُ الْحُرُوفِ فَكَقُولُ  
بَعْضِهِمْ :

أَهْدَيْتُ شَيْئًا يَظُنُّ الْأَوَّلَا      أَحْدُوثَةً أَلْقَالِ وَالتَّبَرُّكُ  
كُرْسِي تَفَالَتْ فِيهِ لَمَّا      رَأَيْتُ مَقَاوِبَهُ يَسْرُكُ  
وَرَبَّمَا كَانَ أَلْبَيْتُ كُلُّهُ مَعْكَوسًا يَقْرَأُ طَرْدًا وَعَكْسًا وَأَلْبَيْتُ  
الثَّانِي مِنْهُ مَعْكَوسٌ كَقَوْلِ الْأَرَجَائِيِّ :

أُحِبُّ الْمَرْءَ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ      لِصَاحِبِهِ وَبَاطِنُهُ سَلِيمٌ  
مَوَدَّةٌ تَدُومُ لِكُلِّ هَوَلٍ      وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّةٍ تَدُومُ  
وَمِنْ أَنْوَاعِهِ (الْجِنَاسُ الْمُقَارِبُ) وَبَيْنَهُمْ مَنْ يُسَمِّيهِ جِنَاسَ الْأَشْتِقَاقِ  
وَجِنَاسَ الْإِقْتِضَابِ وَهُوَ يُنْقَسِمُ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الرُّكْنَانِ  
أَسْمَيْنِ كَقَوْلِ الصَّاحِبِ : إِنَّ الْهُمُومَ يَقْدِرُ إِلَيْهِمْ . وَكَقَوْلِ الْقَائِلِ :  
رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ . وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرُّكْنَيْنِ أَسْمًا وَالْآخَرُ فِعْلًا  
نَحْوُ : وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَى اللَّهِ . وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ الرُّكْنَانِ فِعْلَيْنِ .  
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَسَمِيَتْهُ نَحْيِي لِحَيًّا وَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ  
وَكَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا أَحْتَدَمَ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّيْعُ رَيْعٌ  
وَمِنْهُ الْجِلَّاسُ (الْمُطَرَّفُ) وَهُوَ مَا زَادَ أَحَدُ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ  
حَرْفًا فِي طَرَفِهِ الْأَوَّلِ . وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَذِيلِ . فَإِنَّ  
الزِّيَادَةَ فِي الْمَذِيلِ تَكُونُ فِي آخِرِهِ . وَأَمَّا الْمُطَرَّفُ فَتَكُونُ زِيَادَتُهُ  
فِي أَوَّلِهِ لِتَصِيرَ لَهُ كَالطَّرَفِ وَيُسَمَّى أَيْضًا النَّاقِصَ وَالْمُرْدَفَ وَالْمُزْدَوِجَ  
وَالْمُكْرَّرَ وَالْمُرْدُودَ وَالْمُجْتَنَّبَ وَفِي تَسْمِيَّتِهِ اخْتِلَافٌ . وَالزِّيَادَةُ تَكُونُ  
تَارَةً فِي أَوَّلِ الرُّكْنِ الثَّانِي وَتَارَةً فِي أَوَّلِ الرُّكْنِ الْأَوَّلِ  
كَقَوْلِهِمْ : لَمَّا مَلَأَ الصَّاعُ أَنْصَاعَ . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَكَمْ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَيَّ عَوَارِفُ ثَنَائِي عَلَى تِلْكَ الْعَوَارِفِ وَارِفُ  
وَكَمْ غُرِرَ مِنْ بَرِّهِ وَأَطَائِفُ لَشْكْرِي عَلَى تِلْكَ اللَّطَائِفِ طَائِفُ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِلَّاسِ (الْفُظْيُ) وَهُوَ أَنْ يَتِمَّ ثَلَاثُ رُكْنَانِ  
وَيَتَجَانَسَا خَطًّا إِلَّا أَنْ أَحَدَهُمَا يُخَالِفُ الْآخَرَ بِإِبْدَالِ حَرْفٍ مِنْهُ فِيهِ  
مُنَاسَبَةٌ لَفْظِيَّةٌ كَمَا الَّذِي يُكْتَبُ بِالضَّادِ وَالظَّاءِ كَقَوْلِهِ : وَجُوهٌ  
يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ . وَكَقَوْلِ ابْنِ الْعَفِيفِ :

أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا وَفَنًّا إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِالْمَدْحِ فَنٌّ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِلَّاسِ (الْجِلَّاسُ الْقُلُوبُ) وَسَمَاءُ قَوْمِ الْمَعْكُوسِ وَذَلِكَ  
ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا عَكْسُ الْأَلْفَاظِ وَالثَّانِي عَكْسُ الْحُرُوفِ . فَالْأَوَّلُ  
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : عَادَاتُ السَّادَاتِ . سَادَاتُ الْعَادَاتِ وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :



فَيَا لَكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهُمَا جَدِيدُ الرَّدَى تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَاحِ  
وَأَرْقُ مَا سَمِعْتُ فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ الْقَائِلِ :

إِنَّ أَلْبَسَاءَ هُوَ الشِّفَاءُ م مِنْ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

وَأَمَّا (الَّلَّاحِقُ) فَهُوَ مَا أُبْدِلَ فِي أَحَدِ رُكْنَيْهِ حَرْفٌ مِنْ غَيْرِ مَخْرَجِهِ  
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَتَنَاوَلْتُهُ بِأَلْيَمِينَ  
وَوَضَعْتُهُ مَكَانَ الْعِقْدِ الثَّمِينِ . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ : أَمَّا أَلْيَمِيمٌ فَلَا  
تَقْهَرُ . وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرُ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجِنَاسِ وَالَّلَّاحِقِ وَالْجِنَاسِ  
الْمُضَارِعِ أَنَّ حُرُوفَ اللَّاحِقِ لَيْسَتْ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ كَالثَّوْنِ وَالْقَافِ  
فِي : (تَقْهَرُ وَتَنْهَرُ) . وَأَمَّا حُرُوفُ الْمُضَارِعِ فَإِنَّهَا مُتَشَابِهَةٌ فِي الْمَخْرَجِ  
كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْخَيْلَ مَعْقُودَةٌ بِأَوَاصِيهَا الْخَيْرِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ  
بَعْضِهِمْ : أَلْبَرَأَيَا أَهْدَافُ أَلْبَلَايَا . فَإِنَّ الرَّاءَ وَاللَّامَ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّجْنِيسِ (التَّامُّ) . وَهُوَ مَا تَمَّ ثَلَاثَ رُكْنَاهُ وَاتَّفَقَ لَفْظًا  
وَاخْتَلَفَ مَعْنَى مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ فِي تَضْحِيحِ تَرْكِيبِهِمَا وَاخْتِلَافِ  
حَرَكَتَيْهِمَا سِوَاهُ كَانَا مِنْ أَسْمَيْنِ أَوْ مِنْ فِعْلَيْنِ أَوْ مِنْ أَسْمٍ وَفِعْلٍ  
فَانْتَبَهَ قَالُوا : إِذَا انْتَضَمَ رُكْنَاهُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ كَأَسْمَيْنِ أَوْ فِعْلَيْنِ  
سُمِّيَ تَمَّامًا وَإِنْ انْتَضَمَا مِنْ نَوْعَيْنِ كَأَسْمٍ وَفِعْلٍ سُمِّيَ مُسْتَوْفَى .  
وَجُلُّ الْقَصْدِ تَمَّ ثَلَاثَ الرُّكْنَيْنِ فِي اللَّفْظِ وَالْخَطِّ وَالْحَرَكَةِ وَاخْتِلَافُهُمَا  
فِي الْمَعْنَى . فَهُنَا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ : صَوْلَةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ  
وَصَوْلَةُ الْحَقِّ إِلَى السَّاعَةِ . وَمِنْ الشِّعْرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي رِثَاءِ صَغِيرٍ  
أَسْمُهُ يَحْيَى :

وَإِذَا عَرَضْتَ الشَّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِي بِهَا  
وَالْجِنَاسِ الْمُرَكَّبِ نَوْعٌ يُسَمَّى (الْمُرْفُوعُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ  
الرُّكْنَيْنِ جُزْءًا مُسْتَقِلًّا وَالْآخَرُ مُجْزَأً مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَى كَقَوْلِ  
الْحَرِيرِيِّ :

وَالْمَكْرَمَ مَا اسْطَغَتْ لَا تَأْتِيهِ لَتَقْتَنِي السُّودَدَ وَالْمَكْرَمَةَ  
وَقَوْلِهِ :

وَلَا تَلَهُ عَنْ تَذَكُّرِ ذَنْبِكَ وَأَبِيهِ بَدَعَ يُحَاكِي الْمُنَّ حَالَ مَصَابِيهِ  
وَمِثْلَ لَعِينِكَ الْحَمَامَ وَوَقَعَهُ وَرَوْعَةً مَلَقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِيهِ  
وَهَذَا النَّوعُ لَا يَخْلُو مِنْ تَعَسُّفٍ وَتَعْقِيدٍ فِي التَّرْكِيبِ . وَمِنْ  
أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمُلْفَقُ) وَحَدُّهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنَ الرُّكْنَيْنِ مُرَكَّبًا  
مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُرَكَّبِ وَقُلَّ مَنْ أَفْرَدَهُ عَنْهُ  
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَمْ يَجِبَاهُ الرَّاعِيْنَ إِلَيْهِ مِنْ مَجَالِ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودٍ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمُذَيَّلُ وَاللَّاحِقُ) . فَالْمُذَيَّلُ هُوَ مَا زَادَ  
أَحَدُ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ حَرْفًا فِي آخِرِهِ فَصَارَ لَهُ كَالْمُذَيَّلِ كَقَوْلِ  
أَبِي تَمَّامٍ :

يُمْدُونَ فِي أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ  
وَقَالَ آخَرُ :

عَذِيرِي مِنْ دَهْرٍ مُوَارٍ مُوَارِبٍ لَهُ حَسَنَاتٌ كُلُّهُنَّ ذُنُوبُ  
وَقَدْ تَأْتِي الزِّيَادَةُ فِي آخِرِ الذَّنْبِ بِحَرْفَيْنِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ فِي رِثَاءِ :

( بِاللَّيْثِ ) ثُمَّ عَدَلَتْ إِلَى مَا يُرَادِفُهُ وَهُوَ الْأَسَدُ . وَقَوْلِي : ( نَظْمًا )  
إِعْلَامٌ بِأَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْجِنَاسِ إِنَّمَا يَجِيءُ فِي النَّظْمِ دُونَ النَّثْرِ .  
وَتَظْهَرُ عِلَّةُ هَذَا فِي مَكَانِهِ . فَتَدَبَّرْ هَذَا الرَّسْمَ تَجِدُهُ مَا أَخْلَ بِنَوْعٍ  
مِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ . وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ : إِنَّ الْجِنَاسَ يَحْسُنُ إِذَا  
قَلَّ وَاتَى فِي الْكَلَامِ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ وَلَا بُعْدٍ  
وَلَا مِيلٍ إِلَى جَانِبٍ . وَلَمْ يَخْتِجْ إِلَيْهِ بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ إِلَّا مَنْ  
قَصُرَتْ هِمَّتُهُ عَنْ اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ كَالْجُيُومِ الزَّاهِرَةِ فِي أَفْقِ  
الْأَلْفَازِ . وَإِذَا خَلَّتْ يُبُوتُ الْأَلْفَازِ مِنْ سُكَّانِ الْمَعَانِي تَذَلَّتْ  
مَنْزِلَةُ الْأَطْلَالِ الْبَالِيَةِ

### البحث الثامن

### في ذكر انواع التجنيس

إِعْلَمَنَّ أَنَّ أَنْوَاعَ الْجِنَاسِ كَثِيرَةٌ اقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ أَحْصَاهَا وَأَوَّلَهَا  
الْجِنَاسُ ( الْمُرَكَّبُ ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرُّكْنَيْنِ كَلِمَةً مُفْرَدَةً  
وَالْأُخْرَى مُرَكَّبَةً مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهُوَ عَلَى ضَرَّتَيْنِ : فَالْأَوَّلُ مَا تَشَابَهَ  
لَفْظًا وَخَطًّا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

عَضْنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ      لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ  
وَالثَّانِي مَا هُوَ مُتَشَابِهٌ لَفْظًا لَا خَطًّا وَيُسَمَّى الْمَفْرُوقَ كَقَوْلِ

الشَّاعِرِ :

لَا تَغْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً      مَا لَمْ تَكُنْ بَالِغَتْ فِي تَهْذِيبِهَا



عَلَى الصَّدْرِ) هَذَا لِحَاجَةِ إِلَيْهِ وَلَا فَائِدَةَ فِي هَذَا الْإِحْتِرَازِ كَمَا  
يُظْهِرُ فِي التَّمْثِيلِ وَلَوْ زَادَ قَوْلُهُ: بِمَثَلَيْنِ فِي الْحُرُوفِ أَوْ بَعْضِهَا أَوْ  
صُورَتِهَا لَكَانَ أَجُودَ لِيَدْخُلَ فِيهِ الْجِنَاسُ الْخَطِيءُ . وَالَّذِي اخْتَارَهُ  
أَنَا فِي رِسْمِ الْجِنَاسِ أَنْ أَقُولَ : هُوَ الْإِثْنَانُ بِمَثَلَيْنِ فِي الْحُرُوفِ  
أَوْ بَعْضِهَا أَوْ فِي الصُّورَةِ أَوْ زِيَادَةٍ فِي أَحَدِهِمَا أَوْ بِمُخَالَفَتَيْنِ فِي  
الترتيبِ نَظْمًا أَوْ الْحَرَكَاتِ أَوْ بِمِثَالٍ يُرَادُفُ مَعْنَاهُ مُمَثِّلًا آخَرَ .  
وَلَعَلَّ هَذَا الرِّسْمَ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِمَّا ذُكِرَ . فَقَوْلِي (مُتَمَثِّلَيْنِ)  
جِنْسٌ يَشْمَلُ الْمِثَالِ أَفْظًا وَمَعْنَى . وَقَوْلِي : ( فِي الْحُرُوفِ ) فَضْلٌ  
أَخْرَجَ الْمِثَالِ مَعْنَى كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ زَيْدٌ . وَأَدْخَلَ الْجِنَاسَ التَّامَّ  
كَقَوْلِكَ يَحْيَى يَحْيَا . وَالْجِنَاسَ الْمُرَكَّبَ كَقَوْلِكَ : نِعْمَتُهُ ذَاهِبَةٌ . إِنْ  
لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً . وَقَوْلِي : ( أَوْ بَعْضِهَا ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُطْمَعَّ  
كَقَوْلِكَ : الْأَمْوَالُ وَالْأَمْوَالُ . وَالْجِنَاسَ الْمُقَارِبَ كَقَوْلِكَ : الْهُمُومُ  
عَلَى قَدَرِ الْهِمَمِ . وَقَوْلِي : ( أَوْ فِي الصُّورَةِ ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْخَطِيءَ  
كَقَوْلِكَ : لَا تُضِعْ يَوْمَكَ فِي تَوْمِكَ . وَقَوْلِي : ( أَوْ زِيَادَةٍ ) فِي  
أَحَدِهِمَا أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُخَالَفَ كَقَوْلِكَ : الْمَاءُ مِنَ الْأَنْجَارِ جَارٍ .  
وَقَوْلِي : أَوْ بِمُخَالَفَتَيْنِ فِي التَّرْتِيبِ أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُخَالَفَ كَقَوْلِكَ :  
بَيْضُ الصَّخَائِفِ وَالصَّفَاحِجِ . وَقَوْلِي ( أَوْ الْحَرَكَاتِ ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ  
الْمُعَايَرَ كَقَوْلِكَ : اغْتَنِمْ هُبَاتِ الْهَبَاتِ . وَقَوْلِي : ( أَوْ بِمِثَالٍ  
يُرَادُفُ مَعْنَاهُ مُمَثِّلًا آخَرَ نَظْمًا ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمَعْنَوِيَّ كَقَوْلِكَ :  
أَمْرٌ عَظِيمٌ تَظْهَرُ اللَّوْثَةُ فِيهِ بِالْأَسَدِ . إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ :

لَا أَنَّهُ يُخْرَجُ عَنْهُ جِنَاسُ التَّضْيِيفِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْمُرَكَّبِ وَجِنَاسُ  
الْمَعْنَى وَالْجِنَاسُ الْمَطْمَعُ . وَأَمَّا حَدُّ قُدَامَةٍ فَإِنَّهُ عَرَفَ الشَّيْءَ  
بِنَفْسِهِ وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ( فِي أَلْفَاظٍ مُتَجَانِسَةٍ ) يُفِيضُ إِلَى  
الدَّوْرِ لِأَنَّنَا هَذَا لَا نَعْرِفُ الْمُتَجَانِسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِقَةِ الْجِنَاسِ وَلَا نَعْرِفُ  
الْجِنَاسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِقَةِ الْمُتَجَانِسِ فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الدَّوْرِ وَهُوَ مُحَالٌ .  
وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ عَنْهُ بِأَن يُقَالَ : إِنَّهُ مَا أَرَادَ الْمُتَجَانِسَ فِي الْأَصْطِلَاحِ  
بَلِ الْمُتَجَانِسَ فِي اللَّغَةِ أَيْ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَشَابِهَةِ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ  
فَهُوَ حَدُّ مُضْطَرَبٌ إِذْ فِيهِ لَفْظٌ مُوَهَّمٌ وَالْحُدُودُ يُجْتَنَّبُ فِيهَا مِثْلُ  
ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : ( عَلَى جِهَةِ الْأَشْتِقَاقِ ) يُخْرَجُ عَنْهُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ  
الْجِنَاسِ إِلَّا الْجِنَاسَ الْأَشْتَقَاقِيَّ . وَأَمَّا حَدُّ ابْنِ الْمُعْتَرِّ فَهُوَ أَيْضًا  
تَعْرِيفٌ دَوْرِيٌّ وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ فِي صِنَاعَةِ الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ . وَأَمَّا  
حَدُّ ابْنِ الْأَثِيرِ فَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ جَامِعٍ لِأَنَّهُ يُخْرَجُ عَنْهُ مِثْلُ الْجِنَاسِ  
الْمُزْدَوِجِ وَالْجِنَاسِ الْمَطْمَعِ وَالْجِنَاسِ الْخَطِيئِيِّ وَالْجِنَاسِ الْمَعْنَوِيِّ  
عَلَى مَا سَيَطْهَرُ لَكَ عِنْدَ كَشْفِ كُلِّ مَاهِيَةٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ . وَأَمَّا حَدُّ  
بَذْرِ الدِّينِ ابْنِ التَّحَوِّيَةِ فَإِنَّ قَوْلَهُ : ( مُتَمَاثِلَيْنِ ) جِنْسٌ يَشْمَلُ  
الْمُمَاثِلَ مُطْلَقًا سَوَاءً كَانَ لَفْظًا أَوْ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : ( فِي الْحُرُوفِ )  
فَصْلٌ يُخْرَجُ بِهِ الْمُمَاثِلَ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : ( أَوْ بَعْضُهَا ) مُدْخِلٌ لِلْجِنَاسِ  
الْمَطْمَعِ وَالْمُخَالَفِ وَالْأَشْتِقَاقِ . وَقَوْلُهُ : ( مُتَعَارِفَيْنِ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى )  
لَا فَايِدَةَ فِيهِ لِأَنَّ هَذَا مَعْلُومٌ فِي قَوْلِهِ : ( مُتَمَاثِلَيْنِ فِي الْحُرُوفِ ) أَيْ  
دُونَ مَعْنَاهُمَا لَكِنْ فِيهِ زِيَادَةٌ بَيَانٍ . وَقَوْلُهُ : ( فِي غَيْرِ رَدِّ الْعَجْزِ )

## البحث السابع

### في حقيقة التجنيس

( عن كتاب جنان الجناس للصفدي وعن الشريشي وابن الاثير )

(راجع صفحة ١١٨ من علم الادب)

اعلم ان التجنيس غرة شاذخة في وجه الكلام وقد تصرف العلماء من ارباب هذه الصاعه فيه فغربوا وشرقوا لاسيما المحدثين منهم. وصنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه ابواباً متعددة واختلفوا في ذلك وادخلوا بعض تلك الابواب في بعض. وانما سمي هذا النوع من الكلام مجانساً لان حروف الفاظه يكون تركيبها من جنس واحد. اما حقيقته فاعلم ان ارباب البلاغة عرفوه بمحدود اختلفت اقوالهم فيها. فقال الرمامي: هو بيان المعاني بانواع من الكلام يجمعها اصل واحد من اللغة. وقال قدامة: هو اشتراك المعاني في الفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق. وقال ابن المعتز: هو ان تحي بكلمة تجانس اختها. وقال ابن الاثير الجزري: الجنس هو ان يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً. وقال بدر الدين ابن النحوية في ضوء المصباح: هو ان يوتى بتمثيلين في الحروف او بعضها متغايرين في اصل المعنى في غير رد العجز على الصدر. فهذا جملة ما حضرني من حدود القوم عند تعليق هذا الفصل. (قلت) اما حد الرمامي فانه اسلم مما بعده لكنه غير جامع



فَإِنَّهُ ذَكَرَ الظَّهَرَ وَقَرَنَهُ بِذِكْرِ الْجَدِّ وَهَذَا لَا يُنَاسِبُ هَذَا لِأَنَّ  
الظَّهَرَ فِي جُمْلَةِ الْخَلْقِ وَالْجَدَّ فِي النَّسَبِ . وَآمَّا ( الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمَبْنِيِّ )  
فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِمَبْنِي الْأَلْفَازِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ :  
فَإِذَا هَبَّ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُرْتَهَ يَثْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوَعَارُ  
وَالْأَحْسَنُ أَنْ : يُقَالُ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ أَوْ السُّهُولُ وَالْأَوَعَارُ .  
لِيَكُونَ الْبِنَاءُ اللَّفْظِيُّ وَاحِدًا أَيْ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظَانِ وَارِدَيْنِ عَلَى  
صِيغَةِ الْجَمْعِ أَوْ الْأَفْرَادِ . وَإِذَا أَنْصَفْنَا هَذَا الْمَوْضِعَ وَجَدْنَا النَّاسَ مُطَالِبًا  
بِهِ دُونَ النَّاطِلِ لِمَكَانِهِ مِنْ التَّصْرِيفِ . ( الضَّرْبُ الثَّانِي )  
هُوَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّيْءِ مِثْلَهُ وَهُوَ يَتَفَرَّغُ إِلَى فَرَعَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) مُقَابَلَةُ  
الْمُفْرَدِ بِالْمُفْرَدِ . ( وَالْآخَرُ ) مُقَابَلَةُ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ . ( الْفَرْعُ الْأَوَّلُ )  
كَقَوْلِهِ : نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ . وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْمَوْضِعُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا  
فَإِذَا وَرَدَ فِي صَدْرِ آيَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى جَوَابٍ كَانَ جَوَابُهُ مُمَثِّلًا لِقَوْلِهِ :  
مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ جَوَابٍ فَإِنَّهُ لَا يَلْتَزِمُ  
فِيهِ هَذِهِ الْمُرَاعَاةَ اللَّفْظِيَّةَ . ( الْفَرْعُ الثَّانِي فِي مُقَابَلَةِ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ )  
إِعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْكَلَامِ مُسْتَقْبَلَةً قُوِلَتْ بِمُسْتَقْبَلَةٍ  
وَإِنْ كَانَتْ مَاضِيَةً قُوِلَتْ بِمَاضِيَةٍ وَرَبَّمَا قُوِلَتْ بِالْمَاضِيَةِ بِمُسْتَقْبَلَةٍ  
وَالْمُسْتَقْبَلَةُ بِالْمَاضِيَةِ إِذَا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا بِمَعْنَى الْآخَرَى فَمِنْ ذَلِكَ  
قَوْلُهُ : قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا  
يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي . فَإِنَّ هَذَا تَقَابُلٌ مِنْ جِهَةِ الِتَعْنَى وَلَوْ كَانَ التَّقَابُلُ  
مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ لَقَالَ : وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا أَهْتَدِي لَهَا

يَكُونُ مِثْلًا . فَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ يَتَفَرَّعُ إِلَى فَرْعَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) مَا  
كَانَ بَيْنَ الْمُقَابِلِ بِهِ وَالْمُقَابِلِ نَوْعُ سُبَّاسَةٍ وَتَقَارُبٍ . كَقَوْلِ قُرَيْطِ  
أَبْنِ أُنَيْفٍ :

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً      وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا  
فَقَابِلَ الظُّلْمِ بِالْمَغْفِرَةِ وَلَيْسَ هُوَ ضِدًّا لَهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْمَغْفِرَةُ  
قَرِيبَةً مِنَ الْعَدْلِ حُسِّنَتِ الْمُقَابَلَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظُّلْمِ . ( الْفَرْعُ الثَّانِي )  
مَا كَانَ بَيْنَ الْمُقَابِلِ وَالْمُقَابِلِ بِهِ بُعْدٌ وَذَلِكَ بِمَا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ .  
كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

لَمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَرْضَ بِهَا      سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ مَسَاءَةَ مُجْرِمٍ  
فَإِنَّ الْمُقَابَلَةَ الصَّحِيحَةَ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْمُبْغِضِ لَا بَيْنَ الْحُبِّ وَالْمُجْرِمِ  
وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِهَذَا الضَّرْبِ ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمُؤَاخَاةَ بَيْنَ  
الْمُعَانِي وَالْمُؤَاخَاةَ بَيْنَ الْمُبَانِي وَكَانَ يَتَّبَعِي أَنْ نَعْقِدَ لَهُ أَبًا مُفْرَدًا  
لَكِنْ إِذَا رَأَيْنَاهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمُقَابِلِ مِنْ وَجْهِ وَصَلَتَاهُ بِهِ . أَمَّا الْمُؤَاخَاةُ  
بَيْنَ الْمُعَانِي فَهُوَ أَنْ يُذَكَّرَ الْمُعْنَى مَعَ أَخِيهِ لَامَعَ الْأَجْبِي . مِثْلُهُ  
أَنْ تُذَكَّرَ وَصْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ وَتَقْرُنَهُ بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَلْتَمِسُ بِهِ  
فَإِنْ ذَكَرْتَهُ مَعَ مَا يَبْعُدُ مِنْهُ كَانَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي الصِّنَاعَةِ وَإِنْ  
كَانَ جَائِزًا . وَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا نُوَّاسٍ يَقَعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ كَثِيرًا كَقَوْلِهِ  
فِي وَصْفِ الدِّيكِ :

أَهُ أَعْتَدَالٌ وَأَنْتَ صَابُ قَدٍ      وَجِلْدُهُ يُشْبِهُ وَشْيَ الْبُرْدِ  
كَأَنَّهَا الْمُدَابُّ فِي الْفِرْنِ      مُحْدَوْدِبُ الظُّهْرِ كَرِيمُ الْجَدِّ

وَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ لِسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَقَدْ أَخْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
لِيَقْتُلَهُ فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ . قَالَ : سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ . قَالَ بَلْ أَنْتَ  
شَقِيٌّ بْنُ كُسَيْرٍ . وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْفُصَحَاءِ الْمَعْدُودِينَ وَفِي  
كَلَامِهِ هَذَا مُطَابَقَةٌ حَسَنَةٌ فَإِنَّهُ نَقَلَ الْأَسْمِينَ إِلَى ضِدِّهِمَا فَقَالَ :  
فِي (سَعِيدٍ) شَقِيٌّ . وَفِي (جَبْرِ) كُسَيْرٌ . وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْكَلَامِ  
لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ . وَمِمَّا وَجَدْتُهُ فِي  
لُغَةِ الْفَرَسِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ قُبَادُ أَحَدُ مُلُوكِهِمْ قَالَ وَزِيرٌ : حَرَكْنَا  
بِسُكُوتِهِ . وَأَوَّلُ كِتَابِ الْفُضُولِ لِبُقْرَاطٍ فِي الطِّبِّ قَوْلُهُ : الْعُمُرُ  
قَصِيرٌ وَالصِّبَاةُ طَوِيلَةٌ . (وَأَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فِي  
الْأَضْدَادِ) فَمِمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ الْمُقَنَّنِ الْكِنْدِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :  
لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْفَيْهِمْ رِفْدًا  
فَقَوْلُهُ : (تَتَابَعَ لِي غِنَى) . بِمَعْنَى قَوْلِهِ : كَثُرَ مَالِي فَهُوَ إِذَا مُقَابَلَةٌ  
مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْأَضْدَادِ اللَّفْظِيَّةِ إِنَّمَا  
هِيَ فِي الْمَفْرَدَاتِ مِنَ الْأَلْفَاظِ نَحْوُ : قَامَ وَقَعَدَ . وَحَلَّ وَعَقَدَ . وَقَلَّ  
وَكَثُرَ . فَإِنَّ الْقِيَامَ ضِدُّ الْقُعُودِ . وَالْحَلَّ ضِدُّ الْعَقْدِ . وَالْقَلِيلَ ضِدُّ  
الْكَثِيرِ . فَإِذَا تَرَكْتُ الْمَفْرَدَ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَتَوَصَّلَ إِلَى مُقَابَلَتِهِ بِلَفْظٍ  
مُرَكَّبٍ كَانَ ذَلِكَ مُقَابَلَةً مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ كَقَوْلِ  
هَذَا الشَّاعِرِ : (تَتَابَعَ لِي غِنَى) . فِي مَعْنَى (كَثُرَ مَالِي) وَهَذِهِ مُقَابَلَةٌ  
مَعْنَوِيَّةٌ لَا لَفْظِيَّةٌ فَاعْرِفْ ذَلِكَ . (وَأَمَّا مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ .  
فَهِيَ ضَرْبَانِ : (أَحَدُهُمَا) أَنْ لَا يَكُونَ مِثْلًا . (وَالْآخَرُ) أَنْ



أَصْلُهُ بِالْمِثَالِ الَّذِي مَثَلُهُ . وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الصَّاعَةِ فَانْهَمَ  
سَمَوْا هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ مُطَابِقًا لِغَيْرِ أَشْتِقَاقٍ وَلَا مُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ مُسَمَّاهُ . هَذَا الظَّاهِرُ لَنَا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا عَلِمُوا  
لِذَلِكَ مُنَاسَبَةً لَطِيفَةً لَمْ نَعْلَمَهَا نَحْنُ . وَلَنَرْجِعَ إِلَى ذِكْرِ هَذَا الْقِسْمِ  
مِنَ التَّأْلِيفِ وَابْضَاحِ حَقِيقَتِهِ فَقَوْلُ : أَلَا لَيْقُ مِنْ حَيْثُ أَلْمَعْنَى أَنْ  
يُسَمَّى هَذَا النَّوعُ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّهُ لَا يَحْلُو الْحَالُ فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا  
أَنْ يُقَابَلَ الشَّيْءُ بِضِدِّهِ أَوْ يُقَابَلَ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ . وَلَيْسَ لَنَا وَجْهٌ  
ثَالِثٌ . ( فَا مَّا الْأَوَّلُ ) وَهُوَ مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ  
وَمَا جَرَى تَحْرَا هُمَا فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةُ فِي اللَّفْظِ  
وَالْمَعْنَى وَالْآخَرُ مُقَابَلَةُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ . أَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي اللَّفْظِ  
وَالْمَعْنَى فَكَقَوْلُهُ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا . فَقَابَلُ بَيْنَ  
الضَّحِكِ وَالْبَكَاءِ وَالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : لِكَيْلَا تَأْسَوْا  
عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَحْيِي  
فِي هَذَا الْبَابِ . وَقَالَ أَيْضًا : خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ .  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْمَطْبُوعِ الَّذِي لَيْسَ بِمُتَكَلِّفٍ قَوْلُ عَلِيِّ لِعُمَّانَ : إِنْ  
أَلْحَقْتُ أَثْقِيلَ مَرِيٍّ وَالْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ وَأَنْتَ رَجُلٌ إِنْ صُدِقتَ  
سَخِطْتَ وَإِنْ كُذِّبْتَ رَضِيتَ . فَقَابَلُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَالْثَقِيلَ الْخَفِيفَ  
بِالْخَفِيفِ الْوَبِئْسَ وَالصِّدْقَ بِالْكَذِبِ وَالسُّخْطَ بِالرِّضَا وَهَذِهِ خَمْسُ  
مُقَابَلَاتٍ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقَصَارِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ لَمَّا قَالَ  
الْحَوَارِجُ : ( لَا أَحْكَمَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ) : هَذِهِ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ .

## البحث السادس

### في المطابقة

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

( راجع صفحة ٩٤ من علم الادب )

هَذَا النَّوعُ هُوَ فِي الْمَعَانِي ضِدُّ التَّجْنِيسِ فِي الْأَلْفَاظِ لِأَنَّ التَّجْنِيسَ هُوَ أَنْ يَتَّحِدَ اللَّفْظُ مَعَ اخْتِلَافِ الْمَعْنَى وَهَذَا هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَيَانِ ضِدَّيْنِ . وَقَدْ أَجْمَعَ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَلَى أَنَّ الْمُطَابَقَةَ فِي الْكَلَامِ هِيَ الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ قَدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ فَقَالَ الْمُطَابَقَةُ إِيرَادُ لَفْظَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الْبِنَاءِ وَالصِّغَةِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْمَعْنَى . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ التَّجْنِيسُ بَعِيْنِهِ . غَيْرَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ لَا مُشَاحَةَ فِيهَا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُشْتَقَّةً . وَلَنَنْظُرُ نَحْنُ فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَنْ نَكْشِفَ عَنْ أَصْلِ الْمُطَابَقَةِ فِي وَضْعِ اللَّغَةِ وَقَدْ وَجَدْنَا الطَّبَاقَ فِي اللَّغَةِ مِنْ طَائِفِ الْأَبْعَادِ فِي سَيْرِهِ إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ مَوْضِعَ يَدِهِ وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرَهُ قَدَامَةُ لِأَنَّ أَلِيدَ غَيْرِ الرِّجْلِ لَا ضِدَّهَا وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يَقَعَانِ فِيهِ وَاحِدٌ وَكَذَلِكَ الْمَعْنَيَانِ يَكُونَانِ مُخْتَلِفَيْنِ وَاللَّفْظُ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا وَاحِدٌ . فَقَدَامَةُ سَمَّى هَذَا النَّوعَ مِنَ الْكَلَامِ مُطَابَقَةً حَيْثُ كَانَ الْأَنَامُ مُشْتَقًّا جَمًّا سُمِّيَ بِهِ وَذَلِكَ مُنَاسِبٌ وَوَاقِعٌ فِي مَوْقِعِهِ إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ لِلتَّجْنِيسِ أَسْمَاءَ آخَرَ وَهُوَ الْمُطَابَقَةُ وَلَا بَأْسَ بِهِ إِلَّا إِنْ كَانَ مِثْلَهُ بِالضِدَّيْنِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ خَالَفَ الْأَصْلَ الَّذِي

التصريف

فَأَلْقَبُ حَرَقَهُ التَّصْرِيفُ فِي عِلَلٍ وَالْجَفْنُ قَرَحَهُ التَّذْمِيعُ فِي نَدَمٍ

براعة الطب

بَرَأَتِي فِي مَدِيحِي مُسْتَهَى طَلِيي فَأَسْأَلُ سَخَاكَ فَلَمْ أَحْتِجْ إِلَى الْكَلِمِ

الادماج

أَذْنَجْتُ فِي مَدْحِهِ شَكْوَايَ مِنْ زَلَلِي وَعَسَجَدُ أَحَدٍ مِنْ ذَا الدَّمْعِ كَالْعَمِ

الحذف

أَرُومُ مِنْهُ أَتَصَارًا حَادِفًا هَلَعًا وَعَاضِدًا وَقْتَ هَوْلِ الْحُشْرِ وَالْتِقَمِ

التاريخ

بِهِ الْأَيْمُ جَنَى بَرًّا فَقُلْتُ بِهِ مُذْ أَرَّخُوهُ لَنَا بِالْبَرِّ مُقْتَسِمِي \*

حسن الختام

بِهِ غَدَا فِي عِلَاءِ حُسْنُ مُبْتَدَايَ هَبْنِي بِهِ يَا إِلَهِي حُسْنَ مُحْتَسِمِي

ختام الختام

وَأُخْتِمُ خِتَامِي بِأَنْ أَحْطَى بِطَلْعِكَ مِ الْبَاهِي بِجَذْرِ السَّنَى يَا مُرْشِدَ الْأَمِّ



\* قوله : ( لنا بالبر مقتسمي ) تاريخ بحساب الجُمَّل للسنة التي فيها نظمت هذه البديعة وهي سنة ١٨٥٨



التقسيم

فَالْكُونُ قَدْ عَمَّ تَقْسِيمُ أَنْعِيهِ جِنْسًا وَنَوْعًا وَقَرْدًا وَهُوَ فِي شَمِّهِ

التشثيل

تُرْبِي عَلَى السَّيْلِ فِي التَّشْثِيلِ نَفْعُهُ شَتَّانَ مَا بَيْنَ طَلٍّ وَالْحَيَا أَلْعَرَمِ

نفي الشيء بإيجابه

لَا يَلْتَمِي الْجُودُ مِنْ إِجَابِهِ أَبَدًا وَلَا يَشِينُ بَيْنَ رَوْثَقِ النِّعَمِ

مختم الطرفين

مَنْ فَضَّلَهُ آرَتْحِي تَحْتِمْهُ طَرَفِي قَضِيَّتِي فِي الْقَضَا بِالْحَبْدِ وَالْعِظَمِ

التضمن المزدوج

تَضْمِينُ حَمْدِي لَهُ لِلْفَضْلِ مُزْدَوِجًا عَقْلًا وَنَفْلًا جَنَانِي جَاءَهُ وَهْمِي

الموارد

تَوَارَدَ الْفِكْرُ فِي إِمْدَحِ الْأَزْمَةِ لِمَنْ غَدَا لِلْخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَمِ

التطريز

تَطْرِيزُ حَمْدِي بِمَدْحِي فِيهِ مُلْتَحِمٌ يَاحُسْنُ مُلْتَحِمٌ يَاحُسْنُ مُلْتَحِمٌ

الاحتداس

إِلَيْكَ جِثْتُ أَيَا مَوْلَايَ مُنْسَحِقًا قَلْبًا وَمُحْتَرَسًا حُذْنِي مِنَ الْخُدَمِ

المصغر

نُقِيسَتِي مِنْ زُلَيْلَاتِ جَنَتْ صَفَرَتْ وَلَّى غُرْنِي مُهَيِّمًا وَلَمْ يَقُمْ

التدبيح

فَازَرَقَ أَبْيَضُ وَجْهِي حِينَ دَبَجَهُ سَوَادُ إِثْمِي بِصَبْغٍ فِيهِ مُتَّسِمٌ

المضارع

وَبِاضْطِرَابِ جَنَانٍ وَأَضْطِرَامِ حَشَا ضَارَعْتُ ذَا زَلَّةٍ فِي يَوْمٍ مُحْتَكَمِ

صناعة التنويع

تَنْوِيعُ سَطَوَاتِهِ يَوْمًا يَحَاسِبُهُمْ كَاللَّيْلِ كَالسَّيْفِ كَالْجَبَّارِ كَالضَّرَمِ

المشكلة

يُجْزِي إِسَاءَةً شَانِيَةً بِسَائِتِهِ يُشَاكِلُ الْخَيْرَ خَيْرًا حُفَّ بِالْكَرَمِ

مجنح القلب

مُذْنِ لَصْفَحِ جَنَاحِ الْقَلْبِ عَاطِفُهُ إِذَا رَأَى تَوْبَةً وَالذَّمْعُ فِي نَدَمِ

الجمع مع التفريق

فِي وَجْهِهِ النُّورُ لِلْأَصْحَابِ يَشْمَلُهُمْ وَلِلْعِدَا النَّارُ فِي تَفْرِيقِ جَمْعِهِمْ

مراعاة النظر

وَجْهُ السَّمَاءِ بِهِ كَالْبَرْقِ مُلْتَمِعٌ رَأَى الظِّلَّ بِوَجْهِهِ لِلظُّلَاءِ سَمِي

التفريق

قَالُوا هُوَ أَمَّا تِلْكَ وَالتَّفْرِيقُ يُظْهِرُ لِي فَذَلِكَ فَإِنْ وَهَذَا غَيْرُ مُنْعَدِمِ

السلب والایجاب

لَا يُوجِبُ السَّلْبُ فِي إِعْزَازِ عُصَبَتِهِ وَيُوجِبُ الذِّلَّ لِلْأَشْرَارِ فِي التَّقَمِّ

المقارب

أَرْجُو التَّقَارُبَ مِنْ أَعْدَادِ زُمْرَتِهِ لَا مِنْ عَدِيدِ الْعِدَا فِي الْحَشْرِ وَالزَّحَمِ

حسن البيان

حُسْنُ الْبَيَانِ بِنُورٍ مِنْهُ أَرَشَدَنِي إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ أَوْلِيكَ الْحَدَمِ

المزاوجة

إِذَا تَرَاوَجَ هَمِّي وَالتَّجَاتُ أَهْ بِالْمَدْحِ فُزْتُ وَوَقَّانِي مِنَ الْعُغَمِ

الاستعانة

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَأَسْتَعْنْتُ بِهِ إِلَّا وَنِلْتُ جَوَادًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِّ

المبالغة

بِهَا خَلَاصُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ أَرَدْتَ بَالِغَ وَقُولِ بَلْ سَائِرِ الْأُمَمِ

التوليد

لِكُلِّ هَوْلٍ طَرَا تُرْجَى شَفَاعَتُهَا نَالَ الْعِبَادُ بِهَا تَوْلِيدَ أَمْهِمِ

الافراق

لَوْ تَابَ إِبْلِيسُ يُبْغِي مَاءَ نِعْمَتِهَا لَاغْرَقَتْهُ بِتَيَّارٍ مِنَ النِّعَمِ

الفلو

فَقَطْرَةٌ مِنْ نَدَاهَا لَا غُلُوَّ بِهَا تَكَادُ تُحْيِي رَمِيًّا صَارَ كَالْعَدَمِ

التضمين

وَخَلَقَهَا فَاقَ فِي حُسْنِ تَضَمُّنِهِ وَإِنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

المدح المفرغ

يَسْمُو الْمَدِيحُ بِتَفْرِيعٍ لَطَلَتْهَا سُمُو خَلْقِ حَوْتَ بِالْجَلْمِ مُلْتَمِمْ

التمديد

تَعْدِيدُ أَفْضَالِهَا يُنْدِي لِسَامِعِهِ طُهْرًا وَبِرًّا وَجِلْمًا مَعَ عَلَى الشِّيمِ

التهذيب والتأديب

تَهْذِيبُ تَأْدِيبِهَا قَدْ زَادَنَا عَجَبًا بِصَبْرِهَا حِينَ تَعْذِيبِ أَبْنِهَا الْعَلَمِ

التفصيل

فِي شَرْحِ آيَاتِهِ التَّفْصِيلُ مُتَّسِعٌ يَكِلُ عَنْ شَرْحِهَا ذُو الْفَهْمِ وَالْحَكَمِ

ايتلاف المعنى مع المعنى

وَصُلُّ وَفَضْلٌ لَهُ لِلْمَعْنَيْنِ غَدَا تَأْلَفُ نَحْوُ صِدِّيقٍ وَنَجَّارِمْ

التوكيد

لَهُ الْقَضَاءُ بِتَوْكِيدِ يَدَيْنِ بِهِ أَمَا تَعِي أَنَّهُ الدِّيَانُ لِلْأَمَمِ



التصريح

تَصْرِيعُ أَبْوَابِهَا يُوقِي مِنَ الْخَصِمِ فَأَلْمَزْ دَاخِلَهَا كَأَلْمَزْ فِي الْأَظْمِ

التجريد

يَنَالُ صَوْبَ الْحَيَا مِنْ بَسْطِ رَاحَتِهَا مَنْ قَدْ تَجَرَّدَ عَنْ كُفْرِ بَرِيَّتِهِمْ

المعنى

حَوَى أَرْيَحَ بَهَارِ قَلْبِهِ وَسَمَا مِنْ شِمَةِ يَهْتَدِي مَنْ عَنْ غِنَاهُ عَمِي

التعريض

تَطْوِيلُ تَعْرِيزِ هَاجِيهَا يُعْظِمُهَا وَالْبَغْضُ لِلْحَقِّ مَكْرُوهٌ كَذِي أَضْمِ

التنكير

دَعِ الْمُنْكَتِ إِذْ فِي ذِي الْكَنْبِيسَةِ وَدَ دَهَا نَجَاةٌ مِنَ الطُّوفَانِ وَالضَّرَمِ

التوشيح

فَأَرَبُ وَشَحَهَا مِنْ عِصْمَةٍ حُلَلًا أَوْقَتْ خُطَى حُكْمِهَا مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ

تنسيق الصفات

فَأَسْجُدْ لَهُ عِنْدَ تَنْسِيقِ الصِّفَاتِ وَقُلْ رَبُّ إِلَهٌ قَدِيرٌ كَامِلٌ الشِّيمِ

النعطف

فَاخْتَارَ ذَاكَ الصَّفَا رَأْسًا وَقَالَ لِيذَا الْخُتَارِ كُنْ رَاعِيًا وَأَعْطِفْ عَلَى الْغَمِ

المقد

مَهْمَا تَحُلْ بِأَرْضٍ يَحِلُّ بِسَمَا وَمَا رَبَطْتَ بِعَقْدِ الرِّبْطِ مِنْكَ رُمِي

التعليل

لَوْ لَمْ يَحِثْنَا بِتَعْلِيلِ تَجَسُّدِهِ مِنْ مَرِيَمَ مَا شَفِينَا مِنْ ضَنْيِ السَّقَمِ

الجاز

هِيَ الْحَازُ لِإِذْرَاكِ الشِّفَاءِ هِيَ مَ الْعَرْشُ الرَّفِيعُ وَبُرْجُ الْبَارِي الشَّمِ

الطاعة والعصيان

مَنْ يَطْعُ حُكْمَهُ يُرْحَمَ لَدَى شَجَبٍ وَمَنْ عَصَى أَمْرَهُ يُجْرَمَ مِنَ النَّعَمِ

حسن النسق

نَثَرِي يُنَاسِقُهُمْ شَعْرِي يُطَاقِبُهُمْ تَغْرِي يُؤَافِقُهُمْ فِي مَدْحٍ رَبِّهِمْ

التجزئة

أَرَبَيْتُ فِي هَمِي جَزَأْتُ فِي كَلْبِي رَوَيْتُ فِي قَلْبِي أَرَوَيْتُ كُلَّ ظَمِي

التوازن

تَوَارَنْتَ حِكْمِي حَمْدًا لِمَنْسَحٍ مُلَازِمًا مَدْحَهُ نَظْمًا بِمَنْسَجِمٍ

التسجيع

سَجَفِي وَمُنْتَظَمِي مَدْحًا حَلًا بِفِي حَاكَيْتُ فِي رَنِّي الشُّخْرُورَ بِالنَّعَمِ

الاتفاق

يُسُوعُ وَأَسْمُهُ فِي تَخْلِيصِنَا اتَّفَقَا فَهُوَ التَّخْلِصُ لِلْإِنْسَانِ مِنَ نَقَمِ

الاعتراض

فَلَا أَعْتَاضَ عَلَيْنَا فِي عِبَادَتِهِ وَهُوَ الْإِلَهِ وَنَنْ يَعْبُدُهُ يَعْتَصِمُ

العنوان

بِهِ السَّفِينَةُ نَجَتْ نُوحٌ وَهِيَ غَدَتْ غُنْوَانٌ يَبِيعَتُهُ ثَوَقِي مِنَ الْعَرَمِ

الترشيع

فَحَلَّ مَرْكَبَ تِيهِ حِينَ رَكَّبَهَا فَكَمْ تَرَشَّحَ مِنْهَا الرُّشْدُ فِي الظُّلَمِ

التلميح

تَلْمِيحٌ تَلْمِيحُهَا ذَاكَ السِّرَاجُ بِهِ يَهْدِي وَفِي السُّرُجِ إِرْشَادٌ إِلَى اللَّقَمِ

التسميم

تَسْمِيمٌ سِرِّ الْفِدَا وَالْحَبِّ سَلَمُهَا يَأْسَعِدُهَا وَأَضْحَلَّ الْبُؤْسُ بِالنَّعَمِ

ايتلاف اللفظ مع اللفظ

وَالْلَفْظُ لِلْحَمْدِ فِي الْأَفْوَاهِ يُؤْتَلَفُ مَعَ لَفْظٍ مَدْحٍ بَدَأَ مِنَ السَّنِ الدِّيمِ  
الابداع

إِبْدَاعُ نَظْمِهِمْ دَمْعِي جَلًّا وَحَلًّا إِبْدَاعُ نَثَرِهِمْ سَمْعِي كُنْظُهُمْ  
التفريع

مَا تَسْمَةُ حَمَلَتْ مَسْكَاً لَطَائِفُهَا يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْ تَفْرِيعِ فَضْلِهِمْ  
الملح في معرض الذم

فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ مَذْحَاقٌ خَصَصْتُ بِهِمْ لَأَعِيبَ فِيهِمْ سِوَى الْإِيْقَاءِ بِالذَّمِّ  
الجناس المرفل

وَبِأَلَا يَأْدِي أَيْدِيهِمْ سَمَتْ كَرَمًا فَرَّاحٌ يَرْفُلُ بِالْإِثْرَاءِ ذُو الْعَدَمِ  
الكناية

تَرَأَحُمُ لِقَافَةٍ يُسْرِعُونَ إِلَى فُرَاتِهِمْ ذَا يُكْنِي عَنْ سَخَائِهِمْ  
التوزيع

عَلَى الْعُقَاةِ جَمِيعًا وَزَعُوا نِعْمًا فَعَادَ أَعْوَزُهُمْ بِالْعِزِّ وَالْعِظَمِ  
الاشتراك

سَادُوا بِصَدْرِ غَدَا بِالْعِزِّ مُشْتَرَكًا صَدَرَ الْجُلُوسِ عَلَى كُرْسِيِّ قَضَائِهِمْ  
الموازنة

مُؤَاوِزٍ وَاتِنٍ مُسْتَرْكِينَ حَسَنٍ مُسْتَعَانٍ فَاتِنٍ مُسْتَمْتَكِنٍ فَحْمٍ  
المؤتلف والمختلف

فَجَمْعُ يُؤْتَلَفُ فِيهِمْ وَتُخْتَلَفُ حُكْمًا وَفَضْلًا فَيَسْمَعَانِ بِذَلِكَ سَمِي  
الايضاح

مَا بَيْنَهُمْ صَخْرَةٌ لِلْحَقِّ مُوضِحَةٌ بَنَى الْمَسِيحُ عَلَيْهِمَا يَتَّ جَمْعُهُمْ



الجناس المركب المجموع

جَادُوا بِأَنفُسِهِمْ حُبًّا كَمَا لَهُمْ وَجَعُ تَرْكِيْبِ فَضْلِ فِي كَمَا لَهُمْ  
الإرداف

وَأَرَدُوا الْعَزْمَ بَأْسًا أَسْكَنُوهُ مَحَلًّا مِ الْحَبِّ فِي السَّيْرِ لِلْبُشْرَى بِرَبِّهِمْ  
الاتساع

بَيْضُ الْمَفَارِقِ بَلْ طَهَّرُ النَّفُوسِ هُمْ وَبِاتِّسَاعِ الْحِجَى فَارُوا بِقَصْدِهِمْ  
الاستبعا

يَسْتَشْعُونَ نَجْحُضِ النَّصْحِ فَعَلَ هُدًى وَيَحْفَظُونَ ثِقَاهُمْ حِفْظَ دِينِهِمْ  
المردد

وَمِنْ مُرَدِّدٍ إِنْذَارٍ حَكْوَهُ فَذُو مِ الْهَوَى هَوَى كَذَلِكَ الْعَابِدُ الصَّغْمِ  
الترصيع

هُمْ رَضَعُوا أَدَبًا مِنْ دُرِّ لَفْظِهِمْ كَمْ أَدَعُوا خُطْبًا فِي سِرِّ وَعَظِهِمْ  
إيتلاف اللفظ مع الوزن

تَأَلَّفَ اللَّفْظُ مَعَ وَزْنٍ بِمَدْحِهِمْ لِرَبِّهِمْ ضَمْنَ نَظْمٍ فِيهِ مُنْسَجِمٍ  
إيتلاف اللفظ مع المعنى

الَلْفُظِي الْمَدْحِ مَعَ مَعْنَاهُ مُؤْتَلَفٌ فَلِمَعَانِي تَرَى الْأَلْفَاظَ كَالْحَدَمِ  
الفرائد

وَكَمْ مِنْ فَرَائِدٍ دُرٍّ فِيهِ قَدْ نَظَّمُوا عِقْدَ اللَّشِيدِ فَأَعْجِبْ بِأَنْتَظَامِهِمْ  
إيتلاف المعنى مع الوزن

تُوَلَّفُ الْوِزْنَ وَالْمَعْنَى نَسَائِدُهُمْ صَحِيحَةٌ عَذْبَةٌ فِي اللَّحْنِ وَالنَّغْمِ  
التسميط

تَسْمِيطُهُمْ دُرًّا أَضْحَى بِهِ غُرًّا أَمْسَى لَنَا قَرًّا فِي لَيْلَةِ الْعَمِّ

الجمع

فَاجْلِدُوا وَلَهُمْ جَزَاءُ عَذَابٍ أَلِيمٍ نَآلَهَا مِنْ بَغْيِ جَمْعِهِمْ

جناس البعض

بَعْضٌ حَمَاقَتُهُمْ زَادَتْ حَمَاسَتَهُمْ جَوْرًا وَبَعْضٌ كَكَلْبٍ كَالْبِئْسَ

المشوش

وَشَوْشُوا الْفِرْعَ مِنْ خَدَشٍ بِهَا مَتِّهِ وَالْقَدْعُ فِي الْجَنَمِ وَالْكَفَيْنِ وَالْقَدَمِ

التشبيه

وَالْجَنَمُ إِنْ جِئْتُ تَشْبِيهَا لِحَالَتِهِ قُلْ كَالْإِنْفَالِ نُحُولًا مِنْ نَكَالِهِمْ

تجاهل العارف

تَجَاهَلَ النَّاسُ فِي عِرْفَانِ صُورَتِهِ قَالُوا أَسْقَمُ بِهِ أَمْ بِالتَّكَالِ رُمِي

المساواة

بِأَمُوتٍ سَاوَى أَمَلًا قِيَامَتُهُ فَأَوْضَحَتْ قُدْرَةَ الْأَهْوَتْ كَالْعَلَمِ

التوهم

تَوَهُيمٌ قُلُوبٍ جَلَّتْ بُشْرَى قِيَامَتِهِ جَلَّتْ بِنَصْرِ وَعَزَّتْ سَاعَةُ الْقَتَمِ

الجناس الكامل

وَبَعْدَمَا قَدْ قَضَى فِعْلَ الْجَمِيلِ إِلَى مِ الْعُلَا زَتْ قِيَا الْجَمِيلِ الْكَامِلِ الشِّمِ

الانسجام

وَمِنْ لَدُنْهُ الْمُغْزِي حَلٌّ مُنْجِمًا عَلَى تَلَامِيذِهِ كَاللُّسَنِ مِنْ ضَرَمِ

التسليم

تَسَهَّمُوا الْأَرْضَ الْبُشْرَى فَقَالَ لَهُمْ وَتَلَمِّذُوا عَمِدُوا كَلًّا مِنْ الْأَمَمِ

التمكين

جَالُوا بِتَمَكِينٍ عَزَمَ فِي بَشَارَتِهِمْ وَلَمْ يُيَاوُوا بِتَغْيِيبٍ وَسَفَكِ دَمِ

تشبيه شئين بشئين

شَأْنَانِ قَدْ أَشْبَهَا شَيْئَيْنِ فِيهِ لَنَا تَعَطُّفٌ وَنَدَى كَالنَّجْرِ وَالْدِّيمِ

التشطير

تَشْطِيرُ نِعْمَتِهِ مَا بَيْنَ أُمْتِهِ كَاللَّحْخِ فِي عِظْمٍ قَدْ كَانَ فِي الْقِسْمِ

الطي والنشر

فَا لَطِيُّ وَالنَّشْرُ وَالتَّبْدِيلُ نَعْرَمُ لِلْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْأَحْوَالِ وَالشِّيمِ

الايغال

فِي السَّغْيِ أَوْغَلَ فِي تَهْيِيدِهِ سُبُلًا إِلَى الْخَلَّاصِ حُبِّ غَيْرِ مُنْكَمِ

الاشارة

وَمِنْ إِشَارَاتِهِ بِالْوَعْظِ كَيْ تَبْتَ لَهُمْ فُنُونٌ بِهَا زَادُوا بِرَّهِمْ

الايياز

وَقَوْلُهُ مُوجَزٌ فِي ضَنْعِ نُجْمِزَةٍ إِنْ قَالَ أَشْفَى وَآخِيَا بَالِي الرِّمِ

التوشع

نَوْشِعٌ مَذْهَبُهُ فِي فَضْلِ سُلَّتِهِ مُثَبَّتُ الْأَجْدَيْنِ الْعَهْدِ وَالْدِّيمِ

التورية

وَكَمْ عُقُودٌ لَهُمْ حَلَّتْ فَوَائِدُهُ بِحُسْنِ تَوْرِيَةٍ حَلَّتْ لِسَانَ فَمِي

النوادر

كَمْ مِنْ نَوَادِرٍ بَذَلَ مَارَسَتْ يَدُهُ حَتَّى جَرَى دُمَاهَا لِلْبَذْلِ كَالْدِّيمِ

البسط

تَعَوَّدَ الْجُودَ مَعَ بَسْطِ إِرَاحَتِهِ لِلْعُودِ جَادَ بِهَا مَدًّا بِلَا سَقَمِ

الجمع مع التقسيم

جَمْعٌ تَقَسَّمَ يَوْمَ الصَّلْبِ فِي فِرْقٍ مِنْ قَاتِلٍ وَمُهِينٍ ثُمَّ مُتَقِمِ



المذهب السكلاي

فَذَهَبِي فِي كَلَامِي مِنْهُ مُنْقَذًا لَوْ لَمْ يَصِرْ بَشَرًا لَمْ نُنَجِّ مِنْ ضَرَمِ

المناسبة

لَاهُوتُهُ كَامِلٌ وَالطُّهْرُ نَاسَبُهُ نَاسُوتُهُ فَاضِلٌ فِي الْخَلْقِ وَالشَّيْمِ

ارسل المثل

فَالْحَسَنُ فِي الْخَلْقِ آرَبِي فِيهِ عَنْ مَثَلٍ وَالْفَضْلُ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ

الترديد

فَهُوَ الْبَدِيعُ لَنَا هَذَا الْبَدِيعُ سَنَى بِهِ الْبَدِيعُ حَلَا تَرْدِيدُهُ بِقَمِي

التكرار

تَكَرَّرَ دَنَجِي سَمَا بِالْوَاهِبِ النَّعَمِ مَ ابْنِ الْوَاهِبِ النَّعَمِ ابْنِ الْوَاهِبِ النَّعَمِ

الترتيب

لَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْإِنْسَانُ أَجْمَعُهُ وَمَا سِوَاهُمْ فِي التَّرْتِيبِ كَالْخَدَمِ

التشريع

لَمَّا انْحَنَى وَبَتَشْرِيعِ الْفِدَاءِ بَدَا نَلْنَا الْمَنَى فَجَبُونَا مِنْ رَدَى الْعَرَمِ

التكميل

أَوْفَى أَبَاهُ تَمَامًا دِينَ آدَمِهِ حَمْدًا لَهُ فَاقَ تَكْمِيلًا بَدَا الْكَرَمِ

الجناس المرفوع

هَيَّا مَدَارَ نَعِيمٍ قَدْ رَفَاهُ بِهِ وَطَمَّ دَارَ جَحِيمٍ حَالِكٍ الظُّلَمِ

الجناس المشتق

هَدَى إِلَى السَّبْحِ الْهَادِي بِمَقَامِهِ وَمِنْ هُدَاهُ الْخُلَاصُ أَشْتُقُّ لِلْأَمَمِ

النقل

تَمَّتْ نُقُولُ نُبُوتٍ بِهِ وَمَضَتْ بِهِ الْخَلِيلُ نَجَا مِنْ وَابِلِ الضَّرَمِ

المطمع

قَدْ طَابَ لِلنَّفْسِ فِي الْأَسْوَءِ مَطْمَعُهَا      بَلْ طَالَ فِيهَا وَلَمْ تُعْدِلْ إِلَى النَّدَمِ

الرجوع

مَا لِي رُجُوعٌ إِلَى حَالِي لِأُضِلَّهَا      بَلَى إِذَا مَعَ هُدَى رَيْي سَعَى قَدَمِي

عتاب النفس

يَا نَفْسِ عِيَارُ عَوِي وَأُصْغِي إِلَى عَنِّي      حَتَّامٌ أَنْتِ بِجَهْلٍ غَيْرِ مُنْصَرِمٍ

التسليم

هَيَّيْ لِرَعْمِكَ قَدْ سَلَّمْتُ مُرْتَضِيًّا      فَمَا يَكُونُ جَوَائِي يَوْمَ مُحْتَكَمِي

القسم

فَلَا أُنَلْتُ أَلَنِي إِنْ مِلْتُ مُتَّبِعًا      هَوَاكَ فِي غَيْرِ مَا أَهْوَى وَذَا قَسَمِي

حسن التخلص

فَرَعْبَتِي وَأَهْوَى حُسْنُ التَّخَلُّصِ مِنْ      إِثْمِي بِمَدْحٍ وَسَيْطِ النَّاسِ كُلِّهِمْ

الاطراد

يَسُوعُ بَكَرُ الْإِلَهِ ابْنُ الْبَتُولِ سُلَا      لَهُ الْمُلُوكُ وَرَبُّ فِي أَطْرَادِهِمْ

حصر الجزئي والحاقه بالكلّي

فَرَدُّهُ بِهِ تَحْصُرُ الْأَنْصَارُ أَجْمَعُهُمْ      فَالْجُزْءُ يُلْحَقُ بِالْكُلِّيِّ لِلْعَظَمِ

العكس

نَفْسُ الْجَمَالِ جَمَالُ النَّفْسِ فِيهِ بَدَأَ      يَاعَكْسُ مَنْ عَنْ سَنَا هَذَا الْجَمَالِ عَيِي

الماثلة

فَالْأَبُ مِثْلُهُ وَالرُّوحُ وَاقِفُهُ      وَالْكُنْهُ شَارِكُهُ بِالْعَظَمِ وَالْقِدَمِ

التفسير

كُنْهُهُ ثَلَاثِي أَقْنُومٍ يُفَسِّرُهُ      أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحٌ فِي وَحِيدِهِمْ

الجناس الموصل

نَفْسِي لَهُمْ عَشِقَتْ حُبًّا بِهِمْ شُغِفْتُ فَحُبُّهُمْ صِلَةٌ تُنْقِي بِهَا غَمَمِي  
الاستثناء

أَهْوَى الْخُطُوبَ بِلَا اسْتِثْنَائِهِمْ إِلَّا مَلَامَ عَذُولِي لِي لِأَجْلِهِمْ  
الجناس المهمل

كَلَّا أَلِلهُ أَمْرًا رَامَ الْوَدَادَ لَهُ وَأَهْمَلَ الْوُدَّ لِلْأَسْوَاءِ وَالْحَرَمِ  
الجناس الاخيف

أَحَلَّهُ خَيْفَ سَعْدٍ فِي لَوْأٍ نُحِبِ كَسَا شَبِيبَةً عُمَرُ جُبَّةَ السَّلَمِ  
الالغاز

مِنْ مَرَمَرٍ الرُّشْدِ خُذْ شَطْرًا بِشَطْرِ مَ يَمِينِ اللَّهِ مُنْجِمًا لِلْفَرْ تَفْتَهُمِ  
الجناس المقطع

وَأِنْ أَرَدْتَ دَوَاءَ رُزْدُرَاهُ وَرُدَّ وَأِنْ أَرَدْتَ رَوَى دَعِ وَرَدَّ ذِي زَامِ  
المحاجة

وَأَسْتَشْفِهِ فِي التَّحَاكِي مُمَعْنًا نَظْرًا بِقَوْلِهِ قَالَ لِسَا مِلْكِي وَمِنَهُ رُمِ  
الكلام الجامع

جَمْعُ الْكَلَامِ إِذَا لَمْ يَشْتَمِلْ حِكْمًا لَمْ يُلَفَّ مِنْ ذَاقَ فِيهِ لَذَّةُ الدَّسَمِ  
الاقتباس

مَنْ جَمَعَ الشُّوْكَ هَلْ مِنْ نَجْتِي عَنَّا لَمْ تُقْبَسْ لَذَّةٌ مِنْ عَاطِلِ الْكَلِمِ  
التوجيه

وَجِهَهُ إِلَى الرَّبِّ نَعْمًا أَنْتَ تَابِعُهُ يَرْفَعُكَ مِنْ خَفْضِ رُبَاتٍ إِلَى الْعِظَمِ  
عكس الإشارة

بِحَقِّ يَرْفَعُ لَمْ يَرْفَعْ إِشَارَتِهِ فَإِنَّ عَكْسَ أَسْمِهِ مَعْنَاهُ كَمَا لَعَلَّمِ



الاستدراك

قَالَ مَكْرًا بِسُقْمٍ أَنْتَ بَلْ شُغِلَ قُلْتُ مُسْتَدْرِكًا لَكِنْ بَعِثْتَهُمْ

المنافضة

إِنِّي أَنَا قِصُّ عَهْدِي لِلْحُبِّ إِذَا مَا سَبْتُ أَوْ عُدْتُ طِفْلًا بَعْدَ مَا هَرَمَ

حسن الاتباع

حُسْنُ اتِّبَاعٍ لَهُمْ فَلِي أَصْطَفَاهُ هَوَى قَالِقَلْبُ عِنْدِي لِعَيْرِ الْعِشْقِ لَمْ يَقُمْ

تشابه الاطراف

تَشْبِيهُ أَطْرَافٍ أَقْوَالِي سَمَا بِهِمْ بِهِمْ مَدِيحِي غَدَا فِي أَبْلَغِ الْحَكَمِ

السهولة

سُهُولَةُ النَّظْمِ تَحَلُّوْا فِي مَدِيحِهِمْ لَا فِي مَدِيحِ الطَّبَا وَالْعِيْدِ لِلْحَشَمِ

الجناس الحالي او المعجم

نَبَذْتُ تَفْنِينَ تَشْيِبُ بِذِي شَعْفٍ يَفْتَنُ فِي عُجْبِ جَفْنِ جُنَّ بِالْجَمِّ

التهمك

بِهِمْ رَأَى عِزَّهُ تِيهَا فَذَلَّ بِهِمْ تَهَكُّمًا قُلْتُ يَا بُشْرَاكَ بِالْسَدَمِ

الهجاء في معرض المدح

بِمَعْرِضِ الْمَدْحِ قَدْ يَهْجُوكَ قَائِلُهُ مَا مِثْلُكُمْ بِأَحْتِمَالِ الضَّرِّ وَالرَّغَمِ

الابهام

كَمْ زَادَ ابْنَاهُمْ نَضْحِي ذَا الْعُدُولِ وَكَمْ يَأْلَيْتَ ابْنَاهُمُ فِي حَيْرِ الْعَدَمِ

التضاد

تَرَهَّتْ سَمْعِي بِحَقِّ عَنْ نَصَائِحِهِ إِذْ لَمْ أَرِ الْحَقَّ فِي قَوْلٍ وَلَا كَلِمِ

المغايرة

أَغَايِرُ النَّاسِ فِي حَيِّ لِيْ عَذَلٍ سَسْطَقًا فَمَهْ حُبًّا لِيْ ذُرَاهِمِ

الارقط

قَدْ خَابَ مَنْ مِنْهُ يَرْجُو خُطَّةً وَجَدَى وَشَانَ رَقْطُهُ بِهِ قَدْ بَانَ مِنْ أَضْمٍ

الاتفات

فَمَا التَفْتُ إِلَى مَكْرِ بِتَوْشِيَةٍ عَرَجَ رِكَابَكَ عَنْ تِيهِ إِلَى اللَّقَمِ

الجناس المقلوب المستوي

حَرَفَ أَخَا كَرْبٍ بَرَكَ أَخَا فَرَحٍ فَيَسْتَوِي الْقَلْبُ بِالْأَفْرَاحِ لَا أَنْعَمَ

المواربة

يَا لَأَيِّ خَلٍ قَوْلًا فِي مُوَارَبَةٍ فَعَاقِلُ أَنْتَ يَا ذَا الْعَدْلِ فَاسْتَقِمِ

الالتزام

إِنِّي لَمُلْتِمٌ خُلْدًا بِحُجَّتِهِمْ حَتَّى الْمَنَآيَا بِهَا عَيْشٌ لِصِهِمْ

رد العجز على الصدر

بِهِمْ أَرَدْتُ عَلَى صَدْرِ الْمُخَاصِمِ عَجْ زَهُ وَأَخْزِي الْعِدَى يَوْمَ الْوَعَى بِهِمْ

المقابلة

إِنْ رَحْتُ مُزْعِجًا خَوْفًا بِمَسْئَلَةٍ فَقَا بُلُوهُ بِالْشِّقَا وَالْأَمْنِ وَالنِّعَمِ

المراجعة

قَالَ أَسْلَهُمْ قُلْتُ حَاشَا لِي فَرَاغِعِي فَقَالَ دَعَهُمْ فَقُلْتُ السَّمْعُ فِي صَمِّمِ

الهزل الذي يزداد به الجد

بِالْجِدِّ هَارَ لَنِي وَالِدَمْعُ مُنْسَجِمٌ فَقَالَ أَرَوْهُ الظَّمَا مِنْ مَنَهْلٍ شَمِّمِ

القول بالموجب

قَوْلِي لَهُ مُوجِبٌ إِذْ قَالَ أَنْتَ لَهُمْ سَالٍ فَقُلْتُ لِحِجْسِي مِنْ سَعِيرِهِمْ

المتراكم

قَدْ قَدْ قَدْ فَوَادِي عَضْبُ غَيْبَتِهِ مِنْهَا تَرَاكَمَتِ الْأَخْزَانُ مِنَ الْيَمِي

الاستعارة

إِنِّي أَسْتَعَرْتُ حَيَادَ الدَّمْعِ فِي سَفَرِي جَرِيًّا وَرَاءَ مَتَابِ فِي سَبِيلِهِمْ

الجناس المعنوي

وَعَدْتُ بِأَسْمِ ابْنِ رَعْدٍ ثُمَّ بِأَسْمِ أَبِي اسْتَحَقَّ يَامَعْنَوِيٍّ فِي الْهَوَى بِهِمْ

الاستطراد

مُسْتَطَرِدًّا فِي هَوَاهُمْ خَيْلٌ مُنْعَطَفِي كَادُمِي قَدْ جَرَتْ شَوْقًا لِقُرْبِهِمْ

الاستخدام

سَقَى إِلَاهُ الْحَيَا خَيْلًا رَعْنَهُ قَدْ أَسَّ تَحْدُمُهَا قَصْدًا إِذْ رَأَى لَوْضِلِهِمْ

التخيير

بِرَبْعِهِمْ قَدْ تَحَيَّرْتُ الْعَنَاءَ وَلَا مَ الْبَقَاءَ فِي سَعَةٍ فِي غَيْرِ رَبْعِهِمْ

التذييل

أَذُهُ تَذْيِيلَ عَذْلٍ طَالَ مِنْكَ كَفْيَ يَاعَازِلِي الْعَذْلُ مَذْمُومٌ مِنَ الْأَمْرِ

الايذاء

وَعِنْدَ إِيدَاعِهِ سَمِعِي مَلَامَتَهُ مَرَجْتُ دُمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بَدَمِ

الجناس اللفظي و جناس القلب

قَدْ ضَلَّ رَأْيَا بِطَعْنٍ ظَلَّ يَلْفِظُهُ فَأَلْقَلْبُ مَا حَالَ مِنْ لَاحٍ عَنِ الدِّمَمِ

الاكتفاء

لَمْ يَكْتَفِ الْعَازِلُ النَّهْمَ مِنْ حَيْلٍ فَكَمْ لِذَاكَ خَبَا لِلْعَاشِقِينَ كَمِي

التفويف

إِرْحَمْ وَدَعْ وَاتَّبِدْ وَاشْفَقْ وَلِنْ وَارْحْ فَوْفَ وَوَشَّ وَجَدُوا أَنْظِمَ وَوَقَّ وَهَمِ

الملفق

أَبَى نَوَالِي بِالْتَلْفِيقِ مِنْهُ كَمَا أَبَانَ وَآلِي وَجَدٍ عَنْ وَلَائِهِمْ



بديعة الخوري الفاضل ارسانوس الفاخوري

مدح بها السيد المسيح ورسله الاطهار

وهي مشتملة على مائة وثمانين نوعاً مع التزام تسمية النوع

براعة المطام

بَرَاةُ الْمَدْحِ فِي نَجْمِ ضِيَاءِ سَمِي تَهْدِي بِمَطْلَعِهَا مَنْ عَنْ سَنَاهُ عَمِي

الجناس المطلق والمركب

تَطْلِقُ هَمِي بِتَرْكِيبِ الْمَدِيحِ لَهُ رُخٌ لِي إِلَيْهِ بِهِ رُحِي كَذَا هَمِي

الجناس المذيل

سَنَاهُ فِي الْكَوْنِ بَاهٍ بَاهِرٌ عَجِبٌ وَذَيْلُ الْكَوْنِ نُورًا مَاحِقَ الظُّلَمِ

الجناس اللاحق

دَرْبُ الْهُدَى مَنْ بِهِ قَدْ سَارَ الْحَقَّةُ كَمْ حَائِرٍ بَائِرٍ بِالرُّشْدِ مِنْهُ رُمِي

الجناس التام والمطرف

أَتَمَّ بَدْرَ السَّمَاءِ وَضَبَّاحُهُ وَمَا فَإِنْ هَوَيْتُ بِهِ التَّطْرِيفَ لَمْ أَلَمْ

الجناس المصحف والمخرف

أَرَا حَ تَضْحِيْفُهُ ذِهْنًا أَرَا حَ لَهُ تَحْرِيفُ قَوْلِ غَدَا فِي الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ

الافتنان

فَاقَ أَفْتِنَانِي وَمَدَحِي فِي مَحَاسِنِهِ يَا تَعْسَ عُمْرٍ مَضَى بِالْمَدْحِ لَمْ يَقُمْ

المطابقة

فَلَمْ أَطَاقُ عَلَى بُعْدِ الْأَحْبَةِ بَلْ إِيَّيْ أَطَاقُ فِي قُرْبِي لِحُدْرِهِمْ

سلامة الاختراع

سَلَامَتِي فِي اخْتِرَاعِي نَظْمَ قَافِيَةٍ أَرْجُو بِهَا الظُّلَمَ فِي أَجْزَاءِ سِلْكِهِمْ

وَسَمَاهُ التَّخْرِيرَ وَنَمَوْا أَحْمَدُ كِتَابٍ صُنِفَ فِيهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَّكِلْ عَلَى النُّقْلِ  
 دُونَ النَّقْدِ . وَذَكَرَ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى أَرْبَعِينَ كِتَابًا فِي هَذَا الْعِلْمِ  
 وَالْبَدِيعِيَّاتُ الْمَشْهُورَةُ هِيَ بَدِيعَةُ الشَّيْخِ الْأَدِيبِ صَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ  
 سَمَّاها كَافِيَةُ الْبَدِيعَةِ وَشَرَحَهَا شَرْحًا حَسَنًا . حَدَا حَدُّهُ الشَّيْخُ عَبْدُ  
 الرَّحْمَنِ الْحَمِيدِيُّ . وَبَدِيعَةُ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ الرَّعْنِيِّ أَلْمُتَوَقَّى سَنَةَ  
 ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) وَهَذِهِ الْبَدِيعَةُ تُعْرَفُ بِدِيعَةِ الْعَمِيَانِ . وَبَدِيعَةُ  
 الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ الْأَنْدَلُسِيِّ أَلْمُتَوَقَّى  
 سَنَةَ ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وَبَدِيعَةُ الشَّيْخِ عَزِّ الدِّينِ الْمُوَصِّلِيِّ وَوَجِهِ  
 الدِّينِ أَلِيمِنِي أَلْمُتَوَقَّى فِي حُدُودِ سَنَةِ ٨٠٠ هـ (١٣٩٨ م) وَبَدِيعَةُ  
 الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ حِجَّةِ الْحَمَوِيِّ أَلْمُتَوَقَّى سَنَةَ ٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م)  
 وَسَمَّاها التَّقْدِيمَ تَشْتِمِلُ عَلَى مِئَةِ وَسِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ نَوْعًا ثُمَّ شَرَحَهَا شَرْحًا  
 مُفِيدًا وَهُوَ مَجْمُوعُ آدَبٍ قَلَّ أَنْ يُوجَدَ فِي غَيْرِهِ . وَبَدِيعَةُ الشَّيْخِ جَلَّالِ  
 الدِّينِ السُّيُوطِيِّ أَلْمُتَوَقَّى سَنَةَ ٩١١ هـ (١٥٠٠ م) وَتُسَمَّى نَظْمُ  
 الْبَدِيعِ ثُمَّ شَرَحَهَا . وَبَدِيعَةُ الْفَاضِلَةِ عَائِشَةَ الْبَاعُونِيَّةِ نَظَمَتْهَا عَلَى  
 مِثَالِ قَصِيدَةِ الْحَمَوِيِّ مَعَ عَدَمِ تَسْمِيَةِ النَّوعِ . وَأَتَى بَعْدَهَا الشَّيْخُ  
 عَبْدُ الْقَيِّ النَّابُلُسِيُّ وَنَظَّمَ قَصِيدَتَيْنِ أَلْتَزَمَ بِأَحَدَاهُمَا تَسْمِيَةَ النَّوعِ

basma

Broch II 150

Broch II 272

Broch II 150

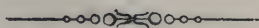
114. S. 100 al. 100

Broch II 16

كتاب الادب

pub. Cairo 130

Broch II 158



## البحث الخامس

### في تاريخ علم البديع وفي اصحاب البديعيات

( عن كشف الظنون باختصار وتصرف )

اعلم ان قداماء المصنفين كانوا يذكرون هذا الفن في آخر علم البيان . الا ان المتأخرين زادوا عليه شيئاً كثيراً ونظموا فيه قصائد ولفوا كتباً . ومن الكتب المختصة بعلم البديع كتاب لابي اعباس عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ( ٩٠٩ م ) وهو اول من صنف فيه . وكان جملة ما جمع منها سبعة عشر نوعاً ألفه سنة ٢٧٤ هـ ( ٨٨٧ م ) . وعاصره قدامة بن جعفر الكاتب فجمع منها عشرين نوعاً توارد معه على سبعة منها فتكامل لهما ثلاثون نوعاً ويعرف كتابه بنقد الشعر . اما السكاكي فله يذكرون انواع البديع سوى تسعة وعشرين نوعاً . ثم اقتدى الناس بقدامة وابن المعتز فكان غاية ما جمع منها ابو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ( ١٠٠٥ م ) سبعة وثلاثين نوعاً ويعرف كتابه بكتاب الصناعتين . ثم جمع فيها ابن الرشيقي القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) في العنودة مثلاً وأضاف إليها خمسة وستين باباً في احوال الشعر واغراضه . وتلاهما شرف الدين التيفاشي فبلغ بها السبعين . ثم تصدى لها الشيخ زكي الدين بن ابي الاضبع فأوصلها الى التسعين وأضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين سلماً له منها عشرون . وأجرى تلك الانواع في الآيات القرآنية



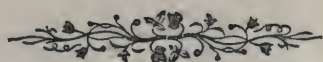
قَالَ : ( إِنْ زَيْدًا قَائِمٌ ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي ( زَيْدٌ قَائِمٌ ) كَانَ خَطَأً .  
كَذَلِكَ الْبَيَانُ لَوْ قَالَ : ( زَيْدٌ جَوَادٌ ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي ( زَيْدٌ كَثِيرُ  
الرَّمَادِ ) أَوْ قَالَ : ( زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي ( زَيْدٌ جَوَادٌ )  
كَانَ خَطَأً

### البحث الرابع

### في اقسام البديع

( عن شرح بديعة العميان )

اعْلَمْ أَنَّ الْبَدِيعِيَّينَ نَصُّوا عَلَى أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِأَيِّنَ :  
بَابِ الْبَلَاغَةِ وَبَابِ الْفَصَاحَةِ . فَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِالْمَعْنَى أَوْ بِالْمَعْنَى  
وَاللَّفْظِ مَعًا فَهُوَ مِنْ بَابِ الْبَلَاغَةِ . وَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِاللَّفْظِ  
فَقَطُّ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْفَصَاحَةِ . فَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : قِسْمٌ يَتَعَلَّقُ  
بِالْمَعْنَى فَقَطُّ كَالْتَّوْرِيَّةِ وَتَجَاهُلِ الْعَارِفِ وَمَا جَرَى جَرَاهُمَا يَمَّا لَا تَعَلُّقَ  
لَهُ بِاللَّفْظِ . وَقِسْمٌ بِاللَّفْظِ فَقَطُّ كَالْتَّجْنِيسِ وَرَدِّ النُّعْجِزِ عَلَى الصَّدْرِ  
وَنَحْوِهِمَا يَمَّا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْمَعْنَى . وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى كَالْمُطَابَقَةِ  
وَالْمُقَابَلَةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا يَمَّا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فِيهِ حَظٌّ .  
وَأَسْقَطَ صَاحِبُ الْإِيضَاحِ هَذَا الْقِسْمَ وَجَعَلَ الْبَدِيعَ قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ  
يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْنَى وَهُوَ الْآيَيْنُ



الْمَعَانِي وَانْصَحَا عِلْمُ الْبَدِيعِ لِأَنَّهُ مُتَرَكِّبٌ مِنَ الْفَنَيْنِ الْآخَرَيْنِ  
 وَزِيَادَةٍ وَالْقَاعِدَةُ أَنَّ الْأَخَصَّ يَتَرَكَّبُ مِنَ الْأَعَمِّ وَزِيَادَةٍ . وَعِلْمُ  
 الْبَيَانِ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا فَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْمَعَانِي مُنْدَرِجٌ تَحْتَ الْبَدِيعِ  
 وَكُلُّ بَدِيعٍ مُسْتَلَزِمٌ لِلْمَعَانِي وَالْبَيَانِ لِأَنَّهُمَا جُزْءَاهُ . وَكُلُّ بَيَانٍ مُسْتَلَزِمٌ  
 لِلْمَعَانِي لِأَنَّهُ جُزْؤُهُ وَلَيْسَتْ الْمَعَانِي مُسْتَلَزِمَةً لِلْبَيَانِ وَلَا لِلْبَدِيعِ إِذْ  
 يُوجَدُ بَدُونَهُمَا وَذَلِكَ مِنْ كَلَامٍ طَائِقٍ مُقْتَضَى الْحَالِ وَلَمْ تُعْلَمْ كَيْفِيَّةُ  
 طُرُقِ دَلَالَتِهِ وَلَا وُجُوهُ تَحْسِينِهِ . وَلَا الْبَيَانُ مُسْتَلَزِمٌ لِلْبَدِيعِ إِذْ يُوجَدُ  
 بَدُونَهُ فِي كَلَامٍ طَائِقٍ مُقْتَضَى الْحَالِ وَعُلِمَتْ كَيْفِيَّةُ طُرُقِ دَلَالَتِهِ  
 وَوُجُوهُ تَحْسِينِهِ . وَإِذَا عَلِمْتَ مَا قَرَّرْنَاهُ فَأَلْمَعَانِي وَالْبَيَانُ بِالنِّسْبَةِ  
 إِلَى الْبَدِيعِ كَالْحَيَوَانِ وَالنُّطْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ فَلَا يُوجَدُ الْبَدِيعُ  
 بَدُونَهُمَا كَمَا لَا يُوجَدُ الْإِنْسَانُ بَدُونِ الْحَيَاةِ . وَالنُّطْقُ وَالْمَعَانِي بِالنِّسْبَةِ  
 إِلَى الْبَيَانِ كَالْحَيَوَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النُّطْقِ فَتُوجَدُ الْمَعَانِي بِلَا بَيَانٍ  
 كَمَا يُوجَدُ الْحَيَوَانُ بِلَا نطقٍ . وَلَا يُوجَدُ الْبَيَانُ بِلَا مَعَانٍ كَمَا لَا يُوجَدُ  
 النُّطْقُ بَدُونِ الْحَيَوَانِ . وَهَذَا بَسْطُ مَا يُوجَدُ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْفُنُونِ  
 الثَّلَاثَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَافْتَرَقُ بَيْنَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ أَنَّ الْمَعَانِي رَاجِعَةٌ  
 إِلَى مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضِيعَةِ وَالْبَيَانُ رَاجِعٌ إِلَى  
 مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ . فَكَمَا أَنَّ الْبَدِيعَ لَا بُدَّ لَهُ فِي  
 الْمَعَانِي مِنْ مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ بِاعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْوَضِيعَةِ . كَذَلِكَ  
 فِي الْبَيَانِ لَا بُدَّ لَهُ أَيْضًا مِنْ مُطَابَقَةِ الْحَالِ بِاعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ  
 فَلَوْ قَالَ فِي الْمَعَانِي : ( زَيْدٌ قَائِمٌ ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي ( إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ ) . أَوْ

فِي الْوَجَنَاتِ وَالشَّيَةِ فِي الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَاتِ . وَإِذَا كَثُرَ الْعِلْجُ فِي  
 أَطْعَامِ وَالْخَيْلَانُ فِي الْحَدِّ وَالشَّيَةِ فِي الْخَيْلِ قَبِجَ ذَلِكَ وَخَرَجَ عَنْ  
 بَابِ الْأَسْتِحْسَانِ فَكَذَلِكَ الْبَدِيعُ إِذَا كَثُرَ وَتَكَلَّفَ تَجَهُ الطَّبَاعُ  
 وَأَمَّا يُسْتَحْسَنُ إِذَا وَقَعَ فِي الْكَلَامِ سَهْلًا عَلَى الطَّبَاعِ مُسْتَعْدَبًا  
 فِي الْأَسْمَاعِ عَارِيًا مِنْ التَّكْلُفِ الَّذِي يَذْهَبُ بِالْحُسْنِ وَأَقْعًا مَوْقِعَ  
 الزَّهْرِ مِنَ الْغُضَنِ فَإِذَا فَرَطَ فِي الزِّيَادَةِ خَاطَبَتْهُ الطَّبَاعُ :  
 لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ ذُرِّيَّتَكُمْ وَأَعَذِبُ يُفْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

### البحث الثالث

## في نسبة علم البديع الى علمي المعاني والبيان

( من شرح بدعيّة المعيان ايضاً )

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ أَنَّ عِلْمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ دَاخِلَانِ فِي حَدِّ  
 الْبَدِيعِ عَلِمْتَ أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَيْهِمَا نِسْبَةُ الْمُرَكَّبِ إِلَى مُفْرَدَاتِهِ إِذْ لَا يَدْخُلُ  
 فِي الْحَدِّ إِلَّا مَا هُوَ مِنْ مُفْرَدَاتِ الْمَحْدُودِ الَّتِي تَرْكَّبَ مِنْهَا . فَكَمَا أَنَّ  
 الْمُرَكَّبَ لَا يَسْتَقِيمُ وُجُودُهُ إِلَّا بِوُجُودِ مُفْرَدَاتِهِ كَذَلِكَ الْبَدِيعُ لَا يَسْتَقِيمُ  
 إِلَّا بِوُجُودِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ فَإِذَا عُدِمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ مِنَ الْكَلَامِ عُدِمَ  
 الْبَدِيعُ مِنْهُ لِأَنَّ الْمُرَكَّبَ يُعَدُّ بِعَدَمِ مُفْرَدَاتِهِ فَلَوْ وَجَدَ كَلَامٌ خَالٍ مِنْ  
 سَابِقَةٍ مُقْتَضَى الْحَالِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي أَوْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ طُرُقِ  
 الدَّلَالَةِ فِي الظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِوُجُودِهِ  
 تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَدِيعًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ أَعَمَّ هَذِهِ الْفُنُونِ الثَّلَاثَةِ عِلْمُ



## البحث الثاني

في ان البديع احد علوم الادب الستة

( عن بديعية العبدان )

وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ إِمَّا أَنْ تَبْتَثَ  
عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي وَضَعَ لَهُ اللَّفْظُ وَهُوَ عِلْمُ اللَّغَةِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْتَثَ  
عَنْ ذَاتِ اللَّفْظِ بِحَسَبِ مَا يَغْتَرِيهِ مِنَ الْحَذْفِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَلِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ وَهُوَ عِلْمُ التَّصْرِيفِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْتَثَ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي يُفْهَمُ  
مِنَ الْكَلَامِ الْمُرَكَّبِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ وَهُوَ عِلْمُ  
الْعَرَبِيَّةِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْتَثَ عَنْ مُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ بِحَسَبِ  
الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ وَهُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي . وَإِمَّا أَنْ تَبْتَثَ عَنْ طُرُقِ دَلَالَةِ  
الْكَلَامِ إِيضًا وَخَفَاءَ بِحَسَبِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَهُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ .  
وَإِمَّا أَنْ تَبْتَثَ عَنْ وُجُوهِ تَحْسِينِ الْكَلَامِ وَهُوَ عِلْمُ الْبَدِيعِ . فَالْعُلُومُ  
الثَّلَاثَةُ الْأُولَى لَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا إِلَّا بِكَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا .  
لِأَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِيهَا أَلْفَاظُهُ . وَالْعُلُومُ الثَّلَاثَةُ الْآخِرَةُ يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا  
بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤَلِّدِينَ لِأَنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَعَانِي وَلَا  
فَرْقَ فِيهَا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمُؤَلِّدِينَ إِذْ هُوَ أَمْرٌ رَاجِعٌ إِلَى  
الْعَقْلِ وَلِذَلِكَ قِيلَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ الْإِسْتِشْهَادُ بِكَلَامِ الْبُخَّارِيِّ  
وَأَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ وَأَبِي الْعَلَاءِ وَهَلَمَّ جَرًّا . ( وَهَذَا تَنْبِيْهُ )  
وَهُوَ أَنَّ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ فِي الْكَلَامِ كَالْعِلْمِ فِي الطَّعَامِ وَالْحَالِ

( الْمُطَابِقُ لِمُقْتَضَى الْحَالِ ) فَضْلٌ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بِوُجُوهٍ تَحْسِينِ  
 الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يُطَابِقْ مُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ هَذَا لَا يُسَمَّى بَدِيعًا .  
 وَقَوْلُهُ : ( الْمَعْلُومَةُ كَيْفِيَّةٌ طَرِيقُهُ إِلَى آخِرِهِ ) فَضْلٌ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بِوُجُوهٍ  
 تَحْسِينِ الْكَلَامِ الَّذِي يُطَابِقُ مُقْتَضَى الْحَالِ وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفِيَّاتِ  
 طَرِيقِ دَلَالَتِهِ فَإِنَّ هَذَا لَا يُسَمَّى بَدِيعًا . فَتَحْصُلُ مِنْ هَذَا الْحَدِّ أَنَّ  
 الْعِلْمَ بِوُجُوهٍ تَحْسِينِ الْكَلَامِ لَا يُسَمَّى بَدِيعًا إِلَّا بِشَرَطَيْنِ : أَنْ  
 يَكُونَ ذَلِكَ الْكَلَامُ مُطَابِقًا لِمُقْتَضَى الْحَالِ . وَأَنْ تَكُونَ كَيْفِيَّاتُ  
 طَرِيقِ دَلَالَتِهِ مَعْرُوفَةً الْوُضُوحِ وَالْخَفَاءِ . فَالشَّرْطُ الْأَوَّلُ هُوَ عِلْمُ الْمَعْنَى .  
 وَالشَّرْطُ الثَّانِي هُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ فَإِنْ عُدِمَ الشَّرْطَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا مِنْ  
 الْكَلَامِ لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِوُجُوهٍ تَحْسِينِ ذَلِكَ الْكَلَامِ بَدِيعًا . أَمَّا  
 ( مَرْتَبَةٌ ) هَذَا الْعِلْمُ فَبَعْدَ مَرْتَبَةِ عِلْمِي الْمَعْنَى وَالْبَيَانِ حَتَّى إِنْ  
 بَعْضُهُمْ لَمْ يَجْعَلْهُ عِلْمًا عَلَى حِدَةٍ فَتَأَمَّلْ . وَظَهَرَ مِنْ هَذَا مَوْضُوعُهُ  
 وَغَرَضُهُ وَغَايَتُهُ . وَأَمَّا مَنَفَعَتُهُ فَالظَّهَارُ رَوِّقَ الْكَلَامِ حَتَّى يُلْجَ  
 الْأُذُنَ بِغَيْرِ أَذَى وَيَتَعَلَّقَ بِالْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَإِنَّمَا دَوَّنُوا هَذَا الْعِلْمَ  
 لِأَنَّ الْأَصْلَ وَإِنْ كَانَ الْحُسْنُ الذَّاتِيَّ وَكَانَ الْمَعْنَى وَالْبَيَانُ مِمَّا  
 يَكْفِي فِي تَحْصِيلِهِ لَكِنَّهُمْ اعْتَنَوْا بِشَأْنِ الْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ أَيْضًا لِأَنَّ  
 الْحُسْنَ إِذَا عَرِيَ مِنَ الْمَزِينَاتِ رُبَّمَا يَذْهَلُ بَعْضُ الْقَاصِرِينَ عَنْ تَتَبُّعِ  
 حَاسِنِهِ فَيَقُوتُ التَّمَتُّعُ بِهِ

## الفصل السابع

### في البديع

#### البحث الأول

#### في حقيقة علم البديع

( عن ابن جابر الاندلسي والحاج خلفا )

( راجع صفحة ٦٦ من علم الادب )

الْبَدِيعُ مَا خُوِذَ مِنْ بَدَعِ الشَّيْءِ يَدْعُهُ بَدْعًا إِذَا أَنْشَأَهُ وَبَدَأَهُ .  
وَيُقَالُ ابْتَدَعَ الشَّيْءُ إِذَا اخْتَرَعَهُ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ . وَالْبَدِيعُ يُطْلَقُ  
بِإِزَاءِ مَعَانٍ يُقَالُ هَذَا بَدِيعٌ أَيْ مُحَدَّثٌ عَجِيبٌ فَيَكُونُ فِي صِغَةِ  
الْمَفْعُولِ وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ صِغَةِ الْفَاعِلِ . وَمِنْهُ الْبَدِيعُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ  
تَعَالَى لِابْتِدَاعِهِ أَشْيَاءَ وَاحْدَاتِهِ إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ . وَالْبَدِيعُ أَيْضًا  
الْجَدِيدُ يُقَالُ : سِقَاءُ بَدِيعٌ وَحَبْلٌ بَدِيعٌ أَيْ جَدِيدَانِ . وَيُقَالُ : ابْدَعَ  
الشَّاعِرُ إِذَا صَنَعَ الْبَدِيعَ فِي شِعْرِهِ . وَأَمَّا الْبَدِيعُ اضْطِلَاحًا فَهُوَ عِلْمٌ  
يُعْرَفُ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمُطَابِقِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ الْمَعْلُومَةِ  
كَيْفِيَّةَ طَرَفِهِ فِي الدَّلَالَةِ وَضُوحًا وَخَفَاءً . فَقَوْلُهُ : ( عِلْمٌ ) جِنْسٌ دَخَلَ  
تَحْتَهُ كُلُّ عِلْمٍ . وَقَوْلُهُ : ( يُعْرَفُ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ ) فَضْلٌ  
أَخْرَجَ بِهِ الْعُلُومَ كُلَّهَا مَا عَدَا عِلْمَ الْعَالِيَانِ وَالْيَمَانِ وَمَا تَرَكَّبَ مِنْهَا  
لَأَنَّ غَيْرَهُمَا مِنَ الْعُلُومِ لَا يُعْرَفُ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ . وَقَوْلُهُ :



مُؤَذِّنٌ بِقَصْرِ شَأْنِهِ وَحَسَدَتِ الصَّبَاعُ الطَّيْرَ عَلَى مَكَانِهَا مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ  
مَحْسُودٍ عَلَى مَكَانِهِ . وَأَخْضَرَ خَاتَمَهُ وَهُوَ الْخَاتَمُ الَّذِي كَانَ الْأَمْرُ يُجْرَى  
عَلَى نَقْشِ اسْطُورِهِ . وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُصَدِّرَ كِتَابَ الْفَتْحِ بِحُجَّتِهِ فَحَالَ وَرُودُ  
الْمُنِيَّةِ دُونَ مَصْدَرِهِ . وَكَذَلِكَ الْبَغْيُ بَرَقَتْهُ وَيَلُّ . وَهَضَعَتْهُ جَلِيلٌ  
وَسَيْفُهُ وَإِنْ مَضَى فَلَا تَهْ عِنْدَ الضَّرْبِ كَلِيلٌ . وَالْعَسَاكِرُ الَّتِي  
كَانَتْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرْبًا صَارَتْ لَهُ سِلْمًا وَأَعْطَتْهُ أَلْبِيعةَ عِلْمًا  
بِقُضَائِهِ وَلَيْسَ مَنْ تَابَعَ تَقْلِيدًا كَمَنْ هُوَ تَابِعٌ عِلْمًا . وَهُمْ الْآنَ مُصْرَفُونَ  
تَحْتَ الْأَوَامِرِ مُتَحَنِّنُونَ بِكَشْفِ السَّرَائِرِ مُطِيعُونَ بِاللَّوَاءِ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ  
بِاسْتِفْتَاكِ الْقَالِدِ وَأَسْطِطَاءِ الْمَنَابِرِ وَعَلَى اللَّهِ ائْتِمَارُ النِّعَمِ الَّتِي أَفْتَحَهَا وَاجَابَةُ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُفْتَرَحَاتِهِ الَّتِي اقْتَرَحَهَا وَالسَّلَامُ . وَهَذَا الْكِتَابُ  
يَشْتَمِلُ عَلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ  
فَصَّلَ ذَلِكَ الْأَجْمَالَ . وَلَوْ كَتَبْتُ عَلَى وَجْهِ التَّطْوِيلِ الَّذِي لَا فَايِدَةَ فِيهِ  
أَقِيلُ : أَصْدَرَ كِتَابَهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَالتَّقَى عَسْكَرُ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ وَعَسْكَرُ عَدُوِّ الْبَاغِي . وَتَطَاعَنَ الْفَرِيقَانِ وَتَرَاحَفَ الْجَمْعَانِ .  
وَحِمَى الْقِتَالُ وَاشْتَدَّ الِتِّزَالُ . وَتَرَادَفَتِ الْكِتَابُ وَتَلَا حَقَّتِ الْمَقَابِلُ .  
وَقُتِلَ عَيْسَى بْنُ مَاهَانَ وَأَحْتَزَّ رَأْسُهُ وَتُرِعَ الْخَاتَمُ مِنْ يَدِهِ وَخُلِعَ وَثُرِكَ  
جَسَدُهُ طَعَامًا لِلطُّيُورِ وَالسَّبَاعِ وَالذَّنَابِ وَالصَّبَاعِ . وَانْجَلَّتِ الْوُقُوعَةُ عَنْ  
غَلَبِ الْخُلَيْفَةِ وَنُصْرِهِ وَخَذْلَانِ عَدُوِّهِ وَقَهْرِهِ وَالسَّلَامُ . فَهَذَا الْكِتَابُ  
يَشْتَمِلُ عَلَى تَطْوِيلٍ لَا فَايِدَةَ فِيهِ لِأَنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ مَعَانِي يَتِمُّ الْغَرَضُ بِدُونِهَا .  
فَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ وَتَامَ لَهَا وَقَسَّ عَلَيْهَا مَا يَأْتِي مِنْهَا

( الصَّرْبُ الرَّابِعُ ) أَنْ يَسْتَوْفِيَ مَعَانِي الْغُرُضِ الْمَقْصُودِ مِنْ كِتَابٍ  
 أَوْ خُطْبَةٍ أَوْ قَصِيدَةٍ . وَهَذَا أَصْعَبُ الصَّرُوبِ الْأَرْبَعَةِ طَرِيقًا أَوْ  
 أَضْيَقُهَا بَابًا لِأَنَّهُ يَتَفَرَّعُ إِلَى آسَالِيْبَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَعَانِي وَارْتِبَابُ  
 النَّظْمِ وَالذِّثْرِ يَتَفَاوَتُونَ فِيهِ وَلَيْسَ الْخَاطِرُ الَّذِي يَقْدِفُ بِالذِّثْرِ فِي  
 مِثْلِهِ إِلَّا مَعْدُومُ الْوُجُودِ وَمِثَالُهُ وَمِثَالُ الْإِيْجَازِ مِثَالُ مُجْمَلٍ وَمَفْصَلٍ .  
 وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْإِيْجَازَ وَالْإِطْنَابَ وَالَّتَطْوِيلَ بِمَنْزِلَةِ مَقْصَدٍ  
 يُسْلَكُ إِلَيْهِ بِثَلَاثَةِ طُرُقٍ : وَقَدْ أَوْرَدْتُ هَهُنَا مِثَالًا لِهَذِهِ الْآسَالِيْبِ  
 الثَّلَاثَةِ وَجَعَلْتُهَا عَلَى هَيْئَةِ الْمَقْصَدِ الَّذِي تُسْلَكُ إِلَيْهِ الطُّرُقُ الثَّلَاثَةُ ...  
 فَأَقُولُ : قَدْ وَرَدَ فِي بَابِ الْإِيْجَازِ كِتَابُ كُتُبِهِ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ  
 إِلَى الْمَأْمُونِ يُخْبِرُهُ بِهَرَمِيَّةِ عِيْسَى بْنِ مَاهَانَ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ وَهُوَ : كِتَابِي  
 إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْسِ عِيْسَى بْنِ مَاهَانَ بَيْنَ يَدَيَّ وَخَاتَمُهُ فِي يَدِي  
 وَعَسْكَرُهُ مُصْرَفٌ تَحْتَ أَمْرِي وَالسَّلَامُ . وَهَذَا كِتَابٌ جَامِعٌ لِلْمَعْنَى  
 شَدِيدُ الْإِخْتِصَارِ . وَإِذَا كُتِبَ مَا هُوَ مَعْنَاهُ عَلَى وَجْهِ الْإِطْنَابِ قِيلَ  
 فِيهِ مَا أَذْكُرُهُ وَهُوَ مَا أَنْشَأْتُهُ مِثَالًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِيُعْلَمَ بِهِ  
 الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِيْجَازِ وَالْإِطْنَابِ وَهُوَ : أَصْدَرَ كِتَابَهُ هَذَا وَقَدْ نُصِرَ  
 بِالْفِتْنَةِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْفِتْنَةِ الْكَثِيرَةِ وَأَنْقَلَبَ بِالْيَدِ الْمَلَأَى وَالْعَيْنِ  
 الْقَرِيرَةِ وَكَانَ أَنْتَصَارُهُ بِجَدِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِابْنِهِ نَصْلِهِ وَاجِدٌ أَغْنَى  
 مِنْ أَلْبَيشٍ . وَإِنْ كَثُرَتْ أَمْدَادُ خِيَلِهِ وَرَجُلِهِ وَجِيءَ بِرَأْسِ عِيْسَى بْنِ  
 مَاهَانَ وَهُوَ عَلَى جَسَدٍ غَيْرِ جَسَدِهِ وَلَيْسَ لَهُ قَدَمٌ فَيُقَالُ إِنَّهُ يَنْسَعِي  
 بِقَدَمِهِ . وَلَا يَدٌ فَيُقَالُ إِنَّهُ يَبْطِشُ بِيَدِهِ . وَلَقَدْ طَالَ وَطُولُهُ

الثَّانِي ( يُسَمَّى النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتَ وَهُوَ أَنْ يُذْكَرَ الشَّيْءُ عَلَى سَبِيلِ  
النَّفْيِ ثُمَّ يُذْكَرَ عَلَى سَبِيلِ الْإِثْبَاتِ أَوْ بِالْعَكْسِ . وَلَا بُدَّ أَنْ  
يَكُونَ فِي أَحَدِهِمَا زِيَادَةٌ لَيْسَتْ فِي الْآخَرِ وَالْأَكْثَرُ تَكَرُّرًا .  
وَالْعَرَضُ بِهِ تَأْكِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ . فِيمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ :  
لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَاعْلَمْ أَنَّ  
لِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْأَطْنَابِ فائدةً كَثِيرَةً وَهُوَ أَوْكَدُ وَجْهِهِ الْآخَرِ أَنْ  
تَرَى أَنَّهُ قَالَ : لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ  
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِي الثَّانِيَةِ  
قَوْلُهُ : وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَلَوْلَا هَذِهِ  
الزِّيَادَةُ لَكَانَ حُكْمُ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ حُكْمَ التَّكْرِيرِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ  
يَنْبَغِي أَنْ يُتَأَمَّلَ وَيُنْعَمَ النَّظَرُ فِيهِ . ( الضَّرْبُ الثَّلَاثُ ) هُوَ أَنْ  
يُذْكَرَ الْمَعْنَى الْوَاحِدُ تَامًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةٍ ثُمَّ يُضْرَبَ لَهُ مِثَالٌ  
مِنَ الشَّيْءِ . كَقَوْلِ الْجَحْزِيِّ :

تَرَدَّدَ فِي خُلُقِي سُودِدٍ سَلَحًا مُرْجِي وَبَاسًا مَيِّبًا  
فَكَالْسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِحًا وَكَالْبَجْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَيْبًا  
فَالْبَيْتُ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ لِأَنَّ الْبَجَرَ وَالسَّيْفَ لِلْبَاسِ  
الْمُهِيبِ إِلَّا أَنَّ فِي الثَّانِي زِيَادَةَ الشَّيْءِ الَّتِي تُفِيدُ تَحْيِيلًا وَتَصْوِيرًا .



تَدَاخَلَتْ مَعَانِيهِ إِذِ الْمِنَّةُ وَالصَّنِيعَةُ وَالْإِحْسَانُ مُتَقَارِبٌ بَعْضُهُ مِنْ  
بَعْضٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِتَكْرِيرٍ لِأَنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ : مِنَّةٌ وَصَنِيعَةٌ  
وَرِاحِسَانٌ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ تَكْرِيرًا . وَلَكِنَّهُ وَصَفَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ  
هَذِهِ الثَّلَاثِ بِصِفَةٍ أَخْرَجَتْهَا عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ فَقَالَ : ( وَنِّسَةٌ  
مَشْهُورَةٌ ) فَوَصَفَهَا بِالْإِشْتِهَارِ لِعَظَمِ شَأْنِهَا . ( وَصَنِيعَةٌ بِكْرٌ ) فَوَصَفَهَا  
بِالْبِكَارَةِ أَيْ أَنَّهُ لَمْ يُوْتِ بِمِثْلِهَا مِنْ قَبْلُ . ( وَرِاحِسَانٌ أَغْرُ مُجْجَلٍ )  
فَوَصَفَهُ بِالْعُرَّةِ وَالتَّجْمِيلِ أَيْ هُوَ ذُو مُحَاسِنٍ مُتَعَدِّدَةٍ . فَلَمَّا وَصَفَ  
هَذِهِ الْمَعَانِيَ التَّمَدَّاخِلَةَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ بِأَوْصَافٍ مُتَبَايِنَةٍ  
صَارَ ذَلِكَ إِطْبَاقًا وَلَمْ يَكُنْ تَكْرِيرًا . وَلَمْ أَجِدْ فِي ضُرُوبِ الْأَطْبَاقِ  
أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا الْطَفَّ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي  
شِعْرِهِ كَثِيرًا بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَقَوْلِهِ :

ذِكِّي سَجَايَاهُ تُضِيفُ ضِيُوفُهُ وَيُرْجِي مَرْجِيَهُ وَيُسَالُ سَائِلُهُ  
فَإِنَّ غَرَضَهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْمَدْحِ بِالْكَرَمِ  
وَكَثْرَةِ الْعَطَاءِ إِلَّا أَنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فَجَعَلَ ضِيُوفَهُ تُضِيفُ  
وَرَاجِيَهُ يُرْجِي وَسَائِلُهُ يُسَالُ . وَلَيْسَ هَذَا تَكْرِيرًا لِأَنَّهُ لَا يِلْزَمُ مِنْ  
كَوْنِ ضِيُوفِهِ تُضِيفُ أَنْ تَكُونَ رَاجِيَهُ مَرْجُوءًا وَلَا أَنْ يَكُونَ سَائِلُهُ  
مَسْئُولًا لِأَنَّ ضِيفَهُ يَسْتَضِيبُ ضِيفًا طَمَعًا فِي كَرَمِ مُضِيفِهِ وَسَائِلُهُ يُسَالُ  
أَنْ يُعْطِيَ السَّائِلَ عَطَاءً كَثِيرًا يَصِيرُ بِهِ مُعْطِيًا . وَرَاجِيَهُ يُرْجِي أَيْ أَنَّهُ  
إِذَا تَعَلَّقَ بِهِ رَجَاءً رَاجٍ فَقَدْ آتَقَنَ بِالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ  
يُرْجَى لِمَكَانِ رَجَائِهِ إِيَّاهُ . وَهَذَا أَبْلَغُ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ . ( الضَّرْبُ

إِلَيْهَا وَيَقُولُ : إِنَّ الرُّؤْيَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْعَيْنِ وَالْقَبْضَ لَا يَكُونُ  
إِلَّا بِالْيَدِ وَالْوُطْءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَدَمِ وَالذَّوْقَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْفَمِ .  
وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ هَذَا يُقَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْظُمُ مِثَالُهُ وَيَعِزُّ  
الْوُصُولُ إِلَيْهِ فَيَوْكَّدُ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ دَلَالَةً عَلَى نَبْلِهِ  
وَالْحُصُولِ عَلَيْهِ . وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْهُ ( عَلَى سَبِيلِ الْحِجَازِ ) فَقَوْلُهُ : فَإِنَّهَا  
لَا تَعْمَى إِلَّا أَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . فَقَادَّةُ  
ذِكْرِ الصُّدُورِ هَهُنَا أَنَّ قَدْ تُعْرِفُ وَعِلْمُ أَنَّ الْعَمَى عَلَى الْحَقِيقَةِ  
مَكَانُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ أَنْ تَصَابَ الْحَدَقَةُ بِمَا يَطْمِسُ نُورَهَا . وَاسْتِعْمَالُهُ  
فِي الْقَلْبِ تَشْبِيهُ وَمَثَلٌ فَلَمَّا أُريدَ إِثْبَاتُ مَا هُوَ خِلَافُ الْمُتَعَارَفِ  
مِنْ نِسْبَةِ الْعَمَى إِلَى الْقُلُوبِ حَقِيقَةً وَتَقْيُّهُ عَنِ الْأَبْصَارِ أَحْتَاجَ هَذَا  
الْأَمْرَ إِلَى زِيَادَةِ تَصْوِيرٍ وَتَعْرِيفٍ لِيَتَقَرَّرَ أَنَّ مَكَانَ الْعَمَى إِنَّمَا هُوَ  
الْقُلُوبُ لَا الْأَبْصَارُ . وَهَذَا مَوْضِعٌ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ كَثِيرَةٌ مُحَاسِنَةٌ  
وَإِفْرَةٌ لَطَائِفَةٌ وَالْحِجَازُ فِيهِ أَحْسَنُ مِنْ الْحَقِيقَةِ لِمَا كَانَ زِيَادَةُ التَّصْوِيرِ  
فِي إِثْبَاتِ وَصْفِ الْحَقِيقَةِ لِلْحِجَازِيِّ وَتَقْيُّهُ عَنِ الْحَقِيقَةِ . ( وَأَمَّا  
الْقِسْمُ الثَّانِي ) الْمُخْتَصُّ بِالْجَمَلِ فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى ضَرْبِ أَرْبَعَةٍ :  
( الْأَوَّلُ ) مِنْهَا أَنْ يُذَكَّرَ الشَّيْءُ فَيُؤْتَى فِيهِ بِعَمَانٍ مُتَدَاخِلَةٍ . إِلَّا  
أَنَّ كُلَّ مَعْنَى يُخْتَصُّ بِخَصِيصَةٍ لَيْسَتْ لِلْآخِرِ . وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :  
قَطَعْتَ إِلَيَّ الزَّابِيعِينَ هَبَاتُهُ      وَالثَّالثُ مَأْمُورُ السَّحَابِ الْمُسْبِلِ  
مِنْ مَنَةِ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ      بِكْرِ وَاحْسَانٍ أَعَرَ مُحَجَّجَلِ  
فَقَوْلُهُ : ( مَنَةِ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ بِكْرِ وَاحْسَانٍ أَعَرَ مُحَجَّجَلِ )



عَنِ التَّطْوِيلِ إِذِ التَّطْوِيلُ هُوَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِغَيْرِ فَائِدَةٍ .  
وَأَمَّا التَّكْرِيرُ فَإِنَّهُ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا كَقَوْلِكَ لِمَنْ  
تَسْتَدْعِيهِ : أَسْرِعْ أَسْرِعْ . فَإِنَّ الْمَعْنَى مُرَدِّدٌ وَاللَّفْظُ وَاحِدٌ . وَالتَّكْرِيرُ  
جُزْءٌ مِنَ الْإِطْنَابِ وَهُوَ أَخَصُّ مِنْهُ فَيُقَالُ حِينَئِذٍ : إِنْ كُلَّ تَكْرِيرٍ  
يَأْتِي لِغَائِدَةٍ فَهُوَ إِطْنَابٌ وَلَيْسَ كُلُّ إِطْنَابٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لِغَائِدَةٍ .  
وَأَمَّا الَّذِي يَأْتِي مِنَ التَّكْرِيرِ لِغَيْرِ فَائِدَةٍ فَهُوَ جُزْءٌ مِنَ التَّطْوِيلِ وَهُوَ  
أَخَصُّ مِنْهُ . فَيُقَالُ حِينَئِذٍ : إِنْ كُلَّ تَكْرِيرٍ يَأْتِي لِغَيْرِ فَائِدَةٍ تَطْوِيلٌ  
وَلَيْسَ كُلُّ تَطْوِيلٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لِغَيْرِ فَائِدَةٍ . وَكُنْتُ قَدَّمْتُ الْقَوْلَ  
فِي بَابِ الْإِيحَازِ بَانَ الْإِيحَازُ هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ  
زِيَادَةٍ عَلَيْهِ . وَإِذَا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْحُدُودُ الثَّلَاثَةُ الْمُسَارُ إِلَيْهَا فَإِنَّ  
مِثَالَ الْإِيحَازِ وَالْإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ مِثَالُ مَقْصِدٍ يُسَلِّكُ إِلَيْهِ فِي  
ثَلَاثَةِ طُرُقٍ : فَالْإِيحَازُ هُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ إِلَيْهِ وَالْإِطْنَابُ  
وَالتَّطْوِيلُ هُمَا الطَّرِيقَانِ الْمُسَاوِيَانِ فِي الْبُعْدِ إِلَيْهِ . إِلَّا أَنَّ طَرِيقَ  
الْإِطْنَابِ تَشْتَمِلُ عَلَى مَثَرَةٍ مِنَ الْمَثَارِ لَا يُوجَدُ فِي طَرِيقِ التَّطْوِيلِ  
وَالْإِطْنَابُ يُوجَدُ تَارَةً فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَيُوجَدُ تَارَةً  
فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالَّذِي يُوجَدُ فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ أَنْبَغُ لِاتِّسَاعِ  
الْجَمَالِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّهُ بِجُمْلَتِهِ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ )  
الَّذِي يُوجَدُ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَهُوَ يَرِدُ حَقِيقَةً وَجَهَازًا .  
أَمَّا ( الْحَقِيقَةُ ) فَمِثْلُ قَوْلِهِمْ : رَأَيْتُهُ بَعَيْنِي وَقَبْضَتُهُ بِيَدِي وَوِطْئُهُ  
بِقَدَمِي وَذُقَّتُهُ بِفَمِي . وَكُلُّ هَذَا يَطْنُ الطَّنُّ أَنَّهُ زِيَادَةٌ لَا حَاجَةَ



بِذَلِكَ أَنَّهَا تَكُونُ ذَاتَ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ قَدْ اسْتَقْصِي فِيهَا شَرْحُ تِلْكَ  
الْحَادِثَةِ مِنْ قَتْحٍ أَوْ غَيْرِهِ فَذَلِكَ مُسَلَّمٌ . وَإِنْ عَنَى بِذَلِكَ أَنَّهَا  
تَكُونُ مُكَرَّرَةً أَلْعَانِي مُطَوَّلَةً أَلْفَاطٍ قَصْدًا لِإِفْهَامِ الْعَامَّةِ فَهَذَا  
غَيْرُ مُسَلَّمٍ . وَهُوَ بِمَا لَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ أَدْنَى مَعْرِفَةٍ يَعْلَمُ  
الْفَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ . وَعَلَى هَذَا فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْكُتُبُ جَمِيعُهَا بِمَا  
يُقْرَأُ عَلَى عَوَامِ النَّاسِ وَخَوَاصِهِمْ ذَاتَ أَلْفَاطٍ سَهْلَةٍ مَفْهُومَةٍ . وَكَذَلِكَ  
الْأَشْعَارُ وَالْخُطَبُ وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ بِبُحْوَءٍ عَنْ هَذَا  
الْفَنِّ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْأَطْنَابَ لَا يَخْتَصُّ بِهِ عَوَامُ النَّاسِ وَإِنَّمَا هُوَ  
لِخَوَاصِّ كَمَا هُوَ لِلْعَوَامِّ . وَسَائِرُ حَقِيقَتِهِ وَأَحَقُّ الْقَوْلِ فِيهِ بِحَيْثُ  
تُرْوَلُ الشُّبْهَةُ الَّتِي خَبَطَ أَرْبَابُ عِلْمِ الْبَيَانِ مِنْ أَجْلِهَا وَقَالُوا أَقْوَالًا  
لَا تُعْرَبُ عَنْ فَائِدَةٍ . وَالَّذِي عِنْدِي فِيهِ : أَنَّهُ إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْأَسْمَاءِ  
وَأَشْتَقَّاقِهَا وَجَدْنَا هَذَا الْأِسْمَ مُنَاسِبًا لِمُسَمَّاهُ وَهُوَ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ  
مَأْخُوذٌ (مِنْ أَطْنَبَ فِي الشَّيْءِ) إِذَا بَالَعَ فِيهِ . وَيُقَالُ : أَطْنَبَتِ الرِّيحُ  
إِذَا اسْتَدَّتْ فِي هُبُوبِهَا . وَأَطْنَبَ فِي السَّيْرِ إِذَا اسْتَدَّ فِيهِ . وَعَلَى  
هَذَا فَإِنَّ حَمْلَهُ عَلَى مُقْتَضَى مُسَمَّاهُ كَانَ مَعْنَاهُ الْمُبَالَغَةُ فِي إِرَادِ  
الْعَلَانِي . وَهَذَا لَا يَخْتَصُّ بِنَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَإِنَّمَا  
يُوجَدُ فِيهَا جَمِيعًا إِذَا مَا مِنْ نَوْعٍ مِنْهَا إِلَّا وَيُمْكِنُ الْمُبَالَغَةُ فِيهِ . وَإِذَا  
كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُفْرَدَ هَذَا النُّوعُ مِنْ بَيْنِهَا وَلَا يُتَحَقَّقُ  
إِفْرَادُهُ إِلَّا بِذِكْرِ حَدِّهِ الدَّلَالِ عَلَى حَقِيقَتِهِ . وَالَّذِي يُجَدُّ بِهِ أَنْ  
يُقَالُ : هُوَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى أَلْعَنِ لِفَائِدَةٍ فَهَذَا حَدُّهُ الَّذِي يُمَيِّزُهُ

وَهَكَذَا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ :  
 رَبَّ خَفَضَ تَحْتَ السُّرَى وَعَنَاءٌ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٌ مِنْ شُحُوبٍ  
 وَالْعَنَاءُ دَاخِلٌ فِي الْخَفَضِ وَالْعَنَاءُ دَاخِلٌ فِي السُّرَى . وَهَذَا يَدُلُّ  
 عَلَى أَنَّ مُعْظَمَ الْمَدَارِ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ لِأَنَّ الْمَعَانِي إِذَا  
 دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الدُّخُولِ وَكَانَتْ الْأَلْفَاظُ  
 مُحْتَارَةً حَسَنَ الْكَلَامِ . وَإِذَا كَانَتْ الْمَعَانِي مُرْتَبَةً حَسَنَةً وَالْمَعَارِضُ  
 سَيِّئَةً كَانَ الْكَلَامُ مُرْدُودًا فَأَعْتَمِدَ عَلَى مَا مَثَلَتْهُ لَكَ وَقَسَّ عَلَيْهِ

### البحث الثامن

### في مواقع الاطناب

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

هَذَا النَّوعُ مِنَ الْكَلَامِ أُنْعِمْتُ تَطْرِي فِيهِ وَفِي التَّكْرِيرِ  
 وَفِي التَّطْوِيلِ فَلَكُنْتَنِي حَيَرَةُ الشَّبهِ بَيْنَهُمَا طَوِيلًا . ثُمَّ وَجَدْتُهُ أَنَّهُ  
 ضَرْبٌ مُفْرَدٌ بِرَأْسِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . لِأَنَّ مِنَ التَّأَكُّيدِ مَا  
 يَتَعَلَّقُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأَخِيرِ كَمَا مَرَّ وَهَذَا الضَّرْبُ الَّذِي هُوَ الْإِطْنَابُ  
 لَيْسَ كَذَلِكَ . وَرَأَيْتُ عُلَمَاءَ الْبَيَانِ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحْلَقَهُ  
 بِالتَّطْوِيلِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْإِيجَازِ وَهُوَ عِنْدَهُ قِسْمٌ غَيْرُهُ فَآخِطًا مِنْ  
 حَيْثُ لَا يَذَرِي كَأَيِّ هَلَالٍ الْعُسْكَرِيِّ وَالْعُلَانِي حَتَّى أَنَّهُ قَالَ :  
 إِنْ كُتِبَ الْفَتْوحُ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا مِمَّا يُقْرَأُ عَلَى عَوَامِّ النَّاسِ يَبْغِي  
 أَنْ تَكُونَ مُطَوَّلَةً مُطْنَبًا فِيهَا . وَهَذَا الْقَوْلُ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ إِنْ عَنَى

كَشَاطُهُ وَتَتَوَقَّرُ رَغْبَتُهُ فَيَتَصَرَّفُوا فِي وُجُوهِ أَلْكَلَامِ إِيحَازِهِ وَإِطْنَائِهِ  
حَتَّى اسْتَعْمَلُوا التَّكْرَارَ لِتَوْكِيدِ الْقَوْلِ لِلسَّامِعِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ  
وَفِي فَصِيحِ الشِّعْرِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ  
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .  
قَالَ مُهَاجِلٌ :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُلِّبٍ  
فَكَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ بَيْتًا . وَهَكَذَا قَوْلُ الْحَرْثِ  
أَبْنِ عَبَّادٍ :

قَرَّبًا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي

كَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ هَذَا لَمَّا كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى تَكْرِيرِهَا  
مَاسَّةً وَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِ دَاعِيَةً لِعِظَمِ الْخُطْبِ وَشِدَّةِ مَوْقِعِ الْفَتِيحَةِ فَهَذَا  
يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْأِطْنَابَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَهُمْ مُسْتَحْسَنٌ . كَمَا أَنَّ  
الْإِيحَازَ فِي مَكَانِهِ مُسْتَحَبٌّ وَلَا بُدَّ لِلْكَاتِبِ فِي أَكْثَرِ أَنْوَاعِ  
مُكَاتَبَاتِهِ مِنْ شُعْبَةٍ مِنَ الْأِطْنَابِ يَسْتَعْمِلُهَا إِذَا أَرَادَ الْمُرَاجَعَةَ بَيْنَ  
الْفُضْلَيْنِ وَلَا يُعَاقِبُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ عَظُمْتَ نِعْمًا  
عَلَيْهِ وَتَظَاهَرَ إِحْسَانُنَا لَدَيْهِ فَيَكُونُ الْفُضْلُ الْأَخِيرُ دَاخِلًا فِي مَعْنَاهُ  
فِي الْفُضْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ لَا يَعْيبُهُ أَحَدٌ . وَلَمَّا أُحِيطَ بِمُرْوَانٍ  
قَالَ خَادِمُهُ بَاسِلٌ : مَنْ أَغْفَلَ الْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ وَالصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبُرَ  
وَالْخَفِيَ حَتَّى يَظْهَرَ أَعَابَهُ مِثْلُ هَذَا . وَهَذَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ  
وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الْفُضْلَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ دَاخِلًا فِي الْفُضْلِ الْأَوَّلِ .



وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أَتَدَى خَاطِبًا لَمْ يَقُلْ لَهُ أَطِلْ الْقَوْلَ أَوْ قَصِّرْ  
 طَيِّبٌ يَدَاءُ فُنُونِ الْكَلَامِ لَمْ يَغِي يَوْمًا وَلَمْ يَهْدِرْ  
 فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ الْمُطِيلُ عَلَى الْمُقْصِرِ  
 وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْثِرِ  
 وَوَجَدَ النَّاسَ إِذَا خَطَبُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ أَطَالُوا . وَإِذَا  
 انْتَدُوا الشُّعْرَ بَيْنَ السِّمَاطِينَ فِي مَدِيحِ الْمُلُوكِ أَطْنَبُوا . وَالْإِطَالَةُ  
 وَالْإِطْنَابُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ إِيجَازٌ . وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ خَارِجَةَ : مَا  
 عِنْدَكَ فِي حَمَلَاتِ دَاحِسٍ . قَالَ : عِنْدِي قَرَى كُلِّ نَازِلٍ وَرَضَى كُلِّ  
 سَاحِطٍ وَخُطْبَةٌ مِنْ لَدُنِّ مَطْلَعِ الشُّسُ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ أَمْرٌ فِيهِمَا  
 بِالتَّوَاضُلِ وَأَنْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ . فَقِيلَ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخَزَنِيِّ : هَلَّا  
 اكْتَفَى بِقَوْلِهِ : أَمْرٌ فِيهَا بِالتَّوَاضُلِ فَقَالَ : وَأَنْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ .  
 قَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْكِنَايَةَ وَالتَّعْرِِيضَ لَا تَعْمَلُ عَمَلُ الْأَطْنَابِ  
 وَالتَّكْشِيفِ . وَقَدْ رَأَيْنَا فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ : إِذَا خَاطَبَ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ  
 أَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَ الْإِشَارَةِ . وَإِذَا خَاطَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ حَكَمَى  
 عَنْهُمْ جَعَلَ الْكَلَامَ مَبْسُوطًا . وَقُلْ مَا تَجِدُ قِصَّةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي  
 الْقُرْآنِ إِلَّا مَطْوَلَةً مَشْرُوحَةً وَمُكَرَّرَةً فِي مَوَاضِعَ مُعَادَةً لِبُعْدِ  
 قَهْمِهِمْ وَتَأَخُّرِ مَعْرِفَتِهِمْ . وَكَلَامُ الْفَصَحَاءِ إِنَّمَا هُوَ شَوْبُ الْإِيجَازِ  
 بِالْإِطْنَابِ . وَالْفَصِيحُ الْعَالِي مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ الْقَصْدِ الْمُتَوَسِّطِ  
 يُسْتَدَلُّ بِالْقَصْدِ عَلَى الْعَالِي وَلِيُخْرِجَ السَّامِعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَيَزِدَادَ

أَرَى مَوْضِعَ نُقْصَانٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : اَلْبَلَاغَةُ اَلْإِيحَاذُ فِي غَيْرِ عَجْزٍ  
وَالْإِطْنَابُ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ اَلْكِتَابَ اَلصَّادِرَةَ عَنْ  
اَلسَّلَاطِينَ فِي اَلْأُمُورِ اَلْجَسِيمَةِ وَاَلْفُتُوحِ اَلْجَلِيلَةِ وَتَفْخِيمِ اَلنِّعَمِ اَلْحَادِثَةِ  
أَوْ اَلتَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ اَلْمَعْصِيَةِ . سَبِيلُهَا أَنْ تَكُونَ  
مُسَبَّعَةً مُسْتَقْصَاةً تَمْلَأُ الصُّدُورَ وَتَأْخُذُ بِجَمَاعِ اَلْقُلُوبِ . فَأَلْإِطْنَابُ  
بَلَاغَةٌ وَالتَّطْوِيلُ عِيٌّ . لِأَنَّ اَلتَّطْوِيلَ بِمِثْرَلَةِ سُلُوكٍ مَا يَبْعُدُ جَهْلًا بِمَا  
يَقْرُبُ . وَاَلْإِطْنَابُ بِمِثْرَلَةِ سُلُوكٍ طَرِيقٍ بَعِيدٍ تَرَاهُ يَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةِ  
فَائِدَةٍ . وَقَالَ اَلْخَلِيلُ : يُخْتَصَرُ اَلْكِتَابُ لِيَحْفَظَ وَيُبَسِّطَ لِيُفْهَمَ .  
وَقِيلَ لِأَيِّ عَمْرٍو ابْنِ اَلْعَلَاءِ هَلْ كَانَتْ اَلْعَرَبُ تُطِيلُ . قَالَ : نَعَمْ  
كَانَتْ تُطِيلُ لِيُسْمَعَ مِنْهَا وَتُوجِزُ لِيَحْفَظَ عَنْهَا . وَاَلْإِطْنَابُ إِذَا لَمْ يَكُنْ  
مِنْهُ بُدْءُ إِيجَازٍ وَهُوَ فِي اَلْمَوَاعِظِ خَاصَّةً مُحَمَّدٌ كَمَا أَنَّ اَلْإِيحَاذَ فِي  
اَلْأَفْهَامِ مُحَمَّدٌ مُدَوِّحٌ . وَاَلْمَوْعِظَةُ كَقَوْلِهِ : أَفَأَمِنَ أَهْلُ اَلْقُرَى أَنْ  
يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ أَتَمُونَ . أَوْ أَمِنَ أَهْلُ اَلْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
بِأَسْنَا ضَحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا  
اَلْقَوْمُ اَلْخَاسِرُونَ . فَتَكْرِيرُ مَا كَرَّرَ مِنَ اَلْأَلْفَافِ هَاهُنَا فِي غَايَةِ حُسْنِ  
اَلْمَوْقِعِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَتَى يُحْتَاجُ إِلَى اَلْإِكْتِسَارِ . قَالَ : إِذَا عَظَّمَ  
اَلْخُطْبُ وَانْشَدَ :

صَمُوتٌ إِذَا مَا اَلدَّهْرُ زَيْنَ أَهْلِهِ      وَقَتَّاقُ أَبْكَارِ اَلْكَلامِ اَلْمُحَبَّرِ  
وَقَالَ آخَرُ :

بِرُّمُونٍ بِالْخُطْبِ اَلطَّوَالِ وَتَارَةً      وَحِي اَلْمَلَا حِظِ خَشْيَةِ اَلرُّقَبَاءِ

## البحث السابع

### في الاطناب

( من كتاب الصناعتين للعسكري )

( راجع صفحة ٧٦ من علم الادب )

قَالَ أَصْحَابُ الْأِطْنَابِ: الْمُنْطِقُ إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ وَأَلْيَانٌ لَا يَكُونُ إِلَّا بِإِسْبَاعٍ وَالشِّقَاءُ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالْإِقْتِنَاعِ . وَأَفْضَلُ الْكَلَامِ أَيْبُهُ وَأَيْبُهُ أَشَدُّ إِحَاطَةً بِالْمَعَانِي وَلَا يُحَاطُ بِالْمَعَانِي إِحَاطَةً تَامَةً إِلَّا بِالْإِسْتِغْنَاءِ . وَالْإِيحَازُ لِلْخَوَاصِّ وَالْإِطْنَابُ مُشْتَرِكٌ فِيهِ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ وَالْعَبِيُّ وَالْقَطْنُ وَالرَّيْضُ وَالْمُرْتَاضُ وَلَعْنَى مَا أُطِيلَتْ الْكُتُبُ السُّلْطَانِيَّةُ فِي إِفْهَامِ الرِّعَايَا . وَالْقَوْلُ الْقَصْدُ أَنَّ الْإِيحَازَ وَالْإِطْنَابَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمَا فِي جَمِيعِ الْكَلَامِ وَكُلِّ نَوْعٍ مِنْهُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ فَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِيحَازِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِطْنَابِ فِي مَكَانِهِ . فَمَنْ أَرَادَ التَّدْيِيرَ فِي ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ فَاسْتَعْمَلَ الْإِطْنَابَ فِي مَوْضِعِ الْإِيحَازِ وَاسْتَعْمَلَ الْإِيحَازَ فِي مَوْضِعِ الْإِطْنَابِ أَخْطَأَ . كَمَا رَوَى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ مَعَ عَجْبِهِ بِالْإِيحَازِ : مَتَى كَانَ الْإِيحَازُ أَبْلَغَ كَانَ الْإِسْتِغْنَاءُ عَيًّا وَمَتَى كَانَتْ الْكِتَابَةُ فِي مَوْضِعِ الْإِسْتِغْنَاءِ كَانَ الْإِيحَازُ تَقْصِيرًا . وَأَمَرَ خَالِدُ بْنُ يَحْيَى أَشْنِينَ أَنْ يَكْتُبَا كِتَابًا وَاحِدًا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ فَأَطَالَ أَحَدُهُمَا وَأَخْصَرَ الْآخَرُ . فَقَالَ لِلْمُخْتَصِرِ وَقَدْ نَظَرَ فِي كِتَابِهِ : مَا أَرَى مَوْضِعَ مَزِيدٍ . وَقَالَ لِلْمُطِيلِ : مَا



أَيَّ لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ . فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : لَا تَزَالُ  
 أُمِّي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْإِمَامَةَ مَغْنَمًا وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا . وَقَوْلُهُ : إِيَّاكَ  
 وَالْمَشَاوِرَةَ فَإِنَّهَا نَمِيَتْ الْعِرَّةَ وَنُجِّي الْعِرَّةَ . وَمِنْ أَلْفَاظِ هَذِهِ  
 الْفُصُولِ مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفَاظِهِ وَإِنَّمَا يُكْرَهُ تَمَيُّزُهَا كَرَاهَةِ  
 الْإِطَالَةِ . وَمِنْ نَثْرِ الْكِتَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : سَأَلْتُ عَنْ خَيْرِي وَأَنَا  
 فِي عَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا إِلَّا فَقْدَكَ وَنِعْمَةٌ لَا مَزِيدَ فِيهَا إِلَّا بِكَ . وَقَوْلُهُ :  
 عَلَّمْتَنِي نَبُوَّتَكَ سَلَوْتَكَ وَأَسْلَمَنِي يَا سَيِّ مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ عَلَيْكَ .  
 وَقَوْلُهُ : فَحَفِظَ اللَّهُ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَفِيكَ وَقَوَّلِي إِصْلَاحَكَ وَالْإِصْلَاحَ  
 إِلَيْكَ وَأَجَزَلَ مِنْ الْخَيْرِ حَظُّكَ وَالْحُظَّ مِنْكَ وَمَنْ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ .  
 وَقَالَ آخَرُ بَيَّنَّتْ مِنْ صَلَاحِكَ بِي وَأَخَافُ فَسَادِي بِكَ وَقَدْ أَطْغَبَ  
 فِي دَمِّ الْحِمَارِ مَنْ شَبَّهَكَ بِهِ . وَمِنْ الْمَنْظُومِ قَوْلُ طَرَفَةٍ :  
 سَتُبْدِيكَ الْآيَامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ  
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

تَهْدَا الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ  
 فَإِنْ تَابَتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ  
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَمَّا الَّذِي يُخَصِّصُهُمْ فَمُكْتَرٌ  
 أَمَّا الَّذِي يُطْرِبُهُمْ فَمُقِلٌّ  
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَهَابَكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ  
 عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلٌّ عَيْنِ حَبِيبِهَا  
 وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا  
 قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَوْلٌ مِنْكَ نَصِيبُهَا

أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْخَذُوفِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَى الْخَذُوفِ فَإِنَّهُ لَعَوْ مِنْ الْحَدِيثِ لَا يَجُوزُ بَوَجْهِ وَلَا سَبَبٍ .  
وَمِنْ شَرْطِ الْخَذُوفِ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ أَنَّهُ مَتَى أُظْهِرَ صَادَ الْكَلَامِ إِلَى شَيْءٍ غَثٍ لَا يُنَاسِبُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الطَّلَاوَةِ وَالْحُسْنِ وَقَدْ يَظْهَرُ الْخَذُوفُ بِالْإِعْرَابِ كَقَوْلِنَا: أَهْلًا وَسَهْلًا . فَإِنَّ نَصَبَ الْأَهْلِ وَالسَّهْلِ يَدُلُّ عَلَى نَاصِبِ مَخْذُوفٍ وَلَيْسَ لِهَذَا مِنَ الْحُسْنِ مَا لِلَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْإِعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْنَى كَقَوْلِنَا : فَلَنْ يَحُلَّ وَيَعْقِدُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ الْخَذُوفُ بِهِ بِالْإِعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْنَى أَيْ إِنَّهُ يَحُلُّ الْأُمُورَ وَيَعْقِدُهَا . وَالَّذِي يَظْهَرُ فِي الْإِعْرَابِ يَقَعُ فِي الْمَفْرَدَاتِ مِنَ الْخَذُوفَاتِ كَثِيرًا وَالَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْإِعْرَابِ يَقَعُ فِي الْجُمَلِ مِنَ الْخَذُوفَاتِ كَثِيرٌ

### البحث السادس

### في المساواة

( عن كتاب الصنائع باختصار )

( راجع صفحة ٧٥ من علم الادب )

الْمَسَاوَاةُ هِيَ أَنْ تَكُونَ الْمَعَانِي بِقَدْرِ الْأَلْفَافِ وَالْأَلْفَافُ بِقَدْرِ الْمَعَانِي لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَهُوَ الْمَذْهَبُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْإِيحَازِ وَالْإِطْبَاقِ وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ : كَانَ الْفَافَةُ قَوَالِبُ لِمَعَانِيهِ

وَرُدُّهَا لِفَائِدَةٍ . . . فَأَعْلَمَ أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي هَذَا أَنَّ التَّطْوِيلَ  
هُوَ زِيَادَاتُ الْأَلْفَافِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى وَمَهْمَا أَمَكَّنَكَ حَذْفُ  
شَيْءٍ مِنَ اللَّفْظِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى فَإِنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ  
هُوَ التَّطْوِيلُ بَعِيْنِهِ . وَأَمَّا الْأِيْجَازُ فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّهُ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى  
الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرِيدَ عَلَيْهِ . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا )  
الْإِيْجَازُ بِالْحَذْفِ وَهُوَ مَا يُحْذَفُ مِنْهُ الْمَفْرَدُ وَالْجُمْلَةُ لِذِلَالَةِ فَحْوَى  
الْكَلَامِ عَلَى التَّحْذُوفِ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيْمَا زَادَ مَعْنَاهُ عَلَى لَفْظِهِ .  
( وَالْقِسْمُ الْآخَرُ ) مَا لَا يُحْذَفُ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ ضَرْبَانِ : ( أَحَدُهُمَا )  
مَا سَاوَى لَفْظُهُ مَعْنَاهُ وَيُسَمَّى التَّقْدِيرَ . ( وَالْآخَرُ ) مَا زَادَ مَعْنَاهُ  
عَلَى لَفْظِهِ وَيُسَمَّى الْقَصْرَ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ الْإِيْجَازُ  
بِالْحَذْفِ يُتَنَبَّهُ لَهُ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ كُفَّةٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ لِمَكَانِ التَّحْذُوفِ  
مِنْهُ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَإِنَّ التَّنَبُّهُ لَهُ غَيْرُ لَاقَةٍ يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ  
تَأَمُّلٍ وَطَوَّلِ فِكْرَةٍ لِحَقَاءِ مَا يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَسْبِطُ ذَلِكَ إِلَّا  
مَنْ رَسَتْ قَدَمُهُ فِي تِمَارَسَةِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَصَادَ لَهُ خَلِيقَةٌ وَمَلَكَةٌ .  
وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا عَالِمًا هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ بِعِلَامَةٍ وَلَا قِيْدَهُمَا بِقِيْدٍ . . .  
فَنَقُولُ أَمَّا الْإِيْجَازُ بِالْحَذْفِ فَلَانَّهُ عَجِيبُ الْأَمْرِ شَيْءٌ بِالسَّخْرِ وَذَلِكَ  
أَنَّكَ تَرَى فِيهِ تَرْكَ الذِّكْرِ أَفْضَحَ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّمْتُ عَنْ  
الْإِفَادَةِ أَزِيدَ لِلْإِفَادَةِ وَتَجْدُكَ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ وَأَتَمَّ  
مَا تَكُونُ مُبَيَّنًّا إِذَا لَمْ تُبَيِّنْ وَهَذِهِ جُمْلَةٌ تُسَكِّرُهَا حَتَّى تُخَبِّرَ وَتَدْفَعُهَا  
حَتَّى تَنْظُرَ . وَالْأَصْلُ فِي التَّحْذُوفَاتِ جَمِيعُهَا عَلَى اخْتِلَافِ ضَرْبِهَا



أَقْرُوا لَعَمْرِي لِحُكْمِ السُّيُوفِ وَكَانَتْ أَحَقَّ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ  
فَإِنْ قَوْلُهُ : ( لَعَمْرِي ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا وَهِيَ حَشْوٌ  
فِي هَذَا أَلْبَيْتٍ لَا فَائِدَةَ فِيهِ إِلَّا إِصْلَاحُ الْوِزْنِ لَا غَيْرُ . أَلَا تَرَى أَنَّهَا  
مِنْ بَابِ الْقَسَمِ وَأَمَّا يَرِدُ الْقَسَمُ فِي مَوْضِعٍ يُؤَكِّدُ بِهِ الْمَعْنَى الْمُرَادُ  
إِمَّا لِأَنَّهُ يُشَكُّ فِيهِ أَوْ بِمَا يَعِزُّ وَجُودَهُ أَوْ بِمَا جَرَى هَذَا الْبَحْرُ .  
وَهَذَا أَلْبَيْتُ الشَّعْرِيِّ لَا يَفْتَقِرُ مَعْنَاهُ إِلَى تَوْكِيدٍ قَسَمِيٍّ إِذَا لَا شَكَّ  
أَنَّ السُّيُوفَ حَاصِلَةٌ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُقَرُّ لِحُكْمِهَا وَيَذَعْنُ لِطَاعَتِهَا .  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَثَرَاتِ دَهْرٍ بُلَيْتُ بِهِ الْقُدَادَةَ مِّنَ الْوَمِ  
فَقَوْلُهُ : ( الْقُدَادَةُ ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا لِأَنَّهُ يَتِمُّ بِدُونِهَا  
لِأَنَّ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ لَمْ تَنْلُهُ الْقُدَادَةُ وَلَا الْعَشِيَّ وَأَمَّا نَالَتْهُ وَنِيلَهَا أَيَّاهُ  
لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي زَمَنِ مِنْ الْأَزْمِنَةِ كَانَتْهَا مَا كَانَ وَلَا حَاجَةَ إِلَى  
تَعْيِينِهِ بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ الْبُخَّارِيِّ :

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنهَا يَا صَاحِبِي إِذَا مَضَتْ لَمْ تُرْجَعْ  
فَقَوْلُهُ : ( يَا صَاحِبِي ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهَا  
وَرَدَتْ لِتَضْحِيحِ الْوِزْنِ لَا غَيْرُ . وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تَرُدُّ فِي الْأَنْبِيَاءِ  
الشَّعْرِيَّةِ لِتَضْحِيحِ الْوِزْنِ لَا عَيْبَ فِيهَا . لِأَنَّا لَوْ عَيَّنَّاهَا عَلَى الشُّعْرَاءِ  
لَسَجَّجْنَا عَلَيْهِمْ وَضَيَّقْنَا الْوِزْنَ وَيُضْطَرُّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى مِثْلِ  
ذَلِكَ لَكِنْ إِذَا وَرَدَتْ فِي الْكَلَامِ الْمَشُورِ فَإِنَّهَا إِنْ وَرَدَتْ حَشْوًا  
وَلَمْ تَرُدْ لِفَائِدَةٍ كَانَتْ عَيْبًا . وَقَدْ تَرُدُّ فِي الْأَنْبِيَاءِ الشَّعْرِيَّةِ وَيَكُونُ

طُلُوعُ الشَّيَا بِالطَّيَا وَسَابِقُ إِلَى غَايَةٍ مَن يَتَذَرُهَا يُقَدِّمُ  
فَصَدْرُ هَذَا أَلْبِتِ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَعَجْزُهُ مِنْ مُحَاسِنِ  
الْكَلَامِ الْمُتَوَاصِفَةِ . وَمَوْضِعُ التَّطْوِيلِ مِنْ صَدْرِهِ أَنَّهُ قَالَ :  
(طُلُوعُ الشَّيَا بِالطَّيَا) فَإِنَّ لَفْظَةَ الطَّيَا فَضْلُهُ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا .  
وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْتَلُو الْأَمْرُ فِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ سَابِقُ  
الْهِمَّةِ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ كَمَا قَالَ الْأَنْحَاظُ عَلَى الْمُنْبَرِ عِنْدُ وُصُولِهِ الْعِرَاقَ :  
أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاعُ الشَّيَا . أَيْ أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْهُورُ السَّابِقُ إِلَى  
مَعَالِي الْأُمُورِ . فَإِنْ أَرَادَ التَّحْجِيزُ بِقَوْلِهِ : (طُلُوعُ الشَّيَا) مَا أَشْرَفَتْ  
إِلَيْهِ فَذِكْرُ الطَّيَا يُفْسِدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَعَالِي الْأُمُورِ لَا يُرْتَقَى  
إِلَيْهَا بِالطَّيَا . وَإِنْ أَرَادَ الْوَجْهَ الْآخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَسْفَارِ  
فَاخْتِصَاصُهُ الشَّيَا بِالذِّكْرِ دُونَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَفَاوِزِ وَغَيْرِهَا لَا فَائِدَةَ  
فِيهِ . وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّ ذِكْرَ الطَّيَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَهُوَ  
تَطْوِيلٌ بَارِدٌ غَثٌ . فَقَسْ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَا يَجْرِي تَجَرُّاهُ مِنْ  
التَّطْوِيلَاتِ الَّتِي إِذَا أُسْقِطَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ  
شَيْءٌ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ فِي الْفَاطِ يُوَصَّلُ بِهَا الْكَلَامُ فَتَارَةً  
تَحِي لِفَائِدَةٍ وَذَلِكَ قَلِيلٌ وَتَارَةً تَحِي لِغَيْرِ فَائِدَةٍ وَذَلِكَ كَثِيرٌ . وَكَثُرَ  
مَا تَرَدُّ فِي الْأَشْعَارِ لِيُوزَنَ بِهَا الْأَنْبَاءُ الشَّعْرِيَّةُ وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِمْ :  
لَعَمْرِي وَلَعَمْرُكَ وَنَحْوُ : أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَظَلَّ وَأَضْحَى وَبَاتَ وَأَشْبَاهَ  
ذَلِكَ . وَنَحْوُ : يَا صَاحِبِي وَيَا خَلِيلِي وَمَا يَجْرِي هَذَا الْجَرَى . فَمَا جَاءَ  
مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

الْقَرِيقَانِ وَأَشَدَّ الْقِتَالُ وَحَمِي اللَّصَالُ وَمَا جَرَى هَذَا الْعَجْرَى. وَالْمَذْهَبُ  
عِنْدِي فِي ذَلِكَ مَا أَذْكُرُهُ : وَهُوَ أَنَّ فَهْمَ الْعَامَّةِ لَيْسَ شَرْطًا  
مُعْتَبَرًا فِي اخْتِيَارِ الْكَلَامِ . لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ شَرْطًا لَوَجَبَ عَلَى قِيَّاسِهِ أَنْ  
يُسْتَعْمَلَ فِي الْكَلَامِ الْأَلْفَاظُ الْعَامِيَّةُ الْمُبْتَدَلَةُ عَنْدهُمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ  
أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِمْ . لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي اخْتِيَارِ تَطْوِيلِ الْكَلَامِ إِذَا كَانَتْ  
فَهْمُ الْعَامَّةِ إِيَّاهُ فَكَذَلِكَ تَجْعَلُ تِلْكَ الْعِلَّةَ بَعِيْنَهَا فِي اخْتِيَارِ الْمُبْتَدَلِ  
مِنَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْعَامَّةَ إِلَى فَهْمِهِ أَقْرَبُ مِنْ  
فَهْمِ مَا يَقُولُ أَتَبَذَلُهُمْ إِيَّاهُ . وَهَذَا شَيْءٌ مَدْفُوعٌ وَأَمَّا الَّذِي يَحِبُّ  
تَوَحُّيَهُ وَاعْتِمَادَهُ فَهُوَ أَنْ يُسَلِّكَ الْمَذْهَبُ الْقَوِيمُ فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ  
عَلَى الْمَعْنَى بِحَيْثُ لَا تَزِيدُ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ مَعَ الْإِيضَاحِ وَالْإِبَانَةِ  
وَلَيْسَ عَلَى مُسْتَعْمِلِ ذَلِكَ أَنْ يَفْهَمَ الْعَامَّةُ كَلَامَهُ فَإِنَّ نُورَ الشَّمْسِ  
إِذَا لَمْ يَرَهُ الْأَعْمَى لَا يَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي اسْتِنَارَتِهِ وَإِنَّمَا النِّقْصُ فِي  
بَصَرِ الْأَعْمَى حَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعْ النَّظَرَ إِلَيْهِ :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ بَانَ لَا تَفْهَمُ الْبَقَرُ  
وَحَيْثُ أَتَتْهُ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا هُوَ  
غَرَضًا وَمَهْمُنَا مِنْ الْكَلَامِ عَلَى الْإِيْجَازِ وَحَدِّهِ وَأَقْسَامِهِ وَنَوْضِحِ  
ذَلِكَ إِيْضَاحًا جَلِيًّا وَاللَّهُ الْمَوْقِقُ لِلصَّوَابِ فَقُولُ : حَدُّ الْإِيْجَازِ هُوَ دَلَالَةُ  
الْلَفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ . وَالْإِطْوِيلُ هُوَ ضِدُّ ذَلِكَ  
وَهُوَ أَنْ يُدَلَّ عَلَى الْمَعْنَى بِالْفَرْقِ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ . كَقَوْلِ  
الْعَجْزِ السَّالُوِيِّ مِنْ آيَاتِ الْحَمَاسَةِ :



فَحَلَّهَا وَأَنبَأَ آخَرَ فَإِنَّكَ تَجِدُهَا تَحِيُّ فِي أَضْعَافِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ .  
 وَقَوْلُهُ : إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَلْيَيْنَ عَلَيْكَ وَأَبْدَأْ بِنَ تَعُولُ وَارْتَضِخْ  
 مِنْ الْفَضْلِ وَلَا تَلَمَّ عَلَى الْكَفَافِ وَلَا تَعْجُزْ عَنْ نَفْسِكَ . فَقَوْلُهُ :  
 ( فَلْيَيْنَ عَلَيْكَ ) أَيِ فَلْيُظْهِرْ أَثَرَهُ عَلَيْكَ بِالْصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَدَلَّ  
 عَلَى ذَلِكَ يَقَوْلُهُ : ( وَأَبْدَأْ بِنَ تَعُولُ وَارْتَضِخْ مِنْ الْفَضْلِ ) أَيِ  
 أَسْرِ مِنْ مَالِكَ وَأَعْطِهِ ( وَأَسْمُ الشَّيْءِ الرَّضِخَةُ ) وَلَا تَعْجُزْ عَنْ  
 نَفْسِكَ ) أَيِ لَا تَجْمَعْ لِعَظِيمِكَ وَتَتَجَلَّ عَنْ نَفْسِكَ فَلَا تُقَدِّمْ خَيْرًا .  
 وَقَوْلُ أَغْرَائِي : أُولَئِكَ قَوْمٌ جَعَلُوا أَمْوَالَهُمْ مَنَادِيلَ لِأَعْرَاضِهِمْ فَالْخَيْرُ  
 بِهِمْ زَائِدٌ وَالْمَعْرُوفُ لَهُمْ شَاهِدٌ . أَيِ يَقُونَ أَعْرَاضَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ .  
 وَقِيلَ لِأَغْرَائِي يَسُوقُ مَالًا كَثِيرًا : لِمَنْ هَذَا الْمَالُ . فَقَالَ : لِلَّهِ فِي  
 يَدِي . وَقَالَ أَغْرَائِي لِرَجُلٍ يَدْعُهُ : إِنَّهُ لَيُعْطِي عَطَاءً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ  
 اللَّهَ مَادَّتُهُ . وَقَوْلُ آخَرَ : أَمَّا بَعْدُ فَعِظُ النَّاسِ بِفِعْلِكَ وَلَا تَعْظُهُمْ  
 بِقَوْلِكَ وَأَسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ . وَخَفَهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ .  
 وَقَالَ آخَرُ : إِنْ شَكَّكَ فِي فَاَسْأَلْ قَلْبَكَ عَنِّي

وَأَعْلَمْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ مُدَّعِي عِلْمِ الْبَيَانِ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ  
 يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : فَمِنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ الْأَيْجَازُ كَالْأَشْعَارِ وَالْمُكَاتَبَاتِ .  
 وَمِنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ التَّطْوِيلُ كَالْخُطَبِ وَالتَّقْلِيدَاتِ وَكُتُبِ الْفُتُوحِ  
 الَّتِي تُقْرَأُ فِي مَلَأٍ مِنْ عَوَامِ النَّاسِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا طَالَ فِي  
 مِثْلِ ذَلِكَ أَثَرٌ عِنْدَهُمْ وَأَفْهَمُهُمْ وَلَوْ أَقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى الْأَيْجَازِ وَالْإِشَارَةِ  
 لَمْ يَقَعْ لِأَكْثَرِهِمْ حَتَّى يُقَالَ فِي ذِكْرِ الْحَرْبِ : أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ وَتَطَاعَنَ

فَابْعَثْنَهُنَّ أَرْبَعَةً وَسِتًّا مُتَّفَقَةً بِالْفَاقِطِ عِذَابٍ  
وَهُنَّ إِذَا وَسَمْتُ بَيْنَ قَوْمَا كَاطَوَاتِ الْحَمَائِمِ فِي الرِّقَابِ  
وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا رَأَيْتُ بَلِيغًا قَطُّ إِلَّا وَلَهُ فِي الْقَوْلِ إِيجَازٌ وَفِي  
الْمَعَانِي إِطَالَةٌ . وَقِيلَ لِإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا فِيكَ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّكَ  
كَثِيرُ الْكَلَامِ . قَالَ : أَقْسَمُونَ صَوَابًا أَمْ خَطَأً . قَالُوا بَلْ صَوَابًا .  
قَالَ : فَالزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَلَيْسَ كَمَا قَالَ لِأَنَّ الْكَلَامَ غَايَةٌ  
وَلِلشَّاطِ السَّامِعِينَ نَهَايَةٌ . وَمَا فَضَّلَ عَنْ مِقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى  
الِاسْتِثْقَالِ وَصَارَ سَبَبًا لِلْمَلَالِ فَذَلِكَ الْهَذَرُ وَالْإِسْهَابُ وَالْخَطْلُ وَهُوَ  
مَعِيبٌ عِنْدَ كُلِّ لَيِّبٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْبَلَاغَةُ بِالِإِيجَازِ أَنْجَعُ مِنَ الْبَيَانِ  
بِالْإِطْنَابِ . وَقَالُوا : الْمَكْثَرُ كَخَطِّبِ اللَّيْلِ . وَمَثَلُ الْإِيجَازِ الْحَسَنِ  
كَقَوْلِهِ : وَخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . فَمَجَعَ جَمِيعَ  
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِأَسْرَعِهَا . لِأَنَّ فِي الْعَفْوِ صِلَةَ الْقَاطِعِينَ وَالصَّفْحَ عَنِ  
الظَّالِمِينَ وَإِعْطَاءَ الْمُنَافِقِينَ . وَفِي الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ تَقْوَى اللَّهِ وَصِلَةُ  
الرَّحِيمِ وَصَوْنُ اللِّسَانِ عَنِ الْكَذِبِ وَغَضُّ الطَّرْفِ عَنِ الْحُرْمَاتِ  
وَالْتَبَرُّ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْعُرْفِ وَهُوَ يُلَاسِسُ  
شَيْئًا مِنَ الْمُنْكَرِ . وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّبْرُ وَالْحِلْمُ وَتَزْيِيهِ  
النَّفْسِ عَنْ مُقَابَلَةِ السَّفِيهِ بِمَا يُوتَغَى الدِّينَ وَيُسْقِطُ الْقُدْرَةَ . وَقَوْلُهُ :  
حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْنِي وَيُصَمِّمُ . وَقَوْلُهُ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا . وَقَوْلُهُ :  
نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ . وَقَوْلُهُ : تَرَكْتُ الشَّرَّ صَدَقَةً . فَمَعَانِي هَذَا  
الْكَلَامِ أَكْثَرُ مِنَ الْفَاقِطِ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ صِحَّةَ ذَلِكَ



بَعْضُهُمْ : الزِّيَادَةُ فِي الْحَدِّ نَقْصَانٌ . وَقَالَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ : عَلَيْكُمْ  
بِالْإِيْجَازِ فَإِنَّ لَهُ إِفْهَامًا وَلِلإِطَالَةِ اسْتِهَامًا . وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ : الْقَلِيلُ  
الْكَافِ . خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ . وَقَالَ آخَرُ : إِذَا طَالَ الْكَلَامُ  
عَرَضَتْ لَهُ أَسْبَابُ التَّكْلُفِ وَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يَأْتِي بِهِ التَّكْلُفُ .  
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا الْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : الْإِيْجَازُ . قِيلَ : وَمَا الْإِيْجَازُ .  
قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تُطِيلُ  
الشَّعْرَ . فَقَالَ : حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ . وَقِيلَ ذَلِكَ  
لِآخَرٍ . فَقَالَ : لَسْتُ أَبِيعُهُ مُدَارَعَةً . وَقِيلَ لِلْفَرَزْدَقِ : مَا صَدَرَكَ إِلَى  
الْقِصَارِ بَعْدَ الطَّوَالِ . قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُهَا فِي الصُّدُورِ أَوْقَعَ وَفِي  
الْحِمَافِلِ أَجُولَ . وَقَالَتْ بِنْتُ الْخَطِيبَةِ لِأَيِّهَا : مَا بَالُ قِصَارِكَ  
أَكْثَرُ مِنْ طَوَالِكَ . قَالَ : لِأَنَّهُمَا بِالْأَذَانِ أَوَّلُجُ وَبِالْأَفْوَاهِ أَعْلَقُ .  
وَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ لِابْنِ الزَّبْعَرِيِّ : قَصَّرْتَ فِي شَعْرِكَ . قَالَ : حَسْبُكَ  
مِنَ الشَّعْرِ غُرَّةٌ لِأَيُّحَةٍ وَسِمَةٌ وَاصِحَّةٌ . وَقِيلَ لِلنَّبَاغَةِ الدُّبْيَانِي : أَلَا  
تُطِيلُ الْقَصَائِدَ كَمَا أَطَالَ صَاحِبُكَ ابْنُ نُجْرٍ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ تَحُلُّ أَنْتَقَرَهُ .  
وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ : مَا لَكَ لَا تَرِيدُ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَأَثْنَيْنِ . قَالَ :  
هِيَ بِالْقُلُوبِ أَوْقَعُ وَإِلَى الْخِفْظِ أَسْرَعُ وَبِالْأَلْسُنِ أَعْلَقُ وَلِلْمَعَانِي  
أَجْمَعُ وَصَاحِبُهَا أَبْلَغُ وَأَوْجَزُ . وَقِيلَ لِابْنِ حَازِمٍ : أَلَا تُطِيلُ الْقَصَائِدَ .  
فَقَالَ :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الشَّعْرَ قَصْدِي إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ  
وَالْإِيْجَازِي مُخْتَصَرٌ قَرِيبٌ حَذَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ



## البحث الخامس

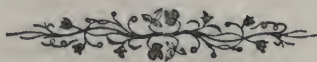
### في الایجاز

( عن المثل السائر وكتاب الصناعتين وغيرهما )

( راجع صفحة ٧٥ من علم الادب )

الِإِيجَازُ حَذْفُ زِيَادَاتِ الْأَلْفَافِ وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْكَلَامِ شَرِيفٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِلَّا فُرْسَانُ الْبَلَاغَةِ مِنْ سَبَقَ إِلَى غَايَتِهَا وَمَا صَلَّى . وَضَرَبَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهَا بِالْقِدْحِ الْمَعْلَى . وَذَلِكَ لِعَلَوِ مَكَانِهِ . وَتَعَدُّرِ إِمْكَانِهِ وَالنَّظَرُ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ إِلَى الْمَعَانِي لَا إِلَى الْأَلْفَافِ . وَلَسْتُ أَغْنِي بِذَلِكَ أَنَّ تَهْمَلَ الْأَلْفَافُ بِحَيْثُ تَعْرِى عَنْ أَوْصَافِهَا الْحَسَنَةِ بَلْ أَغْنِي أَنَّ مَدَارَ النَّظَرِ فِي هَذَا النَّوعِ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِالْمَعَانِي . فَرُبَّ لَفْظٍ قَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى كَثِيرٍ . وَرُبَّ لَفْظٍ كَثِيرٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى قَلِيلٍ . وَفِي مِثَالِ هَذَا كَالْجَوْهَرَةِ الْوَاحِدَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّرَاهِمِ . فَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى طُولِ الْأَلْفَافِ يُؤَيِّرُ الدَّرَاهِمَ لِكَثَرَتِهَا . وَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى شَرَفِ الْمَعَانِي يُؤَيِّرُ الْجَوْهَرَةَ الْوَاحِدَةَ لِنَفَاسَتِهَا . قَالَ أَصْحَابُ الْإِيجَازِ : الْإِيجَازُ قُصُورُ الْبَلَاغَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَمَا تَجَاوَزَ مِقْدَارَ الْحَاجَةِ فَهُوَ فَضْلٌ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْهَذَرِ وَالْخَطْلِ وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ آذَوَاءِ الْكَلَامِ وَفِيهِمَا دَلَالَةٌ عَلَى بِلَادَةِ صَاحِبِ الصِّبَاةِ . وَفِي تَفْصِيلِ الْإِيجَازِ يَقُولُ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى لِكُتَّابِهِ : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَجْعَلُوا كُتُبَكُمْ تَوْقِيعَاتٍ فَأَفْعَلُوا . وَقَالَ

فَاَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَمِنْهُ مَا  
يَكُونُ مَوْلًى مِنْ ثَلَاثَةِ اَلْفَاظِ وَارْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ الْعَشْرَةُ . وَمَا زَادَ  
عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ . فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَإِنْ يَرَوْا آيَةً  
يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا : سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ .  
وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ دَرَجَاتِهِ نَتَفَوَّتُ فِي الطَّوِيلِ أَيْضًا مِنْهُ مَا  
يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ الْقَصِيرِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَأْلِيْفُهُ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةٍ  
إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَآكْثَرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ : وَلَئِنْ  
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ رَدَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُ سَ كَفُورٌ . وَلَئِنْ  
أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ  
فَخُورٌ . فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَالثَّانِيَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَمِنْ  
السَّجْعِ الطَّوِيلِ مَا يَكُونُ تَأْلِيْفُهُ مِنَ الْعِشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوْلَهَا كَقَوْلِهِ :  
إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَا كَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَيْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ  
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ  
إِذْ أَتَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا  
كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . وَمِنْ السَّجْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا  
يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ غَيْرُ مَضْبُوطٍ



الثَّالِثَةُ مِنْهَا خَمْسَ لَفْظَاتٍ أَوْ سِتًّا لَمَّا كَانَ ذَلِكَ مَعْيَبًا  
الْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْفَضْلُ الْآخِرُ أَقْصَرَ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ  
عِنْدِي عَيْبٌ فَاحِشٌ . وَسَبَبُ ذَلِكَ : أَنَّ السَّجْعَ يَكُونُ قَدْ اسْتَوْفَى  
أَمَدَهُ مِنَ الْفَضْلِ الْأَوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ . ثُمَّ يَحْجِي الْفَضْلُ الثَّانِي  
قَصِيرًا عَنِ الْأَوَّلِ فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمَثْبُورِ فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ  
كَمَنْ يُرِيدُ الْإِلْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ فَيَعْتَرُ دُونَهَا  
وَإِذَا اتَّهَيْنَا إِلَى هَهُمَا وَبَيْنَا أَقْسَامَ السَّجْعِ وَلَبَّهَ وَقُشُورَهُ فَسَنَقُولُ  
فِيهِ قَوْلًا كَلِمًا وَهُوَ أَنَّ السَّجْعَ عَلَى اخْتِلَافِ أَقْسَامِهِ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا  
يُسَمَّى السَّجْعُ الْقَصِيرُ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ السَّجْعَتَيْنِ  
مُؤَلَّفَةً مِنَ الْفَاطِ قَلِيلَةٍ وَكُلَّمَا قَلَّتِ الْأَلْفَاطُ كَانَ أَحْسَنَ لِقُرْبِ  
الْفَوَاصِلِ الْمَسْجُوعَةِ مِنْ مَسْمَعِ السَّامِعِ . وَهَذَا الضَّرْبُ أَوْعَرُ السَّجْعِ  
مَذْهَبًا وَآبَعْدُهُ مُتَّوَالًا وَلَا يَكَادُ اسْتِعْمَالُهُ يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا . وَالضَّرْبُ  
الْآخَرُ يُسَمَّى السَّجْعُ الطَّوِيلُ وَهُوَ ضِدُّ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ مُتَّوَالًا .  
وَأَمَّا كَانَ الْقَصِيرُ مِنَ السَّجْعِ أَوْعَرُ مَسْلَكًا مِنَ الطَّوِيلِ لِأَنَّ الْمَعْنَى  
إِذَا صِيغَ بِالْفَاطِ قَصِيرَةٍ عَزَّ مُوَاتَاةُ السَّجْعِ فِيهِ لِقَصَرِ تِلْكَ الْأَلْفَاطِ  
وَضِيقِ النِّجَالِ فِي اسْتِجْلَالِهِ . وَأَمَّا الطَّوِيلُ فَإِنَّ الْأَلْفَاطَ تَطُولُ فِيهِ  
وَيُسْتَجَلَبُ لَهُ السَّجْعُ مِنْ حَيْثُ لَيْسَ كَمَا يُقَالُ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا .  
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ تَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُهُ فِي عِدَّةِ الْأَلْفَاطِ .  
أَمَّا السَّجْعُ الْقَصِيرُ فَاحْسَنُهُ مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ كَقَوْلِهِ :  
وَأَلْمَسَلَاتِ عُرْفًا . فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا . وَقَوْلِهِ : يَا أَيُّهَا الْمَدَثَرُ . ثُمَّ



وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا . فَاَلْمُورِيَّاتِ قَدْحًا . فَاَلْمُعِيرَاتِ ضَبْحًا . فَاَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا .  
فَوَسَطْنَا بِهِ جُمَاعًا . اَلَا تَرَى كَيْفَ جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً اَلْاَجْزَاءُ  
حَتَّى كَانَتْهَا اُفْرَعَتْ فِي قَالِبٍ وَّاحِدٍ . وَامْتِثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَهُوَ اَشْرَفُ  
السَّمْعِ مَثَلَةٌ لِلاَعْتِدَالِ الَّذِي فِيهِ

اَلْقِسْمُ الثَّانِي اَنْ يَكُونَ اَلْفَصْلُ الثَّانِي اَطْوَلَ مِنْ اَلْاَوَّلِ لَا  
طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنْ اَلِاعْتِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَانَّهُ يَفْجُجُ عِنْدَ ذَلِكَ  
وَيُسْتَكْرَهُ وَيَعْدُ عِيًّا . فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : بَلْ كَذَبُوا بِالسَّاعَةِ  
وَاعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . اِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ  
سَبَّحُوا لَهَا تَعْظِيمًا وَزَفِيرًا . وَاِذَا اَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيْقًا مُقَرَّرِينَ دَعَوْا  
هُنَالِكَ ثُبُورًا . اَلَا تَرَى اَنْ اَلْفَصْلَ اَلْاَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَاَلْفَصْلَ  
الثَّانِي وَالثَّلَاثَ تِسْعَ تِسْعٍ . وَيُسْتَقْتَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنْ  
السَّمْعِ عَلَى ثَلَاثٍ فَقَرِّ فَإِنَّ اَلْفِقْرَتَيْنِ اَلْاُولَيَيْنِ مُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ  
وَاحِدَةٍ . ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيَنْبَغِي اَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوْلًا يَزِيدُ عَلَيْهَا  
فَاِذَا كَانَتْ اَلْاُولَى وَالثَّانِيَةُ اَرْبَعَ لَفْظَاتٍ تَكُونَ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ  
اَوْ اِحْدَى عَشْرَةَ . اِلَّا اَنَّهُ لَا يَنْبَغِي اَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي  
السَّمْعَاتِ الثَّلَاثِ اَيْنَ وَقَعَتْ مِنْ اَلْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمُ اَنْ اَلْجَوَازَ يَعْمُ  
اَلْجَانِبَيْنِ مِنَ اَلتَّسَاوِيِ فِي السَّمْعَاتِ الثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ السَّمْعَةِ الثَّلَاثَةِ .  
اَلَا تَرَى اَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَمْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ كَقَوْلِهِ : وَاصْحَابُ  
اَلْيَمِينِ . مَا اَصْحَابُ اَلْيَمِينِ . فِي سِدْرِ مُخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَنُضُودٍ .  
وَزَلٍّ مَمْدُودٍ . فَهَذِهِ السَّمْعَاتُ كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَلَوْ جُعِلَتْ

وَمَا أَمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَرُدَّ الْوَدَائِعُ  
وَبَعْضُهُمْ يَعُدُّ التَّفَاقُحَ مِنْ بَابِ الْمَلَأَمَةِ وَهُوَ أَنْ يَضُمَّ إِلَى  
ذِكْرِ الشَّيْءِ مَا يَلِيقُ بِهِ وَيَجْرِي مَجْرَاهُ وَأَنْ يَجْمَعَ الْأُمُورَ الْمُنَاسِبَةَ  
وَيُقَالُ لَهُ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ أَيْضًا. وَالتَّنَاسُبُ هُوَ تَرْتِيبُ الْمَعَانِي الْمُنَاسِبَةِ  
الَّتِي تَتَلَاءَمُ وَلَا تَتَنَافَرُ. كَقَوْلِ النَّابِغَةِ:

وَالرِّفْقُ يَنْ وَالْأَنَانَةُ سَعَادَةٌ فَتَانٌ فِي رِفْقٍ تَنَالُ نَجَاحًا  
وَالْيَأْسُ مِمَّا فَاتَ يُعْقِبُ رَاحَةً وَلَرُبَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذَبَاحًا  
وَيُسَمَّى التَّنَاسُبُ أَيْضًا. وَقِيلَ التَّنَاسُبُ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ غَيْرَ  
مُتَبَايِنَةٍ بَلْ مُتَقَارِبَةٍ فِي الْجَزَالَةِ وَالرِّقَّةِ وَالْمَتَانَةِ وَالسَّلَاسَةِ وَتَكُونَ  
الْمَعَانِي مُنَاسِبَةً لِأَلْفَاظِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُكْسَى اللَّفْظُ الشَّرِيفُ الْمَعْنَى  
السَّخِيفَ أَوْ عَلَى الضَّدِّ بَلْ يُصَاحَبَانِ مَعَاصِيَاغَةً تَنَاسُبٌ وَتَلَاوُثٌ حَتَّى  
لَا يَكُونَ الْكَلَامُ كَمَا قِيلَ :

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْمَرْءِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ يَكْدُ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُحْفَظِ

### البحث الرابع

### في اقسام السجع وضروريه

( عن المثل السائر لابن الاثير باختصار )

( راجع صفحة ٧٣ من علم الادب )

اعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الْأَوَّلُ أَنْ  
يَكُونَ الْفَضْلَانِ مُتَسَاوَيْنَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ :

وَأَنطِ تَمْسِكًا تَلَفًا. وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : الْجَانِي حُكْمُ دَهْرٍ قَاسِطٍ . إِلَى أَنْ  
 أَنْتَجِعَ أَرْضَ وَاسِطٍ . وَقَوْلِهِ : وَأَوْدَى النَّاطِقُ وَالصَّامِتُ . وَرَأَى لَنَا  
 الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ . ( وَالطَّرْفُ ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى الْحَرْفُ الْآخِرُ فِي  
 كِلْتَا قَرِينَتَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ الْوِزْنِ . كَقَوْلِهِ : مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ  
 لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . وَقَوْلِهِمْ : خِيَامُهُ مَحْطَطُ الرِّجَالِ . وَنَحْمُ  
 الْأَمَالَ . ( وَالْمُتَوَازِنُ ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ  
 مِنَ الْقَرِينَتَيْنِ الْوِزْنَ مَعَ اخْتِلَافِ الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْهُمَا . كَقَوْلِهِ :  
 وَمَنَارِقُ مَصْفُوقَةٌ . وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ . وَقَوْلِهِمْ : أَضْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقِتَالِ .  
 وَمَضْضِ الْإِثَالِ . وَشِدَّةِ الْمَصَاعِ وَمُدَاوِمَةِ الْمِرَاسِ . فَإِنْ رَاعَى الْوِزْنَ  
 فِي جَمِيعِ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرِهَا وَقَابَلَ الْكَلِمَةَ مِنْهَا بِمَا  
 تُعَادِلُهَا وَزَنًا كَانَ أَحْسَنَ . كَقَوْلِهِ : وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُنْتَقِينَ .  
 وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : أَسْوَدَ يَوْمِي الْأَبْيَضُ  
 وَأَبْيَضَ يَوْمِي الْأَسْوَدُ . وَيُسَمَّى هَذَا فِي الشِّعْرِ الْمُوَازَنَةً . كَقَوْلِ  
 الْجُبَيْرِيِّ :

قَفِّفْ مُسْعَدًا فَيَنْ إِنْ كُنْتَ غَادِرًا

وَسِرْ مُبْعَدًا عَنْهُمْ إِنْ كُنْتَ عَادِلًا

وَمَا هُوَ شَرْطُ الْحُسْنِ فِي هَذَا الْمُحَافَظَةِ عَلَى تَنَاسُهِ وَهُوَ أَنْهُمْ  
 جَامِعٌ لِلْمَلَاءِمَةِ وَالْتَنَاسُبِ . فَأَلْمَلَاءِمَةُ تَأْلِيفُ الْأَلْقَاطِ الْمُوَافِقَةِ  
 بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فِي ضَرْبِ الْإِعْتِدَالِ . كَقَوْلِ لَبِيدٍ :  
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ يَعُودُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ



فَالْأَسْبَاجُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ : الْأَتْرِصِيُّ وَالْمُتَوَازِي وَالْمُطَرَّفُ وَالْمُتَوَازِنُ .  
 أَمَّا ( الْأَتْرِصِيُّ ) فَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ مُسْتَوِيَةً الْأَوْزَانِ مُتَّفِقَةً  
 الْأَعْجَازِ كَقَوْلِهِ : إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ . وَقَوْلِهِ : إِنَّ  
 الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . وَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ أَقْبِلْ تَوْبَتِي  
 وَاغْسِلْ حَوْبَتِي . وَقَوْلِهِمْ : فَلَنْ يَخْتَجِرَ بِهِمْ الْعَالِيَةُ . لَا بِالرَّمَمِ  
 الْبَالِيَةِ . وَقَوْلِهِمْ : حَتَّى عَادَ تَغْرِيضُكَ وَتَغْرِضُكَ تَضَحِيحًا . وَمِنْ النَّظْمِ  
 قَوْلُ الْحَنَسَاءِ :

حَامِي الْحَقِيقَةِ مُحَمَّدٍ خَلِيقَةِ      مَهْدِي الطَّرِيقَةِ نَقَاحٍ وَضَرَارِ  
 جَوَابِ قَاصِيَةِ حَزَازِ نَاصِيَةِ      عَقَادِ الْوِيَةِ لِلْحَيْلِ جَرَّارِ  
 وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ :

وَأَفْعَالُنَا لِلرَّاعِيْنَ كَرِيْمَةٍ      وَآمَوْنَا لِلطَّلَالِيْنَ نِهَابِ  
 وَقَوْلِ الْأَبْيُورْدِيِّ :

يَرُوحُ إِلَيْهِمْ عَازِبُ الْحَمْدِ وَافِيَا      وَيَعْدُو عَلَيْهِمْ طَالِبُ الرِّقْدِ عَافِيَا  
 وَقَدْ يَجِيْ مَعَ التَّجْنِيسِ كَقَوْلِهِمْ : إِذَا قَلَّتِ الْأَنْصَارُ كَلَّتِ  
 الْأَبْصَارُ . وَمَا وَرَاءَ الْخَلْقِ الدَّمِيمِ . إِلَّا الْخَلْقُ الدَّمِيمُ . وَمِنْ النَّظْمِ  
 قَوْلُ الْمُطَرِّزِيِّ :

وَدَرُّ جَلَالِهِ أَبَدًا ثَمِينٌ      وَدَرُّ نَوَالِهِ أَبَدًا غَزِيرٌ

( وَالْمُتَوَازِي ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ مِنَ  
 الْقَرِيْبَتَيْنِ وَالْوُزْنِ مَعَ اتِّفَاقِ الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْهُمَا كَقَوْلِهِ : فِيهَا سُرُرٌ  
 مَرْفُوعَةٌ . وَاصْكَوَابٌ مَوْضُوعَةٌ . وَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقًا خَلْقًا .

وَالْإِخْوَانِيَّاتُ وَالْعَرَبِيَّاتُ بِالسُّوْقِيَّاتِ وَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْمَلَمَلِ . وَهَذَا  
كُلُّهُ يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ الْمَصْنُوعَ بِالْمَعَانَاةِ وَالتَّكْلِيفِ قَاصِرٌ  
عَنِ الْكَلَامِ الْمَطْبُوعِ لِقَلَّةِ الْاِكْتِرَاتِ فِيهِ بِاصِلِ الْبَلَاغَةِ . وَالْحَاكِمُ  
فِي ذَلِكَ الذَّوْقُ

### البحث الثالث

### في السجع وأنواعه

( عن صناعة الترشل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٧٢ من علم الادب )

كَلِمَاتُ الْأَسْجَاعِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ سَائِمَةً الْأَنْجَازِ  
مَوْقُوفًا عَلَيْهَا لِأَنَّ الْقَرَضَ أَنْ يُجَانَسَ بَيْنَ الْقَرَائِنِ وَيُزَاجَ بَيْنَهَا وَلَا  
يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْوَقْفِ . الْأَثَرُ أَنْ قَوْلُهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ . وَمَا  
أَقْرَبَ مَا هُوَ أَتَى . لَوْ أُعْطِيَ أَوَّخِرُ الْقَرَائِنِ مَا يَقْتَضِيهِ حُكْمُ الْأَعْرَابِ  
لَاخْتَلَفَ أَوَّخِرُ الْقَرَائِنِ وَقَاتِ السَّاجِعِ غَرَضُهُ . وَإِذَا رَأَيْنَاهُمْ يُخْرِجُونَ  
الْكَلِمَةَ عَنْ أَوْضَاعِهَا لِلِازْدِوَاجِ فَيَقُولُونَ آتَيْكَ بِالْعُدْوَاءِ أَوْ  
بِالْعُشَاءِ . وَهَنَانِي الطَّعَامُ وَمَرَانِي . وَأَنْصَرِفَنَّ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ  
يُرِيدُونَ : الْعُدَوَاتِ وَأَمْرَانِي وَمَوْزَرَاتٍ . مَعَ أَنَّ فِيهِ ارْتِكَابًا  
لِخِلَافَةِ اللَّغَةِ . وَكَذَلِكَ : أَعْطَى الْقَوْسَ بَارِيهَا . وَفِيهِ تَرْكُ الْأَعْرَابِ  
مِنْ أَشْنَاءِ الْكَلِمَةِ فَمَا الظَّنُّ بِأَوَّخِرِ الْكَلِمِ الْمَشْبَهَةِ بِالْقَوَائِي .  
وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ فِي أَوَّخِرِ الْآيَاتِ الْفَوَاصِلِ إِذَا عُرِفَ هَذَا

لِأَنهَا إِذَا بَرَأَتْ مِنَ التَّكْلِيفِ سَلِمَ الْكَلَامُ مِنْ عَيْبِ الْإِسْتِحْجَانِ  
لِأَنَّ تَكْلِيفَهَا وَمُعَانَتَهَا يَصِيرُ إِلَى الْغَفْلَةِ عَنِ التَّرَاصُّبِ الْأَصْلِيَّةِ  
لِلْكَلَامِ فَخِلُّ بِالْإِفَادَةِ مِنْ أَصْلِهَا وَتَذَهَبُ بِالْبَلَاغَةِ رَأْسًا وَلَا يَبْقَى  
فِي الْكَلَامِ إِلَّا تِلْكَ التَّحْسِينَاتُ. وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ الْيَوْمَ عَلَى أَهْلِ  
الْعَصْرِ وَأَصْحَابِ الْأَذْوَاقِ فِي الْبَلَاغَةِ يَسْخَرُونَ مِنْ كَلْفِهِمْ بِهِذِهِ الْقُنُونِ  
وَيَعْدُونَ ذَلِكَ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ سِوَاهُ. ثُمَّ مِنْ شُرُوطِ اسْتِعْمَالِهَا عِنْدَهُمْ  
الْإِقْلَالُ مِنْهَا وَأَنْ تَكُونَ فِي بَيِّنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْقَصِيدِ فَتَكُنِي فِي  
زِيَةِ الشَّعْرِ وَرَوْنِقِهِ وَالْإِكْتَادُ مِنْهَا عَيْبٌ. قَالَ أَبُو رَشِيْقٍ وَغَيْرُهُ. وَكَانَ  
شَيْخُنَا أَبُو الْقَاسِمِ الشَّرِيفُ السَّبَّيْثِيُّ مُنْفِقُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَنْدَلُسِ لَوْ قَتَلَهُ  
يَقُولُ: هَذِهِ الْقُنُونُ الْبَدِيعَةُ إِذَا وَقَعَتْ لِلشَّاعِرِ أَوْ لِلْكَاتِبِ فَيَقْتَضِي  
أَنْ يُسْتَكْتَرَّ مِنْهَا لِأَنهَا مِنْ مُحَسِّنَاتِ الْكَلَامِ وَمُزَيِّنَاتِهِ فَهِيَ بِمَثَابَةِ  
الْخِلَافِ فِي الْوَجْهِ يَحْسُنُ بِالْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ مِنْهَا وَيَقْتَضِي بَعْدَادَهَا  
وَعَلَى نِسْبَةِ الْكَلَامِ الْمُنْظُومِ هُوَ الْكَلَامُ الْمَشْهُورُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ  
وَالْإِسْلَامِ كَانَ أَوَّلًا مُرْسَلًا مُعْتَبَرًا الْمَوَازَنَةَ بَيْنَ جُمْلِهِ وَتَرَاصُّبِهِ .  
مُشَاهِدَةً مَوَازَنَتِهِ بِفَوَاصِلِهِ مِنْ غَيْرِ التَّزَامِ سَجْعٍ وَلَا أَكْثَرَاتٍ بِصَنْعَةٍ .  
حَتَّى نَبَغَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الصَّالِحِيُّ كَاتِبُ بَنِي بُيُوتِهِ فَتَعَاطَى الصَّنْعَةُ  
وَالْتَفَقِيَتْ وَآتَى مِنْ ذَلِكَ بِالْعَجَبِ وَعَابَ النَّاسُ عَلَيْهِ كَلْفَهُ بِذَلِكَ فِي  
الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِي مُلُوكِهِ مِنَ الْعُجْمَةِ  
وَالْبَعْدِ عَنْ صَوْلَةِ الْخِلَاقَةِ الْمُنْفِقَةِ لِسُوءِ الْبَلَاغَةِ . ثُمَّ أَنْشَرَتْ الصَّنَاعَةُ  
فِي مَشْهُورِ الْمُتَاخِرِينَ وَنُسِيَ عَهْدُ التَّرْسِيلِ وَتَشَابَهَتْ السُّلْطَانِيَّاتُ



إِنَّهُ وَقَعَ فِي شَعْرِ زُهَيْرٍ . وَأَمَّا الْإِسْلَامِيُّونَ فَوَقَعَ لَهُمْ عَفْرًا وَقَصْدًا  
وَأَتَوْا مِنْهُ بِالْعَجَائِبِ . وَأَوَّلُ مَنْ أَحْكَمَ طَرِيقَتَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ  
وَالْبُخَيْرِيُّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَدْ كَانُوا مُوَلَّعِينَ بِالصَّنْعَةِ وَيَأْتُونَ مِنْهَا  
بِالْعَجَبِ . وَقِيلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى مُعَانَاتِهَا بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ وَأَبْنُ  
هَرَمَةَ وَكَانَا آخِرَ مَنْ يُسْتَشْهَدُ بِشَعْرِهِ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . ثُمَّ  
اتَّبَعَهُمَا كُلُّوْمُ بْنُ عَمْرٍو وَالْعِتَابِيُّ وَمَنْصُورُ النَّمِرِيِّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ  
وَأَبُو نُوَّاسٍ . وَجَاءَ عَلَى آثَارِهِمْ حَبِيبُ وَالْبُخَيْرِيُّ . ثُمَّ ظَهَرَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ  
فَحْتَمَ عَلَى الْبَدِيعِ وَالصَّاعَةِ أَجْمَعَ

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُمُ الْمَطْبُوعُ الْفَقِيدُ الصَّنْعَةَ فِي إِحْكَامِ تَأْلِيْفِهِ وَثِقَاقَةِ  
تَرْكِيبِهِ فَلَوْ جَاءَتْ فِيهِ الصَّنْعَةُ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْأَصْلِ زَادَتْهُ حُسْنًا .  
وَأَمَّا الْمَصْنُوعُ فَكَثِيرٌ مِنْ لَدُنْ بَشَارِ ثُمَّ حَبِيبٍ وَطَبَقْتُهُمَا ثُمَّ ابْنُ  
الْمُعْتَزِّ خَاتِمُ الصَّنْعَةِ الَّذِينَ جَرَى الْمُتَأَخِّرُونَ بَعْدَهُمْ فِي مِيدَانِهِمْ  
وَتَسَجُّوا عَلَى مَنَوَالِهِمْ . وَقَدْ تَعَدَّدَتْ أَصْنَافُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ عِنْدَ أَهْلِهَا  
وَاخْتَلَفَتْ أَصْطِلَاحَاتُهُمْ فِي أَلْقَائِهَا . وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُجَعِّلُهَا مُنْدرِجَةً فِي  
الْبَلَاغَةِ عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي الْإِفَادَةِ وَإِنَّمَا هِيَ تُعْطِي الْخَبِيرِينَ  
وَالرُّوْقَ . وَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْبَدِيعِ فَفِي عِنْدَهُمْ خَارِجَةٌ  
عَنِ الْبَلَاغَةِ وَلِذَلِكَ يَذْكُرُونَهَا فِي الْفُنُونِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي لَا مَوْضُوعَ  
لَهَا . وَهِيَ رَأْيُ ابْنِ رَشِيقٍ فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لَهُ وَأُدْبَاءُ الْأَنْدَلُسِ .  
وَذَكَرُوا فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الصَّنْعَةِ شُرُوطًا مِنْهَا أَنْ تَقَعَ مِنْ غَيْرِ  
تَكْلُفٍ وَلَا اكْتِرَافٍ فِيمَا يُقْصَدُ مِنْهَا . وَأَمَّا الْعَفْوُ فَلَا كَلَامَ فِيهِ

الْمَعَانِي وَالْيَمَانِ فَعِلْمُ الْمَعَانِي وَعِلْمُ الْيَمَانِ هُمَا جُزْءَا الْبَلَاغَةِ وَبِهِمَا  
 كَمَالُ الْإِفَادَةِ وَالْمُطَابَقَةُ لِمُقْتَضَى الْحَالِ . فَالْبَلَاغَةُ عَلَى هَذَا هِيَ أَصْلُ  
 الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ وَسَحِيحَتُهُ وَرَوْحُهُ وَطَبِيعَتُهُ . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا  
 الْكَلَامَ الْمَطْبُوعَ فَإِنَّهُمْ يَعْنُونَ بِهِ الْكَلَامَ الَّذِي كَمَلَتْ طَبِيعَتُهُ  
 وَسَحِيحَتُهُ مِنْ إِفَادَةٍ مَذْلُولَةٍ أَلْفُضُودٍ مِنْهُ لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ وَخِطَابٌ لَيْسَ  
 أَلْفُضُودٌ مِنْهُ أَلْفُضُودٌ فَقَطْ . بَلِ الْمُتَكَلِّمُ يَقْصِدُ بِهِ أَنْ يُفِيدَ سَامِعَهُ  
 مَا فِي ضَمِيرِهِ إِفَادَةً تَامَةً وَيَدُلُّ بِهِ عَلَيْهِ دَلَالَةً وَثِيقَةً . ثُمَّ يَبْعُ تَرَائِيبَ  
 الْكَلَامِ فِي هَذِهِ السَّحِيحَةِ الَّتِي لَهُ بِالْإِلَاصَالَةِ ضَرْبٌ مِنَ التَّخْسِينِ  
 وَالتَّزْيِينِ بَعْدَ كَمَالِ الْإِفَادَةِ وَكَأَنَّهَا تُغْطِيهَا رَوْتَقُ الْفَصَاحَةِ مِنْ  
 تَنْمِيقِ الْأَسْبَاجِ وَالْمُؤَاذَنَةِ بَيْنَ جَمِيلِ الْكَلَامِ وَتَقْسِيمِهِ بِالْأَقْسَامِ  
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَحْكَامِ وَالتَّوْرِيَةِ بِاللَّفْظِ الْمَشْتَرِكِ عَنِ الْخَفِيِّ مِنْ مَعَانِيهِ  
 وَالْمُطَابَقَةِ بَيْنَ الْمُتَضَادَّاتِ لِيَقَعَ التَّجَانُّسُ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي فَيَحْصُلُ  
 لِلْكَلَامِ رَوْتَقٌ وَلَذَّةٌ فِي الْأَسْمَاعِ وَحَلَاوَةٌ وَجَمَالٌ كُلُّهَا زَائِدَةٌ عَلَى  
 الْإِفَادَةِ . وَهَذِهِ الصَّنْعَةُ مَوْجُودَةٌ فِي الْكَلَامِ الْمُعْجَزِ فِي مَوَاضِعَ  
 مُتَعَدِّدَةٍ مِثْلُ : وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّى . وَمِثْلُ : فَأَمَّا  
 مَنْ أَعْطَى وَآتَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى إِلَى آخِرِ التَّقْسِيمِ . وَكَذَا : فَأَمَّا  
 مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهِ . وَكَذَا : وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ  
 يُحْسِنُونَ صُنْعًا . وَأَمْثَالُهُ كَثِيرٌ . وَذَلِكَ بَعْدَ كَمَالِ الْإِفَادَةِ فِي أَصْلِ  
 هَذِهِ التَّرَائِيبِ قَبْلَ وَقُوعِ هَذَا الْبَدِيعِ فِيهَا . وَكَذَا وَقَعَ فِي  
 كَلَامِ أَجَاهِلِيَّةٍ مِنْهُ أَلَكِنْ عَفْوًا مِنْ ذَنْبٍ قَصْدٍ وَلَا تَعَمُّدٍ . وَيُقَالُ

الْمُنْطِقُ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى النَّصْبَةَ . وَالنَّصْبَةُ الْحَالُ الدَّالَّةُ الَّتِي تَقُومُ  
مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ لَفْظٍ وَمُشِيرَةٌ إِلَيْكَ  
بِغَيْرِ يَدٍ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ .  
وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْخَمْسَةِ كَاشِفَةٌ عَنْ أَعْيَانِ الْمَعَانِي وَسَافِرَةٌ عَنْ  
وُجُوهِهَا وَأَوْضَحُ هَذِهِ الدَّلَائِلِ وَأَفْصَحُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ صِنْفَانِ : هُمَا  
الْقَلَمُ وَاللِّسَانُ وَكِلَاهُمَا تَرْجُمَانُ . فَأَمَّا اللِّسَانُ فَهُوَ الْآلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ  
الْإِنْسَانُ بِهَا عَنْ حَدِّ الْأَسْتِيْهَامِ إِلَى حَدِّ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالْكَلَامِ . وَلِذَلِكَ  
قَالَ صَاحِبُ الْمُنْطِقِ : حَدُّ الْإِنْسَانِ الْحَيُّ النَّاطِقُ

### البحث الثاني

## في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع (١)

( من مقدمة ابن خلدون باختصار )

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي هُوَ الْعِبَارَةُ وَالْخِطَابُ إِنَّمَا سِرُّهُ وَرُوحُهُ  
فِي إِفَادَةِ الْمَعْنَى . وَأَمَّا إِذَا كَانَ مُهْمَلًا فَهُوَ كَالْمَوَاتِ الَّذِي لَا عِزَّةَ  
بِهِ وَكَمَالُ الْإِفَادَةِ هُوَ الْبَلَاغَةُ عَلَى مَا عَرَفْتَ مِنْ حَدِّهَا عِنْدَ أَهْلِ  
الْبَيَانِ لِإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : هِيَ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ . وَمَعْرِفَةُ  
الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي بِهَا تُطَابِقُ التَّرَاكِبُ اللَّفْظِيَّةُ مُقْتَضَى  
الْحَالِ هُوَ فَنُ الْبَلَاغَةِ . وَتِلْكَ الشُّرُوطُ وَالْأَحْكَامُ تُؤْخَذُ مِنْ عِلْمِي

(١) ان هذا الفصل لا يوجد في نسخة مقدمة ابن خلدون المطبوعة في مصر  
وبيروت بل في طبعة باريز



تَكْتُبُ : أَنَا أَفْعُلُ . وَمَوْضِعُ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ ( اسْتَفْعَلْتُ ) أَخْلَى  
 مِنْ ( فَعَلْتُ ) فَأَدِرِ الْكَلَامَ عَلَى أَغْكَانِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى جَمِيعِ وَجُوهِهِ  
 فَإِذَا لَفْظَةٌ رَأَيْتَهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَاتْرَعَهَا إِلَى الْمَكَانِ  
 الَّذِي أوردتها عَلَيْهِ وَأَوْقِعَهَا فِيهِ . وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلَقَةً فِي مَوْضِعِهَا  
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَنْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي حَاولْتَ  
 تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي آرَدْتَ إِصْلَاحَهُ فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَازِ  
 فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقُصْدُكَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مُصَابِهَا إِنَّمَا هُوَ كَتَرْقِيعِ الثُّوبِ  
 الَّذِي لَمْ يُشَابِهْ رِقَاعُهُ وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَّةِ  
 وَتَعَيَّرَ حُسْنُهُ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِي بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الثُّوبَ مَرْقُوعُ  
 كَذَلِكَ كُلَّمَا أَخْلَوَى الْكَلَامُ وَعَذِبَ وَرَاقَ وَسَهَلَتْ مَخَارِجُهُ كَانَ  
 أَسْهَلَ وَأَرْجَى فِي الْأَنْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ وَأَخَفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ  
 لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ تُرْجَمًا بِلَفْظٍ مُؤْتَقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايَرًا  
 بِكَلَامٍ عَذِبٍ لَمْ يَسِمَهُ التَّكْلِيفُ بِمِيسَمِهِ وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ  
 بِاسْتِهْلَاكِهِ . . . . . وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ .  
 وَاللَّفْظَ الظَّاهِرَ بِالْجُلْمَانِ الظَّاهِرِ . وَإِذَا لَمْ يَهْضُ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ  
 الْجَزْلُ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزْلٌ لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا النِّظَامُ مُتَّسِقًا .  
 وَتَضَاوُلُ الْمَعْنَى الْحَسَنِ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ تَضَاوُلُ الْحُسْنَاءِ فِي  
 الْأَطْمَارِ الرِّثَةِ . وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ : لَفْظٌ وَإِشَارَةٌ  
 وَعَقْدٌ وَخَطٌّ . وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ أَرِسْطَاطَالِيْسُ صَنَفًا خَامِسًا فِي كِتَابِ

أَنْ يَجْتَنِبَ اللَّفْظَ الْمَشْتَرَكَ وَالْمَعْنَى الْمُلْتَبِسَ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ  
 أَيْضًا فِي الرِّسَالِ وَالْبَلَاغَاتِ الْمَشْهُورَةِ مَا يَجُوزُ فِي الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ  
 لِأَنَّ الشَّاعِرَ مُضْطَرٌّ وَالشَّعْرَ مَقْصُودٌ مُقَيَّدٌ بِالْوَزْنِ وَالْقَوَافِي . فَكَذَلِكَ  
 أَجَازُوا لَهُمْ صَرْفَ مَا لَا يَنْصَرِفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَحَذَفَ مَا لَا يُحْذَفُ  
 مِنْهَا وَاعْتَمَرَ فِيهِ سُوءَ التَّظْلُمِ وَأَجَازُوا فِيهِ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ وَالْإِضْطِرَّ  
 فِي مَوْضِعِ الْأِظْهَارِ وَذَلِكَ كُلُّهُ غَيْرُ سَانِعٍ فِي الرِّسَالِ وَلَا جَائِزٍ فِي  
 الْبَلَاغَاتِ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي فِي الرِّسَالِ أَنْ يُصَغَّرَ الْأَسْمُ فِي  
 مَوْضِعِ التَّعْظِيمِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : دُوَيْبِيَّةٌ تَصْغِيرُ  
 دَاهِيَةٍ . وَجَدِيلٌ تَصْغِيرُ جَدَلٍ . وَعَدِيقٌ تَصْغِيرُ عَدْقٍ . وَقَالَ لَيْدٌ :  
 وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَنْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْبِيَّةٌ تَصْغُرُ مِنْهَا الْأَنْوَالُ  
 وَقَالَ الْحَبَابُ بْنُ الْمَذَرِيٍّ يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : أَنَا عَدِيقُهَا  
 الْمَرْجَبُ وَجَدِيلُهَا الْحَكَّاءُ . وَقَالَ سَرَحَةُ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَمَا لَا يَجُوزُ  
 فِي الرِّسَالِ وَكَرِهُوهُ فِي الْكَلَامِ أَيْضًا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : كَلَّمْتُ إِيَّاكَ  
 وَأَعْنِي إِيَّاكَ وَهُوَ جَائِزٌ فِي الشَّعْرِ . قَالَ الشَّاعِرُ :  
 وَاجْمَلُ وَأَحْسَنُ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْسِرْ كَأَيَّاكَ أَسِيرُ  
 فَتَحَيَّرَ مِنَ الْأَلْفَافِ أَرْجَحُهَا لَفْظًا وَأَجْزَلُهَا وَأَشْرَفُهَا جَوْهَرًا  
 وَأَكْرَمُهَا حَسَبًا وَالْيَقِيَّةَ فِي مَكَانِهَا وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ  
 حَاوَلْتَ صَنْعَةَ رِسَالَةٍ قَرْنَ اللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ التَّصْرِيفِ إِذَا  
 عَرَضَتْ . وَعَايِرِ الْكَلِمَةَ بِمِغْيَارٍ إِذَا سَنَحَتْ . فَإِنَّهُ رَبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ  
 يَكُونُ فَخْرُجُ الْكَلَامِ إِذَا كَتَبْتَ : أَنَا فَاعِلٌ . أَحْسَنُ مِنْ أَنْ



بِعَهْدِكَ . فَكَأَنَّهُ قَدْ أَتَى بِمَا يَجِبُ وَلَوْ قَصَدَ بَشَائِهِ إِلَى مَقْصِدِهِ  
كَانَ أَشْبَهَ بِالْمُلُوكِ . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ يَتَوَلَّى مِنْ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يُطْلِقُوا هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِلَّا  
فِي الْخُلَفَاءِ خَاصَّةً . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْكَتِيسَ هُوَ الْعَقْلُ . وَلَكِنْ إِنْ  
وَصَفْتَ رَجُلًا فَقُلْتَ : إِنَّهُ لَعَاقِلٌ . كُنْتَ مَدَحْتَهُ عِنْدَ النَّاسِ . وَإِنْ  
قُلْتَ : إِنَّهُ لِكَتِيسٌ كُنْتَ قَدْ قَصَرْتَ بِهِ عَنْ وَصْفِهِ وَصَغُرَتْ مِنْ  
قَدْرِهِ . إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ لِأَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى مَعْنَى  
الْكَلِمَةِ وَلَكِنْ إِلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا فِي الظَّاهِرِ  
إِذَا كَانَ اسْتِعْمَالُ الْعَامَّةِ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعَ الْحَدَاثَةِ وَالْفِرَةِ وَخَسَاسَةِ  
الْقَدْرِ وَصِغَرِ السِّنِّ . . . . . فَامْتَثِلْ هَذِهِ الْمَذَاهِبَ وَأَجِرْ عَلَى هَذِهِ  
الْقَوَامِ وَتَحَفَّظْ فِي صُدُورِ كُنْيِكَ وَفُضُولِهَا وَخَوَاتِمِهَا وَضَعْ كُلَّ مَعْنَى  
فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ وَتَحَيَّزْ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنَى يُشَاطِرُهَا وَلَيْكُنْ مَا  
تَحْتَمُّ بِهِ فُضُولُكَ فِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ الْبَلَوَى بِمِثْلِ : ( نَسَالُ اللَّهَ دَفْعَ  
الْتَحْذُورِ وَصَرَفَ الْمَكْرُوهِ ) وَأَشْبَاهِ هَذَا . وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ  
الْمُصِيبَةَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ التَّعَمُّعَ :  
( الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِصًا وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَاجِبًا ) . فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ يَجِبُ عَلَى  
الْكَاتِبِ أَنْ يَنْفَقِدَهَا وَيَحْتَفِظَ بِهَا . فَإِنَّ الْكَاتِبَ إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِبًا  
بِأَنْ يَضَعَ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعِهِ فَيَعْلِقَ كُلَّ لَفْظَةٍ عَلَى طَبَقِهَا مِنْ  
الْمَعْنَى . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي الرِّسَائِلِ اسْتِعْمَالُ الْإِقْتِصَادِ وَالْحَذَفِ  
وَالْمُخَاطَبَةِ الْخَاصِّ بِالْعَامِّ وَالْعَامِّ بِالْخَاصِّ . وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ



أَرْجَحَ وَزَنَا وَأَنَّهُ قَدَرًا فِي الْمُنَاطَبَةِ كَمَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا : أَكْرَمَكَ  
 اللَّهُ وَأَبْقَاكَ . أَحْسَنَ مَثَلًا فِي كُتُبِ الْفَضَلَاءِ وَالْأَدَبَاءِ مِنْ جُعِلَتْ  
 فِدَاكَ عَلَى أَشْتِرَالِكَ مَعْنَاهُ وَأَحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنَ الْخَيْرِ كَمَا  
 يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنَ الشَّرِّ . عَلَى أَنَّ كُتَابَ الْعَسْكَرِ وَعَوَامَّهُمْ  
 قَدْ وَلِعُوا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهَا فِي جَمِيعِ مُحَاوَرَاتِهِمْ وَجَعَلُوهَا  
 هِجْرَاهُمْ فِي مُحَاطَبَةِ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ . وَلِذَلِكَ  
 قَالَ مُحَمَّدٌ الْوَرَّاقُ :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سُرَّ مِنْ رَأْيِ النَّاسِ وَمَنْ قَدْ يَدْخُلُ الْأَمَلَاكَ  
 لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَائِلًا بِطَرِيقٍ قَالَ لِلْكَلْبِ يَا جُعِلَتْ فِدَاكَ  
 وَكَذَلِكَ لَمْ يُجِيزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ أَبْقَاكَ اللَّهُ وَامْتَعَ بِكَ إِلَّا  
 فِي الْأَبْنِ وَالْخَادِمِ الْمُنْقَطِعِ إِلَيْكَ . وَأَمَّا فِي كُتُبِ الْإِخْوَانِ فَغَيْرُ  
 جَائِزٍ بَلْ مَذْمُومٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ . . . وَلِكُلِّ مَكْتُوبٍ إِلَيْهِ قَدْرٌ وَوَزْنٌ  
 يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ لَا يُجَاوِزَهُ عَنْهُ وَلَا يُقَصِّرَ بِهِ دُونَهُ . وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ  
 عَابُوا الْأَخْوَصَ حِينَ خَاطَبَ الْمُلُوكَ خِطَابَ الْعَوَامِّ فِي قَوْلِهِ :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذَقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ  
 وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٍ فِي الْمَذْحِ وَلَكِنَّهُمْ أَجَلُوا قَدْرَ الْمُلُوكِ أَنْ  
 يَمْدَحُ بِمَا تَمْدَحُ بِهِ الْعَوَامُّ لِأَنَّ صِدْقَ الْحَدِيثِ وَانْجَازَ الْوَعْدِ وَإِنْ كَانَ  
 مِنَ الْمَذْحِ فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَامَّةِ . وَالْمُلُوكُ لَا يَمْدَحُونَ بِالْفَرَائِضِ  
 الْوَاجِبَةِ . إِنَّمَا يَحْسَنُ مَذْحُهُمْ بِالْتَّوَافُلِ لِأَنَّ الْمَادِحَ لَوْ قَالَ لِبَعْضِ  
 الْمُلُوكِ : إِنَّكَ لَا تَحُونُ مَا اسْتَوْدَعْتَ وَإِنَّكَ لَتَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ وَتَفِي

يَحِبُّ نَوَاقِرَهُمْ فِي الْكُتُبِ بِشَرَفِ الْعِلْمِ وَعُلُوِّ دَرَجَةِ أَهْلِهِ .  
 (وَالطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ) لِأَهْلِ الْقُدْرِ وَالْجَلَالَةِ وَالْخَلَائِفَةِ وَالطُّلَاوَةِ وَالظَّرْفِ  
 وَالْأَدَبِ فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَكَ بِحِدَّةِ أَذْهَانِهِمْ وَشِدَّةِ تَمْيِيزِهِمْ وَأَنْتِقَادِهِمْ  
 وَأَدَبِهِمْ وَتَصَفِّحُهُمْ إِلَى الْإِسْتِغْنَاءِ عَلَى نَفْسِكَ فِي مَكَاتِبِهِمْ وَأَسْتَعْنَيْنَا  
 عَنْ التَّرْتِيبِ لِلسُّوقَةِ وَالْعَوَامِّ وَالتَّجَارِ بِأَسْتَعْنَائِهِمْ بِمِهَاتِهِمْ مِنْ هَذِهِ  
 الْأَلَاتِ وَأَشْغَالِهِمْ بِمِهَاتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ . وَلِكُلِّ طَبَقَةٍ  
 مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مَعَانٍ وَمَذَاهِبٌ يَحِبُّ عَلَيْكَ أَنْ تَرَعَاهَا فِي  
 مُرَاسَلَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي كُتُبِكَ قَتَرَنَ كَلَامَكَ فِي مُحَاطَتِهِمْ بِمِيزَانِهِ  
 وَتَعْطِيَةِ قِسْمِهِ وَتَوْفِيَةِ نَصِيْبِهِ . فَإِنَّكَ مَتَى أَهْمَلْتَ ذَلِكَ وَاصْغَتَهُ لَمْ  
 آمَنْ عَلَيْكَ أَنْ تَعْدِلَ بِهِمْ عَنْ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ مَسْلَكِهِ فَلَا تَعْتَدَّ  
 بِالْمَعْنَى الْجَزُلِ مَا لَمْ تُتْلِسْهُ لَفْظًا لَانْتِقَاءً عَنْ كَاتِبَتِهِ وَمَلَسًا عَنْ رَاسِلَتِهِ .  
 فَإِنَّ الْبَاسِكَ الْمَعْنَى وَإِنْ صَحَّ وَصَرَفَ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَلَى قَدْرِ  
 الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَتُهُمْ تَهْنِئُ لِلْمَعْنَى وَإِخْلَالُ بِقَدْرِهِ  
 وَظُلْمٌ بِحَقِّ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَنَقْصٌ بِمَا يَحِبُّ لَهُ كَمَا أَنَّ فِي اتِّبَاعِ  
 تَعَارُفِهِمْ وَمَا أَنْشَرَتْ بِهِ عَادَاتُهُمْ وَجَرَتْ بِهِ السِّنَنُ قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ  
 وَخُرُوجًا مِنْ حُقُوقِهِمْ وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ وَإِسْقَاطًا لِلْحُجَّةِ أَدَبِهِمْ .  
 فَمَنْ الْأَلْفَاظِ الْمَرْغُوبِ عَنْهَا وَالصُّدُورِ الْمُسْتَوْحَشِ مِنْهَا فِي كُتُبِ  
 السَّادَاتِ وَالْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ عَلَى اتِّفَاقِ الْمَعَانِي مِثْلُ : أَبْقَاكَ اللَّهُ  
 طَوِيلًا وَعَمَّرَكَ مَلِيًّا . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ لَافِرْقَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَطَالَ  
 اللَّهُ بَقَاءَكَ . وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَبْقَاكَ اللَّهُ طَوِيلًا . وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا



أَهْ مَعْنَى . وَقَالُوا : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يُخْتَجَّ بِهِ إِلَى كَلَامٍ وَلِلْعَرَبِ  
 مِنْ مُوجِزِ اللَّفْظِ وَلَطِيفِ الْمَعْنَى فُضُولٌ عَجِيبَةٌ وَبَدَائِعُ غَرِيبَةٌ . قَالَ  
 إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ : إِذَا اخْتَجَّتْ إِلَى مُحَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ  
 وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْخُطَبَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَأَوَسَاطِ النَّاسِ  
 وَسُوقَتِهِمْ مُحَاطَبَةٌ كَلَّاءٌ عَلَى قَدْرِ أَهْلِيَّتِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ وَارْتِفَاعِهِ  
 وَفِطْنَتِهِ وَأَنْتَبَاهِهِ وَأَجْعَلْ طَبَقَاتِ الْكَلَامِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ : مِنْهَا  
 الطَّبَقَاتُ الْعَلِيَّةُ أَرْبَعٌ وَالطَّبَقَاتُ الْآخَرُ وَهِيَ دُونَهَا أَرْبَعٌ لِكُلِّ  
 طَبَقَةٍ مِنْهَا دَرَجَةٌ وَلِكُلِّ قِسْمَةٍ لَا يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يُقْصَرَ  
 بِأَهْلِهَا عَنْهَا وَيَقْلِبَ مَعْنَاهَا إِلَى غَيْرِهَا . ( فَالْحُدُ الْأَوَّلُ ) الطَّبَقَاتُ الْعُلْيَا  
 وَغَايَتُهَا الْقُضُوصُ الْخِلَافَةُ الَّتِي أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَهَا وَعَالَى شَأْنَهَا عَنْ مُسَاوَاتِهَا  
 بِأَحَدٍ مِنَ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِي التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ . ( وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ )  
 لُؤَزَرَانِهَا وَكُتَاتِهَا الَّذِينَ يُحَاطَبُونَ الْخُلَفَاءَ بِعُقُولِهِمْ وَالسِّيَرَتِمْ وَيَرْتَقُونَ  
 الْفُتُوقَ بَارَائِهِمْ . ( وَالطَّبَقَةُ الثَّلَاثَةُ ) أُمَرَاءُ تُغَوَّرِهِمْ وَقُودُ جُنُودِهِمْ  
 فَإِنَّهُ يَجِبُ مُحَاطَبَةُ كُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدْرِهِ وَمَوْجِعِهِ وَحَظِّهِ وَغَنَائِهِ  
 وَجَوَانِهِ وَأَضْطِلَاعِهِ بِأَحْمَلٍ مِنْ أَعْبَاءِ أُمُورِهِمْ وَجَلَالِ أَعْمَالِهِمْ .  
 ( وَالرَّابِعَةُ ) الْقُضَاةُ فَتَنْهَمُ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ تَوَاضُعُ الْعُلَمَاءِ وَجِيلَةُ  
 الْفُضَلَاءِ فَمَعَهُمْ أَهْلَةُ السَّاطِنَةِ وَهَيْئَةُ الْأُمَرَاءِ . وَأَمَّا الطَّبَقَاتُ الْأَرْبَعُ  
 الْآخَرُ فَهُمْ الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَوْجَبَتْ نِعْمَتُهُمْ تَعْظِيمَهُمْ فِي الْكُتُبِ إِلَيْهِمْ  
 وَأَفْضَالُهُمْ تَفْضِيلَهُمْ فِيهَا . ( وَالثَّانِيَةُ ) وَزَرَاؤُهُمْ وَكُتَاتِهِمْ وَاتِّبَاعُهُمْ  
 الَّذِينَ تُقَرَّعُ أَبْوَابُهُمْ وَبِعَيْنَاتِهِمْ تُسْتَبَاحُ أَمْوَالُهُمْ . ( وَالثَّلَاثَةُ ) هُمْ الْعُلَمَاءُ



## الفصل السادس

في وجوه الكلام

( راجع صفحة ٦٦ من علم الادب )

البحث الاول

في وجوه البلاغة وطبقات الكلام

( من العقد الفريد لابن عبد ربه )

الْبَلَاغَةُ تَكُونُ عَلَى أَرْبَعَةٍ أَوْجُوْهُ : تَكُونُ بِاللَّفْظِ وَالْحَظِّ  
وَالْإِشَارَةِ وَالِدَّلَالَةِ . وَكُلُّ مِنْهَا لَهُ حَظٌّ مِنْ الْبَلَاغَةِ وَالْيَقِيْنِ وَمَوْضِعٌ  
لَا يَجُوزُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَلِكُلِّ كَلَامٍ  
جَوَابٌ . وَرُبَّ إِشَارَةٍ أَبْلَغُ مِنْ لَفْظٍ . فَأَمَّا الْحَظُّ وَالْإِشَارَةُ  
فَفَهْمَانِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَكَثْرُ الْعَامَّةِ . وَأَمَّا الدَّلَالَةُ فَكُلُّ شَيْءٍ  
دَلَّكَ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْ أَخْبَرَكَ بِهِ . . . . . وَقَالَ أَبُو رِيْزٍ إِكْرَامِيَّةٌ :  
أَعْلَمُ أَنَّ دَعَائِمَ الْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ : إِنْ أَلْجَسَ لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوْجَدْ فَإِنْ  
نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ تَتِمَّ وَهِيَ : سُؤَالُكَ الشَّيْءَ وَأَمْرُكَ بِالشَّيْءِ  
وَأَخْبَارُكَ عَنِ الشَّيْءِ وَسُؤَالُكَ عَنِ الشَّيْءِ . فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَنْبِجِعْ .  
وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِعْ وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكُمْ . وَإِذَا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ .  
وَأَجْمَعْ الْكَثِيرَ بِمَا تُرِيدُ فِي الْقَلِيلِ بِمَا تَقُولُ ( يُرِيدُ الْكَلَامَ الَّذِي  
تَقِلُّ حُرُوفُهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ ) . وَقَالَ رَبِيعَةُ : الرَّأْيُ أَنْ لَا أَسْمَعَ  
الْحَدِيثَ عُطْلًا فَاشْتَقَّهُ وَأَقْرَطَهُ فَيَحْسُنُ وَمَا زِدْتُ فِيهِ شَيْئًا وَلَا غَيَّرْتُ

تَقْدِيرُهُ ( مِنْ قَلْبِي اَلْمُتَعَلِّقُ بِهِ ) فَلَمَّا فَضَلَ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ  
الَّذِي هُوَ ( قَلْبِي ) وَالصِّفَةِ الَّتِي هِيَ ( اَلْمُتَعَلِّقُ ) بِالضَّمِيرِ الَّذِي هُوَ ( بِهِ )  
قُبْحَ ذَلِكَ . وَلَوْ كَانَ قَالَ مِنْ قَلْبٍ بِهِ مُتَعَلِّقٍ لَزَالَ ذَلِكَ الْقُبْحُ  
وَذَهَبَتْ تِلْكَ اَلْهَجْنَةُ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ اَيْضًا اَنْ تُرَادَ اَلْأَلِفُ  
وَاللَّامُ فِي اَسْمِ الْفَاعِلِ وَيَقَامُ الضَّمِيرُ فِيهِ مَقَامَ الْمَفْعُولِ . كَقَوْلِ  
أَبِي تَمَّامٍ :

فَلَوْ عَايَنْتَهُمْ وَالزَّائِرِيهِمْ لَمَّا مَزَتْ اَلْبَعِيدَ مِنْ اَلْحَمِيمِ  
فَقَوْلُهُ : ( اَلزَّائِرِي ) اَسْمُ فَاعِلٍ . وَقَوْلُهُ : ( وَالزَّائِرِيهِمْ ) هُوَ  
الضَّمِيرُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ . تَقْدِيرُهُ : ( اَلزَّائِرِينَ اَرْضَهُمْ أَوْ دَارَهُمْ  
أَوْ اَلزَّائِرِينَ اَيَّاهُمْ ) فَاسْتَعْمَلُ هَذَا مَعَ اَلْأَلِفِ وَاللَّامِ قُبْحٌ جَدًّا .  
وَإِذَا حَدِّقْنَا زَالَ ذَلِكَ الْقُبْحُ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا الشُّعْرَاءُ اَلْمُتَقَدِّمُونَ  
كَثِيرًا

( وَمِمَّا جَاءَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي ) الَّذِي يُوجَدُ فِي اَلْأَلْفَاظِ اَلْمُتَعَدِّدَةِ  
قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ اَيْضًا :

لَا خَلْقَ أَكْرَمُ مِنْكَ اَلْأَعَارِفُ بِكَ رَاءَ نَفْسِكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا  
فَإِنَّ عَجْزَ هَذَا اَلْبَيْتِ نَافِرٌ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَآمَثَالُ هَذَا فِي اَلْأَشْعَارِ  
كَثِيرٌ



الاذغام في الفعل الثلاثي ونقله إلى اسم الفاعل . وعلى هذا فلا  
يُحْسُنُ أَنْ يُقَالَ : بَلَّ الثَّوْبَ فَهُوَ بَالِلٌ . وَلَا : سَلَّ السَّيْفَ فَهُوَ سَالِلٌ .  
وهذا لو عُرِضَ عَلَى مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ لَادْرَكَهُ وَفَهِمَهُ فَكَيْفَ مَنْ لَهُ  
ذَوْقٌ صَحِيحٌ كَأَيِّ الطَّيِّبِ . لَكِنْ لَا بُدَّ إِكْلَ جَوَادٍ مِنْ كِبَوَةٍ .  
وَأَشَدَّ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ بَيْتًا لِدُعِيلٍ وَهُوَ :  
شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهَيْهَا وَهُوَ يَخْلُقُ  
فَقُلْتُ لَهُ : عَجَزَ هَذَا أَلْبَيْتِ حَسَنٌ وَأَمَّا صَدْرُهُ فَقَبِيحٌ . لِأَنَّ  
سَبْكَهَ قَلَقٌ نَافِرٌ . وَتِلْكَ أَلْفَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ  
كَأَنَّهَا رُكْبَةُ الْبَعِيرِ وَهِيَ فِي زِيَادَتِهَا كَزِيَادَةِ الْكَرْشِ . . . وَمِثْلُ  
هَذِهِ الدَّقَاقِ الَّتِي تَرُدُّ فِي الْكَلَامِ نَظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا لَا يَتَفَطَّنُ لَهَا  
إِلَّا الرَّاخِ فِي عِلْمِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَضْعُ هَمْزَةٍ  
الْقَطْعِ وَهِيَ مُحْسُوبَةٌ مِنْ جَائِزَاتِ الشَّعْرِ الَّتِي لَا تَجُوزُ فِي الْكَلَامِ  
الْمَثْنِيِّ . وَكَذَلِكَ قَطْعُ هَمْزَةِ الْوَصْلِ لَكِنْ وَضْعُ هَمْزَةٍ الْقَطْعِ أَقْبَحُ  
لِأَنَّهُ أَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ . فِيمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ  
الْمُتَنِيِّ :

يُوسِطُهُ الْمَفَاوِزُ كُلَّ يَوْمٍ طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا اِنْتِظَارُ  
فَقَوْلُهُ : ( لَا اِنْتِظَارُ ) كَلَامٌ نَافِرٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَمِنْ هَذَا  
الْقِسْمِ أَنْ يُفْرَقَ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ بِضَمِيرٍ مِنْ تَقْدَمَ ذِكْرُهُ .  
كَقَوْلِ النُّجْدِيِّ :

حَلَفْتُ لَهُ بِاللَّهِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِي بِهِ اَلْتَّعَلُّقِ



فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعَاظَلَةِ أَنَّ الْمُعَاظَلَةَ هِيَ التَّرَاكُّبُ وَالتَّدَاخُلُ  
إِمَّا فِي الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي الْمَعْنَى عَلَى مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ . وَهَذَا النَّوعُ  
لَا تَرَاكُّبَ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ إِيْرَادُ الْفَاطِ غَيْرَ لَا ثَبَّةَ بِمَوْضِعِهَا الَّذِي تَرِدُ  
فِيهِ . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْآخَرُ  
فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ . ( فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ ) فَإِنَّهُ  
إِذَا وَرَدَ فِي الْكَلَامِ امْكُنَ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ سِوَاهُ  
كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ نَثْرًا أَوْ نَظْمًا . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ  
الْمُتَعَدِّدَةِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ فِي الشَّعْرِ بَلْ يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي  
النَّثْرِ خَاصَّةً لِأَنَّهُ يَغْسُرُ فِي الشَّعْرِ مِنْ أَجْلِ الْوِزْنِ . فِيمَا جَاءَ مِنْ  
الْقِسْمِ الْأَوَّلِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

فَلَا يُزِمُّ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحِلُّ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُزِمُّ  
فَلَفْظَةُ حَالِلٌ نَافِرَةٌ عَنْ مَوْضِعِهَا وَكَانَتْ لَهُ مَنَدُوحَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهُ لَوْ  
اسْتَعْمَلَ عِوَضًا عَنْهَا لَفْظَةً ( نَاقِضٌ ) جَلَّتِ اللَّفْظَةُ قَارَةً فِي مَكَانِهَا  
غَيْرَ قَلِقَةٍ وَلَا نَافِرَةٍ . وَبَلَّغَنِي عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ : أَنَّهُ كَانَ يَتَعَصَّبُ لِأَبِي  
الطَّيِّبِ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يُسَمِّيهِ الشَّاعِرَ وَيُسَمِّي غَيْرَهُ بِنِ الشُّعْرَاءِ بِاسْمِهِ  
وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ فِي شِعْرِهِ لَفْظَةٌ يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ عَنْهَا مَا هُوَ فِي  
مَعْنَاهَا فَيُجِيءُ حَسَنًا مِثْلَهَا . فَيَأْتِيَتْ شِعْرِي أَمَّا وَقَفَ عَلَى هَذَا أَلَيْتِ  
الْمُشَارِ إِلَيْهِ لَكِنَّ الْهَوَى كَمَا يُقَالُ أَعْمَى . وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ أَعْمَى  
أَلْعَيْنِ خِلْقَةً وَأَعْمَاهَا عَصِيَّةٌ فَاجْتَمَعَ لَهُ الْعَمَى مِنْ جِهَتَيْنِ . وَهَذِهِ  
الْلَفْظَةُ الَّتِي هِيَ ( حَالِلٌ ) وَمَا يُجْرِي مَجْرَاهَا قَبِيحَةٌ الِاسْتِعْمَالِ وَهِيَ فَكُّ

نَدِ آيِي غَرٍ وَافٍ لَخِي ثَقَّةٍ جَعَدِ سَرِيٍّ نَهْ نَذِبِ رَضٍ نَدَسٍ  
وَهَذَا كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ بِلَا شَكٍّ وَقَلِيلًا مَا يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ. وَلَمْ  
أَجِدْهُ كَثِيرًا إِلَّا فِي شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ وَتِلْكَ مُعَاطَلَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ وَهَذِهِ  
مُعَاطَلَةٌ لَفْظِيَّةٌ وَهِيَ تُوجَدُ فِي شِعْرِ آيِي الطَّبِيبِ كَثِيرًا

### البحث العاشر

## في المنافرة بين الالفاظ في السبك

( عن المثل السائر لابن الاثير باختصار )

وَهَذَا النَّوعُ لَمْ يُحَقِّقْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ الْقَوْلَ فِيهِ . وَغَايَةُ  
مَا يُقَالُ : إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَكُونَ الْأَلْفَافُ نَافِرَةً عَنْ مَوَاضِعِهَا ثُمَّ  
يُكْتَفَى بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ وَلَا تَفْصِيلٍ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ خُطِطَ  
هَذَا النَّوعُ بِالْمُعَاطَلَةِ وَكُلُّ مِنْهَا نَوْعٌ مُفْرَدٌ بِرَأْسِهِ لَهُ حَقِيقَةٌ تَخْصُهُ . إِلَّا  
أَنَّهُمَا قَدْ اشْتَبَهَا عَلَى عُلَمَاءِ الْبَيَانِ فَكَيْفَ عَلَى جَاهِلٍ لَا يَعْلَمُ . وَقَدْ  
بَيَّنْتُ هَذَا النَّوعَ وَفَصَّلْتُهُ فِي فَضْلِ الْمُعَاطَلَةِ وَضَرَبْتُ لَهُ أَمْثَلَةً يُسْتَدَلُّ  
بِهَا عَلَى أَخَوَاتِهَا وَمَا يَجْرِي تَجَرُّأُهَا . وَحُمِلَ الْأَمْرُ أَنَّ مَدَارَ سَبْكِ الْأَلْفَافِ  
عَلَى هَذَا النَّوعِ وَالَّذِي قَبْلَهُ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ  
الْمَذْكُورَةِ . لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ أَضْلًا سَبْكِ الْأَلْفَافِ وَمَا عَدَاهُمَا  
فَرَعٌ عَلَيْهِمَا . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ النَّائِرُ أَوْ النَّاطِمُ عَارِفًا بِهِمَا فَإِنَّ مَقَاتِلَهُ  
كَثِيرَةٌ . وَحَقِيقَةُ هَذَا النَّوعِ الَّذِي هُوَ الْمَنَافَرَةُ أَنْ يُذَكَّرَ لَفْظٌ أَوْ  
الْفَافُ يَكُونُ غَيْرَهَا مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهَا أَوَّلَى بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا

وَأِنْ لَمْ يَكُنْ تَكْرِيرًا لِلْخُرُوفِ إِلَّا أَنَّهُ أَخُوهُ وَلَا أَقُولُ : أَيْبُنُ عَمِّهِ .  
وَهَذِهِ أَلْفَاظُ مُتَرَاكِبَةٍ مُتَدَاخِلَةٌ وَلَوْ عَطَفَهَا بِالْوَاوِ لَكَانَتْ أَقْرَبَ  
حَالًا . كَمَا قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ رَعْبَانَ :

فَسَدَ النَّاسُ فَاطْلُبِ الرِّزْقَ بِالسَّيْفِ م وَالْأَمْتُ شَدِيدُ الْفِرَالِ  
حِلٌّ وَأَمْرٌ وَضَرٌّ وَأَنْفَعُ وَلِنْ وَأَخْشَنُ م وَأَبْرَزُ ثُمَّ أَنْتَدِبُ لِلْمَعَالِي  
أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا عَطَفَ هَهُنَا بِالْوَاوِ لَمْ تَتَرَاكِبِ أَلْفَاظُ  
كَتَرَاكِبُهَا فِي بَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ

( الْقِسْمُ الرَّابِعُ مِنَ الْمَعَاظِلَةِ ) وَهُوَ الَّذِي يَتَّصِنُ مِضَافَاتٍ  
كَثِيرَةً كَقَوْلِهِمْ : سَرَجُ فَرَسٍ غُلَامٍ زَيْدٍ . وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ  
قِيلَ : لَبْدُ سَرَجِ فَرَسٍ غُلَامٍ زَيْدٍ . وَهَذَا أَشَدُّ قُبْحًا وَأَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ .  
وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ بَابِكِ الشَّاعِرِ فِي مُفْتَحِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجَنْدَلِ أَسْجَعِي فَأَنْتِ بَرَأَى مِنْ سُعَادٍ وَمَسْمَعِ  
( الْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ الْمَعَاظِلَةِ ) أَنْ تَرِدَ صِفَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ عَلَى  
نَحْوِ وَاحِدٍ . كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ رُحْمًا :

وَمَرَّ تَهْفُو ذَوَابْتَاهُ عَلَى أَسْمَرِ مَتْنِ يَوْمٍ أَلْوَغَى جَسَدِهِ  
مَارِنُهُ لَدُنْهُ مُثَقَّفُهُ عِرَاضُهُ فِي الْأَكْفِ مُطَرَّدُهُ  
وَهَذَا كَالْأَوَّلِ فِي قُبْحِهِ وَثِقَلِهِ فَقَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَمْتَنَ شَعْرُهُ وَمَا  
أَنْحَقَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ . . . . . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ  
الْمُتَنَبِّئِيِّ :

دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبِّ مُبْغِضٍ بِهِمْ أَغَرَّ حُلُوِّ مُرٍّ لَيْتَنِ شَرِسٍ



تَكْرِيرِ الْحُرُوفِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَكَرَّرَ الْحَرْفُ  
عِنْدَهُمْ أَدْعَمُوهُ اسْتِحْسَانًا فَقَالُوا فِي : ( جَعَلَ لَكَ ) جَعَلَكَ . وَفِي :  
( تَضْرِبُونِي ) تَضْرِبُونِي . وَكَذَلِكَ قَالُوا : اسْتَعَدَّ فُلَانٌ لِلْأَمْرِ إِذَا  
تَاهَبَ لَهُ وَالْأَصْلُ فِيهِ اسْتَعَدَّ . وَاسْتَبَّ الْأَمْرُ إِذَا تَهَيَّأَ . وَالْأَصْلُ  
فِيهِ اسْتَبَّ . وَاشْبَاهُ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى أَنَّهُمْ لِشِدَّةِ كَرَاهَتِهِمْ  
لِتَكْرِيرِ الْحُرُوفِ أَبَدَلُوا أَحَدَ الْحَرْفَيْنِ الْمَكَرَّرَيْنِ حَرْفًا آخَرَ غَيْرَهُ فَقَالُوا :  
أَمَلَيْتُ الْكِتَابَ . وَالْأَصْلُ فِيهِ أَمَلْتُ . فَأَبَدَلُوا اللَّامَ يَاءً طَلَبًا  
لِلخَفَّةِ وَفَرَارًا مِنَ الثَّقَلِ . وَإِذَا كَانَ قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ  
فَمَا ظَنُّكَ بِالْأَلْفَافِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا

( الْقِسْمُ الثَّلَاثُ مِنَ الْمَعَاظِلَةِ ) أَنْ تَرِدَ الْفَاعِلُ عَلَى صِيغَةِ الْفِعْلِ  
يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَهِيَ مَا يَخْتَلِفُ بَيْنَ مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٍ . وَهِيَ مَا  
لَا يَخْتَلِفُ . فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْقَاضِي الْأَرَجَانِيِّ فِي آيَاتٍ يَصِفُ فِيهَا  
السَّعَةِ فَقَالَ :

بِالنَّارِ فَرَقَتْ الْحَوَادِثُ بَيْنَنَا وَبِهَا نَذَرْتُ أَعُودُ أَقْتُلُ رُوحِي  
فَقَوْلُهُ : ( نَذَرْتُ أَعُودُ ) مِنَ الْمَعَاظِلَةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا . وَأَمَّا مَا  
يَرِدُ عَلَى نَهْجٍ وَاحِدٍ مِنَ الصِّيغَةِ الْفِعْلِيَّةِ . فَكَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ  
الْمُتَنَبِّي :

أَقِلْ أَيْلَ اقْطَعْ أَحْمِلْ عَلَى سَلٍّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بِشٍّ تَفَضَّلْ أَدِنْ سُرَّ صِلْ  
فَهَذِهِ الْفَاعِلُ جَاءَتْ عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ صِيغَةُ الْأَمْرِ كَأَنَّهُ  
قَالَ : ( أَفْعَلْ أَفْعَلْ ) هَكَذَا إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ . وَهَذَا تَكْرِيرٌ لِلصِّيغَةِ

فَقَوْلُهُ ( فِي ) بَعْدَ قَوْلِهِ ( فِيهِ لَهُ ) مِمَّا لَا يَحْسُنُ رُودُهُ. وَكَذَلِكَ  
وَرَدَّ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ

فَقَوْلُهُ : ( لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا ) مِنْ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ . . . .  
( الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ أَلْفَاظِ اللَّفْظِيَّةِ ) تَخْتَصُّ بِتَكْرِيرِ الْحُرُوفِ  
وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِتَكْرِيرِ الْأَلْفَاظِ وَلَا بِتَكْرِيرِ أَلْعَانِي مِمَّا يَأْتِي  
ذِكْرُهُ فِي بَابِ التَّكْرِيرِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ . وَأَمَّا هُوَ تَكْرِيرُ حَرْفٍ  
وَاحِدٍ أَوْ حَرْفَيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ أَوْ  
الْمَنْظُومِ فَيَنْشَأُ حِينَئِذٍ النُّطْقُ بِهِ . . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَقَبْرُ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ . وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَفْرٌ

فَهَذِهِ أَلْفَاظَاتُ وَالرَّائَاتُ كَانَتْ فِي تَتَابُعِهَا سِلْسِلَةً وَلَا خَفَاءَ بِمَا  
فِي ذَلِكَ مِنْ الثَّقَلِ . وَكَذَا وَرَدَّ قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَانِهِ :  
وَأَزُورَ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عُرْفَانَهُ

فَقَوْلُهُ : ( وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عُرْفَانَهُ ) مِنْ التَّكْرِيرِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ .  
وَكَذَلِكَ وَرَدَّ قَوْلُهُ أَيْضًا فِي رِسَالَتِهِ اللَّتَيْنِ صَاغَهُمَا عَلَى حَرْفِي السِّينِ  
وَالشِّينِ : فَإِنَّهُ أَتَى فِي إِحْدَاهُمَا بِالسِّينِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا .  
وَأَتَى بِالأُخْرَى بِالشِّينِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا فَجَاءَ تَا كَانَهُمَا رُقَى  
الْعُقَارِبِ أَوْ خُذْرُوقَةَ الْعَزَائِمِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ خَفِيَ مَا فِيهِمَا مِنْ  
الْقُنْجِ عَلَى مِثْلِ الْحَرِيرِيِّ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِالْجِدِّ وَالرَّدِيِّ مِنَ الْكَلَامِ . .  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ هُمْ الْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللَّغَةِ قَدْ عَدَلُوا عَنْ



اللفظي من المتعاطلة ) فإني تأملتُهُ بالاستقراء من الأشعار قديمها  
ومحدثها ومن النظر في حقيقتها نفسها فوجدتها تنقسم إلى خمسة  
أقسام : ( الأول ) منها يختص بادوات الكلام . من وإلى وعن وعلى  
وأشباهاها . فإن منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته .  
ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلًا على اللسان ولكل موضع يخصه  
من السبك . فيما جاء منه قول أبي تمام :

إلى خالد راحت بنا أرحية مرافقها من عن كراكرها نكب  
فقوله : ( من عن كراكرها ) من الكلام المتعاطل الذي  
ثقل النطق به على أنه قد وردت هاتان اللفظتان وهما : من وعن  
في موضع آخر فلم يثقل النطق بهما كقول القائل : من عن عين  
الطريق . والسبب في ذلك أنهما وردتا في بيت أبي تمام مضافتين إلى  
لفظة الكراكر فتثقلت منهما وجعلتهما مكروهتين كما ترى والآن  
فقد وردتا في شعر قطري بن النجاعة فكأنتا خفيفتين كقوله :

ولقد أراي للرماح دريمة من عن يميني مرة وأماي  
والأصل في ذلك راجع إلى السبك فإذا سبكت هاتان  
اللفظتان أو ما يجري مجراهما مع ألفاظ تسهل منهما لم يكن بهما  
من ثقل كما جاءتا في بيت قطري . وإذا سبكتا مع ألفاظ تثقل  
منهما جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام . ومن هذا القسم قول  
أبي تمام أيضًا :

كأنه لاجتماع الروح فيه له في كل جارية من جسمه روح



قَوْلُ الْآخِرِ :

فَاضْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَانَ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا

فَإِنَّهُ قَدَّمَ خَبَرَ كَانَ عَلَيْهَا وَهِيَ قَوْلُهُ : خَطٌّ . وَهَذَا وَآمِثَالُهُ مِمَّا لَا يَجُوزُ قِيَاسُهُ عَلَيْهِ وَالْأَضَلُّ فِي هَذَا أَلَيْتِ ( فَاضْبَحَتْ بَعْدَ بَهْجَتِهَا قَفْرًا كَانَ قَلَمًا خَطًّا رُسُومَهَا ) إِلَّا أَنَّهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْأُولَى فِي الشَّعْرِ مُحْتَمِلٌ مُضْطَرَبٌ . وَالْمَعَاظِلَةُ فِي هَذَا الْبَابِ نَتَفَاوَتْ دَرَجَاتُهَا فِي الْفُجْجِ وَهَذَا أَلَيْتُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ مِنْ أَقْبَحِهَا لِأَنَّ مَعَانِيَهُ قَدْ تَدَاخَلَتْ وَرَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَمِمَّا يَجْرِي هَذَا النِّجْرَى قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

إِلَى مَلِكٍ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كُتَيْبٌ تُصَاهِرُهُ  
( وَهُوَ يُرِيدُ إِلَى مَلِكٍ أَبُوهُ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ ) . وَهَذَا أَقْبَحُ

مِنَ الْأَوَّلِ وَاصْنُفْ أَخْتِلَالًا... وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْفَرَزْدَقُ مِنَ التَّعَاضُلِ كَثِيرًا كَأَنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُهُ . لِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَجِيءُ إِلَّا مُتَكَافَأًا مَقْصُودًا . وَإِلَّا فَإِذَا تَرَكَ مُؤَلِّفُ الْكَلَامِ نَفْسَهُ تَجَرِّي عَلَى سَبِيلِهَا وَطَبَعِهَا فِي الْأَسْتِرْسَالِ لَمْ يَعْزِضْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا التَّعْقِيدِ . إِلَّا تَرَى أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْكَلَامِ مَعْدُومٌ فِي هَذَا الضَّرْبِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ إِذَا الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ الْإِيضَاحُ وَالْإِبَانَةُ وَافْهَامُ الْمَعْنَى . فَإِذَا ذَهَبَ هَذَا الْوَصْفُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ ذَهَبَ الْمُرَادُ بِهِ وَلَا فَرْقَ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ اللُّغَاتِ كَالْفَارْسِيَّةِ وَالْهُنْدِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا . وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ ضِدُّ الْقَصَاحَةِ لِأَنَّ الْقَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْيَبَانُ وَهَذَا عَارٍ عَنِ هَذَا الْوَصْفِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ

إِذَا رَكِبْتَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى . وَهَذَا الْمِثَالُ الَّذِي مَثَلَ بِهِ قُدَامَةُ  
لَا تَرَاكِبَ فِي الْفَاطِلَةِ وَلَا فِي مَعَانِيهِ . وَأَمَّا غَيْرُ قُدَامَةِ فَإِنَّهُ خَالَفَهُ  
فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْقَسِمِ الْمُعَاظَلَةُ إِلَى لَفْظِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ وَلَكِنَّهُ  
ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا . كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ  
وَهَذَا مِنْ الْقِسْمِ الْمَعْنَوِيِّ لِأَنَّ الْقِسْمَ اللَّفْظِيَّ . الْآتِيَّ  
إِلَى تَرَاكِبِ مَعَانِيهِ بِتَقْدِيمِ مَا كَانَ يَجِبُ تَأْخِيرُهُ وَتَأْخِيرُ مَا كَانَ  
يَجِبُ تَقْدِيمُهُ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي مَعْنَاهُ : وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيُّ يُقَارِبُهُ  
إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ . وَإِذَا حَقَّقْتَ الْقَوْلَ فِي بَيَانِ الْمُعَاظَلَةِ  
وَالْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَتِهَا فَاقُولُ : إِنَّ الْمُعَاظَلَةَ مُعَاظَلَتَانِ لَفْظِيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ  
(فَالْمَعْنَوِيَّةُ) أَنْ يُقَدَّمَ مَا الْأَوَّلَى بِهِ التَّأْخِيرُ وَهُوَ مِنْ عُيُوبِ الْكَلَامِ  
لِأَنَّ الْمَعْنَى مُحْتَمِلٌ بِذَلِكَ وَمُضْطَرِبٌ وَذَلِكَ كَتَقْدِيمِ الصِّفَةِ أَوْ مَا  
يَتَعَلَّقُ بِهَا عَلَى الْمَوْصُوفِ وَتَقْدِيمِ الصِّلَةِ عَلَى الْمَوْصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .  
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

فَقَدْ وَاللَّهِ بَيْنَ لِي عَنَاءٍ بِيُوشِكُ فِرَاقُهُمْ صُرْدٌ يَصِيحُ  
فَإِنَّهُ قَدَّمَ قَوْلَهُ (بِيُوشِكُ فِرَاقُهُمْ) . وَهُوَ مَعْمُولٌ يَصِيحُ وَيَصِيحُ  
صِفَةً لَصُرْدٍ عَلَى صُرْدٍ وَذَلِكَ قَبِيحٌ . الْآتِيَّ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ :  
هَذَا مِنْ مَوْضِعِ كَذَا رَجُلٌ وَرَدَّ الْيَوْمَ . وَإِنَّمَا يَجُوزُ وَقُوعُ الْمَعْمُولِ  
بِحَيْثُ يَجُوزُ وَقُوعُ الْعَامِلِ فَكَمَا لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الصِّفَةِ عَلَى مَوْصُوفِهَا  
فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ مَا اتَّصَلَ بِهَا عَلَى مَوْصُوفِهَا . وَمِنْ هَذَا النَّحْوِ



فَتَأَلَّفُوهَا بِالْاِقْتِصَادِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّوَسُّطِ فِي التَّقْدِيمِ لِتَحْسُنَ طَاعَتُهَا  
وَيَدُومَ نَشَاطُهَا . فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْمُسْتَمْعِ مِنَ الْاَسْبَابِ الْمُنَافِعَةِ  
مِنْ فَهْمِ الْمَعَانِي

## البحث التاسع

### في المعاظلة

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

إِنَّ الْمَعَاظِلَةَ مَأْخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَعَاظَلَتِ الْجُرَادَاتَانِ إِذَا رَكِبَتَا  
أَحَدَاهُمَا الْأُخْرَى . فَسَيَّيَ الْكَلَامُ الْمُتَرَكَبُ فِي الْمَفَاضِلِ وَفِي  
مَعَانِيهِ الْمَعَاظِلَةَ مَأْخُودًا مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ أَنْهُمْ لَا يَتَّقُونَ بِمُسَمَاهُ . وَوَصَفَ  
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَى فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاطِلُ بَيْنَ  
الْكَلَامِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي حَقِيقَةِ الْمَعَاظِلَةِ فَقَالَ قُدَامَةُ  
أَبْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ : التَّعَاظُلُ فِي الْكَلَامِ هُوَ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ  
الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ وَلَا أَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا فَاحِشَ الْاِسْتِعَارَةِ .  
كَقَوْلِ أَوْسٍ بْنِ حُجْرٍ :

وَدَاتِ هَذِمٍ عَارٍ نَوَاسِرُهَا تَضَمَّتْ بِالْمَاءِ تَوَلَّابًا جَدَعًا  
فَسَيَّيَ الظَّنِّي تَوَلَّابًا وَالتَّوَلَّبُ وَلَدُ الْحِمَارِ . وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ قُدَامَةُ  
أَبْنُ جَعْفَرٍ وَهُوَ خَطَأٌ إِذْ لَوْ كَانَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَوَابًا لَكَانَتْ حَقِيقَةُ  
الْمَعَاظِلَةِ دُخُولَ الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ . وَلَيْسَتْ حَقِيقَتُهَا هَذِهِ بَلْ  
حَقِيقَتُهَا مَا تَقَدَّمَ وَهُوَ الْمُتَرَكَبُ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَعَاظَلَتِ الْجُرَادَاتَانِ



وَقَالَ بَعْضُ أَلْبَلَاءِ : إِنَّ هَذِهِ الْأَذَابَ نَوَافِرُ تَدُّ عَنْ أَهْلِ الْأَذْهَانِ  
فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا حِمَاةً . وَالْأَقْلَامَ لَهَا رُعَاةً . ( وَأَمَّا الطَّوَارِي )  
فَنَوْعَانِ : ( أَحَدُهُمَا ) شُبْهَةٌ تَعَارِضُ أَلْمَعْنَى فَتَمْنَعُ عَنْ نَفْسِ تَصَوُّرِهِ وَتَدْفَعُ  
عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . فَيُبَغْيِي أَنْ يُزِيلَ تِلْكَ الشُّبْهَةَ عَنْ نَفْسِهِ بِالسُّوَالِ  
أَوْ النَّظَرِ لِيَصِلَ إِلَى تَصَوُّرِ أَلْمَعْنَى وَإِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ  
الْعُلَمَاءِ : لَا تَحُلْ قَلْبَكَ مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فَتَعُودَ عَقِيمًا . وَلَا تُعْفِ  
طَبْعَكَ مِنَ الْمُنَاطَرَةِ فَيَعُودَ سَقِيمًا . وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

شِفَاءُ أَلْمَعْنَى طُولُ السُّوَالِ وَإِنَّمَا

دَوَامُ أَلْمَعْنَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ

فَكُنْ سَائِلًا عَمَّا عِنَّاكَ فَإِنَّمَا دُعِيتَ أَخَا عَقْلٍ لِيَتَجَتَّ بِأَلْعَقْلِ  
( وَالثَّانِي ) أَفْكَارُ تَعَارِضِ الْخَاطِرِ فَيَذْهَلُ عَنْ تَصَوُّرِ أَلْمَعْنَى .

وَهَذَا سَبَبٌ قَلَّ مَا يَعْرِى مِنْهُ أَحَدٌ لِأَسِيَّا فَيَمْنُ أَنْبَسَطَتْ أَمَالُهُ  
وَأَتَسَّعَتْ أَمَانِيَّتُهُ . وَقَدْ يَقِلُّ فَيَمْنُ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي غَيْرِ الْعِلْمِ أَرْبٌ  
وَلَا فِيمَا سِوَاهُ هِمَّةٌ فَإِنْ طَرَأَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُكَابَرَةِ  
نَفْسِهِ عَلَى الْفَهْمِ وَغَلَبَتْ قَلْبَهُ عَلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَعَ الْأَكْرَاهِ  
أَشَدُّ نُفُورًا وَأَبْعَدُ قُبُولًا . وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ : بَانَ الْقَلْبُ إِذَا  
أَكْرَهَ عَمِي . وَلَكِنْ يُعْمَلُ فِي دَفْعِ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ هَمٍّ مُذْهَلٍ  
أَوْ فِكْرٍ قَاطِعٍ لِيَسْتَجِيبَ لَهُ الْقَلْبُ مُطِيعًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ يُمْغِنُ فِي الْمَوَدَّةِ شَافِعٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الصُّلُوعِ شَفِيعٌ  
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ تَنَافُرًا كَتَنَافُرِ الْوَحْشِ

إِلَّا بِمُقَدِّمَتِهِ وَالْإِسْتِعَالَ بِهِ قَبْلَ الْمُقَدِّمَةِ عَنْهُ . وَاتِّعَابُ الْفِكْرِ فِي  
 اسْتِبْطَاطِهِ قَبْلَ قَاعِدَتِهِ آذَى . فَهَذَا يُوضَحُ تَعْلِيلُ مَا فِي الْمَعَانِي مِنْ  
 الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِهَا . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ  
 السَّبَبُ الْمَانِعُ لِعِلَّةٍ فِي الْمُسْتَمِعِ فَذَلِكَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا مِنْ ذَاتِهِ .  
 وَالثَّانِي مِنْ طَائِرٍ عَلَيْهِ . (فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ ذَاتِهِ) فَيَتَنَوَّعُ تَوْعِينَ : أَحَدُهُمَا  
 مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى . وَالثَّانِي مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ حِفْظِهِ  
 بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ . فَأَمَّا مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى وَفَهْمِهِ فَهُوَ  
 الْبَلَادَةُ وَقِلَّةُ الْفِطْنَةِ وَهُوَ الدَّاءُ الْأَعْيَاءُ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :  
 إِذَا فَقَدَ الْعَالِمُ الذِّهْنَ قَلَّ عَلَى الْأَضْدَادِ احْتِيَاجُهُ . وَكَثُرَ إِلَى الْكُتُبِ  
 احْتِيَاجُهُ . وَلَيْسَ لِمَنْ يُبْلَى بِهِ إِلَّا الصَّبْرُ وَالْإِقْلَالُ . لِأَنَّهُ عَلَى الْقَلِيلِ  
 أَقْدَرُ . وَبِالصَّبْرِ آخَرَى أَنْ يُنَالُ وَيُظْفَرُ . وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ  
 تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ التَّنْسِيَانُ الْحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ التَّوَانِي  
 فَيَنْبَغِي لِمَنْ يُبْلَى بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظَ  
 غَفْلَتَهُ بِإِدَامَةِ النَّظَرِ . فَقَدْ قِيلَ : لَا يُدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ  
 وَيَكْدُ نَفْسَهُ . وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كُدُودٌ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى  
 الْعِلْمَ مَغْنَمًا وَالْجَاهِلَةَ مَغْرَمًا . فَيَحْتَمِلُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ الْعِلْمِ  
 وَيَنْفِي عَنْهُ مَعَرَّةَ الْجَهْلِ . فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرِ عَظِيمٍ . وَعَلَى قَدْرِ  
 الرَّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ التَّعَبُ . وَقَدْ قِيلَ :  
 طَلَبُ الرَّاحَةِ قِلَّةُ الْإِسْتِرَاحَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اكْمَلِ الرَّاحَةَ  
 مَا كَانَتْ عَنْ كَدِّ التَّعَبِ وَاعْرِضْ الْعِلْمَ مَا كَانَ عَنْ ذَلِّ الطَّلَبِ . . .



أَوْ حَمْدُ حَصْلِهِ . أَوْ خَيْرُ آسَسِهِ أَوْ عِلْمُ اقْتَبَسَهُ . فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ  
نَفْسَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَقَدْ هَاجَ الْفَرَاغُ عَلَيْكَ شُغْلًا      وَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَرَاغِ  
فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِ  
مَعَانِيهِ حَتَّى خَرَجَ بِنَا الْأَسْتِيفَاءِ وَالْكَشْفِ إِلَى الْأَعْمَاضِ . ( وَآمَّا  
الْقِسْمُ الثَّانِي ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فَهْمِ السَّامِعِ لِعَلَّةٍ  
فِي الْمَعْنَى الْمُسْتَوْدَعِ فَلَا يَجْلُو حَالُ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا  
أَنْ يَكُونَ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ أَوْ يَكُونَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ أَوْ يَكُونَ نَتِيجَةً  
مِنْ غَيْرِهِ . فَأَمَّا الْمُسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فَضَرْبَانِ : جَلِيٌّ وَخَفِيٌّ . فَأَمَّا الْجَلِيُّ  
فَهُوَ يَسْبِقُ إِلَى فَهْمِ مُتَصَوِّرِهِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ . وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَقْسَامِ  
مَا يُشْكِلُ عَلَى مَنْ تَصَوَّرَهُ . وَآمَّا الْخَفِيُّ فَيَحْتَاجُ فِي إِدْرَاكِهِ إِلَى  
زِيَادَةٍ تَأْمُلُ وَفَضْلٍ مُعَانَاةٍ لِيَتَجَلَّى عَمَّا أَخْفَى وَيُكْشَفَ عَمَّا أَعْمَضَ .  
وَبِاسْتِعْمَالِ الْفِكْرِ فِيهِ يَكُونُ الْإِزْتِيَاضُ بِهِ وَبِالْإِزْتِيَاضِ بِهِ يَسْهَلُ  
مِنْهُ مَا اسْتَصْعَبَ وَيَقْرُبُ مِنْهُ مَا بَعُدَ . فَإِنَّ لِلرِّيَاضَةِ جَرَاءَةً وَلِلدِّرَاسَةِ  
تَأْثِيرًا . وَآمَّا مَا كَانَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ فَضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُومَ  
الْمُقَدِّمَةُ بِنَفْسِهَا وَإِنْ تَعَدَّتْ إِلَى غَيْرِهَا فَتَكُونَ كَالْمُسْتَقِلِّ بِنَفْسِهِ  
فِي تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ مُسْتَدْعِيًا لِنَتِيجَتِهِ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مُقْتَضًى إِلَى  
نَتِيجَةٍ فَيَتَعَدَّرُ فَهْمُ الْمُقَدِّمَةِ إِلَّا بِمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ النَّتِيجَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ  
بَعْضًا . وَتَبْعِيضُ الْمَعْنَى أَشْكَلُ لَهُ وَبَعْضُهُ لَا يُغْنِي عَنْ كُلِّهِ . وَآمَّا  
مَا كَانَ نَتِيجَةً لِغَيْرِهِ فَهُوَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِأَوَّلِهِ وَلَا يُتَصَوَّرُ عَلَى حَقِيقَتِهِ



رُمُوزَهَا مِنَ الْإِبْطَاءِ عَنْ دَرْكِهَا فَهَذَا حَالُ الرَّمْزِ . وَأَمَّا اللَّغْزُ فَهُوَ  
تَحْرِي أَهْلِ الْفَرَاغِ وَشُغْلُ ذَوِي الْبَطَالَةِ لِيَتَنَافَسُوا فِي تَبَايُنِ قَرَائِحِهِمْ  
وَيَتَفَاخَرُوا فِي سُرْعَةِ خَوَاطِرِهِمْ فَيَسْتَكِدُّوا خَوَاطِرَ قَدْ مُنِحُوا صِحَّتَهَا فِيمَا  
لَا يُجْدِي نَفْعًا وَلَا يُفِيدُ عِلْمًا كَأَهْلِ الصِّرَاعِ الَّذِينَ قَدْ صَرَفُوا مَا مُنِحُوهُ  
مِنْ صِحَّةِ أَجْسَامِهِمْ إِلَى صِرَاعِ كُدُودِ عَشْوَلِهِمْ وَيَهْدُ أَجْسَامَهُمْ  
وَلَا يُكْسِبُهُمْ حَمْدًا وَلَا يُجْدِي عَلَيْهِمْ نَفْعًا . انْظُرْ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :  
رَجُلٌ مَاتَ وَخَلَفَ رَجُلًا      ابْنٌ أَمْ ابْنُ أَبِي أُخْتِ أَبِيهِ  
مَعَهُ أُمُّ بَنِي أَوْلَادِهِ      وَأَبَا أُخْتِ بَنِي عَمِّ أَخِيهِ  
أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَقَدْ رَوَعَكَ صُعُوبَةُ مَا تَضَمَّنَهُمَا مِنْ  
السُّوَالِ إِذَا اسْتَكْدَيْتَ الْفِكْرَ فِي اسْتِخْرَاجِهِ فَعَلِمْتَ أَنَّهُ أَرَادَ مِثْلًا  
خَلَفَ أَبَا وَزَوْجَةً وَعَمًّا . مَا الَّذِي آفَادَكَ مِنَ الْعِلْمِ وَنَقَى عَنْكَ مِنَ  
الْجَهْلِ . أَلَسْتَ بَعْدَ عِلْمِهِ تَجْهَلُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا مِنْ قَبْلِهِ وَلَوْ أَنَّ  
السَّائِلَ قَلَبَ لَكَ السُّوَالِ فَأَخَّرَ مَا قَدَّمَ وَقَدَّمَ مَا أَخَّرَ لَكُنْتَ فِي  
الْجَهْلِ بِهِ قَبْلَ اسْتِخْرَاجِهِ كَمَا كُنْتَ فِي الْجَهْلِ الْأَوَّلِ وَقَدْ كَدَدْتَ  
نَفْسَكَ وَاتَّعَبْتَ خَاطِرَكَ . ثُمَّ لَا تَعْدُمُ أَنْ يَرِدَ عَلَيْكَ مِثْلُ هَذَا مِمَّا  
تَجْهَلُهُ فَتَكُونُ فِيهِ كَمَا كُنْتَ قَبْلَهُ . فَأَصْرِفْ نَفْسَكَ تَوَلَّى اللَّهُ رُشْدَكَ  
عَنْ عُلُومِ التُّوَكِّي وَتَكَلَّفِ الْبَطَالِينَ . ثُمَّ اجْعَلْ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ  
مِنْ صِحَّةِ الْفَرِيحَةِ وَسُرْعَةِ الْخَاطِرِ مَصْرُوفًا إِلَى عِلْمٍ مَا يَكُونُ انْفِاقُ  
خَاطِرِكَ فِيهِ مَذْخُورًا وَكَدُّ فِكْرِكَ فِيهِ مَشْكُورًا . وَقَالَ بَعْضُ الْبَلَاءِ :  
مَنْ أَمَضَى يَوْمَهُ بِغَيْرِ حَقِّ قَضَائِهِ . أَوْ فَرَضَ آدَاءَهُ . أَوْ مَجْدَى آثَلَهُ .

بُعِثَ شَيْئًا فَكَثُرَتِ الْوُلُوعُ بِهِ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا  
 ثُمَّ لِيَكُونُوا بَرَاءً مِنْ عَهْدَةٍ مَا قَالُوهُ إِذَا جُرِبَ وَلَوْ كَانَ مَا تَضَمَّنَ  
 هَذَيْنِ التَّوَعَيْنِ وَآشْبَاهَهُمَا مِنَ الرُّمُوزِ مَعْنَى صَحِيحًا وَعِلْمًا مُسْتَفَادًا الْخَرَجَ  
 مِنَ الرَّمْزِ الْخَفِيِّ إِلَى الْعِلْمِ الْجَلِيِّ . فَإِنَّ أَغْرَاضَ النَّاسِ مَعَ اخْتِلَافِ  
 أَهْوَائِهِمْ لَا تَتَّفِقُ عَلَى سِتَرٍ سَلِيمٍ وَآخِفاءٍ مُفِيدٍ . وَقَدْ قَالَ زُهَيْرٌ :  
 السِّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ  
 وَرَبَّمَا اسْتَعْمِلَ الرَّمْزُ مِنَ الْكَلَامِ فِيمَا يُرَادُ تَفْخِيمُهُ مِنَ الْإِلْعَانِ  
 وَتَعْظِيمُهُ مِنَ الْإِلْفَاطِ لِيَكُونَ آخِلِي فِي الْقَلْبِ مَوْقِعًا . وَاجَلَّ فِي  
 النَّفُوسِ مَوْضِعًا . فَيَصِيرُ بِالرَّمْزِ سَائِرًا وَفِي الصُّحُفِ مُجَلَّدًا . كَالَّذِي  
 حُكِيَ عَنْ فَيْثَاغُورَسَ فِي وَصَايَاهُ الْمُرْمُوزَةِ إِنَّهُ قَالَ : أَحْفَظْ مِيزَانَكَ  
 مِنَ الْبَذَى وَأَوْزَانَكَ مِنَ الصَّدَى . يُرِيدُ بِحِفْظِ الْمِيزَانِ مِنَ الْبَذَى  
 حِفْظَ اللِّسَانِ مِنَ الْخَطَا وَبِحِفْظِ الْأَوْزَانِ مِنَ الصَّدَى حِفْظَ الْعَقْلِ  
 مِنَ الْهَوَى . فَضَارَ بِهَذَا الرَّمْزِ مُسْتَحْسِنًا وَمُدُونًا وَلَوْ قَالَهُ بِاللَّفْظِ الصَّرِيحِ  
 وَالْمَعْنَى الصَّحِيحِ لَمَا سَارَ عَنْهُ وَلَا اسْتَحْسِنَ مِنْهُ . وَعِلَّةُ ذَلِكَ أَنَّ  
 الْمَخْجُوبَ عَنِ الْأَفْهَامِ كَالْمَخْجُوبِ عَنِ الْأَبْصَارِ فِيمَا يَخْصُلُ لَهُ فِي  
 النَّفُوسِ مِنَ التَّعْظِيمِ . وَفِي الْقُلُوبِ مِنَ التَّفْخِيمِ . وَمَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَمْ  
 يَخْتَبِ هَانَ وَأَسْثَرُ ذِلَّ . وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ اسْتِخْلَاؤُهُ فِيمَا قَلَّ وَهُوَ بِاللَّفْظِ  
 الصَّرِيحِ مُسْتَقِيلٌ . فَأَمَّا الْعُلُومُ الْمُنْتَشِرَةُ الَّتِي تَطَّلَعُ النَّفُوسُ إِلَيْهَا فَقَدْ  
 اسْتَعْتَتْ بِقُوَّةِ الْبَلَاغِ عَلَيْهَا . وَشَدَّةِ الدَّاعِي إِلَيْهَا . عَنِ الْإِسْتِدْعَاءِ إِلَيْهَا  
 بِرَمْزٍ مُسْتَحْكَمٍ وَلَفْظٍ مُسْتَعْرَبٍ . بَلْ ذَلِكَ مُنْقَرٌ لِمَا فِي التَّشَاغُلِ بِاسْتِخْرَاجِ



دَلِيلًا يَسُوءُ ظَنِّ الْمُتَكَلِّمِ بِهِمُ السَّامِعِ كَانَ اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ .  
وَأِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسُوءِ فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَضْعَبُ  
الْأُمُورِ حَالًا وَأَبْعَدُهَا اسْتِخْرَاجًا لِأَنَّ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَإِنَّتَ مِنْ  
فَهْمِهِ أَبْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَغْرُطٌ ذَكَائِكَ وَجُودَةٌ خَاطِرِكَ تَتَبَّعُهُ  
بِإِشَارَتِهِ عَلَى انْتِبَاطٍ مَا عَجَزَ عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجٍ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ  
قَضِيَّةُ الْإِسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ التَّقَدُّمِ لَهُ . وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ فَضَرْبَانِ :  
عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ . (أَمَّا الْعَامَّةُ) فَهِيَ مُوَاضِعُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا جَعَلُوهُ أَلْقَابًا لِمَعَانٍ  
لَا يَسْتَعْنِي الْمُتَعَلِّمُ عَنْهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى مَعْنَى كَلَامِهِمْ إِلَّا بِهَا كَمَا جَعَلَ  
الْمُتَكَلِّمُونَ الْجَوَاهِرَ وَالْأَعْرَاضَ وَالْأَجْسَامَ أَلْقَابًا تَوَاضَعُوهَا لِمَعَانٍ  
اتَّفَقُوا عَلَيْهَا . وَلَسْتُ تَجِدُ مِنَ الْعُلُومِ عِلْمًا يَخْلُو مِنْ هَذَا . وَهَذِهِ  
الْمَوَاضِعُ الْعَامَّةُ تُسَمَّى عُرُفًا . (وَأَمَّا الْخَاصَّةُ) فَمَوَاضِعُ الْوَاحِدِ يَقْصِدُ  
بِبَاطِنِ كَلَامِهِ غَيْرَ ظَاهِرِهِ . فَإِذَا كَانَتْ فِي الْكَلَامِ كَانَتْ رَمْزًا .  
وَأِنْ كَانَتْ فِي الشَّعْرِ كَانَتْ لُغْزًا . فَأَمَّا الرَّمْزُ فَلَسْتُ تَجِدُهُ فِي عِلْمٍ  
غَنَوِيٍّ . وَلَا فِي كَلَامٍ لُغَوِيٍّ . وَأَمَّا يَخْتَصُّ غَالِبًا بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ : إِمَّا  
بِمَذْهَبٍ شَنِيعٍ يُخْفِيهِ مُعْتَبِدُهُ وَيَجْعَلُ الرَّمْزَ سَبِيلًا لِيَتَطَّلَعَ النَّفْسُ إِلَيْهِ  
وَأَحْتِمَالِ التَّأْوِيلِ فِيهِ سَبِيلًا لِدَفْعِ الشُّبْهِ عَنْهُ . وَإِمَّا لِمَا يَدْعِي أَرْبَابَهُ  
أَنَّهُ عِلْمٌ مُعَوِّزٌ . وَأَنْ إِدْرَاكَهُ بِدَيْعٍ مُعْجَزٍ كَالصَّنْعَةِ الَّتِي وَضَعَهَا  
أَرْبَابُهَا أَسْمًا لِعِلْمِ الْكِيمِيَاءِ فَرَمَزُوا بِأَوْصَافِهِ وَأَخْفَوْا مَعَانِيَهُ لِيُوهَمُوا  
أَشْخَبَ بِهِ وَالْأَسَفُ عَلَيْهِ خَدِيعَةُ لِلْعُقُولِ الْوَاهِيَةِ وَالْأَرَاءِ الْفَاسِدَةِ .  
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :



الْمُتَرَجِمَ عَنْهَا . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي الْمُسْتَوْدَعِ فِيهَا . وَإِمَّا أَنْ  
يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي السَّمْعِ الْمُسْتَحْرَجِ . فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ  
فَهْمِهَا لِعِلَّةٍ فِي الْكَلَامِ الْمُتَرَجِمِ عَنْهَا لَمْ يَحُلْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ :  
( أَحَدُهَا ) أَنْ يَكُونَ لِقَصْرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى فَيَصِيرُ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ  
عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى . وَهَذَا يَكُونُ مِنْ  
أَحَدِ وَجْهَيْنِ : إِمَّا مِنْ حَصْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَيْهِ . وَإِمَّا مِنْ بِلَادِيهِ وَقَلَّةِ  
فَهْمِهِ . ( الْحَالُ الثَّانِي ) أَنْ يَكُونَ لِرِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى قَصِيرَ  
الرِّيَادَةِ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فَهْمِ الْقُصُودِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ يَكُونُ مِنْ أَحَدِ  
وَجْهَيْنِ : إِمَّا مِنْ هَذَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَكَثْرَةِ . وَإِمَّا لِسُوءِ ظَنِّهِ بِفَهْمِ  
سَامِعِهِ . ( وَالْحَالُ الثَّلَاثُ ) أَنْ يَكُونَ لِمَوَاضِعَةٍ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ  
بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّمْعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهَا . وَإِمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ  
وَرِيَادَتُهُ مِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ دُونَ الْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذَلِكَ  
عَامًّا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ فَإِذَا عَدَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ  
الْقَصْرِ إِلَى الْكَلَامِ الْمُسْتَوِي وَعَنِ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ  
نَفْسَكَ مِنْ تَكْلُفٍ مَا يَكْدُ خَاطِرَكَ وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى اسْتِحْرَاجِهِ إِمَّا  
لِضَرُورَةٍ دَعَتْكَ إِلَيْهِ عِنْدَ غَوَازِ غَيْرِهِ أَوْ لِحِمِيَّةٍ دَاخَلَتْكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ  
فَهْمِهِ فَأَنْظُرْ فِي سَبَبِ الرِّيَادَةِ وَالْقَصْرِ . فَإِنْ كَانَ الْقَصِيرُ لِحَصْرِ  
وَالرِّيَادَةُ لِهَذَرٍ سَهَّلَ عَلَيْكَ اسْتِحْرَاجَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَا لَهُ مِنَ الْكَلَامِ  
مَحْصُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخُتْلُ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنَ الصَّحِيحِ وَفِي  
الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَتْ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى

أَعْنِي قَتَى لَمْ تَذَرِ الشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ تَقَعَا  
قَوْلُهُ : ( يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ) حَشَوْ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِأَنَّ الشَّمْسَ  
لَا تَطْلُعُ لَيْلًا . وَالضَّرْبُ الْآخَرُ الْعِبَارَةُ عَنِ الْمَعْنَى بِكَلَامٍ طَوِيلٍ  
لَا فَائِدَةَ فِي طُولِهِ وَيُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ بِاقْصَرَمِنَهُ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

تَبَيَّنَتْ آيَاتُهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِعٍ  
فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : لِسَبْعَةِ أَعْوَامٍ . وَيُتِمُّ أَلْبَيْتَ بِكَلَامٍ  
آخَرَ يَكُونُ فِيهِ فَائِدَةٌ فَجَزَّ عَنْ ذَلِكَ فَحَشَا أَلْبَيْتَ بِمَا لَا وَجْهَ لَهُ .  
وَأَمَّا الضَّرْبُ الْحَمْدُ فَكَقَوْلِ كَثِيرٍ :

لَوْ أَنَّ الْبَاطِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَ  
قَوْلُهُ : ( وَأَنْتَ مِنْهُمْ ) حَشَوْ إِلَّا أَنَّهُ مَلِجٌ وَيُسَيِّي أَهْلُ الصَّنْعَةِ  
هَذَا الْجِنْسَ اعْتِرَاضَ كَلَامٍ فِي كَلَامٍ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :  
إِنَّ الثَّانِينَ وَلَبَّغْتُهَا قَدْ أَخَوَجْتَ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

### البحث الثامن

## في الالتباس والاسباب المانعة من فهم المعاني

(عن الماوردي باختصار)

إِنْ لَمْ يَفْهَمْ الْعَاقِلُ مَعَانِي مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ  
مِنْهَا لِيَعْلَمَ الْعِلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ وَعِلَلِهَا  
يَصِلُ إِلَى تَلَا فِي مَا شَدَّ وَصَلَّاحِ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ يَفْخُلُو السَّبَبُ الْمَانِعُ  
مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَعْلَةً فِي الْكَلَامِ



قَالَ حَبِيبُ الطَّائِي :

فَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ  
أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ عَادَ عِلْمًا إِذَا لَرَسَخْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ  
قَالَ آخَرُ يَمْدَحُ رَجُلًا بِاسْتِسْهَالِ اللَّفْظِ :

قَوْلُ كَانَ فِرْنَنْدَهُ شَحَذَ عَلَى ذَهْنِ اللَّيْلِ  
لَمْ يَشْمِزْ عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يَشْدُ عَلَى الْقُلُوبِ  
لَمْ يَغْلُ فِي شَنْعِ اللَّغَا تِ وَلَا يُوحِشُ بِالْغَرِيبِ

وَقَوْلُهُ : ( غَنِيًّا عَنِ التَّأَمُّلِ ) أَيُّ هُوَ مُسْتَعِنٌ لِرُضُوحِهِ عَنِ تَأَمُّلِ  
مَعَانِيهِ وَتَرْدِيدِ النَّظَرِ فِيهِ . قَالَ الْجَاهِظُ : إِنْ مَنْ أَعَارَهُ اللَّهُ مِنْ مَعُونَتِهِ  
نَصِيًّا وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذُو بَاجِبٍ إِلَيْهِ الْعَالِي وَسَلَسَ لَهُ نِظَامَ  
الْمَفْظِ وَكَانَ قَبْلُ قَدْ أَغْنَى السَّمْعَ مِنْ كَدِّ التَّلَطُّفِ وَأَرَاخَ  
قَارِيءِ الْكِتَابِ مِنْ كَدِّ التَّفْهَمِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ أَلْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبِ  
مِنْ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ وَالتَّبَاعُدِ مِنْ حُشْوِ الْكَلَامِ وَقُرْبُ التَّأَخُّدِ وَاجْتِازِ  
فِي صَوَابٍ وَقَصْدٍ إِلَى الْحُجَّةِ وَحُسْنِ الِاسْتِعَارَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :  
أَلْبَلَاغَةُ تَقْرِيبُ مَا بَعْدَ مِنَ الْحِكْمَةِ بِأَيْسَرِ الْخُطَابِ وَالتَّقَرُّبُ مِنَ  
الْمَعْنَى الْبَعِيدِ . وَهُوَ أَنْ يَغْمِذَ إِلَى الْمَعْنَى اللَّطِيفِ فَيَكْشِفُهُ وَيُنْفِي  
الشَّوَاغِلَ عَنْهُ فَيُفْهِمَهُ السَّامِعَ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ فِيهِ وَتَدَبُّرٍ لَهُ . وَقَوْلُهُ :  
( مُتَبَاعِدًا مِنَ الْحُشْوِ ) فَالْحُشْوُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَابٍ : أَشْثَانٍ مِنْهَا  
مَذْمُومَانِ وَوَاحِدٌ مَحْمُودٌ . فَاحْدُ الْمَذْمُومَيْنِ هُوَ : إِدْخَالُكَ فِي الْكَلَامِ  
أَفْظًا لَوْ أَسْقَطْتَهُ لَكَانَ الْكَلَامُ تَامًا . وَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :



وَقَالَ آخَرُ :

كُلُّ أَمْرٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْئِهِ وَإِنْ تَحَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ  
وَمِثَالُ التَّكْلُفِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي دُعَائِهِ : اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا وَاهْمَا  
مَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَاحِطٌ ذَلِكَ السُّوءَ بِهِ وَارْتَحِمَهُ فِيهِ كَرُّسُوحِ السَّحِيلِ  
فِي أَصْحَابِ الْفِيلِ . وَأَنْضَرْنَا عَلَى كُلِّ بَاغٍ وَحَسُودٍ كَمَا اتَّصَرَّتْ لِنَاقَةِ  
ثُودٍ . ثُمَّ قَالَ : ( بَرِيئًا مِنْ سُوءِ الصَّنِيعَةِ ) فَسُوءُ الصَّنِيعَةِ يَتَصَرَّفُ عَلَى وَجْهِهِ  
مِنْهَا : سُوءُ التَّقْسِيمِ وَفَسَادُ التَّفْسِيرِ وَقُبْحُ الْأُسْتِعَارَةِ وَالْإِطْلَاقِ وَفَسَادُ  
الْتَّسْمِيَةِ وَالسَّبْكِ . فَإِذَا أَهَلَ الْكَاتِبُ بِذَلِكَ فَاتَتْهُ فَضِيلَتُهُ وَعَلَقَتْ  
بِهِ رَذِيلَتُهُ قُوَّتُهُ فَعَمَّى عَلَى جَمِيعِ مَخَاسِنِهِ وَعَمَّى سَائِرَ فَضَائِلِهِ . لِأَنَّهُ إِذَا  
لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ كَلَامٍ جَيِّدٍ وَآخَرٍ رَدِيٍّ وَلَفْظٍ حَسَنٍ وَآخَرٍ قَبِيحٍ وَشِعْرِ  
نَادِرٍ وَآخَرٍ بَارِدٍ بَانَ جِهَانُهُ وَظَهَرَ نَقْصُهُ . وَهُوَ أَيْضًا إِذَا أَرَادَ أَنْ  
يَضَعَ قَصِيدَةً أَوْ يُنْشِئَ رِسَالَةً وَقَدْ فَاتَهُ هَذَا الْعِلْمُ مَرَجَ الصَّفْوِ  
بِالْكُدْرِ وَخَلَطَ الْفَرَّ بِالْعُرْرِ وَاسْتَعْدَلَ الْوَحْشِيَّ الْعَكِرَ فَجَعَلَ نَفْسَهُ  
مَهْزَاةً لِلْجَاهِلِ وَغَبْرَةً لِلْعَاقِلِ . وَإِذَا أَرَادَ أَيْضًا تَصْنِيفَ كَلَامٍ مَشْهُورٍ  
أَوْ تَأْلِيفَ شِعْرِ مَنْظُومٍ وَتَخَطَّى حُسْنَ الصَّنِيعَةِ سَاءَ اخْتِيَارُهُ لَهُ وَقُبِحَتْ  
آثَارُهُ فِيهِ فَآخَذَ الرَّدِيَّ الْمُرْذُولَ وَتَرَكَ الْحَيِّدَ الْمَقْبُولَ فَدَلَّ عَلَى  
قُصُورِ فَهْمِهِ وَتَأَخَّرِ مَعْرِفَتِهِ وَعَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ : اخْتِيَارُ الرَّجُلِ قِطْعَةً  
مِنْ عَلَيْهِ . وَمَا أَكْثَرَ مَا وَقَعَ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي هَذِهِ الرَّذِيلَةِ .  
وَقَوْلُهُ : ( بَرِيئًا مِنَ التَّعْقِيدِ ) فَالتَّعْقِيدُ وَالْإِعْلَاقُ سَوَاءٌ وَهُوَ اسْتِعْمَالُ  
الْوَحْشِيِّ وَشِدَّةُ تَعْلِيقِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ حَتَّى يَسْتَبْهِمَ الْمَعْنَى .

مُفْرَدَةٍ وَلَا لِفَالِظِهَا غَايَةً. وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ أَنْ تَكُونَ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحَةِ  
مُسْتَوْدَعَةً فِي الْفَالِظِ فَصِيحَةٍ. فَتَكُونَ فَصَاحَةً الْفَالِظِ مَعَ صِحَّةِ الْمَعْنَى  
هِيَ الْبَلَاغَةُ

## البحث السابع

### في عيوب الكلام

( عن الجاحظ والعسكري )

( راجع صفحة ٢٨ من علم الادب )

قَالَ بَعْضُ الْأَوَائِلِ : لَا تَكْمُلُ آلَةُ الْبَلِيغِ إِلَّا إِذَا خَلَا كَلَامُهُ  
مِنَ التَّكْلُفِ وَسُوءِ الصَّنْعَةِ وَكَانَ غَنِيًّا عَنِ التَّأَمُّلِ مُتَبَاعِدًا عَنِ الْحُشْوَةِ.  
فَقَوْلُهُ : ( يَكُونُ سَلِيمًا مِنَ التَّكْلُفِ ) قَالَتِ الْكَلْفُ طَلَبُ الشَّيْءِ  
بِصُعُوبَةٍ لِلْجَهْلِ بِطَرَائِقِ طَلَبِهِ بِالسُّهُولَةِ . فَالْكَلَامُ إِذَا جُمِعَ بِتَعَبٍ  
وَجُهِدٍ وَتُتَوَلَّتْ الْفَالِظَةُ مِنْ بَعْدٍ فَهُوَ مُتَكَلِّفٌ . وَقَالُوا : أَيْسَ  
الْفَقْهُ بِالْفَقْهِ وَلَا الْفَصَاحَةُ بِالْفَصَاحِ لِأَنَّهُ لَا يَزِيدُ مُتَزِيدٌ فِي كَلَامِهِ إِلَّا  
لِنَقْصِ يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ . وَبِمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ قَوْلُهُمْ :  
الطَّبْعُ أَمْلَكُ . قَالَ الْعَرَجِيُّ :

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرِ شَيْمَتِهِ وَمَنْ شَائِلُهُ التَّبْدِيلُ وَالْمَلَقُ  
ارْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدُهُ إِنَّ التَّلَقُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ  
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ يَتَدَبَّعْ مَا لَيْسَ مِنْ سُوسِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمَتُهَا

كَانَ الْإِكْتَارُ وَاجِبًا كَانَ التَّقْصِيرُ عَجْزًا. وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكَمِ :  
إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : مَنْ أَطَالَ  
صَمْتَهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ وَمِنَ الْوُحْشَةِ مَا لَا يَضُرُّهُ . وَقَالَ  
بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : عِيٌّ تَسْلَمُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقٍ تَنْدَمُ عَلَيْهِ فَأَقْتَصِرْ مِنْ  
الْكَلَامِ عَلَى مَا يُقِيمُ حُجَّتَكَ وَيُبْلِغُ حَاجَتَكَ وَإِيَّاكَ وَفُضُولُهُ فَإِنَّهُ يُرِلُّ  
الْقَدَمَ وَيُورِثُ النَّدَمَ . وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ : فَمُ الْعَاقِلِ مُجْمَمٌ إِذَا  
هَمَّ بِالْكَلَامِ أَنْجَمَ وَفَمُ الْجَاهِلِ مُطْلَقٌ كُلَّمَا شَاءَ أَطْلَقَ . وَقَالَ  
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنَّ الْكَلَامَ يُعِدُّ الْقَوْمَ جَلَوْتَهُ حَتَّى يَلْبِغَ بِهِ عِيٌّ وَإِكْتَارُ  
وَأَمَّا ( الشَّرْطُ الرَّابِعُ ) وَهُوَ اخْتِيَارُ اللَّفْظِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ  
قَلَانِ اللِّسَانِ عَنْوَانُ الْإِنْسَانُ يُرْجَمُ عَنْ مَجْهُولِهِ وَيَبْزَهُنُ عَنْ مَحْصُولِهِ  
فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ بِتَهْذِيبِ الْفَاضِلِ حَرِيًّا وَتَقْوِيمِ لِسَانِهِ مَلِيًّا . وَقَالَ خَالِدُ  
ابْنُ صَفْوَانَ : مَا الْإِنْسَانُ لَوْلَا اللِّسَانُ هَلْ إِلَّا بِهِيْمَةٌ مُهْمَلَةٌ أَوْ صُورَةٌ  
مُثْمَلَةٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اللِّسَانُ وَزِيرُ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ بَعْضُ  
الْبُلَغَاءِ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ وَعَلَى أَصْلِهِ بِفِعْلِهِ . وَقَالَ  
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ  
وَلَيْسَ يَصِحُّ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَفَهَا  
لُزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ  
مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُحْتَمَلٍ اللَّغَى لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ



أَمْلَاهُ . وَانْشَدَ بَعْضُهُمْ فِي خُطْبَاءِ إِيَادٍ :  
يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَحِي الْمَلَا حِطْ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ  
وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ كَهْلَمٍ لِأَبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِذَا أَقَلَّتْ مِنْ أَلْكَامٍ  
أَكْثَرْتَ مِنَ الصَّوَابِ . فَقَالَ : يَا أَبَتِ فَإِنَ أَنَا أَكْثَرْتُ وَأَكْثَرْتُ  
(يَعْنِي كَلَامًا وَصَوَابًا) . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ مَا رَأَيْتُ مَوْعُظًا أَحَقَّ بِأَن  
يَكُونَ وَاِعْظَا مِنْكَ . وَانْشَدْتُ لِأَبِي الْقَتْمِ النَّسْتِ :  
تَكَلَّمَ وَسَدَّدَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ  
فَإِن لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ  
وَقِيلَ لِإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثَرَةُ الْكَلَامِ .  
فَقَالَ : أَقْسَمُونَ صَوَابًا أَوْ خَطَأً . قَالُوا : لَا بَلْ صَوَابًا . قَالَ :  
فَالزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاهِظُ : لِلْكَلامِ غَايَةٌ  
وَلِلنَّشَاطِ السَّامِعِينَ نِهَايَةٌ وَمَا فَضَّلَ عَنْ مِقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى  
الِاسْتِثْقَالِ وَالْمَلَالِ فَذَلِكَ الْفَاضِلُ هُوَ الْهَذَرُ . وَصَدَقَ أَبُو عُثْمَانَ لِأَنَّهُ  
الْأَكْثَرُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا يُغْلُ السَّامِعُ وَيَكُنُّ الْخَاطِرُ وَهُوَ صَادِرٌ  
عَنْ عَجَابٍ بِهِ لَوْلَاهُ قَصَرَعَنهُ . وَمَنْ أُعْجِبَ بِكَلَامِهِ اسْتَرْسَلَ فِيهِ  
وَالْمُسْتَرْسِلُ فِي الْكَلَامِ كَثِيرُ الزَّلَلِ دَائِمُ الْعِثَارِ . وَقَالَ بَعْضُ  
الْحُكَمَاءِ : مَنْ أُعْجِبَ بِقَوْلِهِ أُعْيِبَ بِعَقْلِهِ وَلَيْسَ لِكَثَرَةِ الْهَذَرِ رَجَاءُ  
يُقَابِلُ خَوْفَهُ وَلَا نَفْعَ يُوَارِي ضَرَّهُ لِأَنَّهُ يَخَافُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّلَلَ وَيَنْ  
سَامِعِيهِ الْمَلَلَ وَلَيْسَ فِي مُقَابَلَةِ هَذَيْنِ حَاجَةٌ دَاعِيَةٌ وَلَا نَفْعٌ مَرْجُوٌّ .  
قَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى : إِذَا كَانَ الْإِيحَازُ كَافِيًا كَانَ الْأَكْثَرُ عِيًّا وَإِنْ

كَثُرَتْ آثَامُهُ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَنْذِرْكُمْ فُضُولَ الْمَنْطِقِ . وَقَالَ  
بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ وَتَرْجُمَانُ عَقْلِهِ فَأَقْصِرْهُ عَلَى  
الْجَمِيلِ وَأَقْصِرْ مِنْهُ عَلَى الْقَلِيلِ وَإِيَّاكَ مَا يُسْخِطُ سُلْطَانَكَ وَيُوحِشُ  
إِخْوَانَكَ . فَمَنْ أَسْخَطَ سُلْطَانَهُ تَعَرَّضَ لِلْمَيَّةِ . وَمَنْ أَوْحَشَ إِخْوَانَهُ  
تَبَرَّأَ مِنَ الْخَرِيَّةِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَلَنَمَّا يُبْدِي عُيُوبَ ذَوِي الْعُيُوبِ الْمَنْطِقُ  
وَلِيُخَالِفَهُ قَدْرُ الْحَاجَةِ مِنَ الْكَلَامِ حَالَتَانِ : تَقْصِيرُ يَكُونُ حَصْرًا  
وَتَكْثِيرُ يَكُونُ هَذَرًا . وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَشَيْنُ الْهَذَرِ أَشْنَعُ وَرَبَّمَا كَانَ فِي  
الْغَالِبِ أَخَوْفَ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَقْتُلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكْنِهِ .  
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : الْخَصْرُ خَيْرٌ مِنَ الْهَذَرِ لِأَنَّ الْخَصْرَ يُضَعِّفُ الْحُجَّةَ  
وَالْهَذَرُ يُتْلِفُ الْحُجَّةَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا  
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : يَارُبَّ السِّنَةِ كَالسُّيُوفِ تَقْطَعُ أَعْنَاقَ  
أَصْحَابِهَا . وَمَا يَنْقُصُ مِنْ هَيْئَاتِ الرِّجَالِ يَزِيدُ فِي بَهَائِهَا وَالْبَلَاءِ . وَقَدْ  
ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ عَنْ قَدْرِ الْحَاجَةِ وَزَادَ عَلَى  
الْكَفَايَةِ وَكَانَ عَمَوَابًا لَا يَشُوْبُهُ خَطْلٌ وَسَلِيمًا لَا يَتَعَوَّدُهُ ذَلَلٌ فَهُوَ  
أَلْبَيَانُ وَالسَّخَرُ الْحَلَالُ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ أَلَلِكِ وَقَدْ ذُمَّ الْكَلَامُ  
فِي مَجْلِسِهِ : كَلَّا إِنَّ مَنْ تَكَلَّمَ فَاحْسَنَ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَسْكُتَ فَيُحْسِنَ  
وَلَيْسَ مَنْ سَكَتَ فَاحْسَنَ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُحْسِنَ . وَوَصَفَ  
بَعْضُهُمُ الْكَاتِبَ فَقَالَ : مَنْ إِذَا أَخَذَ شِئْرًا كَفَاهُ وَإِذَا وَجَدَ طُومَارًا



وَمَا كَانَتْ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ تَبَعِ الْقَوْلِ إِذَا  
وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ يَحْسِمُ الرُّخْصَةَ فِي الْكَلَامِ وَيَقُولُ : إِذَا  
جَالَسْتَ أَجْهَالَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ وَإِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ . فَإِنَّ  
فِي أَنْصَاتِكَ لِلْجَهَالِ زِيَادَةً فِي الْإِلْهِمِ وَفِي أَنْصَاتِكَ لِلْعُلَمَاءِ زِيَادَةً فِي  
الْعِلْمِ . وَأَمَّا ( الشَّرْطُ الثَّانِي ) فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْكَلامِ فِي مَوْضِعِهِ  
لَأَنَّ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ حِينِهِ لَا يَقَعُ مَوْقِعُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ وَمَا لَا يَنْفَعُ مِنَ  
الْكَلَامِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ هَذِيانٌ وَهَجْرٌ . فَإِنْ قُدِمَ مَا يَقْتَضِي  
الْتَأْخِيرَ كَانَ عَجَلَةً وَخُرْقًا . وَإِنْ أُخِرَ مَا يَقْتَضِي التَّقْدِيمَ كَانَ تَوَانِيًا وَعَجْزًا  
لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ قَوْلًا وَفِي كُلِّ زَمَانٍ عَمَلًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

يَضَعُ أَحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهُ مِنْ بَعْدِهَا تَوَرُّ  
وَأَمَّا ( الشَّرْطُ الثَّلَاثُ ) وَهُوَ أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ .  
فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنْ لَمْ يَخْصُرْ بِالْحَاجَةِ وَلَمْ يَقْدَرْ بِالْكِفَايَةِ لَمْ يَكُنْ  
لِحَدِّهِ غَايَةً وَلَا لِقَدْرِهِ نِهَايَةً وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْكَلَامِ مَحْضُورًا كَانَ  
حَصْرًا وَإِنْ قَصُرَ وَهَدَّرَ وَإِنْ كَثُرَ . وَرَوِي : أَنَّ أَغْرَابِيَا تَكَلَّمَا عِنْدَ  
بَعْضِهِمْ وَطَوَّلَ فَقَالَ لَهُ : كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ . قَالَ : شَفَتَايَ  
وَلِسَانِي . قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ الْإِنْعَاقَ فِي الْكَلَامِ  
فَقَصَرَ اللَّهُ وَجْهَ أَمْرِي أَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ فَأَقْتَصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ . وَحَكِي  
أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ رَأَى رَجُلًا يُكْثِرُ الْكَلَامَ وَيَقِلُّ السُّكُوتَ فَقَالَ :  
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا خَلَقَ لَكَ أَذُنَيْنِ وَلِسَانًا وَاحِدًا لِيَكُونَ مَا تَسْمَعُهُ  
ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ



كَأَيِّنْ تَرَى مِنْ صَاحِبِ لِكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ  
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْأَدَمِ  
وَكَاذِبِي حُكْمِي عَنْ أَبِي الْفَقِيهِ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ  
فَيُطِيلُ الصَّمْتَ فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفَ : أَلَا تَسْأَلُ . قَالَ : بَلَى مَتَى يَفْطِرُ  
الصَّائِمُ . قَالَ : إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَغْرُبْ إِلَى  
نِصْفِ اللَّيْلِ . ( قَالَ ) فَتَبَسَّمَ أَبُو يُوسُفَ وَتَمَثَّلَ بِبَيْتِي الْخَطْفِيِّ جَدِّ  
جَرِيرٍ :

عَجِبْتُ لِأَزْرَاءِ الْعِيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْعِلْمِ أَعْلَمًا  
وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيفَةُ لِبِ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
فَأَنْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ كَيْفَ أَبَانُوا بِالْكَلَامِ عَنْ جَهْلِهِمْ وَأَعْرَبُوا  
بِالسُّؤَالِ عَنْ نَقْصِهِمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَاعٍ إِلَيْهِ وَلَا رَوِيَّةٌ فِيمَا تَكَلَّمُوا  
بِهِ وَلَوْ صَدَرَ عَنْ رَوِيَّةٍ دَعَا إِلَيْهَا دَاعٍ لَسَلِمُوا مِنْ شَيْنِهِ وَبَرُّوا مِنْ  
عَيْنِهِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ  
رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَكَلُّمٌ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكٌ . وَقَلْبُ  
الْجَاهِلِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ لَمْ يَعُدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ . وَقَالَ بَعْضُ  
الْحُكَمَاءِ : عَقْلُ الْمَرْءِ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : أَحْسَنُ  
لِسَانِكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ أَوْ يُثْلِفَ نَفْسَكَ فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ  
حَبْسٍ مِنْ لِسَانٍ يُقْصَرُ عَنِ الصَّوَابِ وَيُسْرِعُ إِلَى الْجَوَابِ . وَقَالَ  
أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي :

## البحث السادس

### في شروط الكلام

( عن ادب الدنيا والدين للماوردي )

اعلم ان للكلام شروطاً لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها ولا يعزى من النقص الا بعد ان يستوفى وهي اربعة : ( فالشرط الاول ) ان يكون الكلام لداع يدعو اليه اما في اجتلاب نفع او في دفع ضرر . ( والشرط الثاني ) ان يأتي به في موضعه ويتوحي به اصابه فرصته . ( والشرط الثالث ) ان يقتصر منه على قدر حاجته . ( والشرط الرابع ) ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به . فهذه اربعة شروط متى اخل المتكلم بشرط منها فقد اوهن فضيلة باقيها . وسندكر تعليل كل شرط منها بما يفي عن لزومه . فاما الشرط الاول وهو الداعي الى الكلام فلان ما لا داعي له هذيان وما لا سبب له هجر ومن ساع نفسه في الكلام اذا عن ولم يراع صحة دواعيه وراصاة معانيه كان قوله مردوفاً ورأيه مغلوفاً . كالذي حكى ابن عائشة : ان شاباً كان يجالس الاخف ويطليل الصمت فانجب ذلك الاخف فحلت الحلقة يوماً فقال له الاخف : تكلم يا ابن اخي . فقال : يا عم لو ان رجلاً سقط من شرف هذا المسجد هل كان يضره شيء . فقال : يا ابن اخي ليتنا تركناك مستورا . ثم تمثل الاخف بقول الاعور الشنفي :



الْوَحْشِيَّةِ وَنَاسِبَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ وَكُنْ  
كَأَنَّكَ خَيَاطٌ تُقَدِّرُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَامِ . وَإِذَا عَارَضَكَ  
الصَّخْرُ فَارْحَ نَفْسِكَ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغٌ الْقَلْبِ وَلَا تَنْظِمُ  
إِلَّا بِشَهْوَةٍ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نِعَمُ الْمُعِينِ عَلَى حُسْنِ النَّظْمِ . وَجَمَلُ الْحَالِ  
أَنْ تَغْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ أَشْعَارِ الْمَاضِينَ فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ  
فَاقْصِدْهُ وَمَا اسْتَقْبَحَهُ فَاجْتَنِبْهُ

وَأُورِدَ الْعَلَامَةُ زَكِيَّ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْأَضْبَعِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى  
بِتَحْرِيرِ الْخَيْرِ وَصِيَّةً لِنَفْسِهِ أَوْرَدَهَا أَيْضًا عَلَى نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ  
فَاخْتَرَتْ مِنْهَا مَا هُوَ اللَّائِقُ بِالْحَالِ وَأَوَّلَهَا : يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي  
الْعَمَلِ السَّائِلُ عَنْ أَوْضَحِ السُّبُلِ أَنْ تُحْصَلَ الْمَعْنَى قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي  
النَّظْمِ وَالْقَوَائِي قَبْلَ الْآيَاتِ (قُلْتُ وَهَذَا مَذْهَبُنَا) . ثُمَّ قَالَ أَيْضًا :  
وَلَا تُكْرِهْ الْخَاطِرَ عَلَى وَزْنٍ مُخْصُوصٍ وَرَوِيٍّ مَقْصُودٍ وَتَوَخَّ الْكَلَامَ  
الْجَزَلَ دُونَ الرَّذَلِ وَالسَّهْلَ دُونَ الصَّغْبِ وَالْعَذْبَ دُونَ الْمُسْتَكْرَهِ  
وَالْمُسْتَحْسَنَ دُونَ الْمُسْتَهْجَنِ . وَلَا تَعْمَلْ نَظْمًا وَلَا نَثْرًا عِنْدَ الْمَلَلِ  
فَإِنَّ الْكَثِيرَ مَعَهُ قَلِيلٌ وَالنَّفِيسَ مَعَهُ خَسِيسٌ . وَالْخَوَاطِرُ يَتَابِعُ إِذَا  
رَفِقَ بِهَا حَتَّى وَإِذَا كَثُرَ اسْتَعْمَلَهَا تَرَحُّتٌ . وَاكْتُبْ كُلَّ مَعْنَى يَسْتَحْسَنُ  
وَقَيِّدْ كُلَّ فَائِدَةٍ تَعْرِضُ فَإِنَّ تَبَاجُحَ الْأَفْكَارِ كَلِمَةً الْبَرَقِ وَلَمْحَةً  
الْأَطْرَفِ إِنْ لَمْ تُقَيِّدْهَا شَرِدَتْ وَنَدَّتْ وَإِنْ لَمْ تُسْتَغْطَفْ بِالتَّكْرَارِ  
عَلَيْهَا صَدَّتْ وَالتَّرْتُّمُ بِالشِّعْرِ مِمَّا يُعِينُ عَلَيْهِ . فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :  
تَغْنٍ بِالشِّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلُهُ      إِنْ الْغِنَاءُ لِقَوْلِ الشِّعْرِ مِضْمَارُ



الظلماء بطلانِ الأضواء . ويدون ذلك ينقسم الفكر ويستغل  
القلب ووسط الليل خالي مما ذكرناه . ولهذا خص أبو تمام تهذيب  
الفكر بالدجى عادلاً عن الطرفين لما فيهما من الشواغل المذكورة .  
وحكت الثقات عن أبي عبادة الجعفي قال : كنت في حدائتي أروم  
الشعر وكنت أرجع فيه إلى طبع سليم ولم أكُن وقفت له على  
تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت أبا تمام وأنقطعت إليه  
وأتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة  
تخير الأوقات وانت قليل الهموم صفر من الهموم . وأعلم أن  
العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار  
وقت السحر . وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة  
وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء . وصفاً من أكثر الانجرة  
والأذخنة جسم الهواء . وسكنت الغمام . ورقت السائم . وتغنت  
الحمام . وإذا شرعت في التأليف تغن بالشعر فإن الغناء مضمارة الذي  
يجري فيه . واجتهد في إيضاح معانيه . فإن أردت ذكر الأحباب  
فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رقيقاً وأكثر فيه من بيان الكناية .  
وقلق الأشواق . ولوعة الفراق والتغلل باستنشاق السائم . وغناء  
الحمام . والبرق اللامعة . والنجوم الطالعة . والتبرم من العذال .  
والوقوف على الأطلال . وإذا أخذت في مدح سيد فاشهر مناقبه  
وأظهر مناسبه وأرهب من عزائمه وأرغب في مكارمه . وأحذر  
الجهول من المعاني وإياك أن تشين شعرك بالعبارة والألفاظ

الْكَلِمَةِ غَيْرَهَا . وَلَوْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَتَأَخَّرُ وَتَأَخَّرَ هَذَا الْمَتَقَدِّمُ . أَوْ لَوْ  
تَمَّ هَذَا النَّقْصُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ تَكَمَّلَ هَذَا الْوَصْفُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ  
حُدِفَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ . أَوْ لَوْ اتَّصَحَّ هَذَا الْمَقْصَدُ وَسَهَّلَ هَذَا الْمَطْلَبُ  
لَكَانَ الْكَلَامُ أَحْسَنَ وَالْمَعْنَى أَتَيْنَ . كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ غَيْرَ  
مُنْتَظَمٍ فِي سِلْكِ نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ . وَكَانَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي  
سَلَمَى مَعْرُوفًا بِالتَّنْقِيجِ وَالتَّهْذِيبِ . وَلَهُ قِصَائِدُ تُعْرَفُ بِالْحَوَلِيَّاتِ .  
قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَنْظُمُ الْقَصِيدَةَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَهْذِبُهَا وَيُنْقِئُهَا فِي  
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَعْرِضُهَا عَلَى عُلَمَاءِ قَبِيلَتِهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . وَيُرَوَّى : أَنَّهُ  
كَانَ يَعْمَلُ الْقَصِيدَةَ فِي شَهْرٍ وَيُنْقِئُهَا وَيَهْذِبُهَا فِي أَحَدِ عَشَرَ شَهْرًا  
وَلَا جَرَمَ أَنَّهُ قَلَّمَا يَنْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ . وَلِهَذَا كَانَ الْإِمَامُ عُمَرُ بْنُ  
الْخَطَّابِ مَعَ جَلَالَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَتَقَدُّمِهِ فِي النَّقْدِ يُقَدِّمُهُ عَلَى سَائِرِ الْفُحُولِ  
مِنْ طَبَقَتِهِ . وَمَا أَحْسَنَ مَا أَشَارَ أَبُو التَّمَامِ إِلَى التَّهْذِيبِ بِقَوْلِهِ :  
خَذْنَاهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلِ أَسْوَدُ رُقْعَةٍ الْجَلْبَابِ  
فَإِنَّهُ خَصَّ تَهْذِيبَ الْفِكْرِ بِالْدُّجَى لِكُونَ اللَّيْلِ تَهْدَأُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ  
وَتَسْكُنُ الْحَرَكَاتُ فَيَسْكُونُ الْفِكْرُ فِيهِ مُجْتَمِعًا وَمِرَاةُ التَّهْذِيبِ فِيهِ  
صَقِيلَةٌ لِحُلُوِّ الْخَاطِرِ وَصَفَاءُ الْقَرِيحَةِ . لَا سِيَّامَا وَسَطَ اللَّيْلِ وَالنَّفْسُ قَدْ  
أَخَذَتْ حَظَهَا مِنَ الرَّاحَةِ بَعْدَ نَيْلِ قَسْطِهَا مِنَ النَّوْمِ وَخَفَّ عَلَيْهَا ثَقُلُ  
الْعِذَاءِ وَصَحَّ ذَهْنُهَا وَصَارَ صَدْرُهَا مُنْشَرَحًا وَقَلْبُهَا بِالتَّأْلِيفِ مُنْبَسِطًا .  
وَمَا قَدَّمُوا وَسَطَ اللَّيْلِ فِي التَّأْلِيفِ عَلَى السَّحْرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ أَنْبَاءِ  
أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ وَأَرْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ وَجَرَشِ الْحَرَكَاتِ وَتَقَشُّعِ



وَكَشَفْتُ عَنْ حَقَائِقِهَا وَأَحْزَرْتُ عَنْ مُتْكَلِّفِهَا . وَمَا مَلَكَ قَطُّ  
قِيَادِي الْأَعْجَابُ بِشَيْءٍ مِمَّا آتَى بِهِ . قَالَ الْخَاطِظُ : إِنَّ الْمَغْنَى إِذَا  
كَانَ شَرِيفًا وَكَانَ اللَّفْظُ يَلِيقًا وَكَانَ صَحِيحَ الطَّبَعِ بَعِيدًا مِنْ  
الِاسْتِكْرَاهِ مُتْرَهًا عَنِ الْإِخْتِلَالِ مَصُونًا عَنِ التَّكْلُفِ صَنَعَ فِي الْقَلْبِ  
صَنِيعَ الْغَيْثِ فِي الثَّرْبَةِ الْكَرِيمَةِ . وَمَتَى فُصِّلَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى هَذِهِ  
الشَّرِيطَةِ وَقَدَّتْ مِنْ قَائِلِهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ كَسَاهَا اللَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ  
وَمَحَاهَا مِنَ التَّائِيدِ مَا لَا يَمْتَنِعُ مِنْ تَعْظِيمِهَا بِهِ صُدُورُ الْجَابِرَةِ وَلَا  
يَذْهَلُ عَنْ فَهْمِهَا مَعَ عُمُولِ الْجَهْلَةِ

### البحث الخامس

## في تهذيب الكلام وتنقيحه

( عن خزانة الادب الحموي وزهر الآداب الحمصري )

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْدَادِ النَّظَرِ فِي الْكَلَامِ بَعْدَ عَمَلِهِ وَالشُّرُوعِ فِي  
تَهْذِيبِهِ وَتَنْقِيحِهِ تَطْمَأَنَّكَ أَوْ تَثَرُّ وَتَغْيِيرِ مَا يَجِبُ تَغْيِيرُهُ وَحَذْفِ مَا  
يَلْبِغِي حَذْفُهُ وَإِصْلَاحِ مَا يَتَعَيَّنُ إِصْلَاحُهُ وَكَشْفِ مَا يُشْكَلُ عَنْ  
غَرَبِهِ وَإِعْرَاجِهِ . وَتَحْرِيرِ مَا يَدِقُّ مِنْ مَعَانِيهِ . وَإِطْرَاحِ مَا يَتَجَافَى عَنْ  
مَضَاجِعِ الرِّقَّةِ مِنْ غَلِيظِ الْفَاطَةِ لِشَرْقِ شُمُوسِ التَّهْذِيبِ فِي سَمَاءِ  
بَلَاجَتِهِ وَتَرْشُفِ الْأَسْمَاعِ عَلَى الطَّرَبِ رَقِيقِ سُلَافَتِهِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ  
إِذَا كَانَ مَوْصُوفًا بِالْمُهَذَّبِ مَنُوعًا بِالْمُنَمَّحِ عِلَّتْ رُبَّتُهُ . وَإِنْ كَانَتْ  
مَعَانِيهِ غَيْرَ مُبْتَكِرَةٍ . وَكُلُّ كَلَامٍ قِيلَ فِيهِ : لَوْ كَانَ مَوْضِعَ هَذِهِ



مَعَ قُرْبِ الْمُتَنَاوَلِ . وَعُدُوبَةُ اللَّفْظِ مَعَ رَشَاقَةِ الْمَعْنَى . وَأَنْ يَكُونَ  
حُسْنُ الْإِبْتِدَاءِ كَحُسْنِ الْإِنْتِهَاءِ . وَحُسْنُ الْوَصْلِ كَحُسْنِ الْقَطْعِ فِي  
الْمَعْنَى وَالسَّمْعِ . وَكَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ قَدْ وَقَعَتْ فِي حَقِّهَا وَإِلَى جَنْبِ  
أُخْتِهَا حَتَّى لَا يُقَالَ : لَوْ كَانَ كَذَا فِي مَوْضِعٍ كَذَا لَكَانَ أَوْلَى حَتَّى  
لَا يَكُونَ فِيهِ لَفْظٌ مُخْتَلِفٌ وَلَا مَعْنَى مُسْتَكْرَهَةٌ . ثُمَّ أُلِيسَ بِهَاءِ الْحِكْمَةِ  
وَنُورِ الْمَعْرِفَةِ وَشَرَفِ الْمَعْنَى وَجَزَالَةِ اللَّفْظِ وَكَانَتْ حَلَاوَتُهُ فِي الصَّدْرِ  
وَجَلَالَتُهُ فِي النَّفْسِ تَفْتَقُ الْفَهْمُ وَتَتَرَدَّدُ قَائِلُ الْحُكْمِ وَكَانَ ظَاهِرَ  
الْتَفَعِ شَرِيفِ الْقَصْدِ مُعْتَدِلِ الْوِزْنِ جَمِيلِ الْمَذْهَبِ كَرِيمِ الْمَطْلَبِ .  
فَصِيغًا فِي عَمَاءِ بَيْتًا فِي فُحُوه . . . . . وَجَاءَ أَيْضًا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ :  
إِنَّ لَحْظَةَ الْقَلْبِ أَسْرَعُ خَطَرَةً مِنْ لَحْظَةِ الْعَيْنِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا وَهِيَ  
الْعَاقِبَةُ فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمُتَأَمِّلَةُ لَوُجُوهِ الْأَوَاقِبِ . وَالْجَامِعَةُ  
يَبِزَ مَا غَابَ وَحَضَرَ . وَالْيَزَانُ الشَّاهِدُ عَلَى مَا نَفَعَ وَضَرَ . وَالْقَلْبُ  
كَالْمِلْحِيِّ لِلْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَالْيَدُ إِذَا كَتَبَتْ . وَالْعَاقِلُ  
يَكْسُو الْمَعَانِي وَشَيَ الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ يُبْدِيهَا بِالْفَاظِ كَيْسَةً بِأَحْسَنِ  
زِينَةٍ . وَالْجَاهِلُ يَسْتَعْجِلُ بِإِظْهَارِ الْمَعَانِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِتَرْبِيَةِ مَعَارِضِهَا  
وَأَنْتِ كَمَالِ مُحَاسِنِهَا . قِيلَ لِشَارِبِ بْنِ بُرْدٍ : بِمَ فُقِتَ أَهْلُ عَصْرِكَ  
فِي حُسْنِ مَعَانِي الشَّعْرِ وَتَهْذِيبِ الْفَاظَةِ . فَقَالَ : لَا يَأْتِي لَمْ أَقْبَلْ كُلَّ  
مَا تُورِدُهُ عَلَيَّ قَرِيحَتِي وَيُنَاجِيَنِي بِهِ طَبْعِي وَيَبْعَثُهُ فِكْرِي . وَنَظَرْتُ  
إِلَى نَعَارِسِ الْفِطَنِ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ الشَّبِيهِاتِ فَمَسَرْتُ  
إِلَيْهَا بِفَهْمٍ جَيِّدٍ وَغَرِيزَةٍ قَوِيَّةٍ فَأَحْكَمْتُ سِيرَهَا وَأَتَّقَيْتُ حُرَهَا

مِنَ الْقَالَ . فَإِنْ كُنْتَ مُتَكَلِّمًا أَوْ أُخْتِجْتَ إِلَى عَمَلِ خُطْبَةٍ لِبَعْضِ  
مَنْ تَضَمُّ لَهُ الْخُطْبُ أَوْ قَصِيدَةً لِبَعْضِ مَا يُرَادُ لَهُ الْقَصْدُ فَخُطِّ  
أَلْفَاظَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِثْلَ الْجِسْمِ وَالْعَرَضِ وَالْكَوْنِ وَالتَّأْلِيلِ  
وَالْجَوْهَرِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُجَّةٌ . . .

### البحث الرابع

### في خواص الكلام الحرِّ

( عن ابن المعتز والرماني )

قِيلَ إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ تَرْجُمَانًا لِلْقُلُوبِ وَصَيْقَلًا لِلْعُقُولِ  
وَمَجْلَى لِلشَّبْهِ وَمَوْجِبًا لِلْحُجَّةِ . وَالْحَاكِمَ عِنْدَ اخْتِصَاصِ الظُّنُونِ وَالْمُفَرِّقَ  
بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ . يَتَقَادُّ بِهِ الْمُسْتَضْعَبُ وَيَسْتَقِيمُ لَهُ الْأَصِيدُ .  
وَخَيْرُ الْبَيَانِ مَا كَانَ مُصَرِّحًا عَنِ الْمَعْنَى لِيُسْرَعَ إِلَى الْفَهْمِ تَلْقِيهِ .  
وَمَوْجِزًا لِيَجْفَى عَلَى اللَّفْظِ تَعَاطِيهِ الَّذِي هُوَ الْمُبْلَغُ الَّذِي لَا يَمِلُّ وَالْجَدِيدُ  
الَّذِي لَا يَخْلُقُ . وَالْحَقُّ السَّاطِعُ . وَالْمَالِحِي لِظُلْمِ الضَّلَالِ . وَلِسَانُ  
الصِّدْقِ النَّافِي لِلْكَذِبِ . إِنْ أَوْجَزَ كَانَ كَافِيًا وَإِنْ أَكْثَرَ كَانَ  
مُذَكِّرًا . وَإِنْ أَوْمَأَ كَانَ مُقْنِعًا . وَإِنْ أَطَالَ كَانَ مُفْهِمًا . وَإِنْ  
أَمَرَ فَصَاحِمًا . وَإِنْ حَكَّمَ فَعَادِلًا . وَإِنْ أَخْبَرَ فَصَادِقًا . وَإِنْ بَيَّنَّ  
فَشَافِيًا . سَهْلٌ عَلَى الْفَهْمِ . صَعْبٌ عَلَى الْمُتَعَاطِي . قَرِيبٌ الْمَأْخِذُ بَعِيدُ  
الْمَرَامِ . سِرَاجٌ تَسْتَضِي بِهِ الْقُلُوبُ حُلُوٌّ إِذَا تَذَوَّقَتْهُ الْعُقُولُ . وَقَدْ  
قِيلَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا حَطَّ التَّكْلُفَ عَنْهُ وَبَيَّنَّ عَلَى التَّيْنِ وَكَانَتْ  
الْفَائِدَةُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَافِيَةِ بَانَ جَمَعَ مَعَ ذَلِكَ سُهولةُ الْخُرُجِ



وَلَمْ تَصِلْ إِلَى مَرْكَزِهَا وَلَمْ تَتَّصِلْ بِسِلْكِهَا وَكَانَتْ قَلَقَةً فِي مَوْضِعِهَا  
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى اغْتِصَابِ الْأَمَّاكِنِ وَالْأُتُولِ فِي  
 غَيْرِ أَوْطَانِهَا. فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرِيضَ الشَّعْرِ الْمُنْظُومِ وَلَمْ  
 تَتَكَلَّفِ اخْتِيَارَ الْكَلَامِ الْمُنْشُورِ لَمْ يَعْكِ بِذَلِكَ أَحَدٌ. وَإِنْ  
 تَكَلَّفْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا مَطْبُوعًا وَلَا مُحْكِمًا لِشَأْنِكَ بَصِيرًا عَابَكَ  
 مَنْ أَنْتَ أَقَلُّ عِيًّا مِنْهُ وَزَرَى عَلَيْكَ مَنْ هُوَ دُونَكَ. فَإِنْ أَنْبَلَيْتَ  
 بِتَكْلِيفِ الْقَوْلِ وَتَعَاطِي الصَّنَاعَةِ وَلَمْ تَسْمَعْ لَكَ الطَّبِيعَةَ فِي أَوَّلِ  
 وَهْلَةٍ وَتَعَصَّى عَلَيْكَ بَعْدَ إِجَالَةِ الْفِكْرَةِ فَلَا تَعْجَلْ وَدَعُهُ سَحَابَةَ يَوْمِكَ  
 وَلَا تَعْجِزْ وَأَمِلْهُ سَوَادَ لَيْلَتِكَ وَعَاوِذُهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ فَإِنَّكَ لَا تَعْدُمُ  
 الْإِجَابَةَ وَالْمُؤَاتَاةَ. وَإِنْ كَانَتْ هُمَاكَ طَبِيعَةً وَأُجْرِيَتْ مِنَ الصَّنَاعَةِ  
 عَلَى عُرْفٍ فَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الثَّانِيَةُ. فَإِنْ تَمَنَّعَ عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ تَرْوِيحِ  
 الْخَاطِرِ وَطُولِ الْأَمْهَالِ فَالْمَنْزِلَةُ الثَّلَاثَةُ. أَيُّ أَنْ تَتَحَوَّلَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
 إِلَى أَشْهَى الصَّنَاعَاتِ إِلَيْكَ وَأَخْفَهَا عَلَيْكَ فَإِنَّكَ لَمْ تَشْهَبْهَا إِلَّا  
 وَبَيْنَكُمَا تَسَبُّ. وَالشَّيْءُ لَا يَجْنُ إِلَّا إِلَى مَا شَاكَهُ وَإِنْ كَانَتْ  
 الْمَشَاكَةُ قَدْ تَكُونُ فِي طَبَقَاتٍ فَإِنَّ النُّفُوسَ لَا تَجُودُ بِمَكُونِهَا  
 وَلَا تَسْمَحُ بِجَزُؤِهَا مَعَ الرَّهْبَةِ كَمَا تَجُودُ مَعَ الرِّغْبَةِ وَالْحُبَّةِ. وَيَنْبَغِي  
 أَنْ تَعْرِفَ أَقْدَارَ الْمَعَانِي فَتَوَازِنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوْزَانِ الْمُسْتَمْعِينَ وَبَيْنَ  
 أَقْدَارِ الْحَالَاتِ فَتَجْعَلَ لِكُلِّ طَبَقَةٍ كَلَامًا وَلِكُلِّ حَالٍ مَقَامًا حَتَّى  
 تَقْسِمَ أَقْدَارَ الْمَعَانِي عَلَى أَقْدَارِ الْمَقَامَاتِ وَأَقْدَارَ الْمُسْتَمْعِينَ عَلَى أَقْدَارِ  
 الْحَالَاتِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُنْفَعَةَ مَعَ مُوَافَقَةِ الْحَالِ وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ



فَلَا تَدْعُهُ نَادَةٌ مُحِبَّةٌ سَهْمَاءُ إِلَّا كَجَبْهَاءُ وَلَا تَخْلَفُ عَنْهُ مُثْقَلَةٌ هَزِيلَةٌ  
إِلَّا أَرْهَقَهَا فَطَوْرًا تُفَرِّقُهُ لِيَجْتَارَ أَحْسَنَهُ وَطَوْرًا تَجْمَعُهُ لِتُقَرِّبَ عَلَيْكَ  
خُطْوَةَ الْفِكْرِ وَيَتَنَاوَلَ اللَّفْظُ مِنْ تَحْتِ إِسَانِهِ وَلَا يُسَاطُ الْمَلَلُ عَلَى  
قَلْبِهِ . وَالْإِكْتِثَارُ عَلَى تَفَكُّرِهِ فَيَأْخُذُ عَفْوَهُ وَلَا يَسْتَغْرِدُ دَرَهُ وَلَا يُكْرِهُ  
آيِيًّا وَلَا يَدْفَعُ آيِيًّا . وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمَعْتَمِرِ : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً  
إِنْ شَاطِطَكَ وَفَرَاغَ بَالِكَ وَاجَابَتَهَا لَكَ . فَإِنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ أَكْرَمُ  
جَوْهَرًا وَأَشْرَفُ حُسْنًا وَأَحْسَنُ فِي الْأَسْمَاعِ وَأَحْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمُ  
مِنْ فَاحِشِ الْخَطَا وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ وَغُرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ كَرِيمٍ  
وَمَعْنَى بَدِيعٍ . وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمُكَ  
الْأَطُولُ بِالْكَدِّ وَالْمُطَابَةِ وَالْجَاهِدَةِ وَالتَّكْلُفِ وَالْمَعَاوِدَةِ . وَمَهْمَا  
أَخْطَاكَ لَمْ يُخْطِئِكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَضْدًا أَوْ خَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا  
وَكَمَا خَرَجَ مِنْ يَنْبُوعِهِ وَتَجَمَّعَ عَنْ مَعْدِنِهِ . وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ فَإِنَّ التَّوَعُّرَ  
يُسَلِّطُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ  
أَلْفَاذَكَ . وَمَنْ أَرَادَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَتَمَسَّ لَفْظًا كَرِيمًا فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى  
الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهِمَا أَنْ يَصُونَهُمَا عَمَّا يُدْنِسُهُمَا  
وَيُفْسِدُهُمَا وَيُهْجُئُهُمَا فَيَصِيرُ بِهِمَا إِلَى حَدٍّ يَكُونُ فِيهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ  
قَبْلَ أَنْ تَلْتَمِسَ الْبَلَاغَةَ وَتَرْتَنَ نَفْسَكَ فِي مَلَابِسِهَا . فَكُنْ فِي  
ثَلَاثِ مَنَازِلٍ . فَأَوَّلُ الثَّلَاثِ : أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ شَرِيفًا عَذْبًا وَفَحْمًا  
سَهْلًا وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ذَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا . فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ  
لَا تَوَاتِيكَ وَلَا تَسْنَحُ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ خَاطِرٍ وَتُحْدِ اللَّفْظَةَ لَمْ تَقَعْ مَوْقِعَهَا

### البحث الثالث

في كيفية نظم الكلام وما ينبغي استعماله في تأليفه

( عن كتاب الصناعتين باختصار )

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَضَعَ كَلَامًا فَاخْطُرْ مَعَانِيَهُ بِبَالِكَ وَتَوَقَّ لَهُ  
كَرَامِ اللَّفْظِ وَأَجْعَلْهَا عَلَى ذِكْرِ مِنْكَ لِيَقْرُبَ عَلَيْكَ تَنَاوُلُهَا وَلَا يُتَبِعَكَ  
تَطْلُبُهَا . وَأَعْمَلْهُ مَا دُمْتَ فِي شَبَابِ نَشَاطِكَ فَإِذَا غَشِيَكَ الْفُتُورُ  
وَتَحَوَّنَكَ أَلْمَلَالُ فَأَمْسِكْ . فَإِنَّ الْكَثِيرَ مَعَ أَلْمَلَالِ قَلِيلٌ وَالنَّفِيسَ  
مَعَ الصَّخْرِ خَسِيسٌ وَالْخَوَاطِرَ كَالنِّبَايِعِ يُسْقَى مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ  
فَتُحْدِ حَاجَتَكَ مِنَ الرِّزِيِّ وَتَبَالُ أَرْبَكَ مِنَ الْمُنْفَعَةِ فَإِذَا أَكْثُرَتْ  
عَلَيْهَا نَضَبَ مَاوُهَا وَقَلَّ عَنْكَ غَنَاؤُهَا . وَيَنْبَغِي أَنْ تَجْرِيَ مَعَ الْكَلَامِ  
مُعَارَضَةً فَإِذَا مَرَزْتَ بِلَفْظٍ حَسَنٍ أَخَذْتَ بِرَقِيَّتِهِ أَوْ بِمَعْنَى بَدِيعِ  
تَعَلَّقْتَ بِذَيْلِهِ . وَتَحْذَرُ أَنْ يَسْبِقَكَ فَإِنَّهُ إِنْ سَبَقَكَ تَعَبْتَ فِي تَتَبُعِهِ  
وَنَصَبْتَ فِي طَلَبِهِ وَلَعَّاكَ لَا تَلْحُقَهُ عَلَى طُولِ الطَّلَبِ وَمُواصَلَةِ الدَّابِّ  
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا ضَيَّعْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ أَبَتْ أَنْجَازُهُ إِلَّا أَلْتَوَاءَ  
وَقَالُوا : يَنْبَغِي لِصَانِعِ الْكَلَامِ أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ نَقْدًا  
وَلَا يَتَّبِعَ ذُنَابَاهُ تَتَبُعًا وَلَا يَحْمِلُهُ عَلَى لِسَانِهِ حَمْلًا فَإِنَّهُ إِنْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ  
لَمْ تَتَّبِعْهُ حَقِيقَتُهُ وَهَزِيلُهُ وَأَعْجَفُهُ وَالشَّارِدُ مِنْهُ . وَإِنْ تَتَّبِعْهُ فَاتَتْهُ سَوَابِقُهُ  
وَلَوَاحِقُهُ وَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ حَيَادُهُ وَغُرْرُهُ . وَإِنْ حَمَلَهُ عَلَى لِسَانِهِ ثَقُلَتْ  
عَلَيْهِ أَوْسَاقُهُ وَأَعْبَاؤُهُ وَدَخَلَتْ مَسَاوِيهِ فِي حِمَاسِهِ وَلَكِنَّهُ يَجْرِي مَعَهُ



ذَكَرْتُ أَلَانَ الْوَصْفِ وَتَرَكْتُ الْمَرَاثِي وَالْفَخْرَ . لِأَنَّهُمَا دَاخِلَانِ فِي  
الْمَدِيحِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْفَخْرَ مَدْحُكَ نَفْسَكَ بِالطَّهَادَةِ وَالْعَفَافِ وَالْحِلْمِ  
وَالْعِلْمِ وَالْحَسَبِ وَمَا يَجْرِي جَرَى ذَلِكَ . وَالْمُرْتِيَةَ مَدْحُ أَلَمِيَّتِ وَالْفَرْقُ  
بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَدِيحِ أَنْ تَقُولَ : كَانَ كَذَا وَكَذَا . وَتَقُولَ فِي الْمَدِيحِ :  
هُوَ كَذَا وَأَنْتَ كَذَا . فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَخَّيَ فِي الْمُرْتِيَةِ مَا يُتَوَخَّيَ فِي  
الْمَدِيحِ . إِلَّا أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَذْكُرَ أَلَمِيَّتَ بِالْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ  
تَقُولُ : مَاتَ الْجُودُ وَهَلَكَتِ الشَّجَاعَةُ . وَلَا تَقُولُ : كَانَ فُلَانٌ جَوَادًا  
وَشَجَاعًا فَإِنَّ ذَلِكَ بَارِدٌ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ . وَكَذَلِكَ مَا كَانَ أَلَمِيَّتَ يُرَكِّبُهُ فِي  
حَيَاتِهِ . فَيَنْبَغِي أَنَّهُ لَا يُذَكَّرُ أَنَّهُ يَبْكِي عَلَيْهِ مِثْلُ الْخَيْلِ وَالْأَبْلِ وَمَا  
يَجْرِي جَرَاهُمَا وَإِنَّمَا يُذَكَّرُ اغْتِبَاطُهُمَا بِمَوْتِهِ . وَقَدْ أَحْسَنَتِ الْخَنَسَاءُ  
حَيْثُ تَقُولُ :

فَقَدْ فَقَدْتُكَ طَلْقَةً وَاسْتَرَاحَتْ فَلَيْتَ الْخَيْلَ فَارِسُهَا يَرَاهَا  
بَلْ يُوصَفُ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ . كَمَا  
قَالَ الْغَنَوِيُّ :

لَيْسَ بِكَ شَيْخٌ لَمْ يَجِدْ مِنْ يُعِينُهُ وَطَاوِي الْحَشَى نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبٌ  
فَهَذِهِ جَمَلَةٌ إِذَا تَدَبَّرَهَا صَانِعُ الْكَلَامِ اسْتَفَى بِهَا عَنْ غَيْرِهَا .  
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ





وَهَذَا غَلَطٌ لِأَنَّ الْبَحْرَ غَيْرُ مُلْتَهَبِ الْمَوْجِ وَلَا مُتَقَدِّ الْمَاءِ . وَلَوْ  
كَانَ مُتَقَدِّاً لَمَا أَمَكْنَ رُكُوبُهُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعْظِمَ أَمْرَ الْمَمْدُوحِ فَجَاءَ  
بِمَا لَا يُعْرِفُ . وَفِيهَا :

وَلَسْتُ تَرَى شَوْكَ الْقَتَادَةِ خَائِفًا سَمُومَ رِيَّاحِ الْقَادِحَاتِ مِنَ الزُّنْدِ  
وَهَذَا خَطَأٌ لِأَنَّهُ شَبَّهَ الْعَلِيلَ بِشَوْكِ الْقَتَادِ لَا يَخَافُ النَّارَ الَّتِي  
تُقَدِّحُ بِالزَّرَادِ . وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ النَّارَ تَفْلِقُ الصَّخْرَ وَتُلِينُ الْحَدِيدَ  
فَكَيْفَ يَسْلَمُ مِنْهَا الْقَتَادُ . وَلَيْسَ لِذِكْرِ السَّمُومِ وَالرِّيَّاحِ أَيْضاً فِي  
هَذَا الْبَيْتِ فائدةٌ وَلَا مَوْقِعٌ . وَنُورِدُ هَاهُنَا جُمْلَةً تَتِمُّ بِهَا مَعَانِي هَذَا  
الْبَابِ : يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ أَجْوَدَ الْوَصْفِ مَا يَسْتَوْعِبُ أَكْثَرَ  
مَعَانِي الْمَوْصُوفِ حَتَّى كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ الْمَوْصُوفَ لَكَ فَتَرَاهُ نَضْبَ عَيْنِكَ  
وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ الطَّائِي :

أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَانَ رَجَالَهُمْ نَحِيلٌ أَنَاهَا عَاضِدٌ فَأَمَالَهَا  
فَهَذَا التَّشْبِيهُ كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ لَكَ الْقَتْلَى مُصْرَعِينَ . وَقَوْلِ الْعِثَابِيِّ  
فِي السَّحَابِ :

وَالْغَيْمُ كَالثَّوْبِ فِي الْآفَاقِ مُنْتَشِرٌ مِنْ فَوْقِهِ طَبَقٌ مِنْ تَحْتِهِ طَبَقٌ  
إِنْ مَعِمَعَ الرَّعْدُ فِيهِ قُلْتَ مُخْرَقٌ أَوْ لَوْلَا الْبَرْقُ فِيهِ قُلْتَ مُحْتَرِقٌ  
وَلَمَّا كَانَتْ أَغْرَاضُ الشُّعْرَاءِ كَثِيرَةً وَمَعَانِيهَا مُتَشَعِّبَةً جَمَّةً لَا يَبْلُغُهَا  
الْإِحْصَاءُ . كَانَ مِنَ الْوَجْهِ أَنْ تَذَكَّرَ مَا هُوَ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً وَأَطْوَلَ  
مُدَاوَمَةً وَهُوَ الْمَذْحُ . وَالْهَجَاءُ . وَالْوَصْفُ . وَالْمَرَاثِي . وَالْفَخْرُ . وَقَدْ  
ذَكَرْتُ قَبْلَ هَذَا الْمَدِيحَ وَالْهَجَاءَ وَمَا يَنْبَغِي اسْتِعْمَالُهُ فِيهِمَا . ثُمَّ

رَقِيقُ حَوَاشِيِ الْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفِّكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بَرْدٌ  
وَمَا وَصَفَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْحِلْمَ  
بِالرِّقَّةِ وَأَمَّا يُوصَفُ بِالرَّجَحَانِ وَالرَّزَانَةِ كَمَا قَالَ أَبُو ذُوئِبٍ :

وَصَبْرٌ عَلَى حَدَثِ النَّائِبَاتِ وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَعَقْلٌ ذَكِيٌّ  
وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَإِذَا ذَمُّوا الرَّجُلَ قَالُوا : خَفَّ حِلْمُهُ وَطَاشَ .  
وَمِنْ الْخَطَايَا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

ظَنُّوا فَكَانَ بُكَايَ حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ أَرْعَوَيْتُ وَذَلِكَ حِلْمٌ لَيْسَ  
أَجْدَرُ بِجِمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَأُوهَا بِالْدَّمْعِ أَنْ تَرْدَادَ طُولَ وَقُودِ  
هَذَا خِلَافُ مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَجْعَلُوا أَنَّ الْبُكَاءَ يُطْفِئُ  
الْغَيْلَ وَيَبْزِدُ حَرَارَةَ الْحُزْنِ وَيُزِيلُ شِدَّةَ الْوَجْدِ . وَقَدْ شَهِدَ أَبُو تَمَّامٍ  
بِصِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَخَالَفَ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ فَقَالَ :

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ يُنْظَمْ وَالْدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْغُرَمِ  
وَمِنْ الْخَطَايَا قَوْلُ الْبُخْتَرِيِّ :

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنْ حَمَدَهُمْ مِنْ الدَّرِّ مَا أَصْفَرَتْ حَوَاشِيَهُ فِي الْعَقْدِ  
وَأَمَّا يُوصَفُ الدَّرُّ بِشِدَّةِ أَلْبِيَاضٍ وَإِذَا أُرِيدَ الْمُبَالغةُ فِي وَصْفِهِ  
وُصِفَ بِالنُّصُوعِ . وَمِنْ أَعْيَبِ عِيُوبِهِ الصُّفْرَةُ . وَقَالُوا : كَوَّكَبُ دُرِّيٍّ  
لِبَيَاضِهِ . وَإِذَا أَصْفَرَ أَحْتِيلَ فِي إِزَالَةِ صُفْرَتِهِ لِيَتَّضَوْا وَاسْتِعْمَالُ  
الْحَوَاشِيِ فِي الدَّرِّ أَيْضًا خَطَأٌ . وَلَوْ قَالَ : (نَوَاحِيهِ) لَكَانَ أَجُودَ .  
وَالْحَاشِيَةُ لِلْبَرْدِ وَالثَّوْبِ . فَأَمَّا حَاشِيَةُ الدَّرِّ فَغَيْرُ مَعْرُوفٍ . وَفِيهَا :  
وَحَرَّتْ عَلَى الْأَيْدِي مَجَسَّةٌ جِسْمِهِ كَذَلِكَ مَوْجُ النَّجْرِ مُلْتَبِّبُ الْوَقْدِ

فَاتَّصَلَتْ بِالْجِيمِ صَارَ جَعْفَرًا

مَنْ يَجْهَلُ أَنَّ الْجِيمَ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْعَيْنُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ يَصِيرُ  
(جَعْفَرًا) وَمَا يَدْخُلُ فِي صِفَةِ الْبَازِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ شَيْءٌ وَتَبِعَهُ قَوْلُ  
أَبِي تَمَّامٍ :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاقَهُ مِنْ حَائِثَيْنِ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ  
مَنْ ذَا الَّذِي جَهَلَ أَنَّ الْحَمَامَ إِذَا كُسِرَتْ حَاوُهَا صَارَ حِمَامًا .  
وَأَمَّا أَرَادَ أَبُو نُوَّاسٍ أَنَّهُ يُشَبِّهُ الْجِيمَ لَا يُعَادِرُ مِنْ شَبَّهَا شَيْئًا حَتَّى  
لَوْ زِدَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْأَحْرُفُ صَارَتْ جَعْفَرًا لِشِدَّةِ شَبَّهٍ بِهِ وَهُوَ عِنْدِي  
صَوَابٌ . إِلَّا أَنَّهُ لَوْ اكْتَفَى بِقَوْلِهِ : (كَعْطَقَةُ الْجِيمِ بِكَفٍّ أَعْسَرًا) وَلَمْ  
يَزِدْ الزِّيَادَةَ الَّتِي بَعْدَهَا كَانَ أَجْوَدَ وَأَرْشَقَ وَأَدْخَلَ فِي مَذَاهِبِ  
الْفَصَحَاءِ وَأَشَبَّهُ بِالشَّعْرِ الْقَدِيمِ . وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ : فَلَهُ مَعْنَى  
خِلَافُ مَا ذَكَرَهُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ الزَّجْرَ وَالْعِيَاقَةَ أَدَاكَ  
الْحَمَامُ إِلَى الْحَمَامِ كَمَا أَنَّ صَوْتَهَا الَّذِي تَقْنُ أَنَّهُ بُكَاءٌ إِنَّمَا هُوَ  
طَرَبٌ وَيُوَدِّعُكَ إِلَى الْبُكَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ . إِلَّا أَنَّ  
الْمَعْنَى إِذَا صَارَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ الدِّقَّةِ كَانَ كَالْمَعْنَى وَالْتَعْمِيةِ حَيْثُ  
يُرَادُ أَلْيَانُ عِيٍّ . وَمِنْ عُيُوبِ الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ الْأَسَدِ :

كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا نَظَرَتْ بَارِزَةً الْجَفْنِ عَيْنٌ مُخْنُوقٌ

فَوَصَفَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالْمُخْنُوقِ وَهِيَ تُوصَفُ بِالْعُورِ كَقَوْلِ أَبِي زَيْدٍ :  
وَعَيْنَانِ كَالْوَقَيْنِ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهَا كَالْجَمْرَتَيْنِ تَسْعُرَا  
وَمِنْ أَلْطَفِ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :



فَقَوْلُهُ : ( كَأَنَّهُ مَشْمُومٌ ) هُجَّةٌ وَقَوْلُهُ : ( فِي الْآتِفِ أَهْجَنٌ ) . لِأَنَّ الشَّمَّ لَا يَكُونُ بِأَلْعَيْنِ . وَمِنْ التَّنَاقُضِ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ أَدْيَةَ :  
 تَزَلُّوا ثَلَاثَ مَنَى بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضٍ لَعَنَكَ مَا هُمْ  
 مُتَجَاوِرِينَ بَغِيرِ دَارِ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلُهُمْ لَمْ يَنْدُمُوا  
 ( فَقَالَ ) لِشَوَائِ فِي دَارِ غِبْطَةٍ ثُمَّ قَالَ : لَوْ رَحَلُوا لَمْ يَنْدُمُوا . وَمِمَّا جَاءَ  
 فِي ذَلِكَ مِنْ أَشْعَارِ الْمُخَدِّثِينَ قَوْلُ بَشَّارٍ :

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ  
 وَمِنْ الْمَعَانِي الْبَلْشَعَةِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :  
 بِأَحْمَدِ الْمُرْتَجَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعَصِ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ  
 فَهَذَا مَعَ كُفْرِهِ تَمَقُّوتٌ . وَمِنْ الْخَطَأِ قَوْلُ أَبِي الْقَتَاهِيَةِ :

غَنَيْتَ عَلَى الْوَمَلِ الْقَدِيمِ غَنِيَّتًا وَضَعَيْتَ وَدًّا كَانَ لِي وَنَسِيَّتًا  
 وَمَنْ أَعْجَبَ الْأَشْيَاءَ أَنْ مَاتَ مَا لَفِي وَمَا كُنْتُ تَرْعَانِي لَهُ وَبَقِيَّتًا  
 تَجَاهَلْتُ عَمَّا كُنْتُ تُحْسِنُ وَضَفَهُ وَمُتَّ عَنْ الْإِحْسَانِ حِينَ حَيَّتًا  
 وَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَيَبْقَى بَعْدَهُ إِنْسَانٌ آخَرُ .  
 بَلْ هَذِهِ عَادَةُ الدُّنْيَا وَالْعَهْدُ مِنْ أَمْرِهَا وَلَوْ قَالَ : ( مِنْ ظَلَمِ  
 الْأَيَّامِ ) كَانَ الْمَعْنَى مُسْتَوِيًّا . وَسَعِفْتُ بَعْضَ الْأَدْبَاءِ يَقُولُ : وَمِنْ  
 الْمَعَانِي الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ الْبَازِي :

فِي هَامَةِ غَلَبَاءٍ تُهْدِي مَنَسْرًا كَعَطْفَةِ الْجِيمِ بِكَفٍّ أَعْسَرًا  
 ثُمَّ قَالَ :

يَقُولُ مَنْ فِيهَا بِعَقْلٍ فَكَّرَا لَوْ زَادَهَا عَيْنًا إِلَى فَاءٍ وَرَا

إِنْ يَغْدِرُوا أَوْ يَجْبُنُوا أَوْ يَنْجَلُوا لَا يَحْفَلُوا

يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

وَقَوْلُ الْآخِرِ :

لَوْ أَطْلَعَ الْغُرَابُ عَلَى تَمِيمٍ وَمَا فِيهَا مِنَ السَّوَاءِ شَابَا

وَمِنْ خَطَايَا اللَّفْظِ قَوْلُ الْآخِرِ :

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ

فَذَكَرُ الرَّأْسِ مَعَ الصُّدَاعِ فَضِلَّ لِأَنَّ الصُّدَاعَ لَا يَكُونُ فِي

الرَّجْلِ وَلَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ . وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ مِنَ الْغَيْبِ :

وَهُوَ أَنَّ الذَّاكِرَ لَمَّا قَدْ قَاتَ مِنْ مَحْبُوبٍ يُوصَفُ بِأَلَمِ الْقَلْبِ

وَأَخْتِرَاقِهِ لَا بِالصُّدَاعِ . وَمِنْ عُيُوبِ اللَّفْظِ ارْتِكَابُ الضَّرُورَاتِ فِيهِ

كَمَا قَالَ الْمُتَلَمِّسُ :

إِنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْعَمَجَةِ مُنْجِدَةٌ مَا عَاشَ عُمُرُو وَمَا عَمَرَتْ قَابُوسُ

أَرَادَ ( وَمَا عُمِرَ قَابُوسُ ) . وَقَوْلُ الْأَعَشَى حَكَاهُ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ

وَعَابَهُ

مِنْ الْقَاصِرَاتِ سُجُوفُ الْحِجَالِ فَلَمْ تَرَشَّسًا وَلَا زَهْرِيرًا

قَالَ : لَا تَوْضَعُ الشَّمْسُ مَعَ الزَّهْرِيرِ ( قَالَ : ) وَكَانَ يَجِبُ أَنْ

يَقُولَ : لَمْ تَرَشَّسًا وَلَا قَرًّا وَلَمْ يُصْبَحْ وَلَا قَرًّا وَقَدْ أَخْطَأَ .

وَكَقَوْلِ عُلُقَمَةَ :

يَحْمِلُنَ أَثْرَجَةً نَضَحُ الْبَعِيرُ بِهَا كَانَ تَطْيِيبًا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ

وَالْتَطْيَابُ هَاهُنَا عَلَى غَايَةِ السَّمَاجَةِ وَالطَّيِّبُ أَيْضًا مَشْمُومٌ لَا لِحَالَةٍ

وَالْهَجَاءُ أَيْضًا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِسَلْبِ الصِّفَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الَّتِي تَحْتَصُّهَا  
النَّفْسُ وَاثْبَاتِ الصِّفَاتِ الْمُسْتَهْجَنَةِ الَّتِي تَحْتَصُّهَا أَيْضًا لَمْ يَكُنْ مُخْتَارًا .  
وَالِاخْتِيَارُ أَنْ تَنْسُبَ الْمَهْجُو إِلَى اللَّوْمِ وَالْجُلِّ وَالشَّرِّ وَمَا أَشْبَهَ  
ذَلِكَ . وَلَيْسَ بِالْمُخْتَارِ فِي الْهَجَاءِ أَنْ يَنْسُبَهُ إِلَى قُبْحِ الْوَجْهِ وَصَغَرِ  
النَّجْمِ وَضَوْوَلَةِ الْجَنَمِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْقَائِلُ :

قَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى أَلْفَتِي بَعَارٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

تَالُ الْخَيْرِ مَنْ تَرْدَرِيهِ وَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

رَاوَهُ فَازْدَرَوُهُ وَهُوَ حَذَقٌ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ  
وَذَكَرَ السَّمَوِيُّ أَنَّ قَلَّةَ الْعَدَدِ لَيْسَ بِعَيْبٍ فَقَالَ :  
تُعَرِّئُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا قَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ  
وَمِنْ الْهَجَاءِ الْحَيْدُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا  
قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيهِمْ آمَنُوا مِنْ لُؤْمٍ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا  
وَقَوْلُ أَغَشَى بِأَهْلَةٍ :

بُوَيْتِمِ قَرَارَةٌ كُلِّ لُؤْمٍ كَذَلِكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ كَانَ يُخَفِّي عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بُوَيْتِمِ  
وَمِنْ حَيْثُ الْهَجَاءُ قَوْلُ الْآخَرِ :



فَوَصَّاهُمْ أَيْضًا بِالْتَّضَافِرِ وَالتَّعَاوُنِ فَلَمَّا آتَى بِهَذِهِ الصِّفَاتِ النَّفِيسَةِ  
ذَكَرَ فَضْلَ آبَائِهِمْ فَقَالَ :

وَمَا يَكُ مِنْ فَضْلٍ آتَوْهُ فَإِنَّمَا نَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِيعُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا التَّحُلُّ  
وَقَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

بَنُو مَظَرٍ يَوْمَ الْإِلْقَاءِ كَانَهُمْ  
هُمُ الْمَانِعُونَ أَجَارَ حَتَّى كَانَمَا  
بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ  
هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا  
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفُتَاءُ أَنْ يَفْعَلَهُمْ  
ثَلَاثٌ بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ جِبَاهُهُمْ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

عَلَّمَ الْغَيْثَ النَّدَى حَتَّى إِذَا  
فَلَهُ الْغَيْثُ مُقَرَّرٌ بِالنَّدَى  
وَمَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَوِيَ الْمَدْحُ مِنْ مَنَاقِبِ  
آكَاءِ الْمَدُوحِ وَتَقْرِيطِ مَنْ يُعْرِفُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ . وَأَنشَدَ مَرْوَانَ  
أَبْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

نَقَرْتَ فَلَا شُلْتَ يَدُ خَالِدِيَّةٍ رَتَقَتْ بِهَا الْفَتَى الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ  
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ قُلْ : بَرْمَكِيَّةٌ فَقَدْ يَشْرِكُنَا فِي خَالِدٍ بَشَرٌ كَثِيرٌ  
وَلَا يَشْرِكُنَا فِي بَرْمَكٍ أَحَدٌ

لَنْ تَحُزَّ بِآبَاءِ ذَوِي شَرَفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بَأْسَ مَا وَلَدُوا  
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَتْ مَقَابِجُ أَخْلَاقٍ خُصِصَتْ بِهَا عَلَى مَحَاسِنِ أَبْقَاهَا أَبُوكَ لَكَ  
لَنْ تَقْدَمَ أَبْنَاءُ الْكَرَامِ بِهِ لَقَدْ تَقَدَّمَ آبَاءُ اللَّئَامِ بِكَ  
ثُمَّ ذَكَرَ آيْنَ بَنَاءَ قُبَّةِ حَسَنَةٍ وَلَيْسَ بَنَاءُ الْقِبَابِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى  
جُودٍ وَكَرَمٍ . بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَبْنِيَ اللَّئِيمُ الْخَيْلُ الْأَنْبِيَةَ النَّفِيسَةَ وَيَتَوَسَّعَ  
فِي النَّفَقَةِ عَلَى الدُّورِ الْحَسَنَةِ مَعَ مَنَعِ الْحَقِّ وَرَدِّ السَّائِلِ وَلَيْسَ الْيَسَّادُ  
بِمَا يَمْدَحُ بِهِ مَذْحًا حَقِيقِيًّا . الْآتَرَى كَيْفَ يَقُولُ أَشْجَعُ السَّلْمِيِّ :  
يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَضَعُونَ كَمَا يَضَعُ  
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ  
وَأَجِيدُ فِي الْمَدِيحِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

هَالِكٌ إِنْ يَسْتَحْوِزُوا أَلْمَالَ يُحْوِلُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا يُعْطُوا  
وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنَةٌ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ  
فَلَمَّا اسْتَمَّ وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْمَقَالِ وَتَصَدِيقِ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ  
وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْوُجُودِ ثُمَّ قَالَ :  
عَلَى مُكَثَرِيهِمْ حَقٌّ مَنْ يَغْتَرِبُهُمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاةُ وَالْبَذَلُ  
فَلَمْ يُخَلِّ مُكْثَرًا مِنْهُمْ وَلَا مُقْلًا مِنْ بَرٍّ وَفَضْلٍ . ثُمَّ قَالَ :  
وَإِنْ جَشَّتْهُمُ الْفِتْيَةُ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ  
فَوَصَفَهُمْ بِالْخُلْمِ ثُمَّ قَالَ :  
وَإِنْ قَامَ مِنْهُمْ قَائِمٌ قَالَ قَاعِدٌ رَشِدَتْ فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذَلُ

أَبْنُ قَيْسِ الرِّقَاتِ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

يَأْتِلِقُ التَّلَاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

فَقَضِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : قَدْ قُلْتَ فِي مُضْعَبٍ :

إِنَّمَا مُضْعَبُ شَهَابٍ مِنْ آلِهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

فَاعْطَيْتُهُ الْمَدْحَ يَكْشِفُ النُّعْمَ وَجَلَاءُ الظُّلَمِ وَأَعْطَيْتَنِي مَا لَا فُخْرَ

فِيهِ وَهُوَ أَعْتَدَالُ التَّلَاجِ فَوْقَ جَبِينِي الَّذِي هُوَ كَالذَّهَبِ فِي النَّضَارَةِ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ أَيْمَنِ بْنِ خُزَيْمٍ فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :

يَا أَبْنَ الْمَكَارِمِ مِنْ فُرَيْشٍ كُلِّهَا وَأَبْنَ الْخَلَائِفِ وَأَبْنَ كُلِّ قَلَمَسٍ

مِنْ فَرْعِ آدَمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ حَتَّى آتَيْتَ إِلَى آيِكَ الْعَنْبَسِ

مَرْوَانَ إِنَّ قَنَاطَهُ خَطِيئَةٌ غُرِسَتْ أَرْوَمُهَا أَعَزُّ الْمَغْرَسِ

وَبَنَيْتَ عِنْدَ مَقَامِ رَبِّكَ قُبَّةً خَضَاءَ كُلِّ تَاجِهَا بِالْفَنَنِسِ

فَسَمَّوْهَا ذَهَبٌ وَاسْفَلُ أَرْضِهَا وَرَقٌ يُلْأَلُ فِي صَمِيمِ الْحَدَسِ

فَمَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَدْحِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالنَّفْسِ

وَإِنَّمَا ذَكَرَ سُودَّدُ الْأَبَاءِ وَفِيهِ فُخْرٌ لِلْأَبْنَاءِ . وَلَكِنْ لَيْسَ الْعَصَائِيُّ

كَالْعِظَامِيِّ . وَرَبَّمَا كَانَ سُودَّدُ الْوَالِدِ وَفَضِيلَتُهُ نَقِصَةً لِلْوَلَدِ إِذَا تَأَخَّرَ

عَنْ رُتَبَةِ الْوَالِدِ . وَيَكُونُ ذِكْرُ الْوَالِدِ الْفَاضِلِ تَقْرِيبًا لِلْوَلَدِ الْبَاقِصِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لَمْ لَا تَكُونُ كَأَبِيكَ . فَقَالَ : لَيْتَ أَبِي لَمْ يَكُنْ

ذَا فَضْلٍ فَإِنَّ فَضْلَهُ صَارَ نَقْصًا لِي . وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

إِنَّمَا أَلْجَدُ مَا بَنَى وَالِدُ الصِّدْقِ وَأَخِيَا فَعَالَهُ الْمَوْلُودُ

وَقَالَ غَيْرُهُ فِي خِلَافِهِ :



لَكَانَ قَدْ قَضَى وَطَرًا مِنَ الْمُنَى وَلَمْ تَلْزِمَهُ الْفُجْهَةُ . كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ  
ابْنُ الْأَخْنَفِ :

فَإِنْ تَجَلَّوْا عَنِّي بِبَذْلِ تَوَالِكُمْ      وَبِالْوَصْلِ مِنْكُمْ كَيْ أُصَبَّ وَأَخْزَنَا  
فَلَرْنِي بِلَذَاتِ الْمُنَى وَنَعِيمِهَا      أَعِيشُ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا  
وَمِنْ وَضَعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَمِشِي بِهَا كُلُّ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ      مَشْيَ الْهَرَايِدِ حَجَّوًا بِيَعَةَ الزُّورِ  
فَالْعَلَطُ فِي هَذَا أَلْبَيْتِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : أَحَدُهَا أَنَّ الْهَرَايِدَ  
الْحُجُوسُ لَا النَّصَارَى . وَالثَّانِي أَنَّ أَلْيَعَةَ لِلنَّصَارَى لَا لِلْحُجُوسِ . وَالثَّلَاثُ  
أَنَّ النَّصَارَى لَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَلَا الْحُجُوسَ . وَمِنْ الْحَالِ الَّذِي  
لَا وَجَهَ لَهُ قَوْلُ الْقَسِّ :

وَرَأَيْتُ إِذَا مَا أَمُوتُ حَلَّ بِنَفْسِهَا      يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَ ذَلِكَ فَأَقْبُرُ  
وَهَذَا شَبِيهُ بِقَوْلِ قَائِلٍ لَوْ قَالَ : إِذَا دَخَلَ زَيْدٌ الدَّارَ دَخَلَ عَمْرُو  
قَبْلَهُ وَهَذَا عَيْنُ الْحَالِ الْمُسْتَعْرِ الَّذِي لَا يَحْزُونُ كَوْنُهُ . وَمِنْ عُيُوبِ الْمَعْنَى  
مُخَالَفَةُ الْعَرَفِ وَذِكْرُ مَا لَيْسَ فِي الْعَادَةِ كَقَوْلِ الْمُرَّارِ :

وَحَالَ عَلَى خَدَّيْهِ يَبْدُو كَأَنَّهُ      سَنَا الْأَبْدَرِ فِي دَنْجَاءٍ بَادٍ دُجُونَهَا  
وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْخِيلَانَ سُودٌ أَوْ سُمرٌ وَالْخُدُودَ الْحَسَنَةَ إِنَّمَا هِيَ  
الْبَيضُ . فَاتَى هَذَا الشَّاعِرُ بِقَلْبِ الْمَعْنَى . وَمِنْ الْمَعَانِي مَا يَكُونُ مُقْصَرًّا  
غَيْرَ بَالِغٍ مَبْلَغَ غَيْرِهِ فِي الْإِحْسَانِ . وَمِنْ عُيُوبِ الْمَدِيحِ عُدُولُ الْمَادِحِ  
عَنِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَحْتَضُّ بِالنَّفْسِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْعِفَّةِ وَالْعَدْلِ وَالشَّجَاعَةِ  
إِلَى مَا يَلِيْقُ بِأَوْصَافِ الْجِسْمِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالزَّيْنَةِ . كَمَا قَالَ

أَمْرِي أَلْقَيْسُ قَوْلُهُ فِي الْفَرَسِ :

فَلِسَّوْطِ الْهُوبِ وَلِلْسَاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أَخْرَجَ مُهَذَّبِ  
فَلَوْ وَصَفَ أَحْسَنَ حِمَارٍ وَأَضَعَفَهُ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ . وَأَلْحِدُ قَوْلُهُ :

عَلَى سَابِجٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَايِنَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَزٍّ وَلَا وَايِ

وَمَا سَمِعْنَا أَجُودَ وَلَا أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِ : أَفَايِنَ جَرِيٍّ . وَقَوْلُ عَلْقَمَةَ :

فَاذْرَكْهُمْ ثَانِيًا مِنْ عَنَانِهِ يُؤْكَمَرُ الرَّائِحُ الْمُحْتَبِ

فَاذْرَكْ طَرِيدَتَهُ وَهُوَ ثَانٍ مِنْ عَنَانِهِ لَمْ يَضْرِبْهُ بِسَوْطٍ وَلَمْ يُؤْرَهُ

بِسَاقٍ وَلَمْ يَزِجْهُ بِصَوْتٍ وَمِمَّا يُعَابُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ لَا بَلَجَ لَا عَارِي الْخَوَانِ وَلَا جَدْبِ

يَقُولُهُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ . وَمِثْلُ هَذَا لَا يُدْحُ بِهِ الْمُلُوكُ . وَإِنَّمَا يُدْحُ

الْمُلُوكُ بِمِثْلِ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلُ مِنَ الدَّهْرِ

لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مَعْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ

وَمِنْ الْخَطَا قَوْلُ جُنَادَةَ :

مَنْ حُبِّهِ أَتَمَّتْ أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بَلَدِي نَاعٍ قَيْعَاهُ

لَكِنِّي يَكُونُ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتَضَمَّرَ النَّفْسُ يُأَسِّئُ تَسْلَاهُ

فَإِذَا تَمَّتْ الْحُبُّ لِحَبِيهِ أَلَمَتْ فَمَا عَسَى أَنْ يَتِمَّتْهُ الْبُغْضُ لِبُغْضِهِ .

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَنَا عِشْنَا جَمِيعًا وَكَانَ بِي مِنْ الدَّاءِ مَا لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مَا بِيَا

فَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَلَوْ أَنَّ جُنَادَةَ كَانَ يَتِمَّتْهُ وَصْلُهُ وَلِقَاءُهُ

مِنْهُمَا مَعْنَى عَلَى حَيَالِهِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَهَا عَقْدَ بَعْضٍ حَتَّى صَارَا كَلَامًا  
وَاحِدًا . وَمِنْهَا أَلْغَطُ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : ضَرَبَنِي زَيْدٌ . وَأَنْتَ تُرِيدُ : ضَرَبْتُ  
زَيْدًا . فَعَلِطْتَ . فَإِنْ تَعَمَّدْتَ ذَلِكَ كَانَ كَذِبًا . وَلِلْخَطَا صُورٌ مُخْتَلِفَةٌ  
نَبَّهْتُ عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ وَبَيَّنْتُ وُجُوهَهَا وَشَرَحْتُ أَبْوَابَهَا  
لِتَقِفَ عَلَيْهَا فَتَجَنَّبَهَا كَمَا عَرَفْتُكَ بِمَوَاضِعِ الصَّوَابِ لِتَعْتَمِدَهَا . وَلِيَكُونَ  
فِيهَا أَوْرَدْتُ دَلَالَةً عَلَى أَمْثَالِهِ مِمَّا تَرَكْتُ . وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَطَا كَانَ  
جَدِيرًا بِالْوُقُوعِ فِيهِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ بِعَسَعَا      كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أُكَلِّمُ آخِرَسَا  
هَذَا مِنْ أَلْتَشْبِيهِ أَلْفَاسِدِ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ : كَلَّمْتُ حَجْرًا فَلَمْ يُجِبْ  
فَكَأَنَّهُ كَانَ حَجْرًا . وَالَّذِي جَاءَ بِهِ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ مَقْلُوبٌ . وَاجْتِدُ قَوْلَ  
كَثِيرٍ فِي أَمْرَةٍ :

قُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلِّ مُصِيبَةٍ      إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا أَلْتَفْسُ ذَلَّتْ  
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَنْرَضْتُ      مِنْ أَلْتُمْ لَوْ تَمْشِي بِهَا أَلْعُضْمُ ذَلَّتْ  
فَشَبَّهَ الْمَرْأَةَ عِنْدَ السُّكُوتِ وَالتَّغَافُلِ بِالصَّخْرَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ :  
لَمْ يَذَرِ مَا تَسْمُجُ أَلْيَرْنَدَجُ قَبْلَهَا      وَدِرَاسَ أَعْوَصِ دَارِسٍ مُتَجَدِّدِ  
ظَنَّ أَنَّ أَلْيَرْنَدَجَ يَنْسَجُ . وَأَلْيَرْنَدَجُ جِلْدٌ أَسْوَدٌ يُعْمَلُ مِنْهَا  
أَلْخِفَافُ فَارِسِيِّ مُعَرَّبٌ وَأَصْلُهُ : رَنْدَهُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَوْسٍ بْنِ حَجْرٍ :

وَمِنْ أَنَايِبِ تَفَاحٍ وَرَمَّانٍ

ظَنَّ أَنَّ الرُّمَّانَ وَالتَّفَاحَ أَنَايِبُ . وَقِيلَ : إِنَّ الْأَنَايِبَ الطَّرَاقِي  
الَّتِي فِي الرُّمَّانِ . وَإِذَا أُحْمِلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ صَحَّ أَلْمَعْنَى . وَمِمَّا أُخِذَ عَلَى



وَالْمَعَانِي عَلَى ضَرَيْنِ : ضَرْبٌ يَتَّبِعُهُ صَاحِبُ الصَّنَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ  
يَكُونَ لَهُ إِمَامٌ يَقْتَدِي بِهِ فِيهِ أَوْ رُسُومٌ قَائِمَةٌ فِي أَمْثَلَةٍ مَائِلَةٍ يَعْمَلُ  
عَلَيْهَا . وَهَذَا الضَّرْبُ رُبَّمَا يَقَعُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْحَادِثَةِ وَيَتَّبِعُهُ لَهُ  
عِنْدَ الْأُمُورِ الطَّارِئَةِ . وَالْآخَرُ مَا يَحْتَمِيهِ عَلَى مِثَالِ تَقَدَّمَ وَرَسْمٍ فَرَضَ  
وَيَتَّبِعِي أَنْ تُطْلَبَ الْأَصَابَةُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَتُتَوَخَّى فِيهِ الصُّورَةُ  
الْمَقْبُولَةُ وَالْعِبَارَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ وَلَا يَتَّكِلُ فِيهَا أَبْتَكْرَهُ عَلَى فَضِيلَةٍ  
أَبْتِكَارِهِ إِيَّاهُ . وَلَا يَعْرِهُ أَبْتِدَاعُهُ لَهُ فَيَسَاهِلَ نَفْسَهُ فِي تَهْنِئِ  
صُورَتِهِ فَيَذْهَبَ حُسْنُهُ وَيُطْمَسُ نُورُهُ وَيَكُونُ فِيهِ أَقْرَبُ إِلَى الْأَذَمِّ مِنْهُ  
إِلَى الْحَمْدِ . وَالْمَعَانِي بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى وُجُوهِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ  
نَحْوُ قَوْلِكَ : رَأَيْتُ زَيْدًا . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ قَبِيحٌ نَحْوُ قَوْلِكَ :  
قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ . وَإِنَّمَا قَبِيحٌ لِأَنَّكَ أَفْسَدْتَ النِّظَامَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ .  
وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ النَّظْمِ وَهُوَ كَذِبٌ مِثْلُ قَوْلِكَ : حَمَلْتُ الْجَبَلَ  
وَشَرِبْتُ سَاءَ الْبَجْرِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحَالٌ كَقَوْلِكَ : آتِيكَ أَمْسَ وَآتَيْتُكَ  
غَدًا . وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ فَاسِدٌ . وَلَيْسَ كُلُّ فَاسِدٍ مُحَالًا . الْآتَى أَنْ  
قَوْلِكَ : قَامَ زَيْدٌ . فَاسِدٌ وَلَيْسَ بِمُحَالٍ . وَالْمُحَالُ مَا لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ  
أَلْبَتَّةَ كَقَوْلِكَ : الدُّنْيَا فِي بَيَاضَةٍ . وَأَمَّا قَوْلِكَ : حَمَلْتُ الْجَبَلَ وَآشْبَاهُهُ  
وَأَمْثَالُهُ فَكَذِبٌ . وَلَيْسَ بِمُحَالٍ إِنْ جَاذَ أَنْ يَزِيدَ اللَّهُ فِي قُدْرَتِكَ  
فَقَحِيلُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ الْوَاحِدُ كَذِبًا مُحَالًا وَهُوَ قَوْلُكَ :  
رَأَيْتُ قَاعِدًا قَائِمًا وَمَرَرْتُ بِمَقْظَانٍ نَائِمٍ . فَتَصِلُ كَذِبًا بِمُحَالٍ فَصَارَ  
الَّذِي هُوَ الْكَذِبُ هُوَ الْمُحَالُ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا . وَإِنْ كَانَ لِكُلِّ

وَحُثِّتْ مَشْغُوفَ الْجَاءِ كَأَنِّي هَجَفْتُ رَأَى قَصْرًا سِمَاكَ وَدَاخِنَا  
 مِنَ الْخَصْرِ هُزْرُوفُ كَانَ عَفَاءَهُ إِذَا اسْتَدْرَجَ الْفَيْفَا وَمَدَّ الْمَغَايِنَا  
 أَرَجَ زُلُوجُ هُزْرِي زَفَارُفُ هُزْفُ يَدُ النَّاجِيَاتِ الصَّوَاغِنَا  
 فَهَذَا مِنَ الْجَزْلِ الْبَغِيضِ الْجَلْفِ الْفَاسِدِ النَّسِجِ الْقَبِيحِ الرَّصْفِ  
 الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُجَنَّبَ مِثْلُهُ وَتُمَيِّزُ الْأَلْفَاظِ شَدِيدُهُ . وَلَوْ لَا كَرَاهَةُ  
 الْأَطَالَةِ وَتَخَوُّفُ الْأَمَلَالِ لَزِدْتُ مِنْ هَذَا التَّنَوُّعِ وَلَكِنْ يَكْفِي مِنَ  
 التَّجَرُّ جَرَعُهُ . قَالُوا : وَجِيزُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَجَلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يُلَّ

### البحث الثاني

#### في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها

( من كتاب الصناعتين للمعسكري )

إِنَّ الْكَلَامَ الْفَظُّ تَشْتَمِلُ عَلَى مَعَانٍ تَدُلُّ عَلَيْهَا وَتُعَبِّرُ عَنْهَا  
 فَيَحْتَاجُ صَاحِبُ الْبَلَاغَةِ إِلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى كَحَاجَتِهِ إِلَى تَحْسِينِ الْفَظِّ .  
 لِأَنَّ الْمَدَارَ بَعْدَ الْفَظِّ عَلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى تَحُلُّ مِنَ الْكَلَامِ مَحَلًّا  
 الْأَبْدَانِ وَالْأَلْفَاظُ تَجْرِي مَعَهَا تَجْرَى الْكُسُوفُ . وَمَرْتَبَةُ أَحَدَاهُمَا عَلَى  
 الْأُخْرَى مَعْرُوفَةٌ وَمَنْ عَرَفَ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى وَاسْتِعْمَالَ الْأَلْفَاظِ عَلَى  
 وَجْهِهَا بِأَقْوَمِ مِنَ اللُّغَاتِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى تَهَيَّأَ لَهُ فِيهَا مِنْ صَنْعَةِ  
 الْكَلَامِ مِثْلُ مَا تَهَيَّأَ لَهُ مِنَ الْأَوَّلَى . إِلَّا تَرَى أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ  
 الْكَاتِبَ اسْتَخْرَجَ أَمْثَلَةَ الْكِتَابَةِ الَّتِي رَسَمَهَا لِنَ بَعْدَهُ مِنَ اللِّسَانِ  
 الْفَارِسِيِّ فَحَوَّلَهَا إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . فَلَا يَكْمُلُ إِصْنَاعُ الْكَلَامِ  
 إِلَّا مَنْ يَكْمُلُ لِإِصَابَةِ الْمَعْنَى وَتَضَحُّجِ الْفَظِّ وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ الْإِسْتِعْمَالِ .



وَتَجَدَّدَ النِّعْمَةُ بِأَطْرَاحِ الْخُفْدِ فَإِنَّ قَدِيمَ الْحُرْمَةِ وَحَدِيثَ التَّوْبَةِ يَحْتَقِنُ  
مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ . فَإِنَّ أَيَّامَ الْقُدْرَةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيرَةٌ وَالنِّعْمَةُ  
بِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ قَلِيلَةٌ . فَعَلَتْ . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ وَمَا قَبْلَهُ قُوَّةٌ فِي  
سُهُولَةٍ . وَبِمَا هُوَ أَجْزَلُ مِنْ هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ لِلْحَجَّاجِ . وَارَادَ قَتْلَهُ  
الْخُرُوجَ عَلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ : أَجْدَبَ بِنَا الْجَبَابِ وَأَحْزَنَ بِنَا الْمُنْزِلِ  
وَأَسْتَحْلَسْنَا الْحَذَرَ وَاكْتَحَلْنَا السَّهَرَ . وَأَصَابَنَا فِتْنَةٌ وَلَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً  
أَنْقِيَاءَ وَلَا فَجْرَةً أَقْرِيَاءَ . فَعَقَّا عَنْهُ . وَأَجُودُ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ جَزْلاً  
سَهْلاً لَا يَنْغَلِقُ . مَعْنَاهُ . وَلَا يُسْتَبْهِمُ مَغْزَاهُ . وَلَا يَكُونُ مَكْدُوداً مُسْتَكْرَهاً  
وَمُتَوَعِراً مُتَقَعِّراً . وَيَكُونُ بَرِيئاً مِنَ الْعَثَاثَةِ عَارِيّاً مِنَ الرِّثَاثَةِ .  
وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ غَثًّا وَمَعْرِضُهُ رَثًّا كَانَ مَرْدُوداً وَلَوْ اُحتَوَى  
عَلَى أَجَلٍ مَعْنَى وَأَنْبَلِهِ وَأَرْفَعِهِ وَأَفْضَلِهِ كَقَوْلِهِ :  
لَمَّا أَطْعَمْنَاكُمْ فِي سُخْطِ خَالِقِنَا لَا شَيْءَ سُلَّ عَلَيْنَا سَيْفُ نِقْمَتِهِ  
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

أَرَى رِجَالاً بِأَدْنَى الدِّينِ قَدْ قَنَعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رُضُوا فِي الْعَيْشِ بِالْذُّونِ  
فَأَسْتَعْنِ بِالدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا مَ اسْتَعْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ  
وَلَا يَدْخُلُ هَذَا فِي جُمْلَةِ الْخُتَارِ وَمَعْنَاهُ كَمَا تَرَى نَبِيلٌ قَاضِلٌ  
جَلِيلٌ . وَأَمَّا الْجَزَلُ الرَّدِيُّ : أَلْفَحُ الَّذِي يَنْبَغِي تَرْكُ اسْتِعْمَالِهِ فَمِثْلُ قَوْلِ  
تَابَطُ شَرًّا وَكَانَ خَرَجَ مَعَ صَاحِبَيْنِ لَهُ قَتِيلَا فِي الْغَزْوِ وَرَجَعَ هُوَ سَالِمًا :  
إِذَا مَا تَرَكْتُ صَاحِبِي لِثَلَاثَةِ أَوْ اثْنَيْنِ وَمِثْلِيَا فَلَا أُبْتَ أَمِنَا  
وَلَمَّا سَمِعْتُ الْعُوصَ تَدْعُو تَغْتَرَّتْ عَصَافِيرُ رَأْسِي مِنْ غَوَاةٍ فُرَاتِنَا



هُوَ بَحْرُ السَّمَحِ وَالْجُودِ فَازْدَدَ مِنْهُ قُرْبًا تَزْدَدُ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدًا  
يَا ثَمَالَ الدُّنْيَا عَطَاءً وَبَذْلًا وَكَمَالَ الدُّنْيَا سَنَاءً وَمَجْدًا  
ابْنُ عُمَرَ الزَّمَانِ حَتَّى نُؤَدِّي شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدَّى  
وَأَمَّا الْجَزَلُ الْمُخْتَارُ مِنَ الْكَلَامِ فَهُوَ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعُلَمَاءُ إِذَا  
سَمِعْتَهُ وَلَا تَسْتَعْمِلُهُ فِي مُحَادَرَاتِهَا . فَمِنْ الْجَزَلِ الْحَيِّدِ الْمُخْتَارِ قَوْلُ مُسْلِمٍ :  
وَرَدَّ نَارِ وَاقِ الْفَضْلِ فَضْلُ بْنُ جَعْفَرٍ فَحَطَّ إِلَيْنَا الْجَزَلَ نَائِلُهُ الْجَزَلَ  
بِكُنْيَا أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى وَيُسْتَزَلُّ النُّعْمَى وَيُسْتَرْعَفُ النُّصْلُ  
وَيُسْتَعْطَفُ الْأَمْرُ الْأَيُّ بِحُزْمِهِ إِذَا الْأَمْرُ لَمْ يَعْطِفْهُ نَقْضٌ وَلَا قَتْلٌ  
وَيَمَّا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْمَرَارِ الْفَقْعِيِّ :  
لَا تَسْأَلِي الْقَوْمَ عَنْ مَالٍ وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُقْتَرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مُحَمَّدُ  
أَمْضِي عَلَى سُنَّتِهِ مِنَ وَالِدَيْهِ سَلَفَتْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يُنْبِتُ الْعُودُ  
فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الْغَرَضَ  
وَيَقِفُونَ عَلَى أَكْثَرِ مَعَانِيهِ لِحُسْنِ تَرْتِيلِهِ وَجُودَةِ نَسْجِهِ  
وَمِنْ النَّثَرِ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : أَعْطَانَا الدَّهْرُ فَاسْرَفَ . ثُمَّ  
عَطَفَ عَلَيْنَا فَعَسَفَ . وَقَوْلُ سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ : وَأَنَا مَنْ لَا يُحَاجُّكَ  
عَنْ نَفْسِهِ . وَلَا يُعَاطِيكَ عَنْ جُرْمِهِ . وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ .  
وَلَا يَسْتَدْعِي بَرِّكَ إِلَّا مِنْ طَرِيقَتِهِ . وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ  
بِالدَّنْبِ . وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ . نَبَتْ لِي عَنْكَ غَرَّةُ الْحَدَاثَةِ .  
وَرَدَّتْ لِي إِلَيْكَ الْحُنُكَةُ . وَبَاعَدَتْ لِي مِنْكَ الثَّقَةُ بِالْأَيَّامِ فَادَّتْ لِي  
إِلَيْكَ الصَّرُورَةُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَقْبَلَ الصَّنِيعَةَ بِقَبُولِ الْعُذْرِ

مُحَلِّدٍ قَالَ : أَنَشَدَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ لِخَالِهِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :  
 إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سُئِلَ لَمْ يَنْدُلْ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبِ  
 صَبٌّ بَعْضِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ  
 ثُمَّ قَالَ : هَذَا الشَّعْرُ الْحَسَنُ الْمَعْنَى السَّهْلُ اللَّفْظُ الْعَذْبُ الْمُسْتَمَعَ  
 الْقَلِيلُ التَّظْيِيرُ الْغَزِيرُ التَّشْبِيهِ الْمَطْمَعُ الْمُسْتَعِ الْبَعِيدُ مَعَ قُرْبِهِ الصَّعْبُ  
 فِي سُهُولَتِهِ . (قَالَ) فَجَعَلْنَا نَقُولُ : هَذَا الْكَلَامُ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِهِ . وَمِنْ  
 الْكَلَامِ الْمَطْبُوعِ السَّهْلِ مَا وَقَعَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : قَدْ بَلَغْتُكَ  
 أَقْصَى طَلِبَتِكَ وَأَنْتَكَ غَايَةُ بُغْيَتِكَ وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ تَسْتَقِيلُ كَثِيرِي  
 لَكَ وَتَسْتَقْبِحُ حَسَنِي فِيكَ . فَأَنْتَ كَمَا قَالَ رُوَيْبُةُ :

كَأَلْخَوْتٍ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يُلْهَمُهُ يُضِجُ ظَمَانًا وَفِي الْبَحْرِ هُ  
 وَمِنْ الْمَنْظُومِ الْمَطْمَعِ قَوْلُ الْبُحْثَرِيِّ :

أَيُّهَا الرَّائِبُ الَّذِي طَلَبَ الْجُودَ دَقَائِلِي كَوْمَ الْمَطَايَا وَأَنْصَى  
 رَدْ حِيَاضِ الْأِمَامِ تَلَقَّ نَوَالًا يَسْعُ الرَّائِغِينَ طُولًا وَعِرْضًا  
 هُوَ أُنْدَى مِنَ الْعَمَامِ وَأَوْحَى وَقَعَاتٍ مِنَ الْحَسَامِ وَأَمْضَى  
 يَتَوَخَّى الْإِحْسَانَ قَوْلًا وَفِعْلًا وَيُطِيعُ الْإِلَهَ بَسْطًا وَقَبْضًا  
 فَضَّلَ اللَّهُ جَعْفَرًا بِخِلَالٍ جَعَلَتْ حُبَّهُ عَلَى النَّاسِ فَرْضًا  
 وَارَى الْحَجْدَ بَيْنَ عَارِقَةٍ مِنْكَ مِ ثُرَجَى وَعَزْمَةٍ مِنْكَ تَمْضَى  
 وَقَوْلُهُ :

خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قَيِّمَ الدُّنْيَا مِ سَدَادًا وَقَيِّمَ الدِّينِ رُشْدًا  
 أَكْرَمَ النَّاسُ شَيْعَةً وَأَتَمُّ مِ النَّاسُ حِلْمًا وَأَكْثَرُ النَّاسِ رِفْدًا

هِيَ : وَلَمَّا قَضَيْنَا الْحَجَّ وَمَسَحْنَا الْأَرْكَانَ وَشَدَّتْ رِحَالُنَا عَلَى مَهَازِيلِ  
الْأَبِلِ وَلَمْ يَنْتَظِرْ بَعْضًا بَعْضًا جَعَلْنَا نَتَحَدَّثُ وَتَسِيرُ بِنَا الْأَبِلُ فِي  
بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ . وَإِذَا كَانَ الْمَغْنَى صَوَابًا وَالْفَقْطُ بَارِدًا وَفَاتِرًا وَالْفَاتِرُ  
شَرٌّ مِنَ الْبَارِدِ كَانَ مُسْتَهْجِنًا مَلْفُوظًا وَمَذْمُومًا مَرْدُودًا . وَالْبَارِدُ مِنْ  
الشَّعْرِ كَقَوْلِ عُمَرَ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ :

قَدْ عَلِمْتَ سَلَمَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَّرَ الْفَارِسُ إِلَّا أَنَا  
شَكَتُ بِالرُّنْحِ رَرَائِيلَهُ وَالْخَيْلُ تَعْدُوزِي مَا حَوْلَنَا  
وَقَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

مَاتَ وَاللَّهِ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ رَحِمَ اللَّهُ سَعِيدَ بْنَ وَهَبٍ  
يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبَكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُثْمَانَ أَوْجَعْتَ قَائِي  
وَلَا خَيْرَ فِي الْمَعَالِي إِذَا اسْتُكْرِهَتْ قَهْرًا وَفِي الْأَلْفَازِ إِذَا جَرَتْ  
قَسْرًا . وَلَا خَيْرَ فِيهَا أُجِيدَ لَفْظُهُ إِذَا سَخَفَ مَعْنَاهُ . وَلَا فِي غَرَابَةِ الْمَغْنَى  
إِلَّا إِذَا شُرِفَ لَفْظُهُ مَعَ وَضُوحِ الْمَغْزَى وَظُهُورِ الْمُقْصَدِ . وَقَدْ غَلَبَ  
الْجَهْلُ عَلَى قَوْمٍ فَصَارُوا يَسْتَحْيِدُونَ الْكَلَامَ إِذَا لَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَاهُ  
يَكْدِرُ وَيَسْتَفْصِحُونَهُ إِذَا وَجَدُوا الْفَازَةَ كَرَّةً غَلِيظَةً وَجَاسَةً غَرِيبَةً .  
وَيَسْتَحْقِرُونَ الْكَلَامَ إِذَا رَأَوْهُ سَلِسًا عَذْبًا وَسَهْلًا حُلُومًا . وَلَمْ يَعْلَمُوا  
أَنَّ السَّهْلَ أَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ مَطْلَبًا وَهُوَ أَحْسَنُ تَوْقِعًا وَأَعَذُّ مُسْتَمْعًا  
وَلِهَذَا قِيلَ : أَجُودُ الْكَلَامِ السَّهْلُ الْمُتَمَتِّعُ . وَصَفَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ عُمَرَ  
ابْنَ مَسْعَدَةَ فَقَالَ : هُوَ أَبْلَغُ النَّاسِ . وَمِنْ بَلَاغَتِهِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَظُنُّ  
أَنَّهُ يَكْتُبُ مِثْلَ كُتُبِهِ فَإِذَا رَامَهَا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ . حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ



إِلَى قَوْلِ حَبِيبٍ :

سُتْسَلِمَ لِلَّهِ سَائِسُ أُمَّةٍ بِذَوَى تُجْهِضُهَا لَهُ أَسْتِسْلَامٌ  
فِيهِ صَوَابُ اللَّفْظِ وَلَيْسَ هُوَ بِحَسَنِ وَلَا مَقْبُولٍ . وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى  
أَن مَدَارَ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ أَنَّ الْخُطْبَ الرَّائِعَةَ وَالْأَشْعَارَ الرَّائِقَةَ  
مَا عَمِلَتْ لِإِفْهَامِ الْمَعَانِي فَقَطْ لِأَنَّ الرَّدِيَّ مِنْ الْأَلْفَازِ يَقُومُ مَقَامَ  
جَيِّدِهَا فِي الْإِفْهَامِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ حُسْنُ الْكَلَامِ وَإِحْكَامُ صَنْعِهِ  
وَرَوْنُ الْفَازِ وَجُودَةُ مَطَالِعِهِ وَحُسْنُ مَقَاطِعِهِ وَبَدِيعُ مَبَادِيهِ وَغَرِيبُ  
مَبَانِيهِ عَلَى فَضْلِ قَائِلِهِ وَفَهْمِ مُنْشِئِهِ . وَكَثُرَ هَذِهِ الْأَوْصَافُ تَرْجِعُ  
إِلَى الْأَلْفَازِ دُونَ الْمَعَانِي . وَتَوَخَّيْ صَوَابَ الَّلَفَى أَحْسَنُ مِنْ تَوَخِّي  
هَذِهِ الْأُمُورِ فِي الْأَلْفَازِ . فَلِهَذَا تَأْتَى الْكَاتِبُ فِي الرِّسَالَةِ وَالْخُطْبِ  
فِي الْخُطْبَةِ وَالشَّاعِرُ فِي الْقَصِيدَةِ وَهُمْ يَبَالِغُونَ فِي تَجْوِيدِهَا . وَيَقُولُونَ فِي  
تَرْتِيلِهَا لِيَدُلُّوا عَلَى بَرَاعَتِهِمْ وَحِذْقِهِمْ بِصِنَاعَتِهِمْ . وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ فِي  
الْمَعَانِي لَطَرَحُوا أَكْثَرَ ذَلِكَ فَرَبَّحُوا كَدًّا كَثِيرًا وَاسْقَطُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ  
تَعَبًا طَوِيلًا . وَلِهَذَا دَلِيلُ آخَرُ : أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ حُلُوءًا عَذْبًا  
وَسَلِسًا سَهْلًا وَمَعْنَاهُ وَسَطًا دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْحَيِّدِ وَجَرَى مَعَ الرَّائِعِ النَّادِرِ  
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَزْكَانِ مَنْ هُوَ مَا سَحَ  
وَشَدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارِيِّ رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْقَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ  
أَخَذَنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ  
وَلَيْسَ تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْفَازِ كَثِيرُ مَعْنَى وَهِيَ رَائِقَةٌ مُعْجِبَةٌ . وَإِنَّمَا

وَلَسْتُ بِجَائِيٍّ أَبَدًا طَعَامًا جَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ  
وَهَذَا وَإِنْ كَانَ تَظْيِيرُهُ فِي التَّلْأِيفِ فَإِنَّهُ دُونَهُ لِمَا تَكَرَّرَ فِيهِ مِنْ  
لَفْظِ غَدٍ . فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ قَدْ جَمَعَ الْعُدُوبَةَ وَالْجَزَالَهَ وَالسُّهُولَةَ  
وَالرِّصَانَةَ مَعَ السَّلَاسَةِ وَالنَّصَاعَةِ . وَاشْتَمَلَ عَلَى الرُّوْتِ وَالطَّلَاوَةِ .  
وَسَلِمَ مِنْ سَخَفِ التَّلْأِيفِ . وَبَعْدَ مِنْ سَمَاجَةِ التَّرْكِيبِ . وَرَدَّ عَلَى  
أَلْفِهِمُ الثَّاقِبِ قَبْلَهُ وَلَمْ يَرُدَّهُ . وَعَلَى السَّمْعِ الْمُصِيبِ اسْتَوْعَبَهُ وَلَمْ  
يُجِبْهُ . وَالنَّفْسُ تَقْبَلُ اللَّطِيفَ وَتَتَبَوَّعَنَّ الْعَلِيزَ وَتَقْلُقُ مِنَ الْجَائِيِّ  
الْبَشِيعِ . وَجَمِيعُ جَوَارِحِ الْبَدَنِ وَحَوَاسِهِ يَسْكُنُ إِلَى مَا يُوَاقِفُهُ وَيَمُفِّرُ  
عَمَّا يُضَادُّهُ وَيُخَالِفُهُ . وَالْعَيْنُ تَأْلَفُ الْحَسَنَ وَتَقْذَى بِالْقَبِيحِ . وَالْأَنْفُ  
يَرْتَاحُ لِلطَّيِّبِ وَيَضُرُّ لِلْمُنْتِنِ . وَالْفَمُّ يَلْتَدُّ بِالْخُلُوِّ وَيَمُجُّ الْمُرَّ . وَالسَّمْعُ  
يَتَشَوَّقُ لِلصَّوَابِ الرَّائِعِ وَيَتَرَوَّى عَنِ الْجَهْرِ الْهَائِلِ . وَالْأَيْدُ تَنْعَمُ  
بِالْيَدَيْنِ وَتَتَأَذَى بِالْخَسَنِ . وَالْفَمُّ يَأْنَسُ مِنَ الْكَلَامِ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَسْكُنُ إِلَى الْمَأْلُوفِ وَيُضْغِي إِلَى الصَّوَابِ وَيَهْرَبُ مِنَ الْفُحَالِ وَيَتَقَبَّضُ  
عَنِ الْوَحْمِ وَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْجَائِيِّ الْعَلِيزِ . وَلَا يَقْبَلُ الْكَلَامَ الْمَضْطَرِبَ  
إِلَّا أَلْفَهُمُ الْمَضْطَرِبُ وَالرَّوِيَّةُ الْفَاسِدَةُ . وَلَيْسَ الشَّانُ فِي إِيْرَادِ الْمَعَانِي  
لِأَنَّ الْمَعَانِي يَعْرِفُهَا الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ وَالْقُرَوِيُّ وَالْبَدَوِيُّ وَآمَنَاهُ فِي  
جُودَةِ اللَّفْظِ وَصَفَائِهِ وَحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ وَتَرَاهَتِهِ وَنَقَائِهِ وَكَثْرَةِ طِلَاوَتِهِ  
وَمَانِهِ مَعَ صِحَّةِ السَّبْكِ وَالتَّرْكِيبِ وَالْخُلُوِّ مِنْ أَوْدِ النَّظْمِ وَالتَّلْأِيفِ  
وَلَيْسَ يُطْلَبُ مِنَ الْمَغْنَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَوَابًا . وَلَا يُشْتَمَعُ مِنَ اللَّفْظِ  
بِذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ نُعُوْتِهِ الَّتِي نَقَدَّمْتُ . إِلَّا تَرَى

وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَّاحِيَةٍ لِمُنْكَرٍ  
وَلَا مُؤَيِّرٍ نَفْسِي عَلَى ذِي قَرَابَةٍ  
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى  
وَقَالَ الْآخِرُ :

ذَرِينِي أَسِيرٌ فِي أَيْلَادَ لَعْنِي  
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطِيعْ دِفْعًا لِحَادِثِ  
أَلَيْسَ كَثِيرًا أَنْ تُلَمَّ مِلْمَةً  
وَمِمَّا هُوَ فَصِيحٌ فِي لَفْظِهِ جَيِّدٌ  
فِي رَدِّهِ قَوْلُ الشَّنْفَرَى :

أُصِيبُ غَنَى فِيهِ لَدَى الْحَقِّ مُجْمَلٌ  
تَحِيُّ بِهِ الْأَيَّامُ قَالَصَّبْرُ أَجْمَلٌ  
وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحُقُوقِ مُعَوَّلٌ  
وَأَضْرِبُ عَنْهُ الْقَلْبَ صَفْحًا فَيَنْهَلُ  
يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَا كُلُّ  
عَلَى الضَّيْمِ إِلَّا رَيْثًا اتَّحَوَّلُ  
وَقَوْلُ آخَرَ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى  
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

وَمَا إِنْ قَتَلَاهُمْ بِأَكْثَرِ مِنْهُمْ  
وَلَكِنْ بِأَوْفَى لِلطَّعَانِ وَآكْرَمًا  
وَقَوْلُ النَّابِغَةِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ  
وَلَيْسَ لِهَذَا أَلَيْتِ تَخْيِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : تَخْيِيرُهُ  
قَوْلُ أَوْسِ بْنِ حُجْرٍ :



## الفصل الخامس

في محاسن الانشاء ومعانيه

### البحث الاول

في تمييز الكلام جيد من رديته ونادره من بارده

( عن كتاب الصناعتين للعسكري باختصار )

( راجع صفحة ٥١ من علم الادب )

اَلْكَلَامُ اَيْدِكَ اَللّٰهُ يَخْسُنُ بِسَلَاسَتِهِ وَسُهُولَتِهِ وَنَصَاعَتِهِ وَتَحْسِينِ  
لَفْظِهِ وَاصَابَةِ مَعْنَاهُ وَجُودَةِ مَقَاطِعِهِ وَلَيْنِ مَعَاطِفِهِ وَاسْتِوَاءِ تَقَاسِيْمِهِ  
وَتَعَادُلِ اطْرَافِهِ وَتَشَبُّهِ اعْجَازِهِ بِهَوَادِيهِ وَمُوَافَقَةِ مَا خِيَرَهُ لِمَبَادِيهِ مَعَ  
قَلَّةِ ضَرُورَاتِهِ بَلْ عَدَمِهَا اَصْلًا حَتَّى لَا يَكُونَ لَهَا فِي الْاَلْفَاظِ اَثَرٌ .  
فَقَدْ اَلْمَنْظُومَ مِثْلَ الْمَثُورِ فِي سُهُولَةِ مَطْلَعِهِ وَجُودَةِ مَقْطَعِهِ وَحُسْنِ  
رَضْفِهِ وَتَأْلِيْفِهِ وَكَمَالِ صَوْنِهِ وَتَرْكِيْبِهِ . فَاِذَا كَانَ اَلْكَلَامُ كَذَاكَ  
كَانَ بِاَلْقَبُولِ حَقِيْقًا وَبِاَلْتَّحْفُظِ خَلِيْقًا كَقَوْلِ الْاَوَّلِ :

هُمْ اَلْاَوَّلَى وَهَبُوا لِلْعَجْدِ اَنْفُسَهُمْ      مَا يُبَالُونَ مَا نَالُوا اِذَا حُمِدُوا  
وَقَوْلِ مَعْنِ بْنِ اَوْسٍ :

لَعَمْرُكَ مَا اَهْدَيْتُ كَفِّيْ لِنَبِيٍّ      وَلَا حَمَلْتَنِيْ نَحْوَ فَاخِشَةٍ رِجْلِيْ  
وَلَا قَادِيْ سَمْعِيْ وَلَا بَصْرِيْ لَهَا      وَلَا دَلِّيْ رَأْيِيْ عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِيْ  
وَأَعْلَمُ اَنِّيْ لَمْ تُصْنِيْ مُصِيْبَةً      مِنْ الدَّهْرِ اِلَّا قَدْ اَصَابَتْ قَتِيْ قَبْلِيْ

أَوْضَحُ دَلَالَةٍ فِي هَذَا أَلْبَابٍ مِنْ غَيْرِهِ وَأَعَذَبُ فِي الذَّوْقِ وَأَسْهَلُ  
فِي التَّزْكِيهِ . فَإِنَّهُ جُمْلَةٌ وَأَقْعَةٌ بَعْدَ ( لَوْ ) وَجَوَابُهَا . وَمَعْنَاهُ الْجُمْلَةُ عَلَى  
أَصْطِلَاحِهِمْ مُقَدِّمَةٌ شَرْطِيَّةٌ مُتَّصِلَةٌ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحُكْمِ  
كَمَا جَاءَ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ( يُرِيدُ أُمُورَ الْآخِرَةِ ) لَصَحَّحْتُمْ  
قَلِيلًا وَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا . وَتَأَمُّ الدَّلِيلِ أَنْ يُقَالَ : لَكِنَّكُمْ ضَحَّيْتُمْ  
كَثِيرًا وَبَكَيْتُمْ قَلِيلًا فَلَمْ تَعْلَمُوا مَا أَعْلَمُ

وَلَقَدْ زَادُوا عَلَى هَذَيْنِ الْقِيَاسَيْنِ الْقِيَاسَ الْفِقْهِيَّ وَذَلِكَ أَنْ يُقَاسَ  
فَرْعٌ عَلَى أَصْلِ بِجَامِعٍ بَيْنَهُمَا فَيُلْزَمُ لِلتَّسَاوِيِ فِي الْحُكْمِ . كَمَا يُحْكَمُ  
أَنَّ الْوَلِيدَ قَالَ لِبَعْضِهِمْ : أَنْشِدْ مِنْ قَوْلِكَ فِي الْخَمْرِ . فَأَنْشَدَهُ :

كُمَيْتٍ إِذَا نُحِتَ وَفِي الْكَاسِ وَرَدُّهَا

لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ

ثُرَيْكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونُهُ

لَوْجَهُ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبُ

فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : شَرِبْتَهَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ : لَيْنَ كَانَ

وَصَفِي لَهَا رَابَكَ لَقَدْ رَأَيْتُ مَعْرِفَتَكَ بِهَا . ( يَقُولُ ) : كَمَا أَنَّ مَعْرِفَتِي

بِوَضْفِهَا رَابَتَكَ كَذَلِكَ مَعْرِفَتُكَ بِهَا رَابَتِي



مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ  
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهَمْ فِي مَدَحِهِمْ لَكَ أَذْنُبُوا  
يَقُولُ لِهَذَا أَلَمَّاكَ : أَنْتَ أَحْسَنْتَ إِلَى قَوْمٍ فَمَدَحُوكَ . وَأَنَا  
أَحْسَنَ إِلَى قَوْمٍ فَمَدَحْتَهُمْ . فَكَمَا أَنَّ مَدَحَ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ لَكَ  
لَا يُعَدُّ ذَنْبًا فَكَذَا مَدْحِي لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ لَا يُعَدُّ ذَنْبًا . قَالَ ابْنُ أَبِي  
الْأَضْبَعِ : وَمَنْ شَوَّاهِدِ هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

لِكُلِّ أَمْرٍ نَفْسَانِ نَفْسٌ كَرِيمَةٌ وَنَفْسٌ يُعَاصِيهَا أَلْفَتِي وَيُطِيعُهَا  
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفْسِيكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى إِذَا قُلَّ مِنْ أَخْرَارِهِنَّ شَفِيعُهَا  
يَقُولُ : لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسٌ مُطِئَةٌ تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ . وَنَفْسٌ أَمَارَةٌ  
تَأْمُرُ بِالسُّوءِ . وَالْإِنْسَانُ يُعَاصِي الْأَمَارَةَ مَرَّةً وَيُطِيعُهَا أُخْرَى . وَأَنْتَ  
إِذَا أَمَرْتِكَ الْأَمَارَةُ بِتَرْكِ النَّدَى شَفَعَتِ الْمُطِئَةُ إِلَيْهَا فِي النَّدَى  
فِي الْحَالَةِ الَّتِي يَقِلُّ فِيهَا الشَّفِيعُ فِي النَّدَى مِنَ النُّفُوسِ . فَأَنْتَ  
أَكْرَمُ النَّاسِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ قِيَاسَ الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ إِمَّا حَلِيٌّ . وَإِمَّا شَرْطِيٌّ .  
فَالْأَقْيَسَةُ الْحَلِيَّةُ قَدْ اسْتَبْطُوهَا عَلَى صُورٍ : مِنْهَا مَا يُرَوَى أَنَّ أَبَا دُلْفَ  
قَصَدَهُ شَاعِرٌ تَمِيمِيٌّ . فَقَالَ لَهُ : يَمُنُّ أَنْتَ . فَقَالَ مِنْ تَمِيمٍ . فَقَالَ  
أَبُو دُلْفَ :

تَمِيمٌ بِطَرُقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنْ أَلْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتُ سُبُلَ الْهِدَايَةِ ضَلَّتِ  
فَقَالَ لَهُ التَّمِيمِيُّ : نَعَمْ بِتِلْكَ الْهِدَايَةِ جِئْتُ إِلَيْكَ . فَاحْمَهُ بِدَلِيلِ  
حَلِيٍّ الزَّمَهُ فِيهِ أَنَّ الْحَيَّ إِلَيْهِ ضَلَالٌ . وَلَعَمْرِي إِنَّ الْقِيَاسَ الشَّرْطِيَّ



## البحث الحادي والعشرون

### في المذهب الكلامي

( من شرح بديعة العميان لابن جابر الاندلسي باختصار )

( راجع صفحة ٢٨ من علم الادب )

الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيَانِ هُوَ إِيرَادُ حُجَّةٍ لِلْمَطْلُوبِ  
عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ تَسْلِيمِ الْمُقَدَّمَاتِ  
مُقَدَّمَةٌ مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْمَطْلُوبِ . وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْبَلِغُ فِي صِحَّةِ  
دَعْوَاهُ وَإِبْطَالِ دَعْوَى خَصْمِهِ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ عَقْلِيَّةٍ تَصِحُّ نِسْبَتُهَا إِلَى  
عِلْمِ الْكَلَامِ . إِذْ عِلْمُ الْكَلَامِ عِبَارَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ أَصُولِ الدِّينِ  
بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَاطِعَةِ . وَمِنْ أَوْضَحِ الشَّوَاهِدِ فِي هَذَا النَّوعِ  
قَوْلُ الْقُرْآنِ : لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا .  
فَهَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ . وَتَمَامُ الدَّلِيلِ أَنْ تَقُولَ  
لَكِنَّمَا لَمْ تَفْسُدَا فَلَيْسَ إِذَا فِيهِمَا إِلَهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ . وَمِنْ أَثْبَلِ هَذَا  
أَلْبَابِ قَوْلِ أَغْرَابِيٍّ لِرَجُلٍ : إِيَّا لَمْ أَرِدَّ وَجْهِي عَنْ الطَّلَبِ إِلَيْكَ  
فَضَنُّ نَفْسِكَ عَنْ رَدِّي وَصَغْنِي مِنْ كَرَمِكَ بِحَيْثُ وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ  
رَجَائِكَ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ يَعْتَذِرُ إِلَى النُّعْمَانِ :

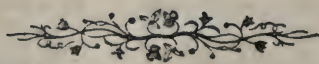
حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً	وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بَلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً	لُمْلُغُكَ الْوَأْيِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ
وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبٌ	مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبٌ

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ الْجَمِيعُ الْقَائِي فَكَأَنَّهُ الدَّارِجُ فِي الْأَغْصَانِ  
وَهَذَا تَشْبِيهُ يُنْكِرُهُ أَهْلُ التَّجْسِيمِ . وَقَدْ عَدُّوا مِنْ التَّشَابِيهِ الَّتِي  
هِيَ غَيْرُ بَلِيغَةٍ قَوْلَ الشَّاعِرِ فِي وَصْفِ الرَّوْضِ :

كَانَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَدْ رَوَيْنَ مِنَ الدِّمَاءِ  
فَهَذَا وَإِنْ كَانَ تَشْبِيهًا مُضِيئًا فَإِنَّ فِيهِ بَشَاعَةً كَثْرَةُ الدِّمَاءِ  
الَّتِي تَعَاثُ الْأَنْفُسُ اللَّطِيفَةُ رُؤْيَاهَا . وَفِي أَقْوَالِ الْعَرَبِ تَشَابِيهِ  
تَجَمُّهَا الْأَذْوَاتُ الصَّحِيحَةُ وَتَنْفَرُ مِنْهَا الطَّبَاعُ السَّالِمَةُ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ  
النَّابِغَةِ وَقَدْ عَابَهُ الْأَصْمَعِيُّ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِهِ الْعُودِ  
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَدْ يُكْرَهُ تَشْبِيهُ الْمَمْدُوحِ بِالْمَرِيضِ . وَمِثْلُهُ  
قَوْلُ أَبِي مِخْنَجٍ الثَّقَفِيِّ فِي قَبْتِهِ :

وَتَرْجِعُ الْعُودَ أَحْيَانًا وَتَحْفَظُهُ كَمَا يَطِيرُ ذُبَابُ الرَّوْضَةِ الْغَرْدُ  
فَإِنَّ الْقَبْتَةَ لَمْ تَرْضَ أَنْ تُشَبَّهَ نَفْسُهَا بِالذُّبَابِ . وَلِذَاكَ رَغِبَ  
الْمَوْلِدُونَ عَنْ تَشَابِيهِ الْعَرَبِ لِأَنَّهَا مَعَ عَقَادَةِ التَّرْكِيبِ لَمْ تُسْفِرْ عَنْ  
كَبِيرٍ أَمْرٍ فَخَالَفُوها فِي كَثِيرٍ مِنَ الشَّعْرِ إِلَى مَا هُوَ أَلْيَقُ بِالْوَقْتِ  
وَأَمْسُ بِأَهْلِهِ



مَا لِرَجُلٍ أَمَّالٍ أَمَسَتْ تَشْتَكِي مِنْكَ الْكَلَالَا  
فَجَعَلَ لِلْمَالِ رَجُلًا وَذَلِكَ تَشْبِيهُ بَعِيدٌ. وَمِنْ أَقْبَحِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ  
ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

وَتَعَلَّمَ النَّاسُ السَّخَاءُ حُجْرًا وَذَهَبَتْ أَنْتَ بِرَأْسِهِ وَسَنَامِهِ  
وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْإِهَابَ وَمَا بَقِيَ مِنْ فَرْثِهِ وَعُرُوقِهِ وَعِظَامِهِ  
وَأَلْبَنَجُ الْفَاحِشُ فِي أَلْبَنِتِ الثَّانِي وَكُلُّ هَذَا التَّعَسُّفُ فِي التَّشْبِيهِ  
الْبَعِيدِ دَنَدَنَةٌ حَوْلَ مَعْنَى لَيْسَ بِطَائِلٍ . فَإِنَّ غَرَضَهُ أَنْ يَقُولَ : ذَهَبَتْ  
بِالْأَعْلَى وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْأَدْنَى . أَوْ : ذَهَبَتْ بِالْحَيِّدِ وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الرَّدِيَّ .  
وَأَمَّا التَّشْبِيهُ الْمُظْهَرُ الْأَدَاةِ فَهَذِهِ أَمْثَالُ أوردتها لِتَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى  
أَشْبَاهِهِ فَإِنَّ لِدِكْرِ الْمِثَالِ فَائِدَةً لَا تَكُونُ لِدِكْرِ الْحَدِّ وَحْدَهُ . فَمِنْ  
ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

لَا حَاجَتِكَ الشَّيْبُ حَتَّى كَانَهُ طِبَاءُ جَرَتْ مِنْهَا سَنِيحٌ وَبَارِحُ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ يَصِفُ السِّهَامَ فَشَبَّهَا بِأَعْمَاقِ الطِّبَاءِ .  
وَذَلِكَ مِنْ أَبْعَدِ التَّشْبِيهَاتِ :

كَسَاَهَا رَطِيبُ الرِّيشِ فَأَعْتَدَلَتْهُ قِدَاحُ كَاعَنَاقِ الطِّبَاءِ الْفَوَارِقِ  
وَعَلَى نَحْوٍ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

يَمِشُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ جُرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكَيْلُ الْمُسْعَلُ  
فَشَبَّ الرِّجَالُ فِي دُرُوعِ الزَّرْدِ بِالْجَمَالِ الْجُرْبِ . وَهَذَا مِنْ التَّشْبِيهِ  
الْبَعِيدِ السَّخِيفِ فَضْلًا عَنْ أَنْ لَا مُقَارَبَةَ بَيْنَهُمَا فِي اللَّوْنِ . وَمِنْ التَّشْبِيهَاتِ  
الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :



بِدَايَةِ. لِأَنَّ مَقْصُودَ الشَّاعِرِ أَنْ يَصِفَ أَيْدَاءَ مُطِيعٍ أَدَّى إِلَى انْتِهَاءِ  
مُؤَيِّسٍ. وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِجُمْلَةٍ فَإِنَّ تَأْدِيَةَ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ حُكْمٌ  
زَائِدٌ عَلَى ذَاتِهِ

وَأَعْلَمَ أَنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ ضَرْبًا يُسَمَّى الطَّرْدَ وَالْعَكْسَ. وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ  
الْمُشَبَّ بِهِ مُشَبَّاهًو وَالْمُشَبَّهُ مُشَبَّاهً بِهِ. وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ: غَلَبَةُ الْفُرُوعِ عَلَى  
الْأَصُولِ. وَلَا تَجِدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَالْفَرْضُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ. كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:  
وَبَدَا الصَّبَاحُ كَانَ غُرَّتُهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَمْتَدِّحُ  
فَجَعَلَ الْأَصْلَ فَرْعًا وَالْفَرْعَ أَصْلًا. وَهَذَا أَبْلَغُ وَأَحْسَنُ وَأَمْدَحُ  
مِنْ تَشْبِيهِ الْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ. لِأَنَّ تَشْبِيهِ الْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ أَصْلٌ مُتَّفَقٌ  
عَلَيْهِ لَا يُنْكَرُ وَلَا يُسْتَنْكَرُ. وَإِنَّمَا الَّذِي يُسْتَنْكَرُ تَشْبِيهُ الصَّبَاحِ  
بِالْوَجْهِ

### البحث العشرون

#### في معاييب التشبيه

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

وَإِذَا ذَكَرْنَا أَقْسَامَ التَّشْبِيهِ وَبَيَّنَّا الْحُدُودَ مِنْهَا الَّذِي يَنْبَغِي إِقْتِفَاءُ  
آثَرِهِ وَاتِّبَاعُ مَذْهَبِهِ فَلَنُتَبِعْهُ بِضِدِّهِ يَمَّا يَنْبَغِي اجْتِنَابُهُ وَالْإِضْرَابُ عَنْهُ.  
عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَدِّمْنَا الْقَوْلَ بِأَنَّ حَدَّ التَّشْبِيهِ هُوَ أَنْ يُثَبَّتَ لِلْمُشَبَّهِ  
حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الْمُشَبَّهِ بِهِ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَوْ كَانَ  
بَيْنَ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ بَعْدُ فَذَلِكَ الَّذِي يُطْرَحُ وَلَا يُسْتَعْمَلُ. وَالَّذِي  
يُرَدُّ مِنْهُ مُضَرُّ الْأَدَاةِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي التَّوَسُّعِ. كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَلَهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الْإِبْدَاعِ :

مَلِكٌ سِنَانٌ قَنَاطِهِ وَبَنَانُهُ      يَتَبَارَكُ يَنْ دَمًا وَعَرَفًا سَاكِبًا  
كَأَلْبَذْرِ مِنْ حَيْثُ أَلْتَفَتْ رَأْيَتُهُ      يَهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا  
كَالسَّمْسِ فِي كِبَدِ السَّمَاءِ وَغَوْهَا      يَغْشَى الْإِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا  
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا      جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا  
وَكَثِيرًا مَا يَتَلَطَّفُ الشُّعْرَاءُ بِالنَّشِيبِ      فَيُشَبِّهُونَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ  
بِشَيْنَيْنِ وَثَلَاثَةٍ . وَرَبَّمَا شَبَّهُوا شَيْنَيْنِ بِشَيْنَيْنِ وَثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ وَآرَبَعَةً  
بِآرَبَعَةٍ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي الْفَرَسِ :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِي وَسَاقًا نَعَامَةً      وَارْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقَرِيبُ تَنْفُلٍ  
وَكَقَوْلِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا      وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ  
وَلَا بَيْنَ الْمَعْتَرِ فِي تَشْبِيهِ حُبَابِ الرِّيحِ :

يَجُولُ حُبَابُ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهَا      كَمَا جَالَ دَمْعٌ فَوْقَ خَدِّ مُورِدٍ  
وَلِأَخَرٍ قَدْ شَبَّهَ آرَبَعَةَ أَشْيَاءَ بِآرَبَعَةٍ :

لِلَّهِ طَرَسٌ عَنْ سُطُورٍ جَادَهَا مَ      الْفِكْرُ السَّلِيمُ بِصَوْبٍ مِنْكَ أَذْفَرِ  
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ أَوْ جَدُولٌ      أَوْ سِمْطٌ دُرٌّ أَوْ قِلَادَةٌ غَنِيْرٌ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلُ وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ تَشْبِيهًُا وَاحِدًا  
مُقَيَّدًا بِثَبُوتٍ وَيُظَنُّ أَنَّهَا تَشْبِيهَاتٌ مُجْمُوعَةٌ كَقَوْلِهِ :

كَمَا أَزْبَقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةً      فَلَمَّا رَجَوْهَا أَفْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ  
فَإِنَّ مُجَرَّدَ قَوْلِهِ : أَزْبَقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةً لَيْسَ تَشْبِيهًُا مُسْتَقِلًّا

وَقَالَ مُتَمِّمٌ :

وَبَعْضُ الرِّجَالِ نَحْلَةٌ لَاجِنَى لَهَا  
وَقَالَ الْأَخْطَلُ النَّصْرَائِيُّ :

وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ  
وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ فِي النُّعْمَانِ :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْأَنَامُ كَوَاكِبٌ  
وَمَنْ بَدِيعِ تَشَابِيهِهُ الْخُذْرَيْنِ قَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ :

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ يَوْمَ ودَاعِهِ  
وَكَقَوْلِ بَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ :

قَدْ كَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا  
لَوْ كَانَ طَلَقَ النَّحْيَا يُطِيرُ الذَّهَبَا

وَالْدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَحْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ  
وَاللَّيْتُ لَوْ لَمْ يُصَدِّ وَالنَّجْرُ لَوْ عَذَّبَا

وَاللِّمَّتِّي فِي وَصْفِ ظَنِي :  
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ ثَبَسِ الْخَلِي

وَعَادَةُ الْعُرْيِ عَنِ التَّقْضُلِ  
كَأَنَّهُ مُصَمِّحٌ بِصَنْدَلِ

وَكَقَوْلِهِ فِي سُرْعَةِ الْأَوْتَةِ وَتَفْغِيلِ اللَّبَثِ :  
وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ  
يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أَمْتِسَاكًا  
وَلَهُ قَوْلُهُ :

وَأَنْتَ حُسَامُ أَمْلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ  
وَأَنْتَ لَوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ



فَأَنْبَأُكَ تَأْتِيَا كَمَا وَشَى بِالنَّاسِكِ رِيَاهُ . وَنَمَّ عَلَى الصَّبَاحِ حُيَاهُ .  
 وَقَالَ : الرَّجُلُ ذُو الْمُرُوءَةِ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ . كَالْأَسَدِ يَهَابُ وَإِنْ  
 كَانَ رَابِضًا . وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يِهَانُ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا .  
 كَالْكَلْبِ يَهُونُ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ طُوقَ . وَقَالَ : لَا يَجِبُ لِلْمُذْنِبِ  
 أَنْ يُفْحَصَ عَنْ آفَرِهِ لِقُبْحِ مَا يَنْكَشِفُ مِنْهُ كَالشَّيْءِ الْاِثْنَيْنِ كُلَّمَا أُثِيرَ  
 أَزْدَادَ نَتْنًا . وَقَالَ أَيْضًا : مَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ لِعَاجِلِ الْجَزَاءِ فَيُؤْ-  
 كَمَلْتِي الْحَبَّ لِلطَّيْرِ لَا لِيَنْفَعَهَا بَلْ لِيَصِيدَهَا بِهِ . وَقَالَ أَيْضًا : أَلْمَالُ إِذَا  
 اجْتَمَعَ وَلَمْ يُصْرَفْ فِي الْحَقِّوُقِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْهَلَاكُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ كَالْمَاءِ  
 إِذَا اجْتَمَعَ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْفُؤُودِ تَفْجَرُ مِنْ جَوَانِيهِ  
 فَضَاعَ . وَقَالَ أَيْضًا : يَبْقَى الصَّالِحُ مِنَ الرِّجَالِ صَالِحًا حَتَّى يُصَاحِبَ  
 فَاسِدًا فَإِذَا صَاحَبَهُ فَسَدَ مِثْلُ مِيَاهِ الْإِنْهَارِ تَكُونُ عَذْبَةً حَتَّى تُخَالِطَ  
 مَاءَ الْبَحْرِ فَإِذَا خَالَطَتْهُ مَلُحَتْ . وَمِنْ التَّشَابِيهِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ  
 مُحَمَّدٍ : الْأَدَبُ عِنْدَ الْآخِقِ كَالْمَاءِ الْعَذْبِ فِي أَصُولِ الْخَنْظَلِ كُلَّمَا  
 أَزْدَادَ رِيًّا أَزْدَادَ مَرَارَةً . وَمِنْ التَّشَابِيهِ الشَّعْرِيَّةِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ لَيْدٍ :  
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ يَحْجُرُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ  
 وَمَا أَلْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَرَدَّ الْوَدَاعُ  
 ثُمَّ قَالَ :

وَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفَنَهُ      تَقَادُمُ عَهْدِ الْاَلْقَيْنِ وَالنَّضْلُ قَاطِعُ  
 وَكَقَوْلِ سَالِحِ بْنِ جَنَاحٍ الْعَبْسِيِّ :  
 أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ عَهْدٌ لِقَلْبِهِ      وَلَا خَيْرَ فِي عَهْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَضْلُ

وَالْتَّشْبِيهُ يُزِيدُ الْمَعْنَى وَضُوحًا وَيُكْسِبُهُ تَأْكِيدًا . وَقَدْ يَأْتِي تَارَةً  
لَيَّانٍ إِنْ كَانَ وُجُودُ الشَّيْءِ عِنْدَ ادِّعَاءِ مَا لَا يَكُونُ إِمْكَانُهُ بَيْنًا .  
كَقَوْلِ الْمُتَشَبِّهِ :

فَإِنْ تَفُقَ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ أَلْسِنَكَ بَعْضُ دَمِ الْقُرَالِ  
وَيَكُونُ لَيَّانٍ مِقْدَارِ الشَّيْءِ كَمَا إِذَا حَاوَلْتَ نَفْيَ الْقَائِدَةِ مِنْ  
فِعْلِ الْإِنْسَانِ قُلْتَ : هُوَ كَالْقَائِضِ عَلَى الْمَاءِ . وَقَدْ أَطْبَقَ جَمِيعُ الْمُتَكَلِّمِينَ  
مِنَ الْعَرَبِ وَالْجَمِّ عَلَى قَوَائِدِ التَّشْبِيهِ . وَلَمْ يَسْتَغْنِ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
عَنْهُ . وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْقَدَمَاءِ وَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كُلِّ جِيلٍ مَا يُسْتَدَلُّ  
بِهِ عَلَى شَرَفِهِ وَفَضْلِهِ وَمَوْقِعِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِكُلِّ لِسَانٍ . مِنْ ذَلِكَ مَا  
قَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ كُلَّمَا أَزْدَدْتَ مِنْهُ شُرْبًا  
أَزْدَدْتَ مِنْهُ عَطْشًا . وَقَالَ : صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ كَالرَّيْحِ إِذَا  
مَرَّتْ عَلَى الْمُنْتَنِ لَمْ تَنْتَهِ . وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا .  
وَقَالَ : مَنْ أَنْعَمَ لِمَنْ لَا يَشْكُرُ كَانَ كَمَنْ نَثَرَ بَذْرَهُ فِي السِّبَاخِ .  
وَقَدْ نَظَّمْتُ هَذَا الْمَعْنَى :

أَلَا إِنَّمَا التُّعْمَى تُجَاوِزُ بِمِثْلِهَا إِذَا كَانَ مُسْدَاها إِلَى مَا جِدَّ حَرِي  
فَإِمَّا إِذَا كَانَتْ إِلَى غَيْرِ مَا جِدَّ فَقَدْ ذَهَبَتْ فِي غَيْرِ حَمْدٍ وَلَا شُكْرِ  
إِذَا الْمَرْءُ أَلْقَى فِي السِّبَاخِ بَذْرَهُ أَضَاعَ فَلَمْ يَرْجِعْ بِزَرْعٍ وَلَا بِذَرٍ  
وَقَالَ أَيْضًا : لَا يَخْفَى فَضْلُ ذِي الْعِلْمِ وَإِنْ أَخْفَاهُ كَأَلْسِنِكَ  
يُحِبُّ أَنْ يُسَدَّرَ لَمْ يَنْعَمْ ذَلِكَ رَأَيْتَهُ أَنْ تَفُوحَ أَخْذُهُ الصَّاحِبُ فَكَتَبَ :  
أَمَّا آدَامُ اللَّهِ عَزَّكَ . وَإِنْ طَوَيْتَ عَنَّا خَيْرَكَ . وَجَعَلْتَ وَطَنَكَ وَطَرَكَكَ .

كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ كَالْأَسَدِ بِأَسَا وَالْبَجَرِ جُودًا وَالسَّيْفِ مَضًا وَالْبَدْرِ بَهَاءً .  
وَكَقَوْلِكَ : هُوَ يَصْفُو وَيَكْدُرُ وَيَحْلُو وَيَمُرُّ . وَلَهُ خَاصَّتَانِ ( إِحْدَاهُمَا )  
أَنَّهُ لَا يَجِبُ فِيهِ التَّرْتِيبُ . ( وَالثَّانِيَةُ ) إِذَا أُسْقِطَ الْبَعْضُ لَا يَتَغَيَّرُ  
حُكْمُ الْبَاقِي . وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي  
وَفِيهِ نَظْرٌ

### البحث التاسع عشر

#### في التشبيه المستعملة عند العرب

( من كتاب الصناعتين للعسكري وعن البديعيات )

أَمَّا الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ فِي التَّشْبِيهِ وَالنَّفْحُ الْقَاصِدُ فِي التَّمْثِيلِ  
عَنِ الْقَدَمَاءِ وَالْأَخْدَثِينَ فَتَشْبِيهُ الْجَوَادِ بِالْبَجَرِ وَالْمَطَرِ وَالشُّجَاعِ بِالْأَسَدِ  
وَالْحَسَنِ بِالسَّمْسِ وَالْقَمَرِ . وَالْفَهْمُ الْمَاضِي بِالسَّيْفِ . وَالْعَالِي الرَّتَبَةِ  
بِالنَّجْمِ . وَالْحَلِيمُ الرَّزِينُ بِالْجَلِ . وَالْحَيُّ بِالْبَكْرِ . ثُمَّ يُشَبِّهُونَ اللَّيْمَ  
بِالْكَلْبِ . وَالْجَبَانَ بِالصَّغْرِ . وَالطَّائِشَ بِالْفَرَّاشِ . وَالذَّلِيلَ بِالنَّقْدِ  
وَالنَّعْلَ . وَالنَّفْعَ بِالْوَتْدِ . وَالْقَائِيَّ بِالْحَدِيدِ وَالصَّخْرَ . وَالْبَلِيدَ بِالْجَمَادِ  
وَشَهْرَ قَوْمٍ بِخِصَالِ مَحْمُودَةٍ فَصَارُوا فِيهَا أَغْلَامًا فَجَرُوا وَجَرَى مَا قَدَّمَاهُ  
كَالسَّمْوَلِ فِي الْوَفَاءِ . وَحَاتِمٍ فِي السَّخَاءِ . وَالْأَخْفِ فِي الْحِلْمِ . وَسَحْبَانَ  
فِي الْبَلَاغَةِ . وَقُسٍّ فِي الْخُطَابَةِ . وَلُقْمَانَ فِي الْحِكْمَةِ . وَشَهْرَ  
آخَرُونَ بِأَضْدَادِ هَذِهِ الْخِصَالِ فَشَبَّهَ بِهِمْ فِي حَالِ الذَّمِّ كَقَوْلِ فِي  
الْعِي . وَهَبْتَقَةَ فِي الْحَقِّ . وَالْكُسْعِيَّ فِي النَّدَامَةِ . وَمَادِرٍ فِي الْبُخْلِ



أَكْثَرَ كَانَ التَّشْبِيهِ أَوْغَلَ فِي كَوْنِهِ عَقْلِيًّا كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا كَمَا أَثَرُ لَمَاءٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاحْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ  
النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَدَنَّ أَهْلُهَا  
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فْجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ  
تَغْنِ بِالْأَمْسِ . فَإِنَّ التَّشْبِيهِ مُنْتَزَعٌ مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْجُمْلِ مِنْ غَيْرِ  
أَنْ يُمَكِّنَ فَضْلُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ . فَإِنَّكَ لَوْ حَذَفْتَ مِنْهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً  
مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَ أَخْلَى ذَلِكَ بِالْمَقْصُودِ مِنَ التَّشْبِيهِ . ثُمَّ مَا بِهِ  
الْمُشَابَهَةُ إِنْ كَانَ مُرَكَّبًا فَإِنَّهُ عَلَى قِسْمَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) مَا لَا يُمَكِّنُ  
إِفْرَادَ أَحَدِ أَجْزَائِهِ بِالذِّكْرِ كَقَوْلِهِ :

كَانَ سُهَيْلًا وَالْجُومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلَاةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا  
فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ إِفْرَادَ أَجْزَاءِ هَذَا التَّشْبِيهِ إِذْ لَوْ قُلْتُ : كَانَ  
سُهَيْلًا إِمَامًا وَكَانَ الْجُومُ صُفُوفُ صَلَاةٍ . ذَهَبَتْ فَايِدَةُ هَذَا التَّشْبِيهِ .  
( الثَّانِي ) مَا يُمَكِّنُ إِفْرَادَهُ بِالذِّكْرِ وَيَكُونُ إِذَا أُزِيلَ وَنُسِخَ  
الْأَتْرَافُ صَحِيحَ التَّشْبِيهِ فِي طَرَفِهِ إِلَّا إِنْ أَلْفَعْنِي مُغَيَّرُ كَقَوْلِ أَبِي  
طَالِبٍ الرَّقِّي :

وَكَانَ أَجْرَامَ الْجُومِ لَوَامِعًا دُرٌّ تُثْنِ عَلَى بَسَاطِ أَرْقٍ  
فَلَوْ قُلْتُ : كَانَ الْجُومُ دُرٌّ وَكَانَ السَّمَاءُ بَسَاطَ أَرْقٍ وَجَدْتُ  
التَّشْبِيهِ مَقْبُولًا . وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا قَدْ زَالَ .  
وَرَبَّأَ كَانَ التَّشْبِيهِ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَلَا يَتَقَيَّدُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . وَإِنَّمَا  
يَكُونُ بَعْضُهَا مَضْمُومًا إِلَى الْبَعْضِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ

كَانَ عِيُونَ التَّرْجِسِ الْغَضَبُ بَيْنَنَا مَدَاهِنُ دُرٍّ حَشَوْنٌ عَقِيْقٌ  
وَكَقَوْلٍ آخَرَ فِي تَشْبِيهِ الشَّقَائِقِ :

وَكَانَ مُحَمَّرَ الشَّقِيْقِ مِ إِذَا تَضَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْقُوتٍ نُشِرَ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ ذَبْرَجَدَ

وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ

فَلَنَّهُمْ لَمْ يُشَاهِدُوا أَنِّيَابَ الْأَغْوَالِ بَلْ أَعْتَقَدُوا أَنَّهَا فِي غَايَةِ

الْحِدَّةِ فَحَسَنَ التَّشْبِيهِ . وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُهُ : طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ

إِنَّمَا هِيَ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فِي الْكَرَاهَةِ وَلِإِعْتِقَادِهِمْ أَلْغَايَةَ فِي قُبْحِ

الشَّيْطَانِ وَكَرَاهِيَّتِهِ يُشَبِّهُونَ بِهِ الْوَجْهَ الْقَفِيحَ . وَلِإِعْتِقَادِهِمْ أَلْغَايَةَ فِي

خَيْرِ الْمَلِكِ وَأَنَّهُ لَا شَرَفَ فِيهِ يُشَبِّهُونَ بِهِ الصُّورَ الْحَسَنَةَ كَمَا قَالَ :

مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا بِهِ الْمُشَابَهَةُ قَدْ

يَكُونُ مُقَيَّدًا بِالْإِنْسَابِ إِلَى الشَّيْءِ وَذَلِكَ إِمَّا إِلَى الْمَعْقُولِ بِهِ وَهُوَ

الْجَارُ وَالْجَرُّورُ كَقَوْلِهِمْ لَنْ يَفْعَلَ مَا لَا يُفِيدُ : كَالرَّاقِمِ عَلَى الْمَاءِ .

وَأَمَّا إِلَى الْحَالِ كَقَوْلِهِمْ : كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ ( أَلَاؤُ لِلْحَالِ ) .

وَأَمَّا إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ وَالْجَارِ وَالْجَرُّورِ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَمَنْ يَجْمَعُ

السَّيْفَيْنِ فِي عِمْدٍ وَكَمَتَبَعِي الصَّيْدِ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ . وَكَقَوْلِ لَيْدٍ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حُلُوهَا وَعَدُوا بِلَاقِهِ

فَلَنَّهُ لَمْ يُشَبِّهِ النَّاسَ بِالْأَيَّارِ وَأَمَّا شَبَهُ وَجُودِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ

زَوَالِهِمْ بِحُلُولِهِمْ الدِّيَارِ وَوَشَكِّ رَحِيلِهِمْ مِنْهَا . وَكَلَّمَا كَانَتْ أَلْفَقَدَمَاتُ

يُحْيِلُ أَصْلًا فَيُشَبِّهُ بِهِ. وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي قَوْلِ أَبِي طَالِبٍ الرَّقِّي :  
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ يَوْمُ النَّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ  
فَأَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْأَوَاقَاتُ الَّتِي تَحْدُثُ فِيهَا الْمَكَارِهِ تُوصَفُ بِالسَّوَادِ  
(يُقَالُ : أَسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ) . جَعَلَ يَوْمُ النَّوَى كَأَنَّهُ أَشْهُرُ وَاعْرِفُ  
بِالسَّوَادِ مِنَ الظَّلَامِ قَعْرَهُ بِهِ وَشَبَّهَهُ . ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ فُؤَادَ مَنْ لَا  
يَرْفُقُ تَنْظُرًا . وَالْقَلْبُ الْقَاسِي يُوصَفُ بِشِدَّةِ السَّوَادِ . فَصَارَ هَذَا الْقَلْبُ  
أَصْلًا عِنْدَهُ فِي السَّوَادِ قَفَسَ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ  
حِينَ أَهْدَى لِلْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيِّ عِطْرًا :  
يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ فِي قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاقَةٌ  
أَهْدَيْتُ عِطْرًا يَشْلُ طِيبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّمَا أُهْدِي لَهُ أَخْلَاقَهُ  
وَالْعَادَةُ تَشْبِيهُ الثَّنَاءِ بِالْعِطْرِ وَهُوَ عَكْسُ الْأَمْرِ عَلَى جِهَةِ الْمُبَالَغَةِ  
كَمَا بَيَّنَّا . وَقُلْتُ فِي تَشْبِيهِ حُضْنِ :

كَأَنَّهُ وَكَانَ الْجَوْ يَكْنِفُهُ وَهُمْ تَمَثَّلَهُ فِي طَيْهَا الْفِكْرُ  
لِأَنَّهُ لَمَّا ارْتَفَعَ الْحُضْنُ فِي الْجَوْ حَتَّى صَارَ كَالْوَهْمِ فَيَكُونُ مِنْ تَشْبِيهِ  
الْحُسُوسِ بِمَا تُحِيلُ أَنَّهُ مُحْسُوسٌ لِإِظْلَامِهِ فِي الْعَيْنِ أَوْ فُرْضَ لَهُ الْخَفَاءُ  
حَتَّى صَارَ يُشَبِّهُ مَعْقُولًا بِمَعْقُولٍ . وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا النَّوعِ تَشْبِيهُ الْوُجُودِ  
بِالتَّحْيِيلِ الَّذِي لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْأَعْيَانِ كَتَشْبِيهِ الْجَمْرِ بَيْنَ الرَّمَادِ بِجَرِّ  
مِنَ الْمَسْكِ مَوْجَهُ الذَّهَبِ . وَذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ إِذَا فُرِضَ الْمُتَحْيِيلُ أُمُورًا  
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَوْجُودٌ فِي الْأَعْيَانِ . فَيُحْيِذُ يَكُونُ التَّشْبِيهُ حَسَنًا  
لَطِيفًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي التَّرَجِسِ :



رُبَّ حَيٍّ كَمَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ . أَمَلٌ يُرْتَجَى لِنَفْعٍ وَضُرٌّ  
وَعِظَامٌ تَحْتَ الثَّرَابِ وَفَوْقَ الْأَمْرِ رُضٌ مِنْهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ  
(الثَّالِثُ) تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ كَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ . وَكَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَرَمَادٍ  
أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ . (الرَّابِعُ) تَشْبِيهُ الْمَحْسُوسِ بِالْمَعْقُولِ  
وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ الْعُلُومَ مُسْتَفَادَةً مِنَ الْخَوَاسِ وَمُنْتَهِيَةٌ إِلَيْهَا وَلِذَلِكَ  
قِيلَ : مَنْ فَقَدَ حِسًّا فَقَدْ عِلِمًا . فَإِذَا كَانَ الْمَحْسُوسُ أَضْلًا لِلْمَعْقُولِ فَتَشْبِيهُهُ  
بِهِ يَكُونُ جَعْلًا لِلْفَرْعِ أَضْلًا وَالْأَضْلُ فَرْعًا . وَلِذَلِكَ لَوْ حَاوَلَ مُحَاوِلُ  
الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ الشَّمْسِ بِالظُّهُورِ وَالْمَسْكِ بِالثَّنَاءِ فَقَالَ : الشَّمْسُ  
كَالنَّجْمَةِ فِي الظُّهُورِ . وَالْمَسْكُ كَالثَّنَاءِ فِي الطَّيِّبِ . كَانَ سَخِيفًا مِنْ  
الْقَوْلِ . فَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْأَشْعَارِ مِنْ تَشْبِيهِ الْمَحْسُوسِ بِالْمَعْقُولِ فَوَجْهُهُ  
أَن يُقَدَّرَ الْمَعْقُولُ مَحْسُوسًا وَيُجْعَلَ كَالْأَضْلِ الْمَحْسُوسِ عَلَى طَرِيقِ  
الْمُبَالَغَةِ فَيَصِحُّ التَّشْبِيهُ حِينَئِذٍ . وَذَلِكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَانَ الْجُومُ بَيْنَ دُجَاهَا سُنٌّ لَاحَ بَيْنَهُنَّ أَيْتِدَاعُ

فَأَنَّهُ لَمَّا شَاعَ وَصْفُ السُّنَّةِ بِالْبَيَاضِ وَالْإِشْرَاقِ عَلَى مَا قِيلَ :  
أَتَيْتُكُمْ بِالْحَنِيفِيَّةِ الْبَيَاضِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا . وَأَشْهَرَتْ الْبِدْعَةُ وَكُلُّ مَا  
لَيْسَ بِحَقٍّ بِالظُّلْمَةِ فَخَيَّلَ الشَّاعِرُ أَنَّ السُّنَّةَ كَانَتْهَا مِنَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي  
لَهَا إِشْرَاقٌ وَنُورٌ وَأَنَّ الْبِدْعَ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي لَهَا اخْتِصَاصٌ بِالسَّوَادِ  
وَالظُّلْمَةِ . فَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ كَتَشْبِيهِ مَحْسُوسٍ بِمَحْسُوسٍ فَجَازَ لَهُ التَّشْبِيهُ .  
وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا التَّشْبِيهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَخْيِيلِ مَا لَيْسَ بِمُتَوَلِّنٍ مُتَوَلِّنًا . ثُمَّ

وَالْبَصَرِ وَالذَّوْقِ وَالشَّمِّ وَاللَّسَنِ . كَتَشْبِيهِ الْحَدِّ بِالْوَرْدِ . وَالْوَجْهِ  
 بِالنَّهَارِ . وَالْقَوَاكِمِ الْخُلُوعَ بِالسُّكَّرِ وَالْعَسَلَ . وَرَائِحَةَ بَعْضِ الرِّيحِ  
 بِالْكَافُورِ وَالْمِسْكِ . وَاللَّيْلِ النَّاعِمِ بِالْحَرِّ . وَالْحُسْنِ بِالْمُسْنَعِ . أَوْ فِي  
 الْحُسُوسَاتِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ : الْأَشْكَالُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَالْمُسْتَدِيرَةُ وَالْمَقَادِيرُ  
 وَالْحَرَكَاتُ كَتَشْبِيهِ الْمُسْتَوِيِّ الْمُنْتَصِبِ بِالرُّمَحِ . وَالْقَدِّ اللَّطِيفِ  
 بِالْفُضْنِ . وَالشَّيْءِ الْمُسْتَدِيرِ بِالْكُرَةِ وَالْحَلَقَةِ . وَعَظَمِ الْجُثَّةِ بِالْجَبَلِ .  
 وَالذَّاهِبِ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ بِفُؤَادِ السَّهْمِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ الْجُمْيَاةِ  
 كَالصَّلَابَةِ وَالرَّخَاوَةِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ النَّفْسَانِيَّةِ كَالْفَرَائِزِ وَالْأَخْلَاقِ .  
 أَوْ فِي حَالَةِ إِضَافِيَّةِ كَقَوْلِكَ : هَذِهِ حُجَّةٌ كَالشَّمْسِ . وَالْجَامِعُ أَنَّ  
 كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُزِيلٌ لِلْجَبَابِ وَكَقَوْلِكَ : الْقَاطِئُ كَالْمَاءِ فِي السَّلَاسَةِ .  
 وَكَاللَّسِيمِ فِي الرِّقَّةِ . وَكَالْعَسَلِ فِي الْخِلَاطَةِ . وَالْجَامِعُ سُرْعَةُ وُضُوءِهِ  
 إِلَى النَّفْسِ وَاهْتِرَازُهَا بِهِ . وَرُبَّمَا كَانَ التَّشْبِيهُ بِوَجْهِ عَقْلِيٍّ كَقَوْلِ فَاطِمَةَ  
 بِنْتِ الْحَوْشِبِ الْأَمَارِيَّةِ حِينَ وَصَفَتْ بَيْنَهَا : هُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمَفْرُغَةِ لَا يُدْرَى  
 أَيْنَ طَرَفَاهَا . فَإِنَّهُ لَا يَفْهَمُ الْمَقْصُودَ إِلَّا مَنْ لَهُ ذَهْنٌ يَتَرَفَّعُ عَنْ طَبَقَةِ  
 الْعِلْمَةِ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ . وَمِنْ الْفَرْقِ الظَّاهِرِ بَيْنَهُمَا أَنَّ جَعَلَ الْفَرْعَ  
 أَصْلًا وَالْأَصْلَ فَرْعًا يُجِئُ فِيمَا تَقَدَّمَ مَحِيئًا وَاسِعًا كَقَوْلِهِمْ فِي الْجُومِ :  
 كَانَهُمْ مَصَابِيحُ . وَفِي الْمَصَابِيحِ : كَانَتْهَا نُجُومٌ . وَإِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ فِي  
 الثَّانِي لَمْ يَكُنْ يَتَقَادُ اتِّقْيَادَ الْأَوَّلِ . ( الثَّانِي ) تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْمَعْقُولِ  
 كَتَشْبِيهِ الْوُجُودِ الْعَرَارِيِّ عَنِ الْقَوَائِدِ بِالْعَدَمِ وَتَشْبِيهِ الْقَوَائِدِ الَّتِي  
 تَبْقَى بَعْدَ عَدَمِ الشَّيْءِ بِالْوُجُودِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَقْدِيرِ لَفْظَةِ أَفْعَلَ (يُرِيدُ أَفْعَلَ التَّفْضِيلَ) .  
فَإِنْ لَمْ تُقَدَّرْ فِيهِ لَفْظَةُ (أَفْعَلَ) فَلَيْسَ بِتَشْبِيهِ بَلِيغٍ . أَلَا تَرَى أَنَا  
نَقُولُ فِي التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةَ : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَقَدْ شَبَّهْنَا زَيْدًا بِالْأَسَدِ  
الَّذِي هُوَ أَشْجَعُ مِنْهُ . فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمُسَبَّ بِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَشْجَعُ مِنْ  
زَيْدٍ الَّذِي هُوَ الْمُسَبَّ وَالْأَسَدُ كَانَ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا إِذَا لَا مُبَالَغَةَ فِيهِ .  
وَكَذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الْمَظْهَرِ الْأَدَاةُ كَقَوْلِهِ : وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنَشَّاتُ فِي  
الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ . وَهَذَا تَشْبِيهُ كَبِيرٌ بِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ . لِأَنَّ خَلْقَ السُّفُنِ  
الْبَحْرِيَّةِ كَبِيرٌ وَخَلْقَ الْجِبَالِ أَكْبَرُ مِنْهُ . وَمِثْلُهُ : إِذَا شَيْءٌ حَسَنٌ  
بَشْيٍّ حَسَنٍ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُشَبَّ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ فَلَيْسَ هُوَ بِوَارِدٍ  
عَلَى طَرِيقِ الْبَلَاغَةِ . وَهَكَذَا : إِنْ شَيْءٌ قَبِيحٌ بَقَبِيحٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ  
الْمُسَبَّ بِهِ أَقْبَحَ وَإِنْ قُصِدَ الْيَكَاةُ وَالْإِيضَاحُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ  
الْمُسَبَّ بِهِ أَبْيَنَ وَأَوْضَحَ . فَتَقْدِيرُ لَفْظَةِ (أَفْعَلَ) لَا بُدَّ مِنْهُ فِيمَا يَقْصَدُ  
بِهِ بَلَاغَةُ التَّشْبِيهِ وَالْأَسَدُ كَانَ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَقَسَّ عَلَيْهِ

## البحث الثامن العاشر

### في اقسام التشبيه

( عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٤٩ من علم الادب )

( التَّشْبِيهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ ) : الْأَوَّلُ تَشْبِيهُ مُحْسُوسٍ بِمُحْسُوسٍ  
لَا شَرَاكِهِمَا . أَمَّا فِي التَّحْسُوسَاتِ الْأُولَى وَهِيَ مُدْرَكَاتُ السَّمْعِ



تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ التَّلْحَلِ تَمْدَحُهُ      وَإِنْ تَعِبَ قُلْتَ ذَاقِي، الزَّيْنَابِ  
 أَلَا تَرَى كَيْفَ مَدَحَ وَذَمَّ الشَّيْءِ الْوَاحِدَ بِتَضْرِيفِ التَّشْبِيهِ  
 الْجَزَائِي الْمَضْمَرِ الْأَدَاةَ الَّتِي خِيَلَ بِهِ إِلَى السَّمْعِ خِيَالًا يُحَسِّنُ الشَّيْءَ  
 عِنْدَهُ تَارَةً وَيَقْجُهُ أُخْرَى . وَلَوْلَا التَّوَصُّلُ بِطَرِيقِ التَّشْبِيهِ عَلَى هَذَا  
 الْوَجْهِ لَمَا أَمَكَّهُ ذَلِكَ . وَهَذَا امْتِثَالُ كَافٍ فِيمَا أَرَدْنَاهُ . وَاعْلَمْ  
 أَنَّ مِنْ مَحَاسِنِ التَّشْبِيهِ أَنَّ يَحْيَى مُصَدِّرِيَا كَقَوْلِنَا : أَقْدَمَ إِقْدَامَ الْأَسَدِ  
 وَقَاضَ فَيْضَ الْجَرِّ . وَهُوَ أَحْسَنُ مَا امْتُعِجِلَ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ . كَقَوْلِ  
 أَبِي نُوَّاسٍ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ :

وَإِذَا مَا مَزَجُوهَا      وَثَبَتْ وَثَبَ الْجَرَادُ

وَإِذَا مَا شَرِبُوهَا      أَخَذَتْ أَخَذَ الرُّقَادُ

وَقِيلَ : إِنَّ مِنْ شَرْطِ بَلَاغَةِ التَّشْبِيهِ أَنْ يُشَبَّ الشَّيْءُ بِمَا هُوَ  
 أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَعْظَمُ . وَالْقَوْلُ السَّيِّدُ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا أَذْكُرُهُ :  
 وَهُوَ أَنَّ إِطْلَاقَ مَنْ أَطْلَقَ قَوْلَهُ فِي أَنَّ مِنْ شُرُوطِ بَلَاغَةِ التَّشْبِيهِ  
 أَنْ يُشَبَّ الْأَضْعَفُ بِالْأَكْبَرِ قَوْلٌ غَيْرُ حَاصِرٍ لِلْغَرَضِ الْمَقْصُودِ .  
 لِأَنَّ التَّشْبِيهِ يَأْتِي تَارَةً فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ وَتَارَةً فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ .  
 وَتَارَةً فِي غَيْرِ مَعْرِضِ مَدْحٍ وَلَا ذَمٍّ . وَإِنَّمَا يَأْتِي قَضَاءُ لِلإِبَانَةِ  
 وَالْإِيضَاحِ . وَلَا يَكُونُ تَشْبِيهُ أَضْعَفٍ بِأَكْبَرٍ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ  
 ذَهَبَ . بَلْ أُنْقَوْلُ الْجَامِعُ فِي ذَلِكَ أَنَّ يُقَالَ : إِنَّ التَّشْبِيهِ لَا يُعْمَدُ  
 إِلَيْهِ إِلَّا لِضَرْبٍ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا أَوْ بَيَانًا  
 أَوْ إِضَاحًا وَلَا يُخْرَجُ عَنْ هَذِهِ أَلْعَانِي الثَّلَاثَةِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ

وَأِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِيهِ . وَكِلَاهُذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ أَيْضًا يُخْتَصُّ بِفَضِيلَةِ  
الْإِيجَازِ وَإِنْ كَانَ الْمَضْمَرُ أَوْجَزَ مِنَ الْمُظْهِرِ لِأَنَّ قَوْلَنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ  
أَوْ كَأَلَّاسِدٍ . يَسُدُّ مَسَدَ قَوْلِنَا : زَيْدٌ مِنْ حَالِهِ كُنْتُ وَكُنْتُ . وَهُوَ مِنْ  
الشَّجَاعَةِ وَالشَّدَّةِ عَلَى كَذَا وَكَذَا بِمَا يَطُولُ ذِكْرُهُ . فَالْتَّشْبِيهُ إِذَا تَجَمَّعُ  
صِفَاتُ ثَلَاثَةٍ هِيَ : الْمُبَالَغَةُ . وَالْبَيَانُ . وَالْإِيجَازُ كَمَا أَرَيْتُكَ . إِلَّا  
أَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْبَيَانِ مُسْتَوْعِرُ الْمَذْهَبِ وَهُوَ مَقْتُلٌ مِنْ  
مَقَاتِلِ الْمُبَالَغَةِ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حَمْلَ الشَّيْءِ بِالْمِثَالَةِ إِمَامُورَةٌ  
وَأَمَّا مَعْنَى يَعْزُ صَوَابُهُ وَتَعَسَّرُ الْإِجَادَةُ فِيهِ . وَقَلَمَا أَكْثَرَ مِنْهُ أَحَدٌ  
إِلَّا عَثَرَ كَمَا فَعَلَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ مِنْ أَدْبَاءِ الْعِرَاقِ وَأَبْنُ وَكِيعٍ مِنْ أَدْبَاءِ  
مِصْرَ . فَإِنَّهُمَا أَكْثَرَا مِنْ ذَلِكَ لَاسِيًا فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ وَالْأَشْجَارِ  
وَالْأَزْهَارِ وَالْثَمَرِ . لِأَجَرَمَ . أَنَّهُمَا آتِيَا بِالْعَثِّ الْبَارِدِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ  
عَلَى مِحْكَةِ الصَّوَابِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَوَقَّى مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ . وَأَمَّا فَائِدَةُ  
الْتَّشْبِيهِ مِنَ الْكَلَامِ فَهِيَ : أَنَّكَ إِذَا أَمَثَلْتَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ فَإِنَّمَا  
تَقْصِدُ فِيهِ اثْبَاتَ أَحَالٍ فِي النَّفْسِ بِصُورَةِ الْمُشَبَّهِ بِهِ أَوْ بِعِنَاوِهِ وَذَلِكَ  
أَوْكَدُ فِي طَرَفِي التَّرْغِيبِ فِيهِ أَوْ التَّنْفِيرِ عَنْهُ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا  
أَشَبَّهْتَ صُورَةَ بِصُورَةٍ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثَبَّتًا فِي النَّفْسِ  
خَيَالًا حَسَنًا يَدْعُو إِلَى التَّرْغِيبِ فِيهَا . وَكَذَلِكَ إِذَا أَشَبَّهْتَ بِصُورَةٍ شَيْءٍ  
أَقْبَحَ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثَبَّتًا فِي النَّفْسِ خَيَالًا قَبِيحًا يَدْعُو إِلَى التَّنْفِيرِ  
عَنْهَا وَهَذَا لَا تَزَاعُ فِيهِ . وَلَنْضَرْبَ لَهُ مِثَالًا يُوضِّحُهُ فَقَوْلُ : قَدْ وَرَدَ  
عَنْ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي مَدْحِ الْعَسَلِ وَذَمِّهِ نَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ وَهُوَ :

( وَمِنْ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةُ ) قَوْلُهُ : وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . فَشَبَّهَ اللَّيْلَ  
بِالْبَاسِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يَسْتُرُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِّئَلَّا يَرَوْا هَرَبًا  
مِنْ عَدُوٍّ أَوْ ثَبَاتًا لِعَدُوٍّ أَوْ اخْفَاءً بِمَا لَا يَحِبُّ الْأِطْلَاعَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ  
وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ مِثْلُهُ : اللَّيْلُ جُنَّةُ الْهَارِبِ . وَمِمَّا وَرَدَ شِعْرًا  
قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِي :

وَإِذَا أَهْتَرَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا      وَإِذَا أَهْتَرَّ لِلْوَعَى كَانَ نَضْلًا  
وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا      وَإِذَا الْأَرْضُ أَمَحَّتْ كَانَ وَبْلًا  
وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةُ . وَإِنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ أَبْلَغُ  
مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُنْظَرِ الْأَدَاةُ وَأَوْجَزُ . أَمَّا كَوْنُهُ أَبْلَغُ فَلِجَعْلِ الْمُسَبَّحِ مُشَبَّهًا  
بِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ أَدَاةٍ فَيَكُونُ هُوَ إِيَّاهُ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ  
أَسَدٌ . كُنْتَ قَدْ جَعَلْتَهُ أَسَدًا مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ . وَأَمَّا  
كَوْنُهُ أَوْجَزُ فَلِحذفِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ مِنْهُ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْقِسْمَيْنِ مِنَ  
الْمُنْظَرِ وَالْمُضْمَرِ كِلَيْهِمَا فِي قَضِيَّةِ الْبَيَانِ سَوَاءٌ فَإِنَّ الْقَرَضَ الْمَقْصُودَ  
مِنْ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَنْ يَتَبَيَّنَ حَالُ زَيْدٍ فِي اتِّصَافِهِ بِشَهَامَةِ النَّفْسِ  
وَقُوَّةِ الْبَطْشِ وَجَرَاءَةِ الْأَقْدَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي مجَرَاهُ . إِلَّا أَنَّا لَمْ  
نَحْدِثْ شَيْئًا نَدُلُّ بِهِ عَلَيْهِ سِوَى أَنْ جَعَلْنَاهُ شَيْئًا بِالْأَسَدِ حَيْثُ كَانَتْ  
هَذِهِ الصِّفَاتُ مُحْتَاطَةً بِهِ . فَصَارَ مَا قَصَدْنَاهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ اكْتِشَافَ  
وَأَيِّنَ مِنْ أَنْ لَوْ قُلْنَا : زَيْدٌ شَهْمٌ شَجَاعٌ قَوِيُّ الْبَطْشِ جَرِيءُ الْجَنَانِ  
وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ . لَمَا قَدْ عُرِفَ وَعُهِدَ مِنْ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي  
الْمُسَبَّحِ بِهِ أَعْنِي الْأَسَدَ . وَأَمَّا زَيْدٌ الَّذِي هُوَ الْمُسَبَّحُ فَلَيْسَ مَعْرُوفًا بِهَا



أَنَّهُ إِذَا صَحَّتِ الْإِسْتِعَارَةُ حَسُنَ التَّصْرِيحُ بِالتَّشْبِيهِ فَإِنَّ الْمِثْلَ إِذَا  
قُرِنَتْ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِالْإِسْتِعَارَةِ قُبِحَ التَّصْرِيحُ بِالتَّشْبِيهِ . فَلَا تَقُولُ :  
كَأَنَّكَ أَوْقَعْتَنِي فِي ظُلْمَةٍ إِذَا أَوْقَعَكَ فِي شُبْهَةٍ . وَفَهِمْتَ الْمِثْلَ  
فَكَأَنَّهُ أَنْشَرَ صَدْرِي أَوْ كَانَ نُورًا حَصَلَ فِي قَلْبِي . لِتَمَكَّنَ هَذِهِ  
الْأَشْيَاءُ حَتَّى كَانَتْ صَارَتْ حَقِيقَةً

### البحث السابع عشر

في اركان التشبيه ومحاسنه وفوائده

( من المثل السائر لابن الاثير بتصرف )

( راجع صفحة ٤٩ من علم الادب )

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِلتَّشْبِيهِ أَدَوَاتٍ كَخَوِّ وَكَأَنَّ وَشَبِّهِ وَمِثْلٍ . فَرُبَّمَا ظَهَرَتْ  
وَرُبَّمَا أَضْمِرَتْ . ( وَمِنْ الْمُظْهَرِ الْأَدَاةُ ) مَا قِيلَ فِي وَصْفِ حَالِ  
الْمُتَشَبِّهِينَ : مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي أَسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ  
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . وَكَقَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ :  
خُلِقَ مِنْهُمْ تَرَدَّدٌ فِيهِمْ وَلَيْتَهُ عِصَابَةٌ عَنْ عِصَابَةٍ  
كَالْحَسَامِ الْجَزَائِقِيِّ عَلَى الدَّهْرِ م وَيُفْنِي فِي كُلِّ حِينٍ قَرَابَهُ  
وَمِنْ اللَّطِيفِ الْبَدِيعِ فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :  
لَا جَزَى اللَّهِ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا وَجَزَى اللَّهِ كُلَّ خَيْرٍ لِسَانِي  
نَمْ دَمْعِي فَلَيْسَ يَكْتُمُ شَيْئًا وَوَجَدْتُ اللِّسَانَ ذَا كُتْمَانٍ  
كُنْتُ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيُّ فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُنْوَانِ

يُسَدُّ أَحَدُهُمَا مَسَدَ الْآخَرِ فِي حَالِهِ. وَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ الْعَامُّ الَّذِي يَدْخُلُ  
تَحْتَهُ التَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ وَغَيْرُهُ. وَالتَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ هُوَ إِخْرَاجُ الْأَغْمَضِ إِلَى  
الْأَوْضَحِ مَعَ حُسْنِ التَّلَايُفِ. وَفِيهِمْ مَنْ قَالَ: التَّشْبِيهُ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى  
اشْتِرَاكِ شَيْئَيْنِ فِي وَصْفٍ هُوَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ. وَقَالَ ابْنُ  
رَشِيقٍ فِي الْعُمْدَةِ: التَّشْبِيهُ صِفَةُ الشَّيْءِ بِمَا قَارَبَهُ وَشَاكَاهُ مِنْ جِهَةٍ  
وَاحِدَةٍ لِأَنَّهُ لَوْ نَاسَبَهُ مُنَاسَبَةٌ كَلِيَّةٌ كَانَ إِيَّاهُ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ:  
حَدُّ كَالْوَرْدِ. إِنَّمَا مُرَادُهُمْ إِخْرَاجُ أَوْرَاقِهِ وَطَرَاوُتِهَا لَا مَا سِوَى ذَلِكَ  
مِنْ صُفْرَةٍ وَسَطِهِ وَخُضْرَةٍ كَمَا نَبِهَ (أه). وَقِيلَ: التَّشْبِيهُ إِحْلَاقُ أَذْنَى  
الشَّيْئَيْنِ بِأَعْلَاهُمَا فِي صِفَةٍ اشْتَرَكَا فِي أَصْلِهَا وَاخْتَلَفَا فِي كَيْفِيَّتَيْهَا قُوَّةً  
وَضَعْفًا. قُلْتُ: وَهَذَا حَدُّ مُفِيدٌ. وَأَوْرَدَ ابْنُ أَبِي الْأَضْيَعِ فِي كِتَابِهِ  
تَحْرِيرَ التَّخْيِيرِ حَدًّا زَادَ فِي حُسْنِهِ عَلَى الْحَدِّ وَهُوَ: أَنَّ التَّشْبِيهُ تَشْبِيهُانِ  
(الْأَوَّلُ) وَهُمَا تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُتَّفَقَيْنِ بِنَفْسِهِمَا كَتَشْبِيهِ الْجَوْهَرِ بِالْجَوْهَرِ  
مِثْلُ قَوْلِكَ: مَاءٌ أَلْيَلٍ كَمَا أَلْفَرَاتِ. وَتَشْبِيهِ الْعَرَضِ بِالْعَرَضِ  
كَقَوْلِكَ: حُمْرَةُ الْحَدِّ كَحُمْرَةِ الْوَرْدِ. وَتَشْبِيهِ الْجِسْمِ بِالْجِسْمِ كَقَوْلِكَ:  
الزُّبْرُجْدُ مِثْلُ الزُّمُرْدِ. (وَالثَّانِي) تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ بِالذَّاتِ يَجْمَعُهُمَا  
مَعْنَى وَاحِدٌ مُشْتَرِكٌ. كَقَوْلِكَ: حَاتِمٌ كَالْعِمَامِ وَعَذْرَةٌ كَالضَّرْغَامِ.  
وَتَشْبِيهِ الْإِتْفَاقِ وَهُوَ الْأَوَّلُ تَشْبِيهِ حَقِيقَتِي. وَتَشْبِيهِ الْإِخْتِلَافِ وَهُوَ  
الثَّانِي تَشْبِيهِ مَجَازِيٍّ وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ. وَالتَّشْبِيهُ ذِكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْبَلَاغَةِ  
لِإِخْرَاجِهِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى الْحَلِيِّ وَإِدْنَائِهِ الْبَعِيدَ مِنَ الْقَرِيبِ. وَهُوَ حُكْمٌ  
إِضَافِيٌّ لَا يُوجَدُ إِلَّا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِخِلَافِ الْإِسْتِعَارَةِ وَلَيْسَ الْحُكْمُ

وَالشَّاعِرُ مُضْطَرٌّ إِلَيْهَا وَالْمُضْطَرُّ يَحِلُّ لَهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ  
الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ اللَّامِيَةِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا :  
أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَلْبِيُّ  
فَقَالَ :

وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا السَّعِيدُ مُحَلَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ لَا يَبِيتُ بِأَوْجَالٍ  
وَإِذَا كَانَ قَلِيلُ الْهُمُومِ فَإِنَّهُ لَا يَبِيتُ بِأَوْجَالٍ . وَهَذَا تَكْرِيرٌ  
لِلْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِمَعِيبٍ لِأَنَّهُ قَافِيَةٌ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْخَطِيبَةِ :  
قَالَتْ إِمَامَةٌ لَا تَجْزَعُ قَقْلَتْ لَهَا إِنَّ الْعَزَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غَلَبَا  
هَلَا أَلْتَمَسْتَ لَنَا إِنْ كُنْتَ صَادِقَةً مَا لَا نَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ أَوْ نَشَبَا  
فَأَلْبَيْتُ الْأَوَّلُ مَعِيبٌ لِأَنَّهُ كَرَّرَ الْعَزَاءَ وَالصَّبْرَ إِذْ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ  
وَلَمْ يَرِدَا قَافِيَةً لِأَنَّ الْقَافِيَةَ هِيَ أَلْبَاءُ . وَأَمَّا أَلْبَيْتُ الثَّانِي فَلَيْسَ  
بِمَعِيبٍ لِأَنَّ التَّكْرِيرَ جَاءَ فِي النَّشَبِ وَهُوَ قَافِيَةٌ

### البحث السادس عشر

#### في حقيقة التشبيه وتحديدِه

( عن خزانة الادب للحموي وعن كتاب الصناعتين )

( راجع صفحة ٤٨ من علم الادب )

اعْلَمْ أَنَّ أَصْحَابَ الْمَعَانِي وَاللِّيَانِ أَطْلَقُوا أَعْنَةَ الْكَلَامِ فِي  
مِيَادِنِ حُدُودِ التَّشْبِيهِ وَتَقَادِيرِهَا وَهُوَ عِنْدَهُمُ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرِ  
لِأَمْرٍ فِي مَعْنَى . وَقَالَ الرُّمَائِيُّ : التَّشْبِيهُ هُوَ الْعَقْدُ عَلَى أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ



الْعَفْوَ وَالصَّغْرَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالْجَمِيعُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لِلزِّيَادَةِ فِي تَحْسِينِ عَفْوِ  
الْوَالِدِ عَنْ وَلَدِهِ . وَهَذَا وَآمَالُهُ يُنْظَرُ فِي الْعَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ . وَهُوَ  
مَوْضِعٌ يَكُونُ التَّكْرِيرُ فِيهِ أَوْجَزُ مِنْ لَحْظَةِ الْإِلْجَازِ وَأَوَّلَى بِالِاسْتِعْمَالِ .  
وَبِمَا وَرَدَ مِنْهُ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

تَرَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَاجِرِ شَاتِيًا      بَعِيدًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْفَحْلِ  
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَأَفْتِقَادُهُمْ      وَإِحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي  
فَإِنَّ الْأَكْرَامَ وَالْإِفْتِقَادَ دَاخِلَانِ تَحْتَ الْإِحْسَانِ وَإِنَّمَا كَرَّرَ ذَلِكَ  
لِلتَّنْوِيهِ بِذِكْرِ الصَّنِيعِ وَالْإِلْجَابِ لِحَقِّهِ . ( الضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ الْقِسْمِ  
الثَّانِي ) فِي تَكْرِيرِ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ وَهُوَ غَيْرُ الْمَفِيدِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ  
أَبِي تَمَّامٍ :

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبْعَهَا بَيْنَ الصَّبَا      وَقَبُولِهَا وَدَبُورِهَا أَثْلَاثًا  
فَإِنَّ رِيحَ الصَّبَا هِيَ رِيحُ الْقَبُولِ يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لِأَعْيُنِ .  
وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّكْرِيرِ قَدْ خَبَطَ فِيهِ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ خَبَطًا كَثِيرًا  
وَالْأَكْثَرُ مِنْهُمْ أَجَازَهُ . فَقَالُوا : إِذَا كَانَتْ الْأَلْفَاظُ مُتَعَايِرَةً وَالْمَعْنَى  
الْمُعَبَّرُ عَنْهُ وَاحِدًا فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِمُعِيبٍ . وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ نَظَرٌ  
وَالَّذِي عِنْدِي فِيهِ أَنَّ النَّاسَ يُعَابُ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ مُطْلَقًا إِذَا أَتَى لِغَيْرِ  
فَائِدَةٍ . وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُعَابُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ . أَمَّا  
الْمَوْضِعُ الَّذِي يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ ضِدُّورُ الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَمَا  
وَالْأَهَا . وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ الْأَعْجَازُ مِنْ  
الْآيَاتِ لِمَسْكَانِ الْقَافِيَةِ . وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ عَيْبًا لِأَنَّهُ قَافِيَةٌ

يَنْتَظِمُ بِهَذَا السِّلْكِ أَنْ يَكُونَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ  
أَحَدُهُمَا خَاصٌّ وَالْآخَرُ عَامٌّ كَقَوْلِهِ : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى  
اللَّهِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ  
دَاخِلٌ تَحْتَ الدَّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ . لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ خَاصٌّ وَالْخَيْرَ عَامٌّ  
فَكُلُّ أَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ خَيْرٌ وَلَيْسَ كُلُّ خَيْرٍ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ . وَذَلِكَ أَنَّ  
الْخَيْرَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ جَمَلِهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ . فَقَائِدَةُ التَّكْرِيرِ هَهُنَا  
أَنَّهُ ذَكَرَ الْخَاصَّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ . وَكَقَوْلِهِ : حَافِظُوا عَلَى  
الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى . وَكَقَوْلِهِ : فِيهَا فَاكِهَةٌ وَتَحُلُّ وَرَمَانٌ .  
وَكَقَوْلِهِ : إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ  
أَنْ يَحْمِلْنَهَا . فَإِنَّ الْجِبَالَ دَاخِلَةً فِي جُمْلَةِ الْأَرْضِ . لَكِنْ لَفْظُ الْأَرْضِ  
عَامٌّ وَالْجِبَالِ خَاصٌّ . وَفَائِدَتُهُ هَهُنَا تَعْظِيمُ شَأْنِ الْأَمَانَةِ الْمُسَارِ إِلَيْهَا  
وَتَنْجِيحُ أَمْرِهَا . . . وَهُوَ مَوْضِعٌ يَرِدُ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَيُظَنُّ أَنَّ لَا  
فَائِدَةَ فِيهِ . (الْفَرْعُ الثَّانِي) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى  
وَاحِدٍ لَا غَيْرُ . وَقَدْ سَبَقَ مِثَالُ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ كَقَوْلِكَ : اطْعِمْنِي  
وَلَا تَعْصِي . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ نَهْيٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْفَائِدَةُ فِي ذَلِكَ  
تَثْبِيتُ الطَّاعَةِ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْكَلَامِ  
فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ تَكْرِيرِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى إِذَا كَانَ الْقَرَضُ بِهِ  
شَيْئًا وَاحِدًا . وَلَا نَجِدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا لِتَأْكِيدِ  
الْقَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ كَقَوْلِهِ : إِنَّ مِنْ أَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ  
وَأَنْ تَغْفُوا وَتَضْحَكُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَرَّرَ



يُسَوِّغُ هَذَا الْمَعْنَى الْوَارِدَ فِي الْبَيْتَيْنِ مَعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا التَّكْرِيرِ الْمُتَّبَعِ سِتَّ مَرَّاتٍ . وَعَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

أَفَنَّا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحَلِ خَامِسُ  
وَمُرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا بِهَا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . وَيَعْجَبُ لَهُ بِمِثْلِ  
هَذَا الْبَيْتِ السَّخِيفِ الدَّالِّ عَلَى الْغَيِّ الْفَاحِشِ فِي ضَمَنِ آيَاتِ  
عَجِيبَةِ الْحُسْنِ تَتَقَدَّمُ هَذَا الْبَيْتَ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي  
الطَّيِّبِ الْمُتَشَبِّهِ :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِثُلَاثِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامُ  
فَهَذَا هُوَ التَّكْرِيرُ الْفَاحِشُ الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي الْكَلَامِ نَقْصًا .  
أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي فِي سُوءِ أَجْوَارٍ وَلَا مِثْلِي فِي  
مُصَابَرَتِهِمْ وَمُقَامِي عِنْدَهُمْ . إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْبَيْتِ  
مَرَّتَيْنِ . وَعَلَى نَحْوِ مِنْ ذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ :

وَقَلَقْتُ بِأَلْهَمِ الَّذِي قَلَقَ الْحَشَى قَلَاقِلَ عَيْسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ  
( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ التَّكْرِيرِ وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى  
دُونَ اللَّفْظِ ) فَذَلِكَ ضَرْبَانِ : مُفِيدٌ وَغَيْرُ مُفِيدٍ . ( الضَّرْبُ الْأَوَّلُ )  
الْمُفِيدُ وَهُوَ فَرَعَانِ : ( الْأَوَّلُ ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ  
عَلَى مَعْنَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنَ التَّكْرِيرِ مُشْكِلٌ لِأَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ  
إِلَى الْوَهْمِ أَنَّهُ تَكْرِيرٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ . . . بَلْ  
يُقْصَدُ بِهِ التَّأْكِيدُ وَالتَّقْرِيرُ وَالتَّنْصُلُ عَمَّا يُرْمَى بِهِ التَّكَلِيمُ . وَمِمَّا



لِأَنَّهُ فِي مَعْرِضِ مَدْحٍ فَهُوَ يُقَرَّرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَا عِنْدَ الْمَدْحِ  
 مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ مُشِيرًا إِلَيْهَا كَأَنَّهُ قَالَ : أَدُلُّكُمْ عَلَى  
 مَعْدِنِ كَذَا وَكَذَا وَمَقَرِّهِ وَمَقَادِهِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْمَسَاوِرِ  
 ابْنِ هِنْدٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي غَالِبًا مِنْ عَشِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَانُ الدَّهْرَ نَابَتْ نَوَائِبُهُ  
 فَكَمْ دَفَعُوا مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ تَلَاَحَمَتْ عَلَيَّ وَمَوْجٌ قَدْ عَلَتْنِي غَوَارِبُهُ  
 فَصَدُرَ أَلْبَيْتِ الثَّانِي وَعَجَزُهُ يَدُلُّانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لِأَنَّهُ تَلَاَحَمَ  
 الْكُرْبُ عَلَيْهِ كَتَعَالَى الْمَوْجُ مِنْ فَوْقِهِ . وَإِنَّمَا نَوَعَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَقَامُ  
 مَدْحٍ وَإِطْرَاءٍ أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَصِفُ إِحْسَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عِنْدَ  
 حَدَّثَانِ دَهْرِهِ فِي التَّكْرِيرِ . وَفِي قُبَالَتِهِ لَوْ كَانَ الْقَائِلُ هَاجِيًا فَإِنَّ  
 الْهَجَاءَ فِي هَذَا كَالْمَدْحِ . ( الضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ التَّكْرِيرِ فِي اللَّفْظِ  
 وَالْمَعْنَى ) وَهُوَ غَيْرُ الْمُفِيدِ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَرْوَانَ الْأَصْغَرِ :

سَقَى اللَّهُ تَجْدًا وَالسَّلَامَ عَلَى تَجْدٍ وَيَا جَدًّا تَجْدًا عَلَى الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ  
 نَظَرْتُ إِلَى تَجْدٍ وَبَعْدَادٍ دُونَهَا لَعَلِّي أَرَى تَجْدًا وَهَيْهَاتُ مِنْ تَجْدٍ  
 وَهَذَا مِنَ الْعَمَلِ الضَّعِيفِ فَإِنَّهُ كَرَّرَ ذِكْرَ تَجْدٍ فِي أَلْبَيْتِ الْأَوَّلِ  
 ثَلَاثًا . وَفِي أَلْبَيْتِ الثَّانِي ثَلَاثًا . وَمُرَادُهُ فِي الْأَوَّلِ الثَّنَاءُ عَلَى تَجْدٍ  
 وَفِي الثَّانِي أَنَّهُ تَلَقَّتْ إِلَيْهِ نَاطِرًا مِنْ بَعْدَادٍ وَذَلِكَ مَرْمَى بَعِيدٌ .  
 الْمَعْنَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِ هَذَا التَّكْرِيرِ . أَمَّا أَلْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَيَحْمِلُ  
 عَلَى الْجَائِزِ مِنَ التَّكْرِيرِ لِأَنَّهُ مَقَامُ تَشْوِيقٍ وَتَحْقِيقٍ وَمَوْجِدَةٍ بِفِرَاقِ تَجْدٍ .  
 وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أُجِيزَ فِيهِ التَّكْرِيرُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ

فَإِنَّهُ لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ بَيْنَ اسْمِ (إِنَّ) وَخَبَرِهَا أُعِيدَتْ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ : وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِفُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَرِيمِ . لَكِنْ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْخَبَرِ مَدَى طَوِيلٍ فَإِذَا لَمْ تُعَدَّ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لَمْ يَأْتِ عَلَى الْكَلَامِ بَفَحْةٍ . وَهَذَا لَا يَتَّبَعُ لَا سِتَعْمَالَهُ إِلَّا الْفَصَحَاءُ إِمَّا طَبَعًا وَإِمَّا عِلْمًا . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ إِذَا كَانَ خَبَرٌ (إِنَّ) عَامِلًا فِي مَعْمُولٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ فَإِنَّ إِعَادَةَ الْخَبَرِ ثَانِيَةً هُوَ الْأَحْسَنُ . وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَخِيهِ : يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . فَلَمَّا قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ ثُمَّ طَالَ الْفَصْلُ كَانَ الْأَحْسَنُ أَنْ يُعِيدَ لَفْظُ (الرُّؤْيَا) فَيَقُولَ : رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . وَمِنْ بَابِ (التَّكْرِيرِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى) الدَّلَالِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ قَوْلُهُ : وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَرَّرَ بَدَأَ قَوْمِهِ هَاهُنَا لِزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ لَهُمْ وَالْإِقَاطِ عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَلِأَنَّهُمْ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ فَيَحْزَنُ لَهُمْ وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ فَيَسْتَدْعِي بِذَلِكَ أَنْ يَتَرَلُّوا عَلَى نَصِيحَتِهِ . وَهَذَا فِي التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ وَأَشَدُّ نَوْعًا مِنَ الْإِخْتِصَارِ . وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ هَذَا النَّوعِ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :

إِلَى سَعْدِنِ الْعِرِّ الْأَوْثَلِ وَاللَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُلُقُ الْجَزْلُ  
فَقَوْلُهُ : هُنَاكَ هُنَاكَ مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ



وَالثِقَلُ هُوَ الْعِبْءُ وَالْعِبْءُ هُوَ الثِقَلُ . وَرَبَّمَا أَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضِعُ  
 عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ يَتَعَاطَى هَذِهِ الصِّنَاعَةَ وَظَنُّهُ بِمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ . وَلَيْسَ  
 كَذَلِكَ بَلْ الْفَايِدَةُ فِيهِ هِيَ التَّأْكِيدُ لِلْمَعْنَى الْقَصُودُ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ .  
 أَمَّا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ( عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ ) أَيَّ عَذَابٍ ضَاعَفَ مِنْ عَذَابٍ .  
 وَأَمَّا بَيْتُ أَبِي تَمَّامٍ فَإِنَّهُ تَضَمَّنَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ الْمَمْدُوحِ بِجَمَلِهِ  
 الْإِنْتِقَالَ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَمْ يَنْبَغِ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ . وَلَرَبَّمَا أُدْخِلَ فِي  
 التَّكْرِيرِ مِنْ هَذَا النَّوعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ . فَمِنُهُ قَوْلُهُ : ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ  
 عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا  
 لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . فَلَمَّا تَكَرَّرَ إِنَّ رَبَّكَ مَرَّتَيْنِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ آدَلُّ عَلَى  
 الْتَغْفِيرَةِ . . . . . وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ يُظَنُّ أَنَّهَا مِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ وَلَيْسَتْ  
 كَذَلِكَ . وَقَدْ أَنْعَمْتُ نَظْرِي فِيهَا فَرَأَيْتُهَا خَارِجَةً عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ  
 وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا طَالَ الْفَصْلُ مِنَ الْكَلَامِ وَكَانَ أَوَّلُهُ يَفْتَقِرُ إِلَى  
 تَمَامٍ وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِهِ فَأَلَاوَلَى فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ أَنْ يُعَادَ اللَّفْظُ الْأَوَّلُ  
 مَرَّةً ثَانِيَةً لِيَكُونَ مُقَارِنًا لِلتَّامِ الْفَصْلِ كَنِيٍّ لَا يُجِيئُ الْكَلَامُ مَشُورًا  
 لَا سِيَّامًا فِي ( إِنَّ وَآخَوَاتِهَا ) . فَإِذَا وَرَدَتْ ( إِنَّ ) وَكَانَ بَيْنَ أَسْمِهَا  
 وَخَبَرِهَا فَسُحَّةٌ طَوِيلَةٌ مِنَ الْكَلَامِ فَأَعَادَهُ ( إِنَّ ) أَحْسَنُ فِي حُكْمِ  
 الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ شُعْرَاءِ  
 الْحِمَاسَةِ :

أَبْجَنًا وَقِيدًا وَأَشْيَاقًا وَغُرَبَةً      وَنَائِي حَبِيبٍ إِنَّ ذَا الْعَظِيمِ  
 وَإِنْ أَمْرًا أَدَلَمَتْ مَوَاشِيقُ عَهْدِهِ      عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتُهُ لَكَرِيمِ



( فَاَمَّا الْاَوَّلُ وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ) فَإِنَّهُ يُنْقَسِمُ  
إِلَى ضَرْبَيْنِ : مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . ( فَالْاَوَّلُ الْمَفِيدُ ) وَهُوَ فَرَعَانِ :  
( الْاَوَّلُ ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ  
وَالْمَقْصُودُ بِهِ غَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ . فَمِمَّا يَجْرِي هَذَا النُّجْرَى قَوْلُهُ : بِسْمِ  
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَا لِكَ يَوْمِ  
الَّذِينَ . فَكَرَّرَ ( الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) مَرَّتَيْنِ . وَافْتَادَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْاَوَّلَ  
يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا كَالْحَلْقِ وَالْعِيَاةِ . وَالثَّانِي يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ  
إِشَارَةً لِرَحْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ( الْفَرْعُ الثَّانِي مِنَ الضَّرْبِ الْاَوَّلِ )  
إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَالْمُرَادُ بِهِ  
غَرَضٌ وَاحِدٌ كَقَوْلِهِ : فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ .  
وَالتَّكْرِيرُ دَلَالَةٌ التَّعْجُّبِ مِنْ تَقْرِيرِهِ وَإِصَابَتِهِ الْغَرَضَ . وَهَذَا كَمَا  
يُقَالُ : قَتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ أَوْ مَا أَشْجَعَهُ . وَعَلَيْهِ رَدَّ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَلَا يَا أَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي

وَهَذَا مُبَالَغَةٌ فِي الدُّعَاءِ لَهَا بِالسَّلَامَةِ . وَكُلُّ هَذَا يُجَاءُ بِهِ لِتَقْرِيرِ  
الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَإِثْبَاتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ هَذَا النَّوعِ قِسْمَانِ يَكُونُ الْمَعْنَى  
مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ مَعَ اخْتِلَافِ اللَّفْظِ . وَذَلِكَ يَأْتِي فِي الْإِلْفَاطِ  
الْمُتَرَادِفَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَأَسْتَعْمِلَ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ فِيهِ  
قَوْلُهُ : وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ  
إِلِيمٍ . وَالرِّجْزُ هُوَ الْعَذَابُ . وَعَلَيْهِ رَدَّ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :  
نَهْوْضٌ يَثْقُلُ الْعَبْءُ مُضْطَلِعٌ بِهِ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ

نُؤَاسٍ وَأَبْنِ هَانِيٍّ الْأَنْدَلُسِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِيِّ وَأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِيِّ وَغَيْرِهِمْ  
مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَأَبْنِ النَّبِيِّ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُ . وَفِي مَا قَدَّمْنَا كِفَايَةً

## البحث الخامس عشر

### في التكرير

( عن المثل السائر لابن الاثير باختصار )

( راجع صفحة ٤٢ من علم الادب )

إِعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنْ مَقَاتِلِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَهُوَ دَقِيقُ الْمَأْخِذِ  
وَحَدُّهُ هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ :  
أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَالْآخَرُ يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ .  
فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَكَقَوْلِكَ لِمَنْ تَسْتَدْعِيهِ : أَسْرِعْ  
أَسْرِعْ . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فَكَقَوْلِكَ : أَطْعِمْنِي وَلَا  
تَغْضِبْنِي . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ نَهْيٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ . وَكُلُّ مِنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ  
يَنْقَسِمُ إِلَى مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . وَمَقْصُودِي مِنَ الْمُفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ لِمَعْنَى .  
وَغَيْرِ الْمُفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ لِغَيْرِ مَعْنَى . وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ الْمُفِيدَ مِنَ التَّكْرِيرِ  
يَأْتِي فِي الْكَلَامِ تَأْكِيدًا وَتَشْدِيدًا مِنْ أَمْرِهِ . وَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ  
لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعِبَايَةِ بِالشَّيْءِ الَّذِي كَرَّرْتَ فِيهِ كَلَامَكَ إِمَّا مُبَالَغَةً فِي  
مَذْهِهِ أَوْ فِي ذَمِّهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَلَا يَأْتِي إِلَّا فِي أَحَدِ طَرَفَيْ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ  
بِالتَّكْرِيرِ . وَالْوَسْطُ عَارٌ مِنْهُ لِأَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْمُبَالَغَةِ  
إِمَّا بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا وَالْوَسْطُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْمُبَالَغَةِ . وَغَيْرُ  
الْمُفِيدِ لَا يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا عِيًّا وَخَطَلًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ



وَمِنَ الْعُلُوِّ الْمَقْبُولِ بِغَيْرِ آدَاءِ التَّقْرِيبِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي  
فِي مَمْدُوحِهِ :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهِ عَثِيرًا      لَوْ تَبَتَّعِي عَنَّا عَلَيْهِ لَأَمَكْنَا \*  
وَأَنَعَادُ الْغُبَارَ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى يُمَكِّنَ الْمَشْيُ عَلَيْهِ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا  
وَعَادَةً إِلَّا أَنَّهُ تَحِيلٌ مَقْبُولٌ

وَكَقَوْلِ النُّجَّارِيِّ فِي الْخَلِيقَةِ الْمُتَوَكِّلِ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا      فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْذَرُ  
وَأَمَّا الَّذِي هُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ فَكَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ فِي الْحُمْرَةِ :

فَلَمَّا شَرَبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا      إِلَى مَوْضِعِ الْأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قَفِي  
حِمَاةً أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ شُعَاةُهَا      فَيَطْلُعَ نَدْمَانِي عَلَى سِرِّي الْخَفِيِّ  
قَالُوا : إِنَّ سَطْوَةَ شُعَاعِ الْحُمْرِ بِحَيْثُ يَصِيرُ جِسْمُهُ شَفَافًا يُظْهِرُ  
لِنَدِيمِهِ مَا فِي بَاطِنِهِ لَا يُمَكِّنُ عَقْلًا وَلَا عَادَةً . قُلْتُ : وَمَرَاتِبُ الْعُلُوِّ

تَسْتَفَاوِتُ إِلَى أَنْ تَوُولاَ بِقَائِلِهَا إِلَى الْكُفْرِ كَقَوْلِ الْمُنْتَبِيِّ :

تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ      مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالذُّنَى  
وَكَقَوْلِهِ :

كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خَيْرَتِي بِهَا      كَأَنِّي بَنَيْتُ الْأَسْكَندَرَ السَّدَّ مِنْ عَزَمِي  
فَهَذَا الْعُلُوُّ يُؤَدِّي إِلَى سَحَابَةِ الْعَقْلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قُبْحِ التَّزْكِيكِ وَلَوْ لَا  
الْإِطَالَةُ لَأُورِدَتْ كَثِيرًا مِنْ نَظْمِ الَّذِينَ يَتَسَاهَلُونَ فِي هَذَا النُّوعِ كَأَبِي

\* معنى هذا البيت ان سنائك الخيل وهي اطراف الحوافر عقدت على هذا  
المدح عثيرا وهو الغبار حتى لو اراد ان يمشي عليه عقا لا يمكن . والعنى هو  
المشي السريع



وَكَقَوْلِ الطَّرِمَاحِ يَهْجُو نَيْمًا :

نَيْمٌ بِطَرَقِ اللَّوْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا      وَلَوْ سَلَكْتُ سُبُلَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ  
وَلَوْ أَنَّ بُرْغوثًا عَلَى ظَهْرِ نَمْلَةٍ      يَكُرُّ عَلَى صَفِيٍّ نَيْمٍ لَوَلَّتْ  
وَلَوْ أَنَّ أُمَّ الْعَنْكَبُوتِ بَنَتْ لَهَا      مَظَلَّتْهَا يَوْمَ النَّدَى لَا سَتَطَلَّتْ  
وَلَوْ جَعَتْ يَوْمًا نَيْمٌ حَمُوعَهَا      عَلَى ذُرْوَةِ سَحَابَةٍ لَا سَتَقَلَّتْ  
أَمَّا (الْعُلُو) فَهُوَ فَوْقَ الْمُبَالَغَةِ وَالْإِغْرَاقِ فَإِنَّهُ الْإِفْرَاطُ فِي  
وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُسْتَحِيلِ وَقُوَّةُ عَقْلًا وَعَادَةً وَهُوَ يَقْسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ :  
مَقْبُولٍ وَغَيْرِ مَقْبُولٍ . فَأَلْمَقْبُولُ لَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّبَهُ النَّأْظِمُ إِلَى الْقَبُولِ  
بِإِدَاةِ التَّقْرِيبِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْعُلُوُّ فِي مَدِيحِ نَبِيِّ فَلَا غُلُوَّ .  
وَيَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الْعُلُوِّ أَنْ يَسْكَنَهُ فِي قَوَالِبِ التَّحْيِيلَاتِ الْحَسَنَةِ  
الَّتِي يَدْعُو الْعَقْلُ إِلَى قَبُولِهَا فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ كَقَوْلِهِ : يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيئُ  
وَلَوْ لَمْ تَمْسُهُ نَارٌ . فَإِنَّ إِضَاءَةَ الزَّيْتِ مِنْ غَيْرِ مَسِّ نَارٍ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا  
وَلَكِنْ لَفْظَةٌ ( يَكَادُ ) قَرَبَتْهُ فَصَارَ مَقْبُولًا . وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ  
الْمَعْرِيِّ :

تَكَادُ قِسِيَهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ      تَمَكَّنُ فِي قُلُوبِهِمُ النَّبَالَا  
تَكَادُ سَيُوفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍّ      تَجَدُّ إِلَى رِقَائِهِمُ أَنْسَالَا  
وَيُعْجِبُنِي هُنَا قَوْلُ أَبِي حَمْدِيسَ الصَّقَلِيِّ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :  
وَيَكَادُ يُخْرِجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ      لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِهِ  
وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :  
يَكَادُ يُسْكِنُهُ عِرْقَانِ رَاحَتِهِ      دُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

فِي الْأَصْطِلَاحِ إِفْرَاطُ وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْبَعِيدِ وَقُوْعُهُ عَادَةً  
وَقُلَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا . وَغَالِبُ النَّاسِ عِنْدَهُمُ الْمُبَالَغَةُ وَالْإِغْرَاقُ  
وَالْعُلُوُّ نَوْعٌ وَاحِدٌ مَعَ أَنَّهَا تَخْتَلِفُ كَمَا سَبَقَ . وَكُلُّ مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْعُلُوِّ  
لَا يُعَدُّ مِنَ الْحَاسِنِ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى الْقَبُولِ (كَقَدْ)  
لِلْإِحْتِمَالِ . ( وَلَوْ لَا ) لِلْإِمْتِنَاعِ . ( وَكَادَ ) لِلْمُقَارَبَةِ . وَمَا أَشْبَهَ  
ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّقْرِيبِ . وَمَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْعُلُوِّ فِي  
الْكَلَامِ الصَّحِيحِ إِلَّا مَقْرُونًا بِمَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَابِ الْإِسْتِحَالَةِ وَيُدْخِلُهُ  
فِي بَابِ الْإِمْكَانِ مِثْلُ : ( كَادَ وَلَوْ ) وَمَا يَجْرِي مجْرَاهُمَا كَقَوْلِهِ :  
يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يُذْهِبُ الْآبْصَارَ . إِذَا لَا يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ  
الْبَرْقَ يَخْطِفُ الْآبْصَارَ وَلَكِنَّهُ يَمْتَنِعُ عَادَةً . وَمَا زَادَ عَلَى وَجْهِ الْإِغْرَاقِ  
هُنَا جَمَالًا إِلَّا بِتَقْرِيبِهِ ( بِكَادَ ) . وَاقْتِرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِهَا هُوَ الَّذِي  
صَرَفَهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَقُلِبَتْ مِنَ الْإِمْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ . وَمِنْ شَوَاهِدِ  
تَقْرِيبِ نَوْعِ الْإِغْرَاقِ ( يَلَوُ ) قَوْلُ زُهَيْرٍ :

لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

فَاقْتِرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَيْضًا بِإِمْتِنَاعِ قُعُودِ الْقَوْمِ فَوْقَ الشَّمْسِ

الْمُسْتَقَادِ ( يَلَوُ ) هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ بِهَجَةِ شَمْسِهَا فِي بَابِ الْإِغْرَاقِ  
وَرَبَّمَا جَاءَ دُونَ ذَلِكَ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي رَجُلٍ طَوِيلِ الْأَنْفِ :

لَكَ أَنْفٌ يَا ابْنَ حَرْبٍ أَثَقْتُ مِنْهُ الْأَنْفُفُ

أَنْتَ فِي الْبَيْتِ وَعَرْنَيْكَ مِ فِي السُّوقِ يَطُوفُ

فَالْمَعْنَى تَمَّ لِلنَّاطِلِ لَمَّا انْتَهَى فِي بَيْتِهِ إِلَى قَوْلِهِ : دَجَى اللَّيْلِ  
وَلَكِنْ زَادَ بِمَا هُوَ أَبْلَغُ وَأَبْدَعُ وَأَغْرَبُ فِي قَوْلِهِ : حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ  
ثَابِتَهُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي فِي وَصْفِ جَوَادٍ :

وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفِيئُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ  
قَالَ ذُكَيْلُ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْأَضْبَعِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِتَحْرِيرِ  
التَّخْيِيرِ : أَبْلَغُ شِعْرِ سَمِيعَتُهُ فِي بَابِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ شَاعِرِ الْحَمَاسَةِ إِذْ  
بَالَغَ فِي مَدْحِ مَمْدُوحِهِ بِقَوْلِهِ :

رَهْنَتْ يَدِي بِالْعَجْرِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ  
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ  
فَانْظُرْ مَا أَحَلَّى أَحَدَاسَهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : وَمَا فَوْقَ شُكْرِي  
لِلشُّكُورِ مَزِيدُ . وَانْظُرْ كَيْفَ أَظْهَرَ عُذْرَهُ فِي عَجْزِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ  
بِأَنِّ قَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ ثُمَّ أَخْرَجَ  
بَقِيَّةَ الْبَيْتِ لِلْمُبَالَغَةِ مُخْرَجَ الْمَثَلِ السَّائِرِ حَيْثُ قَالَ : وَلَكِنْ مَا لَا  
يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ . وَمِنْ هُنَا قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِقَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا  
وَمِنْ حَسَنِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ الْحَكَمِ الْخَضَرَمِيِّ :

وَأَقْبَحُ مِنْ قُرْدٍ وَأَنْجَلُ بِالْقُرَى

مِنْ الْكَلْبِ أَمْسَى وَهُوَ غَرَّانُ أَنْجَفُ

فَالْكَلْبُ بَخِيلٌ عَلَى مَا ظَفَرَ بِهِ وَهُوَ أَشَدُّ بُخْلًا إِذَا كَانَ جَائِعًا أَنْجَفُ  
أَمَّا ( الْأَغْرَاقُ ) فَهُوَ فَوْقَ الْمُبَالَغَةِ وَلَكِنَّهُ دُونَ الْغُلُوِّ . وَهُوَ



عَادَةً . ( وَالْإِغْرَاقُ ) وَصَفِ الشَّيْءَ بِالْمُمْكِنِ الْبَعِيدِ وَقُوْعُهُ عَادَةً .  
 ( وَالْعُلُوُّ ) وَصَفُهُ بِمَا يَسْتَحِيلُ وَقُوْعُهُ . وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
 الثَّلَاثَةِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ تَقَرَّرَ أَوَّلًا أَنَّ الْمُبَالَغَةَ تَوْعُّهَا مَبْنِيٌّ عَلَى  
 وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ وَقُوْعُهُ . وَحَدِّ قُدَامَةِ الْمُبَالَغَةِ فَقَالَ :  
 هِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ لَوْ وَقَفَ عِنْدَهَا لِأَجْزَاتِ  
 فَلَا يَقِفُ حَتَّى يَزِيدَ فِي مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ مَا يَكُونُ أَبْلَغَ مِنْ مَعْنَى قَصْدِهِ  
 كَقَوْلِ عُثَيْرِ بْنِ كَرِيمٍ التَّغْلِي :  
 وَنُكْرُمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُنْشِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا

وَقَالَ : إِنَّ هَذَا أَلْبَيْتَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُبَالَغَةِ عِنْدَ الْخُذَّاقِ . فَإِنَّ  
 الشَّاعِرَ بَلَغَ فِيهِ إِلَى أَقْصَى مَا يُمْكِنُ مِنْ وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَوَصَّلَ إِلَى  
 أَكْثَرِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَتَعَطَّاهُ . وَلَخَّصَ بَعْضُهُمْ عِبَارَةَ الْحَدِّ الَّذِي حَدَّهُ  
 قُدَامَةُ وَقَالَ : الْمَعْنَى إِذَا زَادَ عَلَى التَّمَامِ سُبِّيْ مَبَالَغَةً . وَقَالَ ابْنُ  
 رَشِيْقٍ فِي الْعُمْدَةِ : الْمُبَالَغَةُ بُلُوْغُ الشَّاعِرِ أَقْصَى مَا يُمْكِنُ فِي وَصْفِ  
 الشَّيْءِ . قُلْتُ عَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ : فَجُلُّ الْقَصْدِ فِي الْمُبَالَغَةِ الْإِمْكَانُ  
 وَالْخُرُوجُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ . وَالْمَذْهَبُ الصَّحِيْحُ فِيهَا أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ  
 الْحَاسِنِ إِذَا بَعُدَتْ عَنِ الْإِغْرَاقِ وَالْعُلُوِّ . وَإِنْ كَانَ الْإِغْرَاقُ  
 وَالْعُلُوُّ ضَرْبَيْنِ مِنَ الْحَاسِنِ وَتَوَعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ . فَقَدْ شَرَطَ  
 عُلَمَاؤُهُ أَنَّ النَّوْعَ لَا يَتَجَاوَزُ حَدَّهُ بِحَيْثُ يَزُولُ الْإِلْتِبَاسُ وَيُغْشِي مِنَ  
 أَمْثَلَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَدِيْحِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَانُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ تَأَوُّبُهُ

الْمُبَالَغَةُ مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ وَمَشَى فِي ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ حَسَّانِ  
ابْنِ ثَابِتٍ فَإِنَّهُ قَالَ :

وَأَمَّا الشَّعْرُ فَقُلْ الْمَرْءُ يَعْزُضُهُ عَلَى الْأَنَامِ فَإِنْ كُنِيَ وَأَنْ حَقًّا  
وَأَنْ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدَتْهُ صَدَقًا

وَعِنْدَ أَهْلِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّ الْمُبَالَغَةَ لَمْ تُسْفَرْ عَنْ غَيْرِ التَّهْوِيلِ  
عَلَى السَّمْعِ وَلَمْ يَفْرَ النَّاطِقُ إِلَى التَّخْيِيمِ عَلَيْهَا إِلَّا بِعِزِّهِ وَقُصُورِ هِمَّتِهِ

عَنْ أَخِرَاعِ الْمَعَانِي الْمُبْتَكِرَةِ . لِأَنَّهَا فِي صِنَاعَةِ الشَّعْرِ كَالِاسْتِرَاحَةِ مِنْ  
الشَّاعِرِ إِذَا أَعْيَاهُ إِرَادُ الْمَعَانِي الْغَرِيبَةِ . فَيَشْغُلُ الْأَسْمَاعَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ

وَتَهْوِيلٌ . وَقَالُوا : رَبَّمَا أَحَالَتِ الْمَعَانِي فَأَخْرَجَتْهَا عَنْ حَدِّ الْكَلَامِ  
الْمُمْكِنِ إِلَى حَدِّ الْإِمْتِنَاعِ . وَالْمُبَالَغَةُ تُعَابُ فِي بَابِهَا إِذَا خَرَجَتْ عَنْ

حَدِّ الْإِمْكَانِ إِلَى الْإِسْتِحَالَةِ وَآتَى الْكَلَامُ عَلَى حَدِّهَا فِي مَوْضِعِهِ .  
وَالَّذِي أَقُولُهُ : إِنَّ الْمُبَالَغَةَ مِنْ مَحَاسِنِ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ وَلَمْ يَسْتَطِرِدْ

فِي حَلَبَاتِ سَبْقِهَا إِلَّا فُحُولُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . وَلَوْ سَلَمْنَا إِلَى مَنْ يَهْضُمُ  
جَانِبَهَا وَلَمْ يَعُدَّهَا مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ بَطَلَتْ بِلَاغَةُ الْإِسْتِعَارَةِ

وَأُخْطِطَتْ رُبَّةُ التَّشْبِيهِ . وَتَسْمِيَةُ الْمُبَالَغَةِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قِدَامَةِ . وَمِنْهُمْ  
مَنْ سَمَّى هَذَا النَّوعَ التَّبْلِغِ . وَسَمَّاهُ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْإِفْرَاطُ فِي الصِّفَةِ .

وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ طَابَقَتْ الْمُسَمَّى . وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ رَغِبُوا فِي تَسْمِيَةِ  
قِدَامَةِ لِحَقِّهَا . وَهَذَا النَّوعُ أَغْنَى الْمُبَالَغَةَ شَرَكُهُ قَوْمٌ مَعَ الْإِغْرَاقِ

وَالْغُلُوبِ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ الْفَرْقِ وَهُوَ مِثْلُ الصُّبْحِ ظَاهِرٌ . ( وَالْمُبَالَغَةُ )  
فِي الْإِضْطِلَاحِ هِيَ إِفْرَاطُ وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ وَقُوْعُهُ

يُرِيدُونَ الْبَدَنَ . وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ أَوْسَعُ بَنِي أُمَيَّةَ ثَوْبًا . أَيِ أَكْثَرَهُمْ  
مَعْرُوفًا . وَفَلَانٌ غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ . قَالَ كَثِيرٌ :  
غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا . غُلِقَتْ لِصَحَّيْتِهِ رِقَابُ الْمَالِ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فَلَانٌ رَحْبُ الذَّرَاعِ . وَمِنْ الْكَيْمَيَّاتِ  
اللطيفة مَا ذَكَرَهَا الْأَدَبَاءُ فِي الشَّيْبِ وَالْكِبَرِ . فيقولون : عَرَضَتْ  
إِفْلَانٍ قَتَرَةٌ . عَرَضَ لَهُ مَا يَنْخُودُ نُوْبُهُ وَيَكْفُرُ سَيِّئَاتِهِ . أَقْرَ لَيْلُهُ نَوْرٌ  
غَضَنُ شَبَابِهِ . فَضَضَ الزَّمَانُ أَبْنُسَهُ . وَجَاءَهُ النَّذِيرُ . وَقَرَعَ نَاجِدٌ  
أَحْلَمَ . وَارْتَاضَ بِلِجَامِ الدَّهْرِ . أَذْرَكَ زَمَانُ الْحُكْمَةِ . رَفَضَ غِرَّةَ  
الصَّبِيِّ وَلَبَّى دَاعِيَ الْحَيِّ . وَمِنْ كَيْمَيَّاتِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ : اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ .  
أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِجَوَارِهِ . نَقَلَهُ إِلَى دَارِ رِضْوَانِهِ . وَحَمَلَ غُفْرَانَهُ . إِسْتَقَلَّ إِلَى  
جَوَارِ رَبِّهِ وَأَثْقَلَ إِلَى مَحَلِّ عَفْوِهِ . اخْتَارَ لَهُ الثَّقَلَةَ مِنْ دَارِ الْبَوَارِ  
إِلَى دَارِ الْأَبْرَارِ

## البحث الرابع عشر

### في المبالغة

( عن بدعيّة الحموي وكتاب الصناعتين للمسكري )

( راجع صفحة ٣٩ من علم الادب )

المبالغة نوعٌ معدودٌ مِنْ محاسنِ فنِّ الْكِتَابَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَاسْتَدَلُّوا  
عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : أَحْسَنُ الشَّعْرِ أَكْذَبُهُ . وَبِقَوْلِ النَّابِغَةِ  
الذُّبْيَانِي : أَشْعَرُ النَّاسِ مَنْ اسْتَحْيَدَ كَذِبُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَعُدَّ



شِمْتُ بَرْقَ الْوَزِيرِ فَأَنْهَلَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَهْرَبًا إِلَى الْأَقْدَامِ  
 فَكَأَنِّي وَقَدْ تَقَاصَرَ بِلَعِي خَاطِبُ فِي عُبَابِ أَخْضَرَ طَائِمِي  
 يَفْنِي الْجَمْرَ . وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِابْنِ الْقُبَعْتَرِيِّ : لَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْأَذْهَمِ .  
 يَفْنِي الْقَتْلَ . فَتَجَاهَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَذْهَمِ  
 وَالْأَشْهَبِ . يُرِيدُ الْخَيْلَ . وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ فِي بُسْتَانٍ  
 لَهُ وَهُوَ فِي أَيَّامِ مُحَارَبَتِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ وَنَظَرَ إِلَى  
 شَجَرَةٍ خِلَافٍ فَقَالَ لِلرَّبِيعِ : سَاهِذِ الشَّجَرَةَ . فَقَالَ : طَاعَةٌ يَا أَمِيرَ  
 الْمُؤْمِنِينَ . فَتَقَالَ الْمَنْصُورُ بِهِ وَغِيبَ مِنْ ذِكَاثِهِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ : أَنَّ  
 رَجُلًا مَرَّ فِي صَحْنِ دَارِ الرَّشِيدِ وَمَعَهُ خُزْمَةٌ خَيْزُرَانٍ . فَقَالَ الرَّشِيدُ  
 لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ : مَا ذَلِكَ . فَقَالَ : عُرُوقُ الرِّمَاحِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .  
 وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ الْخَيْزُرَانِ لِمُوَافَقَتِهِ اسْمَ وَالِدَةِ الرَّشِيدِ . وَمِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ أَيْضًا فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِهِمْ : فَلَانُ نَقِي الثُّوبِ . يُرِيدُونَ بِهِ  
 أَنَّهُ لَا عَيْبَ فِيهِ وَلَيْسَ بِمَوْضُوعِ نَقَاءِ الثُّوبِ الْبَرَاءِ مِنَ الْعَيْبِ وَإِنَّمَا  
 اسْتَعْمِلَ فِيهِ تَمْثِيلًا . وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :  
 ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غَرَاتُ  
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فَلَانُ طَاهِرُ الثُّوبِ . يُرِيدُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَائِنٍ  
 وَلَا غَادِرٍ . وَفُلَانٌ دَنَسُ الثُّوبِ إِذَا كَانَ غَادِرًا فَاجِرًا . وَقَوْلُهُمْ : طَيْبُ  
 الْحَجَرَةِ أَيْ عَفِيفٌ . قَالَ اللَّابِقَةُ يَمْدَحُ بَنِي غَسَّانَ النَّصَارَى :  
 رِقَاقُ النَّعَالِ طَيْبٌ حُجْرَاتُهُمْ يَحْيِيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ  
 وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا قَالَتِ الْعَرَبُ : الثُّوبُ وَالْإِزَارُ . فَانَّهُمْ

كُنِيَ عَنِ الْغَيْبَةِ بِأَكْلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ الْإِنْسَانِ . وَهَذَا شَدِيدُ  
الْمَنَاسِبَةِ لِأَنَّ الْغَيْبَةَ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرُ مَثَلِ النَّاسِ وَتَمْزِيقُ أَعْرَاضِهِمْ  
وَتَمْزِيقُ الْعَرَضِ مُمَازِلٌ لِأَكْلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ مَنْ يَتَّبَعُهُ . وَمِنْ  
أَمْثَالِ الْعَرَبِ قَوْلُهُمْ : لَيْسَ لِفُلَانٍ جِلْدُ الثَّيْرِ وَجِلْدُ الْأَرْقَمِ . كِنَايَةٌ  
عَنِ الْعِدَاوَةِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قَلْبَ لَهُ ظَهَرَ الْحِجْنِ كِنَايَةٌ عَنِ  
تَغْيِيرِ الْمَوَدَّةِ . وَمِنْ ظَرِيفِ الْكِنَايَاتِ مَا جَاءَ عَنِ الْجَمَازِ وَقَدْ قِيلَ  
لَهُ : أَيُّ الْبَقُولِ أَحَبُّ إِلَيْكَ . فَقَالَ : بَقْلَةُ الدَّيْبِ ( يَعْنِي اللَّحْمَ ) .  
وَرَأَى رَجُلٌ مِنْ أَصَافِهِ يُطِيلُونَ أَلْعَاءَ وَلَا يَأْتُونَ بِالْأَكْلِ فَقَالَ :

خَلِيلِي دَاوَيْتُمَا ظَاهِرًا فَنَ دَاوَيْدَاوِي جَوِي بَاطِنًا

فَعَلِمُوا أَنَّهُ جَائِعٌ . وَأُخْبِرَ عَنِ الْجَلْحِظِ أَنَّهُ أَكَلَ مَعَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ فَالْوَدَجَةُ فَأَمَرَ ابْنُ الزِّيَّاتِ أَنْ يُجْعَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَلْحِظِ  
مَا رَقَّ مِنَ الْجَامِ . فَاسْرَعَ فِي الْأَكْلِ حَتَّى نَظَّفَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ  
أَبُو مُحَمَّدٍ : يَا أَبَا عُثْمَانَ قَدْ تَقَشَّعَتْ سَمَاؤُكَ . فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ  
لِأَنَّ غَيْمَهَا كَانَ رَقِيقًا . وَكَذَلِكَ يُقِيمُونَ وَصْفَ الشَّيْءِ مَقَامَ اسْمِهِ  
كَمَا قَالَ : حَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَدُسِرَ . يَعْنِي السَّفِينَةَ فَوَضَعَ  
صِفَتَهَا مَوْضِعَ تَسْمِيَتِهَا . وَقَالَ : إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ  
الْجِيَادُ يَعْنِي الْخَيْلَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

سَأَلْتُ قُتَيْبَةَ عَنْ أَبِيهَا صَحْبَهُ فِي الرُّوحِ هَلْ رَكِبَ الْأَعْرَ الْأَشْقَرَا  
يَعْنِي هَلْ قُتِلَ . وَالْأَعْرَ الْأَشْقَرُ وَصْفُ الدَّمِ فَأَقَامَهُ مَقَامَ اسْمِهِ .  
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَتَشَاعَرُ وَلَيْسَ يُحِيدُ قَالُوا: هُوَ نَبِيٌّ فِي الشَّعْرِ .  
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشَّعْرِ م وَيَأْمَنُ فِيهِ يُكْرَمُ  
أَنْتَ مِنْ أَشْعَرَ خَلَقَ اللَّهُ م مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ  
وَيُقَالُ : فَلَانٌ رَابِعُ الشُّعْرَاءِ . إِذَا كَانَ مُتَخَلِّقًا مُنْخَطَّ الطَّبَقَةِ  
لِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الشُّعْرَاءُ فَأَعْلَمَنَ أَرْبَعَهُ فَشَاعِرٌ يَجْرِي وَلَا يُجْرَى مَعَهُ  
وَشَاعِرٌ يُشَدُّ وَسْطَ الْجَمْعَةِ وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَسْمَعَهُ  
وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَصْفَعَهُ

وَسُئِلَ حَائِكٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ فَقَالَ : كُنُوسَةُ الْأَحْيَاءِ وَجَهَازُ الْمَوْتَى .  
وَيَكْنُونَ عَنْ الْقُرَوِيِّ بِاخْضَرِ الْأَسْنَانِ مِنْ كَثَرَةِ أَكْلِ الْبَقْلِ .  
وَسُئِلَ حَجَّامٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ . فَقَالَ : أَكْتُبُ بِالْحَدِيدِ وَأَخْتِمُ بِالزُّجَاجِ .  
وَفِيهِ قِيلَ :

يَا أَبْنَ الْأَذِيِّ عَاشَ غَيْرَ مُضْطَهَدٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ أَيُّمَا رَجُلٍ  
أَبُوكَ أَوْهَى الْيَجَادُ عَاتِقَهُ كَمْ مِنْ كَيْبٍ أَدْمَى وَكَمْ بَطَلٍ  
لَهُ رِقَابُ الْمُلُوكِ خَاضِعَةٌ مِنْ بَيْنِ حَافٍ وَبَيْنِ مُسْتَعِلٍ  
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يَمْسِ مِنْ ثَأِيرٍ عَلَى وَجَلٍ (١)  
وَيُقَالُ عَمَّنْ يَكْثُرُ الْأَسْفَارُ : فَلَانٌ لَا يَضَعُ أَلْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ .  
وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ : أَلَيْبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ . فَإِنَّهُ



بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ ( يُرِيدُ الْجَهْلَ ) . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ أَحَقَّ  
 قِيلَ : نَعْتُهُ لَا يَنْصَرِفُ . وَكَانَ قَابُوسُ بْنُ وَشْمِكِرٍ إِذَا وَصَفَ  
 رَجُلًا بِأَلْبَلَهَ قَالَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ خَفِيفٌ  
 عَلَى الْقَلْبِ يُرِيدُونَ مَقْلُوبًا وَهُوَ الثَّقِيلُ . وَكَانَ النَّاصِرُ الْأَعْلَوِيُّ  
 الْأَطْرُوشُ إِذَا خَاطَبَهُ أَحَدٌ فَلَمْ يَسْمَعْ قَالَ لَهُ : أَرْفَعُ صَوْتَكَ فَإِنَّ بِأُذُنِي  
 بَعْضَ مَا يَرُوحُكَ . وَنَظَرَ الْأَبْدِيعُ الْهَمْدَانِيُّ إِلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ بَارِدٍ  
 فَقَالَ : قَدْ أَقْبَلَ لَيْلُ السَّيِّئِ . وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ وَقَدْ  
 أَقْشَعَرَ . فَقَالَ : مَا تَحِدُّ فِدَيْتُكَ . قَالَ : أَجِدُكَ ( يَعْنِي الْبَرْدَ ) .  
 وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ كَذُوبًا قِيلَ : الْفَاحِشَةُ عِنْدَهُ أَبُو ذَرٍّ ( يُضْرَبُ  
 الْمَثَلُ بِالْفَاحِشَةِ فِي الْكُذْبِ وَبِأَيِّ ذَرٍّ فِي الصِّدْقِ ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :  
 فَلَانٌ يَلْطِمُ عَيْنَ مِيزَانٍ . ( وَمِيزَانُ رَجُلٍ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكُذْبِ ) .  
 وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ مَلُوءًا قِيلَ : هُوَ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى . وَإِذَا كَانَ  
 مُنْجِدًا قِيلَ : قَدْ عَبَرَ ( يُرِيدُونَ جِسْرَ الْإِيمَانِ ) . قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : هَلْ  
 عَبَرْتَ . قَالَ : فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ وُلِدْتُ . وَإِنْ كَانَ يُسِيئُ الْأَدَبَ  
 فِي الْمُلُوكَةِ قِيلَ : تُسَافِرُ يَدُهُ عَلَى الْخَوَانِ وَيَرْعَى أَرْضَ الْجِيرَانِ .  
 فَإِنْ كَانَ خَفِيفَ الْيَدِ فِي الطَّرِيقِ وَالسَّرِقَةِ . قَالُوا : هُوَ أَحَدُ يَدِ  
 الْقَمِيصِ ( وَيَدُ الْقَمِيصِ الْكُمُ وَالسَّارِقُ يُقَصِّرُهُ لِيَكُونَ أَقْدَرُ عَلَى  
 مَا يُرِيدُ مِنْ سَرِقَةٍ ) . فَإِذَا كَانَ قَلَّ الثَّوْبُ قِيلَ : فَلَانٌ يَعْزُضُ  
 الصَّيْدَ . قَالَ الصَّاحِبُ :

وَحَوْشُهُ تَرْتَعُ فِي جَنْبِهِ وَظُفْرُهُ يَرْكَبُ لِلصَّيْدِ

# البحث الثالث عشر

## في ما ورد من الكنايات عن العرب

( عن كتاب الكناية للثعالبي وكتاب الصناعتين للمسكري )

اعلم ان العرب يلحظون الى الكناية اذا ما ارادوا التعريض  
عما يستقبح ذكره فيكونون عن الاعور بالمتعم وعن الذي في عينه  
نكتة بياض بالموكب وعن في وجهه اثر ضربة بالمشطب  
وليعضهم في ابرص :

اخو لحم اعارك منه ثوبا هنيئا بالقميص المستجد  
اراد باخي لحم جذية الابرص وللصاحب في الجرب :  
ابا العللاء هلال الهزل والجد كيف النجوم التي يطنن في الجلد  
ويكنى عن الحول بالتأخر قال الدؤلي :  
بيض المطابخ لا تشكو اماؤهم طنج القدور ولا غسل المدايل  
قال آخر :

يثاب طباخ اذا اتسخت انقى بياضا من القراطيس  
وقال ابو بكر الخوارزمي :  
فقي مختصر الماكول ل والمشروب والعطر  
نقي الكاس والقصة م والمدايل والقدور  
ويكونون عن الجاهل بانه من المستريحين ويؤى ان خلافا  
وقع بين بعض الخلفاء وبين نديم له في مسالة . فاتفقا على رأي  
بعض اهل العلم فاحضر . فوجد الخليفة مخطئا فقال : القائون

عَنِ الْآخَرِ لِيُعرفَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَةَ إِذَا  
وَرَدَتْ تَجَادِبُهَا جَانِبًا حَقِيقَةً وَجَهًا . وَجَازَ حَمْلُهَا عَلَى الْجَانِبَيْنِ مَعًا فَيَصِحُّ  
بِكُلِّ مِنْهُمَا الْمَعْنَى وَلَا يَحْتَمِلُ . وَالْدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي  
أَصْلِ الْوَضْعِ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَثَرِيدَ غَيْرِهِ . يُقَالُ : كُنْتُ بِكَذَا  
عَنْ كَذَا . فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ وَعَلَى مَا أَرَدْتَهُ مِنْ غَيْرِهِ .  
وَأَمَّا التَّعْرِيزُ فَهُوَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى الشَّيْءِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ  
لَا بِالْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ وَلَا الْحِجَازِيِّ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ لَنْ تَتَوَقَّعَ  
صِلَتُهُ وَمَعْرُوفُهُ بِغَيْرِ طَلَبٍ : إِنِّي لَمُحْتَاجٌ وَلَيْسَ فِي يَدَيَّ شَيْءٌ وَأَنَا  
عُرْيَانٌ وَأَلْبَرْدُ قَدْ آدَانِي . فَإِنَّ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ تَعْرِيزٌ بِالطَّلَبِ وَلَيْسَ  
هَذَا اللَّفْظُ مَوْضُوعًا فِي مُقَابَلَةِ الطَّلَبِ لَا حَقِيقَةً بَلْ حِجَازًا . إِنَّمَا دُلَّ  
عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ بِخِلَافِ دَلَالَةِ الْكِتَابَةِ فَإِنَّهَا لَفْظِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ  
مِنْ جِهَةِ الْحِجَازِ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ التَّعْرِيزُ تَعْرِيزًا لِأَنَّ الْمَعْنَى فِيهِ يُفْهَمُ  
مِنْ عَرَضِهِ أَيْ مِنْ جَانِبِهِ . وَمِنْ لَطِيفِ التَّعْرِيزَاتِ الْأَدَبِيَّةِ مَا  
يُرَوَّى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَدَخَلَ عُثْمَانُ  
أَبْنُ عَفَّانَ . فَقَالَ عُمَرُ : أَيُّ سَاعَةٍ هَذِهِ . يُرِيدُ التَّعْرِيزُ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ  
إِتَاخِرُهُ عَنِ الْحِجْيِ إِلَى الصَّلَاةِ . وَهُوَ مِنَ التَّعْرِيزِ الْمَغْرِبِ عَنِ  
الْأَدَبِ . وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ الشَّعْرِيَّةُ قَوْلُ الْحِجَّاجِ يُعْرِضُ بَيْنَ نَقْدَمِهِ  
مِنَ الْأُمَرَاءِ :

أَسْتُ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَمٍّ      وَلَا بِحِزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍّ



هُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ وَالْكِنَايَةُ ضِدُّ الصَّرِيحِ لِأَنَّهَا عُدُولٌ عَنْ  
ظَاهِرِ اللَّفْظِ . وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ فُرُوقٍ أَحَدُهَا : الْخُصُوصُ وَالْعُمُومُ .  
وَالْآخَرُ الصَّرِيحُ . وَالْآخَرُ الْحَمْلُ عَلَى جَانِبِ الْحَقِيقَةِ وَالْحِجَازِ . وَقَدْ  
تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي تَابِ الْإِسْتِعَارَةِ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْحِجَازِ . وَعَلَى ذَلِكَ  
فَتَكُونُ نِسْبَةُ الْكِنَايَةِ إِلَى الْحِجَازِ نِسْبَةَ جُزْءٍ إِلَى جُزْءٍ وَخَاصٍّ إِلَى الْخَاصِّ  
وَقَدْ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ مَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ  
إِسْتِعَارَةً . وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي مُفْرَدِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى  
مَا بَعْدَهُ كَقَوْلِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يُحَرِّضُ بِهَا بَنِي  
أُمَيَّةٍ عِنْدَ خُرُوجِ آلِي مُسْلِمٍ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيزَاجِ جَمْرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ

### البحث الثاني عشر

#### في التعريض

( من المثل السائر لابن الاثير بتصرف )

( راجع صفحة ٣٧ من علم الادب )

قَدْ تَكَلَّمَ عُلَمَاءُ أَلْيَانٍ فِي التَّعْرِيزِ فَوَجَدْتُهُمْ قَدْ خَاطَبُوا  
التَّعْرِيزَ بِالْكِنَايَةِ وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَهُمَا وَلَا أَحَدُوا كِلَاهُمَا بِحَدِّ  
يَفْضَلُهُ عَنْ صَاحِبِهِ . بَلْ أوردوا لهما أمثلةً مِنْ النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ وَأَدْخَلُوا  
أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ . فَذَكَرُوا لِلْكِنَايَةِ أمثلةً مِنَ التَّعْرِيزِ وَلِلتَّعْرِيزِ  
أمثلةً مِنَ الْكِنَايَةِ . فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ الْعَالِمِيُّ وَأَبْنُ سِنَانٍ وَالْخَفَاجِيُّ  
وَالْعَسْكَرِيُّ . وَسَاذَكَرُ مَا عِنْدِي فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا وَأَمَيَزُ أَحَدَهُمَا

قَدْ كَانَ يُغِبُّ بَعْضَهُنَّ بِرَاعِي حَتَّى رَأَيْنَ تَسْخِيحِي وَسُعَالِي  
 كُنِيَ عَنْ كِبَرِ السِّنِّ بِتَوَابِعِهِ وَهِيَ التَّسْخِيحُ وَالسُّعَالُ. وَالْكِنَايَةُ  
 تَكُونُ فِي الْمَثَبِ كَمَا ذَكَرْنَا وَقَدْ تَكُونُ فِي الْإِثْبَاتِ. وَهِيَ مَا إِذَا  
 حَاوَلُوا إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي لِشَيْءٍ فَيَتَرَكُونَ التَّصْرِيحَ بِإِثْبَاتِهِ لَهُ  
 وَيُثْبِتُونَهُ لِمَا لَهُ بِهِ تَعَلُّقٌ كَقَوْلِهِمْ : الْحَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ وَالكَرْمُ بَيْنَ  
 بُرْدَيْهِ. وَقَوْلُهُ :

إِنَّ الْمُرُوءَةَ وَالسَّمَاحَةَ وَاللَّدَى فِي قُبَّةٍ ضَرَبْتُ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ  
 وَنَظِيرُهُ قَوْلُ يَزِيدَ بْنِ الْحَكَمِ يَمْدَحُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ فِي  
 حَسَبِ الْحَجَّاجِ :

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّمَاحَةُ م وَالْحَجْدُ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسَبُ  
 وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ : مَكَانُ الْقَيْدِ هُنَا هُوَ مَكَانُ الْقُبَّةِ فِي أَلْبَيْتِ  
 الْمُتَقَدِّمِ . وَقَدْ يَجْتَمِعُ بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ كِنَايَا تَانِ : الْغَرَضُ مِنْهُمَا وَاحِدٌ  
 وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَصْلٌ بِنَفْسِهَا كَقَوْلِهِ :

وَمَا يَكُ فِي مِنْ عَيْبٍ قَارِي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ  
 وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِنَايَةَ جُزْءٌ مِنَ الْأِسْتِعَارَةِ وَلَا تَأْتِي إِلَّا عَلَى حُكْمِ  
 الْأِسْتِعَارَةِ خَاصَّةً لِأَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِحَيْثُ يُطَوَّى ذِكْرُ  
 الْمُسْتَعَارِ لَهُ . وَكَذَلِكَ الْكِنَايَةُ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِحَيْثُ يُطَوَّى  
 ذِكْرُ الْمَكْنِيِّ عَنْهُ وَنِسْبَتُهَا إِلَى الْأِسْتِعَارَةِ نِسْبَةُ خَاصٍّ إِلَى عَامٍّ .  
 فَيُقَالُ : كُلُّ كِنَايَةٍ اسْتِعَارَةٌ . وَلَيْسَ كُلُّ اسْتِعَارَةٍ كِنَايَةً . وَيُفْرَقُ  
 بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهِ آخَرَ وَهُوَ : أَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَفْظُهَا صَرِيحٌ . وَالصَّرِيحُ

فَيُؤَيِّ بِهٖ اِلَيْهِ وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْكِنَايَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ السِّرِّ . يُقَالُ : كُنَيْتُ الشَّيْءَ  
 إِذَا سَرَّتَهُ . وَأُجْرِيَ هَذَا الْحُكْمُ فِي الْأَلْفَازِ الَّتِي يُسْتَرُّ فِيهَا الْحِجَازُ  
 بِالْحَقِيقَةِ فَتَكُونُ دَلَالَةً عَلَى السَّاتِرِ وَعَلَى الْمُسْتَوْرِ مَعًا . وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَوْرَ  
 فِيهَا هُوَ الْحِجَازُ لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ تُفْهَمُ أَوَّلًا وَيَتَسَارَعُ أَفْهَمُ إِلَيْهَا قَبْلَ  
 الْحِجَازِ . لِأَنَّ دَلَالََةَ اللَّفْظِ عَلَيْهَا دَلَالَةٌ وَضَعِيَّةٌ . وَأَمَّا الْحِجَازُ فَإِنَّهُ  
 يُفْهَمُ مِنْهُ بَعْدَ فَهْمِ الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا يُفْهَمُ بِالظَّنِّ وَالْفِكْرَةِ وَبِهَذَا يَحْتَاجُ  
 إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . فَالْحَقِيقَةُ أَظْهَرَ وَالْحِجَازُ أَخْفَى  
 وَهُوَ مُسْتَوْرٌ بِالْحَقِيقَةِ . وَقَدْ تَأَوَّلْتُ الْكِنَايَةَ بِغَيْرِ هَذَا وَهِيَ أَنَّهَا  
 تَأْخُودَةٌ مِنَ الْكُنْيَةِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا : أَبُو فُلَانٍ . فَإِنَّا إِذَا نَادَيْنَا رَجُلًا  
 اِسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَلَهُ وَلَدٌ اِسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَقُلْنَا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . كَانَ ذَلِكَ  
 مِثْلَ قَوْلِنَا : يَا عَبْدَ اللَّهِ . فَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا وَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا  
 وَكِلَاهُمَا وَاقِعٌ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكِنَايَةِ فَإِنَّا إِذَا  
 شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى جَانِبِ الْحِجَازِ . وَإِنْ شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ . إِلَّا  
 أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْوَصْفِ الْجَامِعِ بَيْنَهُمَا لِئَلَّا يَلْحَقَ بِالْكِنَايَةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا  
 وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : هُوَ طَوِيلُ الْجِدَادِ وَكَثِيرُ رَمَادِ الْقَدْرِ . يَعْنُونَ بِهِ  
 أَنَّهُ طَوِيلُ الْقَامَةِ كَثِيرُ الْقَرَى فَلَمْ يَذْكُرِ الْمُرَادَ بِلَفْظِهِ الْخَاصِّ بِهِ  
 وَالْكَنْ تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ بِذِكْرِ مَعْنَى آخَرِهِ هُوَ رَدْفُهُ فِي الْوُجُودِ . الْأَثَرِ  
 أَنَّ الْقَامَةَ إِذَا طَالَتْ طَالَ الْجِدَادُ . وَإِذَا كَثُرَ الْقَرَى كَثُرَ رَمَادُ الْقَدْرِ .  
 وَكَقَوْلِ الْخَضْرَمِيِّ :



قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا عِنْدَنَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَنْفُسٌ بِشَلِّ النُّجُومِ تَلَالَاتٍ فِي الْخُنْدِ  
وَكَمَا ذَكَرَ بَعْضُهُمُ الْكَفَّ وَهِيَ مُؤَنِّتَةٌ فِي قَوْلِهِ :  
أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِيهِ كَفًّا مُحْضَبًا  
فَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْغَضَبِ وَهُوَ مُذَكَّرٌ . وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :  
يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْمَرْجِي مَطِيئَتُهُ سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ  
أَيَّ مَا هَذِهِ الْجَلْبَةُ . وَفِي الْقُرْآنِ : وَآحِشِنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا .  
وَلَمْ يَقُلْ : مَيْتَةً لِأَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الْمَكَانِ . وَقَالَ : السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ .  
فَذَكَرَ السَّمَاءَ وَهِيَ مُؤَنِّتَةٌ لِأَنَّهُ حَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى السَّقْفِ . وَكُلُّ مَا  
عَلَكَ وَأَطْلَكَ فَهُوَ سَمَاءٌ

البحث الحادي عشر

في القول عن الكناية

( عن كتاب صناعة التدرس والمثل السائر )

( راجع صفحة ٢٨ من علم الادب )

الْلَفْظَةُ إِذَا أُطْلِقَتْ وَكَانَ الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ غَيْرَ مَعْنَاهَا فَلَا يَحْتَوِ  
إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا قَصُودًا أَيْضًا لِيَكُونَ دَالًّا عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضِ  
الْأَصْلِيِّ . وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ . فَلَاوَلُّهُ هُوَ الْكِنَايَةُ وَيُقَالُ  
لَهُ : الْإِرْدَافُ . وَالثَّانِي الْجَزَاءُ . فَالْكِنَايَةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَلِيَّانِ أَنْ  
يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ اثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى فَلَا يَذْكُرُهُ بِالْلَفْظِ الْمَوْضُوعِ  
لَهُ فِي اللَّغَةِ وَلَكِنْ يَجِيءُ إِلَى مَعْنَى هُوَ نَائِلِهِ وَرِدْفُهُ فِي الْوُجُودِ

أَي كَفَانِي وَلَيْسَ لِلْخَوْضِ قَوْلٌ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الرَّاعِي الشَّاعِرِ النَّصْرَانِي :  
 فِي مَهْمَةٍ فَلَقْتُ بِهِ هَامَاتَهَا فَلَقَى الْقَوْسُ إِذَا أَرَدَنَ تَصُولَا  
 وَالْعَرَبُ تُسَمِّي التَّهْيِئَةَ لِلْفِعْلِ وَالْإِحْتِيَاجَ إِلَيْهِ إِرَادَةً. وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ  
 بِلَفْظِ الْمَاضِي وَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ وَبِلَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ وَهُوَ مَاضٍ كَقَوْلِهِ : لَمْ  
 تَقْتُلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ أَي لَمْ قَتَلْتُمْ . وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
 فَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مُصْنِفَا  
 أَي لِمَنْ يَكُونُ بَعْدِي . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا . أَي  
 كَانَ وَيَكُونُ وَهُوَ كَأَنَّ الْآنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ . وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ بِالْمَفْعُولِ  
 بِلَفْظِ الْفَاعِلِ فَيَقُولُونَ : سِرَّ كَاتِمٌ أَي مَكْتُومٌ . وَمَكَانٌ عَامِرٌ أَي  
 مَعْمُورٌ . وَمَاءٌ دَافِقٌ أَي مَدْفُوقٌ . وَعَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ أَي مَرْضِيَّةٌ . وَحَرَمٌ  
 آمِنٌ أَي مَأْمُونٌ . وَقَالَ جَرِيرٌ :

إِنَّ أَلْبِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ كَلَامَهُ فَأَنْتَعِ فَوَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَاقِعِ  
 أَي مِنْ حَدِيثِ الْمُؤْمُقِ . وَيَعْكُسُونَ هَذَا الْعَمَلَ وَيَسْتَعْمِلُونَ  
 الْفَاعِلَ بِلَفْظِ الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا أَي آتِيًا . وَكَقَوْلِهِ :  
 حِجَابٌ مَسْتُورٌ أَي سَاتِرٌ . وَيُقِيمُونَ الْأَسْمَ وَالْمَصْدَرَ مَقَامَ الْفَاعِلِ  
 وَالْمَفْعُولِ . فَيَقُولُ الْعَرَبُ : رَجُلٌ عَدْلٌ أَي عَادِلٌ . وَرِضَى أَي مَرْضِيٌّ .  
 وَبَنُو فُلَانٍ لَمَّا سَلِمَ أَي مُسَالِمُونَ . وَحَرْبٌ أَي مُحَارِبُونَ . (وَكَذَلِكَ)  
 يَحْمِلُونَ اللَّفْظَ عَلَى الْغَنَى فِي تَذْكِيرِ الْمَوْتِ وَتَأْنِيثِ الْمَذَكَّرِ  
 فَيَبْدَأُ كُونَ حُكْمَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى مَعْنَاهُ كَمَا يَقُولُونَ : ثَلَاثَةٌ  
 أَنْفُسٍ . وَالنَّفْسُ مُؤَنَّثَةٌ وَأَمَّا حَمْلُهُ عَلَى مَعْنَى الْإِنْسَانِ أَوْ مَعْنَى الشَّخْصِ

عَلَيْهِ نَحْوُ : اَنُوَا اَلْيَتَامَى اَمْوَالَهُمْ . اَيِ اَلَّذِينَ كَانُوا يَتَامَى لِاَنَّهُمْ  
لَا يُؤْتُونَ اَمْوَالَهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا وَلَا يَتِمَّ بَعْدُ اَلْبُلُوغِ . ( وَمِنْهُ ) تَسْمِيَةُ  
اَلشَّيْءِ بِاسْمِ مَا يُؤْوَلُ اِلَيْهِ نَحْوُ : اِنِّي اَرَانِي اَعْصِرُ خُمْرًا اَيِ عِنَبًا .  
يُعَصْرُ فَيُؤْوَلُ اِلَى اَلْخَمْرِ . وَكَقَوْلِهِ : وَلَا يَلِدُوا اِلَّا كُفَرًا . اَيِ صَارًا  
اِلَى اَلْكُفْرِ . ( وَمِنْهُ ) تَسْمِيَةُ اَلشَّيْءِ بِاسْمِ مَحَلِّهِ نَحْوُ : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ  
اَيِ اَهْلَ نَادِيِهِ . اَيِ مَجْلِسِهِ . وَكَقَوْلِهِ : اَسْأَلِ اَلْقُرْبَى اَلَّتِي كُنَّا فِيهَا .  
اَيِ اَهْلِهَا . ( وَمِنْهُ عَكْسُهُ ) اَيِ اِطْلَاقِ اسْمِ اَلْحَالِ عَلَى اَلْحَلِّ .  
نَحْوُ : حَامُوا فِي رَحْمَةِ اللهِ اَيِ فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّهَا مَحَلُّ اَلرَّحْمَةِ . ( وَمِنْهُ )  
تَسْمِيَةُ اَلشَّيْءِ بِاسْمِ اَلَّتِي نَحْوُ : وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ .  
اَيِ اجْعَلْ لِي ثَنَاءً حَسَنًا وَاللِّسَانُ آلَةُ اَلصِّدْقِ وَالتَّنَاءُ . ( وَمِنْهُ ) تَسْمِيَةُ  
اَلشَّيْءِ بِاسْمِ صِدِّهِ نَحْوُ : فَنَبِّئْهُمْ بِعَذَابِ اَلْإِيمِ . اَيِ اَنْذِرْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ .  
وَتَقُولُ اَلْعَرَبُ لِلرَّجُلِ تَسْتَجِبُهُ : يَاعَاقِلُ . وَاَلْمَرْأَةَ تَسْتَجِبُهَا : يَا قَرُ .  
( وَكَذَلِكَ ) يَقْلِبُونَ الْمَعْنَى نَحْوُ : عَرَضْتُ اَلنَّاقَةَ عَلَى اَلْحَوْضِ . يُرِيدُونَ  
اَلْحَوْضَ عَلَى اَلنَّاقَةِ . ( وَمِنْهُ ) وَصْفُ اَلشَّيْءِ بِمَا يَقَعُ فِيهِ أَوْ يَكُونُ  
مِنْهُ نَحْوُ : يَوْمٌ عَاصِفٌ . اَيِ عَاصِفُ الرِّيحِ . وَلَيْلٌ نَائِمٌ وَسَاهِرٌ وَصَائِمٌ  
اَيِ يُنَامُ فِيهِ وَيُسَهِّرُ وَيُصَامُ . ( وَمِنْهُ ) إِضَاقَةُ اَلْفِعْلِ إِلَى مَا لَا يَضِلُّ  
أَوْ تَشْبِيهًا . كَقَوْلِهِ : جِدَارٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ . وَلَا إِرَادَةَ لِلْجِدَارِ . وَلَكِنَّهُ  
تَوَسَّعَ اَلْعَرَبُ فِي اَلْحِجَازِ فَعَبَرُوا عَنْ اَلْجَمَادِ بِفِعْلِ اَلْإِنْسَانِ كَمَا قَالَ  
الرَّاجِزُ :

اِمْتَلَأَ اَلْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي



أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّرَاقِ . يُرِيدُ الْإِغْلَةَ وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ  
الْأَصَابِعِ . وَالْعَرَضُ مِنْهُ الْمُبَالَغَةُ كَأَنَّهُ جَعَلَ جَمِيعَ الْأَصَابِعِ فِي الْأُذُنِ  
لِتَلَّا يَسْمَعَ شَيْئًا مِنَ الصَّاعِقَةِ . (وَمِنْ سُنَنِهِمْ) أَيْضًا الْإِثْنَانُ بِالْجَمْعِ  
وَيُرِيدُونَ بِهِ الْوَاحِدَ كَقَوْلِهِ : مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَغْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ .  
وَإِنَّمَا أَرَادَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : أَفْعَلًا ذَلِكَ . وَالتَّخَاطَبُ  
وَاحِدٌ . وَكَقَوْلِهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ . وَهُوَ خِطَابٌ لِحَازِنِ  
النَّارِ وَحْدَهُ . وَكَمَا قَالَ الْأَعَشَى :

وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدَا  
وَيُقَالُ إِنَّهُ أَرَادَ : وَاللَّهُ فَاعْبُدْنِ . فَقَلَّبَ التَّنُونِ الْخَفِيفَةَ الْفَاءَ .

وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ . (وَمِنْ أَنْوَاعِ) الْعِلَاقَةِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي  
أَنْجَازِ الْمُرْسَلِ مَا يَقُودُ إِلَى (الِاسْتِزَامِ) وَهُوَ مَا أَقْتَضَى مَعْنَاهُ مَعْنَى آخَرَ  
لِاجْلِ عِلَاقَتِهِ . (فَمِنْ ذَلِكَ) إِطْلَاقُ اسْمِ الْمَلْزُومِ عَلَى اللَّازِمِ وَاللَّازِمِ  
عَلَى الْمَلْزُومِ نَحْوُ : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ . أَيْ هَلْ يَفْعَلُ . أَطْلَقَ الْإِسْطِطَاعَةَ  
عَلَى الْفِعْلِ لِأَنَّهَا لَازِمَةٌ لَهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُرْسِلُ السَّمَاءَ مَدْرَارًا . أَيْ  
الْمَطَرَ . لِأَنَّهُ مِنْهَا يَنْزِلُ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ سَبَبِهِ . كَقَوْلِهِ : مَا كَانُوا  
يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ . أَيْ الْقَبُولَ وَالْعَمَلَ بِهِ لِأَنَّهُ يَتَسَبَّبُ عَنِ السَّمْعِ .  
وَكَقَوْلِهِ : رَعَيْنَا الْغَيْثَ . أَيْ النَّبَاتَ الَّذِي سَبَبُهُ الْغَيْثُ . (وَعَكْسُهُ)  
تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مُسَبِّبِهِ نَحْوُ : أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا . أَيْ غَيْثًا  
يَكُونُ النَّبَاتُ مُسَبَّبًا عَنْهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا .  
أَيْ مَطَرًا وَهُوَ مِنْ تَوَابِعِهِ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَا كَانَ

وَالْقَطْعَ وَالْأَخْذَ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَأَنْوَاعُ الْعَلَاقَةِ الْمُعْتَبَرَةِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا  
عَائِدَةٌ إِلَى (التَّضْمَنِ) وَهِيَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ . (فَمِنْ  
النُّقْصَانِ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ وَإِطْلَاقُ الْخَاصِّ لِلْعَامِّ . وَهَذَا  
مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ يَقْتَصِرُونَ عَلَى بَعْضِ الشَّيْءِ وَهُمْ يُرِيدُونَ  
كُلَّهُ فَيَقُولُونَ : قَعَدَ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نَعَالِهِمْ

وَكَقَوْلِ لَبِيدٍ :

أَوْ يَرِيطُ بَعْضَ النَّفُوسِ جَمَاهُمَا

وَفِي الْقُرْآنِ : قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ . وَالْمُرَادُ يَغُضُّوْا  
أَبْصَارَهُمْ كُلَّهَا . (وَكَذَلِكَ) يَصِفُونَ أَلْبَعْضَ بِصِفَةِ الْكُلِّ كَقَوْلِهِ :  
نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ . فَالْخَطَأُ صِفَةُ الْكُلِّ وَصَفَ بِهِ النَّاصِيَةَ . وَمِثْلُ  
ذَلِكَ إِطْلَاقُهُمْ لَفْظَ (بَعْضٍ) مُرَادًا بِهِ الْكُلِّ كَقَوْلِهِ : لِأَبَيْنَ لَكُمْ  
بَعْضَ الَّذِي تَحْتَلِفُونَ فِيهِ أَيِ كُلَّهُ . وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ أَنْ تُقِيمَ الْوَاحِدَ  
مَقَامَ الْجَمْعِ فَيَقُولُونَ : قَرَرْنَا بِهِ عَيْنًا . أَيْ أَعَيْنَا . وَكَقَوْلِهِ : لَا تَفَرِّقْ  
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ . وَالتَّفَرِّيقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ اثْنَيْنِ . وَالتَّقْدِيرُ : لَا تَفَرِّقْ  
بَيْنَهُمْ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ سُنَّةُ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولُوا لِلرَّجُلِ الْعَظِيمِ وَالْمَلِكِ  
الْكَبِيرِ : انْظُرُوا فِي أَمْرِي . وَلِأَنَّ السَّادَةَ وَالْمُلُوكَ يَقُولُونَ : نَحْنُ  
فَعَلْنَا وَإِنَّا أَمَرْنَا . فَعَلَى قَضِيَّةِ هَذَا الْإِبْتِدَاءِ يُخَاطَبُونَ فِي الْجَوَابِ .  
(وَمِنْ الزِّيَادَةِ) وَهُوَ عَكْسُ مَا قَبْلَهُ إِطْلَاقُ اسْمِ الْعَامِّ لِلْخَاصِّ وَمِنْهُ  
بَابُ التَّخْصِصِ بِأَسْرِهِ وَإِطْلَاقُ اسْمِ الْكُلِّ عَلَى أَجْزَائِهِ نَحْوُ : يَجْعَلُونَ

الْأَشْيَاءُ . (الرَّابِعُ) أَنْ تَذْكُرَ الشَّيْءَ ثُمَّ تَذْكُرَ مَعَهُ لَفْظًا مُشْتَرَكًا  
بَيْنَ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُلَايِمُ الْأَوَّلَ وَالْآخِرُ لَا يُلَايِمُهُ فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ  
أَنَّهُ مُرَادِفُ الْمُلَايِمِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ . وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ إِيهَامُ النَّظِيرِ .  
كَقَوْلِ الْقَائِلِ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُجَسَّبَانِ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ .  
فَيَتَوَهَّمُ مُرَاعَاةَ النَّظِيرِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّجْمِ النَّبَاتُ لَا  
الْكَوْكَبُ لِعَظْفِ الشَّجَرِ عَلَيْهِ

### البحث العاشر

#### في المجاز المرسل

( عن السكاكي والدسوقي والثعالبي باختصار )

( راجع صفحة ٣٣ من علم الادب )

إِنَّ عِلَاقَةَ الْمَجَازِ الْمُصَحَّحَةِ لَهُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُشَابِهَةً الْمَقُولِ  
إِلَيْهِ بِالْمَقُولِ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَيُسَمَّى الْمَجَازُ اسْتِعَارَةً كَمَا مَرَّ . وَإِمَّا أَنْ  
تَكُونَ عِلَاقَةُ الْمَجَازِ غَيْرَ الْمُشَابِهَةِ فَيُسَمَّى مُرْسَلًا كَلَفِظَ الْيَدُ إِذَا  
اسْتَعْمِلَ فِي التَّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ كَمَا يُقَالُ : جَلَّتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي . أَيْ  
كَثُرَتْ نِعْمَتُهُ لَدَيَّ . وَاتَّسَعَتْ أَيْدِي فِي الْبَلَدِ . وَأَيْدِي فِي اللُّغَةِ الْغُضُوفُ  
الْمَخْصُوصُ وَالْعِلَاقَةُ كَوْنُ ذَلِكَ الْغُضُوفِ مَصْدَرًا لِلنِّعْمَةِ فَإِنَّهَا تَصِلُ  
إِلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ مِنْ أَيْدٍ فَتَكُونُ جَارِحَةً الْمَخْصُوصَةِ بِمَثَرَةِ الْعِلَّةِ  
الْفَاعِلِيَّةِ لَهَا . وَآيضًا بِأَيْدٍ تَظْهَرُ النِّعْمَةُ فَتَكُونُ بِمَثَرَةِ الْعِلَّةِ الصُّورِيَّةِ  
لَهَا . وَإِذَا اسْتَعْمِلَتْ لِلْقُدْرَةِ فَلِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَظْهَرُ سُلْطَانُ الْقُدْرَةِ فِي  
أَيْدٍ وَبِهَا تَكُونُ الْأَفْعَالُ الدَّالَّةُ عَلَى الْقُدْرَةِ مِنَ الْبَطْشِ وَالضَّرْبِ



الْمَقْدَارِ . وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ التَّقْوِيفُ إِشْبَاهَهُ بِالْقَوْبِ الْمَقْوَفِ وَهُوَ  
الَّذِي فِيهِ خُطُوطٌ مُسْتَوِيَةٌ وَتَشْبِيهُ الْجَمَلِ بِاسْتِوَاءِ تِلْكَ الْخُطُوطِ .  
وَتَكُونُ هَذِهِ الْجُمْلُ طَوَالًا كُلُّهَا أَوْ مُتَوَسِّطَةً . وَكُلُّهَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ  
آخِرُهَا فِي بَعْضِ جُزْءِ التَّفْعِيلِ وَهِيَ الْمُدْحَجَةُ . وَإِمَّا أَنْ يُوَافِقَ آخِرُهَا  
آخِرَ جُزْءِ التَّفْعِيلِ وَهِيَ الْغَيْرُ الْمُدْحَجَةُ وَهُوَ الْأَحْسَنُ . فَمِنْ قَوْلِ ابْنِ  
عَيْنٍ :

دَعَتْ فِي آعَالِي السُّغْدِ يَوْمًا حَمَامَةً      عَلَى فَنٍّ مِنْ كُلِّ رِيَانٍ كَالْيَمِّ  
فَهَا جَتْ مَشُوقًا وَاسْتَفَزَتْ مُتِيَمًا      وَأَبَكَتْ غَرِيبًا وَاسْتَحَفَّتْ أَخَا عِلْمٍ  
( السُّغْدُ مَوْضِعٌ بِسَمَرْقَنْدَ قَدْ أُخْذَ لِلزَّاهَةِ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي  
الْحُسْنِ ) . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي مَدْحِ :

وَالدَّهْرُ يُقْبِلُ أَنْ تُثْقِلَ وَيَعْرِضُ أَنْ      تُعْرِضَ وَغَيْرَ الَّذِي قَدَرْتُمْ لَمْ يَرْمِ  
أَنْ قُلْتَ يَسْمَعُ وَإِنْ تَأْمُرْ يُطِيعُ وَمَتَى      فَعَلْتَ تَسْعَدُ وَإِنْ لَاحَظْتَ تَحْتَرِمُ  
وَقَدْ بَلَغَ بِهَا الْكُنْتِي إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةِ جُمْلَةٍ لَكِنْ بِغَيْرِ حَرْفٍ  
عَظْفٍ فَتَقَلَّتْ وَخَرَجَتْ عَنْ سِلْكِ الْبَلَاغَةِ . وَهِيَ قَوْلُهُ :

أَقِلْ أَيْلَ أَقْطِعْ أَحْمِلْ عَلَى سَلٍّ أَعِدْ      زِدْ هَشَّ بَشٍّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلْ  
( الثَّلَاثُ ) مِنْ مُرَاعَاةِ الظَّنِّ أَنْ تَذْكُرَ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ وَيُحْتَمُّ  
الْكَلَامُ بِشَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُلَاحِظُ وَاحِدًا بِمَا تَقَدَّمَ . وَالْآخَرُ يُلَاحِظُ  
الْآخَرَ . وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ تَنَاسُبَ الْأَطْرَافِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : لَا تُذَرِكُهُ  
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ . وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ . فَالْلَّطِيفُ يُنَاسِبُ  
مَا لَا يُدْرِكُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَفَاءِ . وَالْخَيْرُ يُنَاسِبُ مَنْ هُوَ مُدْرِكُ اللَّطَائِفِ

مَلِجٌ مِنْ عَيْبٍ . وَلَا خَلَا مِنْ مَرْفُوعٍ رَيْبٌ . فَمَعَ هَذِهِ الْحَاسِنِ الظَّرِيفَةِ  
 نَا سَلِمَ الْبَيْتَانِ مِنْ عَيْبِ الْقَافِيَةِ . فَقَدْ غَيَّرَ النَّاطِمُ كَسْرَةَ الدَّخِيلِ عَلَى  
 الضَّمَّةِ . وَجَاءَ فِي ذَلِكَ بِمَا عَابَهُ كُلُّ أَدِيبٍ وَذَمَّهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ السَّلَامِيِّ :  
 وَالنَّفْعُ ثَوْبٌ بِالشُّورِ مُطَرَّرٌ وَالْأَرْضُ قَرْشٌ بِالْحِيَادِ مُحْمَلٌ  
 وَسُطُورٌ خَيْلُكَ إِنَّمَا أَلْفَاثُهَا سُمُرٌ تُنْقِطُ بِالدِّمَاءِ وَتُشْكَلُ  
 نَاسِبَ بَيْنِ الثَّوْبِ وَالطَّرِيزِ وَالْحَمَلِ وَبَيْنَ السُّطُورِ وَالْأَلْفَاتِ  
 وَالنَّقِطِ وَالشَّكْلِ

( تَنْبِيْهُ ) وَلَوْ ذُكِرَ الشَّيْءُ مَعَ مَا لَا يُنَاسِبُهُ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ  
 عَيْبًا . كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِينًا مَبْرُورَةً لَا تُكَذِّبُ  
 بِرَبِّ زَمَرٍ وَالْحَوْضِ وَالصَّفَا وَالنَّحْصِ  
 عَابُوا عَلَيْهِ ذِكْرَ الْحَوْضِ مَعَ زَمَرٍ وَالصَّفَا وَالنَّحْصِ . وَإِنَّهُ غَيْرُ  
 مُنَاسِبٍ ذِكْرُهُ مَعَهَا . وَإِنَّمَا يُنَاسِبُ ذِكْرُ الْحَوْضِ مَعَ الْيَزَانِ وَالصِّرَاطِ  
 وَشِبْهَيْهِمَا بِمَا هُوَ مُنَوِّطٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

( تَنْبِيْهُ ثَانٍ ) لَوْ جَاءَ الْكَاتِبُ بِمُتَنَاسِبِينَ فَأَفْرَدَ أَحَدَهُمَا وَثَنَى  
 الْآخَرَ أَوْ جَمَعَهُ وَمَا أَشَبَهَ ذَلِكَ كَانَ عَيْبًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَلَا يَا بَنَ الْاَذِينَ فَنُوا وَمَاتُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لِيَبْقَى  
 وَمَا لَكَ فَأَعْلَمَنْ فِيهَا بَقَاءُ إِذَا اسْتَكْمَلْتَ أَجَالًا وَرَزَقَا  
 فَجَمَعَ (الْأَجَلَ) وَأَفْرَدَ (الرِّزْقَ) مَعَ أَنَّهِمَا مُتَنَاسِبَانِ . ( الثَّانِي ) أَنْ  
 يُذْكَرَ شَيْءٌ أَوْ أَشْيَاءُ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فِي جَمَلٍ مُسْتَوِيَةٍ

وَقَالَ آخَرُ : اَلْخَطُّ مَرْكَبُ اَلْيَاسَانِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : اَلْقَلَمُ لِسَانُ اَلْيَاسَانِ .  
وَسَمِعْتُ بَعْضَ اَلْأَطْبَاءِ يَقُولُ : اَلْمَاءُ مَطِيَّةُ اَلطَّعَامِ . وَقَالَ اَلْحَسَنُ بْنُ  
وَهْبٍ لِكِتَابِهِ : لَا تُكْذِرْ مَاءً مَعْرُوفِي بِالْمَنْ فَإِنْ اَعْتَدَاكَ بِالْمَعْرُوفِ  
يَعْقِلُ لِسَانَ الشُّكْرِ . وَآمَثَالُ هَذَا كَثِيرٌ فِي مَنْشُورِ اَلْكَلَامِ وَفِي مَا أوردناه  
كِفَايَةً . وَامَّا اَلْاِسْتِعَارَةُ فِي أَشْعَارِ اَلْمُتَقَدِّمِينَ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى

### البحث التاسع

#### في مراعاة النظر

( من شرح بديعية العميان لابن جابر الاندلسي باختصار )

( راجع صفحة ٣١ من علم الادب )

يُسَمَّى أَيْضًا هَذَا النُّوعُ اَلتَّنَاسُبُ وَاَلْإِتِّلَافُ وَاَلتَّوْفِيقُ وَاَلْمُؤَاخَاةُ .  
وَهُوَ فِي أَصْطِلَاحِ اَلْبَدِيعِيِّينَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا عَلَى  
جِهَةِ اَلتَّضَادِّ . وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ . ( اَلأَوَّلُ ) يُذَكِّرُ فِيهِ الشَّيْءُ  
مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فَقَطُّ كَقَوْلِ ابْنِ اَلْحَشَّابِ لِلْخَلِيفَةِ اَلْمُسْتَضِيِّ :  
وَرَدَّ اَلْوَرْدَى سَلْسَالَ جُودِكَ فَارْتَوَا وَوَقَفْتُ دُونَ اَلْوَرْدِ وَفَقَّةَ حَائِمِ  
ظَمَانٍ أَطَابُ ضِفَّةً مِنْ رَحْمَةٍ وَاَلْوَرْدُ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَرَاحِمِ  
فَأَنْظِرْ حُسْنَ هَذَيْنِ اَلْبَيْتَيْنِ كَيْفَ جَرِيَا كَأَمَّا فِي طُلَاوَتِهِ . وَوَقَعَا  
مِنْ اَلْقُلُوبِ كَالشَّهْدِ فِي حَلَاوَتِهِ . مَعَ أَنَّ نَاطِقَهُمَا مَا خَرَجَ عَنْ وَصْفِ  
اَلْمَاءِ كَلَامُهُ . وَلَا تَعْدَى ذَلِكَ اَلْمَعْنَى نِظَامُهُ . فَأَوْدَعَهُمَا فِي عَشْرِ مَوَاضِعَ  
مُرَآةِ اَلنَّظِيرِ . فِيهَا مِنْ اَلْحُسْنِ مَا لَيْسَ لَهُ مِنْ نَظِيرٍ . لَكِنَّهُ مَا سَلِمَ



وَأَكْثَرُ تَجَرُّمًا عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ . يَصُومُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيُفْطِرُونَ عَلَى  
الْمُحْشَاءِ . وَذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ تَغْدُو إِلَيْهِ مَوَاكِبُ  
الضَّلَالَةِ وَتَرْجِعُ مِنْ عِنْدِهِ بُدُورٌ إِلَّا تَأْمَ مُعْدِمٌ بِمَا يَحِبُّ مِثْرٌ بِمَا يُكْرَهُ .  
وَقَالَ آخَرُ : مَا رَأَيْتُ دَمْعَةً تَرْقُقُ فِي عَيْنٍ وَتَجْرِي عَلَى خَدِّ آخَرٍ مِنْ  
عَبْرَةٍ أَمْطَرَتْهَا عَيْنَاهُ وَأَعَشَبَ لَهَا قَلْبِي . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَذَكَرَ زُهَادًا :  
فَارَ قَوْمٌ أَدَبَتْهُمْ الْحِكْمَةُ وَأَحْكَمَتْهُمْ التَّجَارِبُ وَلَمْ تَغْرِزْهُمْ السَّلَامَةُ  
الْمُنْطَوِيَّةُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ . وَرَحَلَ عَنْهُمْ التَّسْوِيفُ الَّذِي قَطَعَ بِهِ النَّاسُ  
مَسَاقَةَ آجَالِهِمْ وَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ تَرَكُوا التَّعِيمَ لِيَتَنَعَمُوا  
لَهُمْ عِبَرَاتٌ مُتَدَايِعَةٌ لَا يَرَاهُمْ إِلَّا فِي وَجْهِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهِهِ . وَوَصَفَ  
أَعْرَابِيٌّ وَإِلَيَّا فَقَالَ : كَانَ إِذَا وُلِّيَ لَمْ يُطَاقِ بَيْنَ جُفُونِهِ وَإِرْسَالِ  
الْعُيُونِ عَلَى عُيُونِهِ . فَهُوَ شَاهِدٌ مَعَهُمْ غَائِبٌ عَنْهُمْ فَالْحُسْنُ أَوْنٌ وَالْمُسِيءُ  
خَائِفٌ . وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَلْفَهُمْ مِنْهُ ذَا أُذُنَيْنِ وَالْجَوَابُ  
مِنْهُ ذَا لِسَانَيْنِ . لَمْ أَرِ أَحَدًا كَانَ أَرْتَقَى لِحْلُلِ السَّرَاءِ مِنْهُ كَانَ بَعِيدَ  
مَسَاقَةِ الرَّأْيِ يَرْمِي بِطَرْفِهِ حَيْثُ أَشَارَ الْكَرَمُ . وَمَا زَالُ يَتَحَسَّى مَرَارَةَ  
الْأَخْوَانِ وَيُسَيِّغُهُمُ الْعَذْبُ . وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ قُوَّةَهُ فَقَالَ : إِذَا أَصْطَفُوا  
تَحْتَ الْقَتَامِ سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السِّهَامُ بِوُقُوفِ الْحِمَامِ . وَإِذَا تَصَافَحُوا  
بِالسُّيُوفِ فَغَرَّتِ الْمَنَائِيَا بِأَفْوَاهِهَا . فَكَمْ مِنْ يَوْمٍ عَارِمٍ قَدْ أَحْسَنُوا  
أَدَبَهُ وَحَرْبِ عُبُوسٍ قَدْ ضَاكَتْهَا أَسِنَّتُهُمْ وَخُطِبِ قَدْ ذَلِيلُوا مَنَاكِبَهُ .  
إِنَّمَا كَانُوا كَالْبَحْرِ الَّذِي لَا يَنْكَشِ غِمَارُهُ وَلَا يُنْهَنُ تَيَّارُهُ . وَقِيلَ  
لِأَعْرَابِيٍّ : لِمَ لَا تَشْرَبُ الْبَيْدَ . فَقَالَ : لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي .

أَرْشِيَةِ الْمَوْتِ وَاسْتَقْوَاهَا أَرْوَاحَ الْعَدُوِّ . وَقَالَ آخَرُ : فَلَنْ أَمْلَسُ لَيْسَ  
فِيهِ مُسْتَقَرٌّ بَحِيرٌ وَلَا شَرٌّ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ وَقَدْ شَتَّمَهُ رَجُلٌ بَيْنَ  
يَدَيِ الْأُمَمُونَ : رَأَيْتُهُ يَسْتَمْلِي مَا يَلْقَانِي بِهِ مِنْ عَيْنِكَ . وَقِيلَ لِأَعْرَافِي :  
أَيُّ طَعَامٍ أَطِيبُ . قَالَ : الْجُوعُ أَبْصَرُ . وَمَدَحَ أَعْرَافِي رَجُلًا قَالَ :  
كَانَ يَفْتَحُ مِنَ الرَّأْيِ أَبْوَابًا مُنْسَدَةً وَيَغْسِلُ مِنَ الْغَارِ وَجُوهًا مُسَوْدَةً .  
إِذَا عَرَضَتْ لَهُ زِينَةُ الدُّنْيَا هَجَّتْهَا صُورَةُ الْحَمْدِ عِنْدَهُ وَإِنَّ لِلْمَصَانِعِ  
لَعَارَةً عَلَى أَمْوَالِهِ كَعَارَةِ سُيُوفِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ . وَمَدَحَ أَعْرَافِي قَوْمًا  
فَقَالَ : أُولَئِكَ غُرٌّ تُضِيءُ فِي ظُلَمِ الْأُمُورِ الْمَشْكِلَةِ قَدْ صَغَتْ  
أَذَانُ النَجْدِ إِلَيْهِمْ . وَقَالَ أَعْرَافِي يَدَّحُ رَجُلًا : إِنَّهُ لَيُعْطِي عَطَاءَ  
مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَادَّتُهُ . وَمَدَحَ أَعْرَافِي رَجُلًا فَقَالَ : لِسَانُهُ أَخْلَى  
مِنَ الشَّهَدِ وَقَلْبُهُ سِجْنُ الْحَقْدِ . إِنْ آسَأَتْ إِلَيْهِ أَحْسَنَ وَكَانَتْهُ أَلْسِنِي .  
وَإِذَا أَجْرَمْتَ غَفَرَ وَكَانَتْهُ النُّجْرُمُ . إِشْدَى بِالْمَعْرُوفِ عَرْضَهُ مِنَ الْأَذَى  
فَهُوَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا فَوَهَبَهَا رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ  
حُقُوقًا لَا يَسْتَعِزُّ بِهَا خَلْقِي وَلَا يَسْتَحْسِنُ غَيْرَ الْوَفَاءِ . وَقَالَ أَعْرَافِي لِرَجُلٍ :  
لَا تُدَسِّسْ شَعْرَكَ بِعِرْضِ فُلَانٍ فَإِنَّهُ سَمِينُ الْأَمَالِ مَهْزُولُ الْمَعْرُوفِ مِنْ  
الْمَرْزُوقِينَ مُجَاءَةً قَصِيرُ عُمُرٍ أَلْفَنِي طَوِيلُ حَيَاةٍ أَلْفَقِرَ . وَسَالَ أَعْرَافِي  
فَقِيلَ لَهُ : عَلَيْكَ بِالْأَصْيَارِ . فَقَالَ : هُنَاكَ قَرَارَةُ اللَّوْمِ . وَذَكَرَ  
أَعْرَافِي قَوْمًا فَقَالَ : أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ سَلَخَتْ أَقْفَاءَهُمْ بِالْهَجَاءِ وَدَبَّتْ  
جُلُودُهُمْ بِاللَّوْمِ . فَلَبَّسَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَلْمَامَةً وَزَادَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
الْأَلْدَامَةَ . وَذَمَّ أَعْرَافِي قَوْمًا فَقَالَ : هُمْ أَقَلُّ ذُنُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ



فِي مَالِهِ وَرَغْبَةٍ فِيمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ وَأَشْرَبَ قَلْبُهُ الْإِشْفَاقَ . فَهُوَ يَحْسِدُ عَلَى  
 الْقَلِيلِ وَيَسْخَطُ عَلَى الْكَثِيرِ جَزُلُ الظَّاهِرِ حَزِينُ الْبَاطِنِ . فَإِذَا  
 وَجَبَتْ نَفْسُهُ وَفَرَّ عَمْرُهُ وَضَحَّى ظِلُّهُ حَاسِبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاشْدَّ حِسَابَهُ  
 وَأَقْلَّ عَقْرَهُ . وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَاذِيَةِ فَارِسَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ  
 الَّذِي قَصَرَ خِدْمَتَكُمْ وَفَرَّقَ كَلِمَتَكُمْ . وَقَالَ الْحَجَّاجُ : دُلُّونِي عَلَى  
 رَجُلٍ سَمِينٍ أَلَامَاتِهِ أَنْجَفِ الْحَيَاةَ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ : الرَّأْيُ  
 لِأَصْحَابِهِ لِاخْتِيَارِ فِي الرَّأْيِ الْفَطِيرِ وَالْكَلَامِ الْقَضِيبِ . فَلَمَّا بَايَعُوهُ  
 قَالَ : دَعُوا الرَّأْيَ يَغِبُ فَإِنَّ غُيُوبَهُ يَكْشِفُ لَكُمْ عَنْ مَحَلِّهِ . وَقِيلَ  
 لِأَعْرَابِيٍّ : إِنَّكَ لَحَسَنُ الْكِدْيَةِ . قَالَ : عِنْوَانُ نِعْمَةٍ لِلَّهِ عِنْدِي .  
 وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الْحِلْمُ دِعَامَةُ الْعَمَلِ . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ  
 لِرَجُلٍ : رَجِمَ اللَّهُ أَبَاكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرِي الْعَيْنَ جَمَالًا وَالْأَذْنَ بَيَانًا .  
 وَقِيلَ لِرُؤُوبَةٍ : كَيْفَ تَرَكْتَ مَا وَرَاكَ . قَالَ : التُّرَابُ يُابِسُ وَالْمَالُ  
 عَابِسٌ . وَقَالَ الْمَنْصُورُ لِبَعْضِهِمْ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ بَخِيلٌ . قَالَ مَا أَجْهَدُ  
 فِي حَقِّ وَلَا أَدُوبُ فِي بَاطِلٍ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ : قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ  
 أَبْنِ الْحُسَيْنَ : إِنِّي لِأُحِبُّكَ . قَالَ : رَأَيْدُ ذَلِكَ عِنْدِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :  
 الْإِسْطِطَالَةُ لِسَانُ الْجَهْلَاءِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : الشُّكْرُ كُفُو النِّعْمَةِ .  
 وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : خَرَجْتُ فِي لَيْلَةٍ حَنْدِسٍ قَدْ أَلْقَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ  
 أَذْرَاعَهَا فَفَحَّتْ صُورَةُ الْأَبْدَانِ فَأَكُنَّا نَتَعَارَفُ إِلَّا بِالْأَذَانِ . وَقَالَ  
 أَعْرَابِيٌّ لِآخَرَ : يَسَارُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ يَسَارِ الْمَالِ وَرُبَّ شَبْعَانٍ مِنْ  
 التِّعْمِ غَرَقَانَ مِنَ الْكَرَمِ . وَقَالَ آخَرُ فِي حَرْبٍ : جَعَلُوا الْحَرْبَ



وَيَقُولُونَ : ضَحِكَ السَّحَابُ بِالْبَرْقِ وَحَنَ بِالرَّعْدِ وَبَكَى بِالْقَطْرِ .  
وَيَقُولُونَ : لَقِيتُ مِنْ فُلَانٍ عَرَقَ الْقُرْبَةَ أَيَّ شِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ . ( وَأَصْلُ  
هَذَا أَنَّ حَامِلَ الْقُرْبَةِ يَتَعَبُ مِنْ ثِقَلِهَا حَتَّى يَعْرِقَ ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :  
لَقِيتُ مِنْهُ عَرَقَ أَجْبِينَ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : بِأَرْضِ فُلَانٍ شَجَرٌ قَدْ صَاحَ .  
وَذَلِكَ إِذَا طَالَ فَتَبَيَّنَ لِلنَّظِيرِ بِطُولِهِ وَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّ الصَّاحِمَ  
يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصَوْتِهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْعَجَّاجِ :

كَالْكُرْمِ إِذَا نَادَى مِنَ الْكَافُورِ

وَمِمَّا جَاءَ أَيْضًا فِي هَذَا الْبَابِ فِي الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ  
وغيرِهِمْ مَا نَصَّهُ : أَلْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ . وَقَوْلُهُ : أَذْكَرُوا هَادِمَ  
الذَّاتِ . وَقَوْلُهُ : اخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَقَوْلُهُ :  
أَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَقَوْلُهُ : أَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا . وَقَوْلُهُ :  
وَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِ أَلْعَذَابِ . وَقَوْلُهُ : لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ .  
وَقَالَ عَلِيٌّ : السَّفَرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ . وَقَالَ : وَأَمَّا وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُ  
الْإِسْلَامِ . وَلَهُ قَوْلُهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : أَرِغِبْ رَاغِبُهُمْ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ  
عَنْهُمْ . وَقَوْلُهُ : أَلْعِلْمُ قُفْلٌ مِفْتَاحُهُ الْمَسْئَلَةُ . وَقَوْلُهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَانَةُ  
تَوَآمَانِ يُلْتَجِهُمَا عُلُوُّ الْهَمَّةِ . وَقَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ يَصِفُ الدُّنْيَا :  
إِنَّ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي قَرْحَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا تَرْحَةٌ وَلَمْ يَلْقَ مِنْ  
سَرَابِهَا بَطْنًا إِلَّا أَمْتَحَتْهُ مِنْ قُرَابِهَا ظَهْرًا . وَلَمْ تُظْلَأْ فِيهَا غَابَةُ رِخَاءٍ إِلَّا  
هَبَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ . وَلَمْ يَسِ مِنْهَا فِي جَنَاحِ آمِنٍ إِلَّا أَضْجَعَ مِنْهَا  
عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللَّهُ

نُورَتْ حَدَائِقُ الْجَوِّ . شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ . لَبَسَتْ الشَّمْسُ جِلْبَابَهَا . قَامَ  
خَطِيبُ الرَّعْدِ . خَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ . اِحْتَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ . وَهِيَ عَمْدُ  
الْأَنْدَاءِ . اِنْقَطَعَ شَرِيَانُ النِّعَمِ . تَفَنَّنَ الرَّيِّعُ . تَغَطَّرَ النَّسِيمُ .  
تَبَرَّجَتِ الْأَرْضُ . قَوِيَ سُلْطَانُ الْحَرِّ . أَنْ أَنْ يَحْيِشَ مَرْجَلُهُ . وَيُثَوِّرَ  
قَسْطَلُهُ . اِحْتَصَرَ قِنَاعُ الصَّيْفِ . جَاشَتْ جُيُوشُ الْحَرْفِ . حَلَّتِ الشَّمْسُ  
الْمِيزَانَ . وَعَدَلَ الزَّمَانُ . دَبَّتْ عَقَابِرُ الْبَرْدِ . أَقْدَمَ الشِّتَاءُ كُلَّكَاهُ .  
ثَمَّابَتْ فَرَاقُ الْجِبَالِ . يَوْمَ عَبُوسٍ قَمَطِرِيٍّ . كَشَرَ عَنْ نَابِ الزَّمْهَرِيرِ .  
وَكَقَوْلِهِمْ فِي مُحَاسِنِ الْكَلَامِ : الْأَدَبُ غِذَاءُ الرُّوحِ . الشَّبَابُ  
بَاكُورَةُ الْحَيَاةِ . النَّارُ فَاكِهُةُ الشِّتَاءِ . الْعِيَالُ سُوسُ الْمَالِ . النَّبِيدُ كِيمِيَاءُ  
الْفَرَحِ . الْوَحْدَةُ قَبْرُ الْحَيِّ . الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرَجِ . الدِّينُ دَاءُ الْكِرَامِ .  
النَّمَامُ جِسْرُ الشَّرِّ . الْأَرْجَافُ زَنْدُ الْفِتْنَةِ . الشُّكْرُ نَسِيمُ النَّعِيمِ .  
الرَّيِّعُ شَبَابُ الزَّمَانِ . الْوَلَدُ رِيحَانَةُ الرُّوحِ . الشَّمْسُ قَطِيقَةُ الْمَسَاكِينِ .  
الطِّيبُ لِسَانُ الْمَرْوَةِ . وَيَسْمُونَ النَّبَاتَ نَوًّا . قَالَ : وَجَفَّ أَنْوَاءُ  
السَّحَابِ . أَيَّ جَفَّ الْبَقْلُ . وَيَقُولُونَ لِلْمَطَرِ سَمَاءً . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهَا وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا  
وَيَقُولُونَ : صَحِيكَتِ الْأَرْضُ إِذَا أَنْبَتَتْ لِأَنَّهَا تُبْدِي عَنْ حُسْنِ  
النَّبَاتِ كَمَا يَقْتَرِ الضَّاحِكُ عَنْ الثَّغْرِ . وَيُقَالُ : صَحِيكَتِ الظُّلْمَةُ .  
وَالْتَوَرَّدُ يَضَاحُ الشَّمْسُ . قَالَ الْأَعَشَى :

يُضَاحِكُ الشَّمْسُ مِنْهُ كَوَكَبٍ مُشْرِقٍ

نُورُ لَعِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهَلُ

## البحث الثامن

### في ما جاء من الاستعارات في كلام العرب

( عن كتاب الصناعتين للعسكري وسر العريّة للثعالبي )

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْعَرَبِ مِنَ الْأِسْتِعَارَاتِ فَكَثِيرٌ مِنْهُ  
 قَوْلُهُمْ : هَذَا رَأْسُ الْأَمْرِ وَوَجْهُهُ وَرَأْسُ أَمَلٍ . وَهَذَا الْأَمْرُ فِي جَنْبِ  
 غَيْرِهِ كَيْسِيرٌ . وَيَقُولُونَ : هَذَا جَنَاحُ الْحَرْبِ وَقَلْبُهَا وَجَنَاحُ الطَّرِيقِ .  
 وَهَؤُلَاءِ رُؤُوسُ الْقَوْمِ وَحَاجِمُهُمْ وَعَيْنُهُمْ . وَفُلَانٌ ظَهَرَ فُلَانٌ وَلِسَانُ  
 قَوْمِهِ وَنَاهِيَهُمْ وَعَضْدُهُمْ . وَهَذَا كَلَامٌ لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ . وَفِي الْعَرَبِ :  
 الْجَمَاجِمُ . وَالْقَبَائِلُ . وَالْأَفْحَاذُ . وَالْبُطُونُ . وَخَرَجَ عَلَيْنَا عُقٌّ مِنْ النَّاسِ  
 وَلَهُ عِذْيُ يَدٍ بَيْضَاءُ . وَهَذِهِ عَيْنُ الْمَاءِ . وَحَاجِبُ الشَّمْسِ . وَلِسَانُ  
 النَّارِ . وَهَذَا أَنْفُ الْجَبَلِ . وَبَطْنُ الْوَادِي . وَكَبِدُ السَّمَاءِ . وَسَاقُ  
 الشَّجَرَةِ . وَيَقُولُونَ فِي التَّفَرُّقِ : أَنْشَقَّتْ عَصَاهُمْ . وَشَالَتْ نَعَامَتُهُمْ .  
 وَمَرُّوا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا . وَكَقَوْلِهِمْ فِي أَشَدِّدِ الْأَمْرِ :  
 كَشَفَتْ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا . أَبْدَى الشَّرُّ نَاجِيَهُ . حَمَى الْوَطَيْسُ .  
 دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ . وَكَقَوْلِهِمْ فِي ذِكْرِ الْأَثَارِ الْعُلَوِيَّةِ : أَفْتَرَ الضُّبْحُ  
 عَنْ نَوَاجِذِهِ . ضَرَبَ بِعُمُودِهِ . سَلَّ سَيْفُ الضُّبْحِ مِنْ غِمْدِ الظَّلَامِ .  
 نَعَرَ الضُّبْحُ فِي قَمَا اللَّيْلِ . بَاحَ الصَّبَاحُ بِسِرِّهِ . وَهِيَ نِطَاقُ الْجَوَازِ .  
 انْحَطَّ قَنْدِيلُ الثَّرْيَا . دَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ . ارْتَفَعَ النَّهَارُ . تَرَجَلَتْ  
 الشَّمْسُ بِجِمَرَاتِ الظَّهِيرَةِ . بَقَلَ وَجْهُ النَّهَارِ . خَفَقَتْ رَايَاتُ الظَّلَامِ .



لَعَدَمِ الشَّبهِ الَّذِي لِأَجْلِهِ جَعَلَ لِلشِّرْكِ عُيُونًا. وَنَاقَلَ هَذَيْنِ الْبَيِّنَتَيْنِ  
لَا يَفْهَمُ مَعْنَى الْأَسْتِعَارَةِ لِأَنَّ النَّوَارَ وَالشِّرْكَ لَا عُيُونَ لَهُمَا عَلَى الْحَقِيقَةِ .  
وَقَدْ قُبِحَتْ اسْتِعَارَةُ الْعُيُونِ لِأَحَدِهِمَا وَحَسُنَتْ لِلْآخَرِ . وَالْعِلَّةُ فِيهِ أَنَّ  
النَّوَارَ يُشَبِّهُ الْعُيُونَ . وَالَّذِينَ وَالشِّرْكَ لَيْسَ فِيهِمَا مَا يُشَبِّهُهَا وَلَا يُقَارِبُهَا .  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَسْتِعَارَاتِ كَقَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ :

رَبَّنَا اَللِّسِيمُ بَوَادِيكُمُ وَلَا بَرَحَتْ حَوَامِلُ الْمُزْنِ فِي أَجْدَاثِكُمْ تَضَعُ  
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ النَّبْتِ يَرْضَعُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الْعَرَاصَةَ الَّتِي هُمُ  
لِأَنَّ الْمُزْنَ تَحْمِلُ الْمَاءَ وَإِذَا جَمَلَتْ تَضَعُهُ فَاسْتِعَارَةُ الْحَمْلِ لَهَا  
وَالْوَضْعُ الْمَعْرُوفَيْنِ مِنْ أَقْرَبِ شَيْءٍ وَأَشْبَهِهِ . وَكَذَلِكَ جَنِينُ النَّبْتِ  
لِأَنَّ الْجَنِينَ الْمَسْتُورَ مَأْخُودٌ مِنَ الْجَنَّةِ . وَإِذَا كَانَ النَّبْتُ مُسْتُورًا  
وَأَلْفَيْتُ يَسْقِيهِ كَانَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الرِّغْنَاعِ

وَأَمْثَالُ الْحَاسِنِ فِي ذَلِكَ وَالْمَسَاوِي كَثِيرَةٌ وَقَدْ أَخَذَ الْقَوْلُ  
فِي هَذَا الْبَابِ حَقَّهُ . مَعَ أَنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الْفَنِّ فِيهِ أَكْثَرُ  
مِنْ ذَلِكَ



وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ لَا أَرْضَى بِهِ غَايَةَ الرِّضَى وَلَوْ كُنْتُ  
 أَسْكُنُ إِلَى تَقْلِيدِ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَقَدْ لَدْتُهِ لِحُسْنِ  
 نَظَرِهِ وَصِحَّةِ فِكْرِهِ وَهُوَ عِنْدِي مِنَ الْوَسْطِ لَيْسَ مِنْ جَيْدِ الْإِسْتِعَارَةِ  
 وَلَا مِنْ رَدِيئِهَا . وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ أَفْصَحَ بِأَنَّ  
 أَفْرَأَ الْقَيْسِ لَمَّا جَعَلَ لِلَّيْلِ وَسْطًا وَعَجَزًا اسْتَعَارَ لَهُ اسْمَ الصُّلْبِ  
 وَجَعَلَهُ تَمَاطِيًا مِنْ أَجْلِ اسْتِدَادِهِ وَجَعَلَ الْكَلَّ كُلَّ مِنْ أَجْلِ  
 نُهُوضِهِ وَكُلُّ هَذَا إِنَّمَا يَحْسُنُ بَعْضُهُ لِأَجْلِ بَعْضٍ . فَذِكْرُ الصُّلْبِ إِنَّمَا  
 حَسَنَ لِأَجْلِ الْعَجَزِ . وَالْتِمَاطِي لِأَجْلِ الصُّلْبِ . وَالْكَلَّ كُلَّ لِحُجُوعِ  
 ذَلِكَ . وَهَذِهِ الْإِسْتِعَارَةُ الْمُبْنِيَّةُ عَلَى غَيْرِهَا فَلِذَلِكَ لَمْ أَرَأَنَّ تَجْعَلَ مِنْ  
 أَبْلَغِ الْإِسْتِعَارَاتِ وَكَانَتْ اسْتِعَارَةُ طُفَيْلِ الْغَنَوِيِّ فِي قَوْلِهِ :  
 وَجَعَلْتُ رَحْلِي فَوْقَ نَاحِيهِ يَقْتَاتُ شَحْمَةً سَنَامِهَا الرَّحْلُ  
 أَوْفَقِي وَأَوْضَحِي . لِأَنَّهَا غَنِيَّةٌ بِنَفْسِهَا غَيْرُ مُتَقَرِّرَةٍ إِلَى مُقَدِّمَةِ حَلِيَّتِهَا .  
 (وَقَالَ) وَقَدْ كُنْتُ مَثَلْتُ فِي بَعْضِ مَوَاضِعِ الْإِسْتِعَارَةِ الْحَمُودَةَ  
 وَالْمَذْمُومَةَ بَيْنَتَيْنِ أَحَدُهُمَا قَوْلُ ابْنِ بَنَاتَةَ :

حَتَّى إِذَا بَهَرُوا الْآبَاطِحَ وَالْأَثَرَى نَظَرُوا إِلَيْكَ بِأَعْيُنِ الثُّوَارِ  
 فَظَرُّ أَعْيُنِ الثُّوَارِ مِنْ أَشْبِهِ الْإِسْتِعَارَاتِ وَأَلْيَقِهَا . لِأَنَّ الثُّوَارَ  
 يُشَبِّهُ الْعُيُونَ إِذَا كَانَ مُقَابِلًا لِمَنْ يُرَى بِهِ كَأَنَّهُ مُنَاطِرٌ إِلَيْهِ . وَأَلْيَتُ  
 الثَّلَاثِي يَتُّ أَيْ تَمَامُ :

قَرَّتْ بِقُرَّانِ عَيْنِ الدِّينِ وَأَسْتَرَّتْ بِالْأَشْتَرِّ عَيْنِ الشَّرِكِ فَاصْطَلَحَا  
 وَقَرَّةُ عَيْنِ الدِّينِ وَأَسْتَرُّ عَيْنِ الشَّرِكِ مِنْ أَقْبَحِ الْإِسْتِعَارَاتِ

الشَّدَائِدَ لِإِسْتِرَاكِهَمَا فِي الْمَكْرُوهِيَّةِ . وَقَوْلِهِ : وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى  
الْقَضْبُ . وَالشُّكُوتُ وَالزَّوَالُ أَمْرَانِ مَعْقُولَانِ . ( الثَّالِثُ ) أَنْ  
يُسْتَعَارَ الْحُسُوسُ لِلْمَعْقُولِ كَاسْتِعَارَةِ النُّورِ الَّذِي هُوَ مُحْسُوسٌ  
وَاسْتِعَارَةِ الْقِسْطَاسِ لِلْعَدْلِ . وَكَقَوْلِهِ : بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ  
فَيَدْمَغُهُ . فَأَلْقَذِفُ وَالْدَمَغُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلِهِ : فَبَدَّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ .  
وَقَوْلِهِ : أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . الْوَادِي وَالْهَيْمَانُ  
مُسْتَعَارَانِ . ( الرَّابِعُ ) أَنْ يُسْتَعَارَ أُنْمُ الْمَعْقُولِ لِلْحُسُوسِ عَلَى التَّأْوِيلِ  
الْمَذْكُورِ فِي التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ : إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ  
تَكَادُ تَمُتُّ مِنْ الْغَيْظِ . فَالشَّهِيقُ وَالْغَيْظُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلِهِ : حَتَّى  
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا

### البحث السابع

#### في جيد الاستعارة ورديتها ومتوسطها

( عن كتاب الصناعتين وصناعة الترسيل )

قَالَ مُحَمَّدٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ الْخَفَاجِيُّ : وَقَدْ اخْتَارَ أَبُو الْقَاسِمِ  
ابْنُ بَشْرِ الْأَمْدِيُّ مِنْ جُمْلَةِ الْإِسْتِعَارَةِ قَوْلَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّي بِصُلْبِهِ وَارْدَفَ أَنْجَارًا وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍ  
وَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْإِسْتِعَارَةَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ . لِأَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ  
وَصَفَ أَحْوَالِ اللَّيْلِ فَذَكَرَ امْتِدَادَ وَسْطِهِ وَتَنَاوُلَ صَدْرِهِ لِلذَّبَابِ  
وَالْأَنْبَعَاثِ وَتَرَادُفَ أَنْجَارِهِ وَأَوَاخِرَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا . وَقَالَ الْخَفَاجِيُّ :



الْحَقِيقَةُ . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى قَوْلِهِ : وَلِئُضْنَعَ عَلَى عَيْنِي . وَقَوْلِهِ : تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا .  
 أَرَبْتَكَ فِي الشَّكِّ وَحَامَ حَوْلَ الظَّاهِرِ وَوَقَعَ فِي التَّشْبِيهِ الَّذِي هُوَ  
 الضَّلَالُ الْبَعِيدُ . فَبَيَّ مَعْرِفَةَ هَذَا إِخْلَاصُ مَنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ وَيُسَمَّى  
 هَذَا النَّوعُ اسْتِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً وَهُوَ كَأَثْبَاتِ الْجَنَاحِ لِلذَّلِّ فِي قَوْلِهِ :  
 وَأَخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالنَّوعُ الْأَوَّلُ  
 عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يُسْتَعَارَ الْخُشُوسُ لِلْخُشُوسِ .  
 وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَشْتَرِكَ فِي الذَّاتِ وَيُخْتَلِفُ فِي الصِّفَاتِ = اسْتِعَارَةُ  
 الطَّيْرَانِ لِغَيْرِ ذِي جَنَاحٍ فِي السَّرْعَةِ . فَإِنَّ الطَّيْرَانِ وَالْعَدُوَّ يَشْتَرِكَانِ  
 فِي الْحَقِيقَةِ وَهِيَ الْحَرَكَةُ الْمَكَانِيَّةُ إِلَّا أَنَّ الطَّيْرَانِ أَسْرَعُ . أَوْ بِأَنْ  
 يُخْتَلِفَا فِي الذَّاتِ وَيَشْتَرِكََا فِي صِفَةٍ إِمَّا مُحْشُوسَةٍ كَقَوْلِهِمْ : رَأَيْتُ شَمْسًا .  
 وَيُرِيدُونَ إِنْسَانًا يَهْلِكُ وَجْهَهُ . وَكَقَوْلِهِ : وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا .  
 فَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ النَّارُ وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ الشَّيْبُ . وَالْجَامِعُ الْإِنْسَاطُ وَلَكِنَّهُ  
 فِي النَّارِ أَقْوَى . وَإِمَّا غَيْرَ مُحْشُوسَةٍ كَقَوْلِهِ : إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ  
 الْعَقِيمَ . الْمُسْتَعَارُ لَهُ الرِّيحُ وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ الْمَرءُ وَالْجَامِعُ الْمَنْعُ مِنْ ظُهُورِ  
 النَّسِيجَةِ . ( الثَّانِي ) أَنْ يُسْتَعَارَ شَيْءٌ مَعْقُولٌ لَشَيْءٍ مَعْقُولٍ لِاشْتِرَاكِهِمَا  
 فِي وَصْفٍ عَدَمِيٍّ أَوْ شُبُوتِيٍّ وَاحِدُهُمَا أَكْمَلُ مِنْ ذَلِكَ أَوْصَفِ  
 فَيَنْزِلُ النَّاقِصُ مَثَرَةً الْكَامِلِ كَاسْتِعَارَةِ اسْمِ الْعَدَمِ لِلْوُجُودِ . إِذَا  
 اشْتَرَكَ فِي عَدَمِ الْفَائِدَةِ أَوْ اسْتِعَارَةِ اسْمِ الْوُجُودِ لِلْعَدَمِ إِذَا بَقِيَتْ  
 آثَارُهُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْهُ كَتَشْبِيهِ الْجَهْلِ بِالْمَوْتِ لِاشْتِرَاكِ الْمَوْصُوفِ بِهِمَا فِي  
 عَدَمِ الْأِدْرَاكِ وَالْعَقْلِ . وَكَقَوْلِهِمْ : فُلَانٌ لَقِيَ الْمَوْتَ إِذَا لَقِيَ

أَسْمَ الزَّائِدِ مُبَالَغَةً فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ الْوَصْفِ لَهُ كَقَوْلِكَ : رَأَيْتُ أَسَدًا .  
وَأَنْتَ تَعْنِي رَجُلًا شَجَاعًا . (وَالثَّانِي) تُعْتَمَدُ لَوَازِمُهُ عِنْدَمَا يَكُونُ جِهَةً  
الِاشْتِرَاكِ وَصَفًا وَإِنَّمَا ثَبَتَ كَمَالُهُ فِي الْمُسْتَعَارِ فِي وَاسِطَةِ شَيْءٍ آخَرَ  
فَنُشِبَتْ ذَلِكَ الشَّيْءُ لِلْمُسْتَعَارِ لَهُ مُبَالَغَةً فِي إِثْبَاتِ الْمُشْتَرَكِ . كَقَوْلِ  
تَابِطِ شَرًّا :

إِذَا هَزَهُ فِي عَظْمٍ قَرْنٌ تَهَلَّتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَاحِكُ  
لَمَّا شَبَّ الْمَنَايَا عِنْدَ هَزَةِ السَّيْفِ بِالسُّرُورِ وَكَمَالِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ  
إِنَّمَا يَظْهَرُ بِالضَّحِكِ الَّذِي يَتَهَلَّلُ بِهِ النَّوَاجِذُ أَثْبَتَهُ تَحْقِيقًا لِلْوَصْفِ  
الْمَقْصُودِ وَالْأَفْلَسَ لِلْمَنَايَا مَا يُنْقَلُ إِلَيْهِ أَسْمُ النَّوَاجِذِ . وَهَكَذَا  
الْكَلَامُ فِي قَوْلِ الْحَمَاسِيِّ :

سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سَلَّ أَوْ مَضَتْ إِلَيْهِ مَنَايَا الْمَوْتِ مِنْ كُلِّ مَرْقَبٍ  
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِهِمْ : فُلَانٌ مُرْخَى الْعِنَانِ وَمُلْقَى الرِّمَامِ .  
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقِسْمَيْنِ أَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ فِي الْأَوَّلِ إِلَى التَّشْبِيهِ الَّذِي  
هُوَ الْمَقْصَدُ مِنْ كُلِّ اسْتِعَارَةٍ مُقَيَّدَةٌ وَجَدْتَهُ يَأْتِيكَ عَفْوًا كَقَوْلِكَ :  
رَأَيْتُ رَجُلًا كَالْأَسَدِ أَوْ مِثْلَهُ أَوْ شِبْهَهُ . وَإِنْ رُدُّمَتْهُ فِي الثَّانِي لَأَيُّوَاتِكَ  
تِلْكَ الْمَوَاقِفَ إِذَا لَوَجَّهَ أَنْ تَقُولَ : شَيْءٌ مِثْلُ أَلْيَدٍ لِلشِّمَالِ . وَإِنَّمَا  
تَهَيَّأَ لَكَ التَّشْبِيهُ بَعْدَ أَنْ تَحْرُقَ إِلَيْهِ سِرًّا أَوْ تَعْمَلَ تَأْمُلًا وَفِكْرًا .  
وَفِي إِغْفَالِ هَذَا الْأَصْلِ وَقُوعٌ فِي التَّشْبِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ وَضَعَ فِي  
نَفْسِهِ أَنْ كُلَّ أَسْمٍ يُسْتَعَارُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُمْكِنُ  
الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ تَتَنَاوَلُهُ فِي حَالَةِ الْحَاجِزِ كَمَا تَتَنَاوَلُ مُسَمَّاهُ فِي حَالَةِ

وَمَنْ يَعْصِ اطْرَافَ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذَمٍ  
 أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : مَنْ لَمْ يَرْضَ بِأَحْكَامِ الصُّلْحِ رَضِيَ بِأَحْكَامِ  
 الْحَرْبِ أَيْ أَشْرَعُوا الْأَسِنَّةَ وَآخَرُوا الرِّمَاحَ . وَقَدْ يُسَمَّى هَذَا النَّوعُ  
 الْمُمَثِّلَةُ أَيْضًا . وَقَدْ يُزَلُّونَ الْأِسْتِعَارَةَ مِثْلَةَ الْحَقِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ  
 يَسْتَعِيرُونَ الْوَصْفَ الْحَسُّوسَ الشَّيْءَ الْمَعْقُولَ . وَيَجْعَلُونَ كَانَ تِلْكَ  
 الصِّفَةَ ثَابِتَةً لِذَلِكَ الشَّيْءِ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَمْ تَوْجَدْ أَعْمَلًا .  
 مِثَالُهُ اسْتِعَارَتُهُمُ الْعُلُوَّ لِإِيَادَةِ الرَّجُلِ عَلَى غَيْرِهِ فِي الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ  
 وَالسُّلْطَانِ ثُمَّ وَضَعَهُمُ الْكَلَامَ وَضَعَهُ مِنْ يَذْكُرُ عُلوًّا مَكَانِيًّا .  
 كَقَوْلِ أَبِي نَمَّامٍ :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَطْنَ الْحُسُودُ      بَانَ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ  
 وَكَقَوْلِهِ أَيْضًا :

مَكَارِمُ جَلَّتْ فِي عُلوِّ كَأَنَّمَا      تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ

### البحث السادس

### في اقسام الاستعارة

( عن صناعة الترسل ايضاً )

( راجع صفحة ٣٢ من علم الادب )

هِيَ عَلَى نَوْعَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يُعْتَمَدَ نَفْسُ التَّشْبِيهِ وَهُوَ أَنْ  
 يَشْتَرِكَ شَيْئَانِ فِي وَصْفٍ وَاحِدُهُمَا أَنْقَضُ مِنَ الْآخَرِ . فَيُعْطَى النَّاقِصُ



الْمُسْتَعَارُ فِيهِ وَهُوَ الْأَزَاحَةُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ فِي لَفْظِ الْعَازِبِ . وَامَّا  
تَجْرِيدُهَا فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَعَارُ لَهُ مَنْظُورًا إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ : فَادَّاقَهَا اللَّهُ  
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . فَإِنَّ الْأِدَاقَةَ وَقَعَتْ عِبَارَةً عَمَّا يُدْرِكُ مِنْ  
أَثَرِ الضَّرَرِ وَالْأَلَمِ تَشْبِيهَا لَهُ بِمَا يُدْرِكُ مِنْ طَعْمِ الْمُرِّ . الشَّبَعُ وَاللِّبَاسُ  
عِبَارَةٌ عَمَّا يَغْشَى مِنْهُمَا وَيَلْبَسُ فَكَأَنَّهُ قَالَ : فَادَّاقَهَا مَا غَشِيَهَا مِنْ  
الْمُجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَكَقَوْلِ زُهَيْرٍ :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَدِّفٍ لَهُ لَبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ  
فَلَوْ نَظَرَ إِلَى الْمُسْتَعَارِ لَقَالَ : لَدَى أَسَدٍ دَامِي أَوْ دَامِي الْبَرَّاشِ  
شَلًّا . وَنَظَرَ زُهَيْرٌ فِي آخِرِ أَلْبَتٍ إِلَى الْمُسْتَعَارِ . وَمِنْهُ قَوْلُ كَثِيرٍ :  
عَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ  
اسْتَعَارَ الرِّدَاءَ لِلْمَعْرُوفِ لِأَنَّهُ يَصُونُ عِرْضَ صَاحِبِهِ صَوْنَ الرِّدَاءِ  
لَمَا يُلْقَى عَلَيْهِ . وَوَصَفَهُ بِالْعَمْرِ الَّذِي هُوَ وَصْفُ الْمَعْرُوفِ وَالْتَّوَالِ لَا  
وَصْفُ الرِّدَاءِ

وَيَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْإِسْتِعَارَةُ بِالْكِنَايَةِ وَهُوَ أَنْ لَا يُصْرَحَ بِذِكْرِ  
الْمُسْتَعَارِ بَلْ يَذْكُرُ بَعْضَ لَوَازِيهِ تَنْبِيْهَا بِهِ كَقَوْلِهِ : شَجَاعٌ يَفْتَرِسُ  
أَقْرَانَهُ وَعَالِمٌ يَعْتَرِفُ مِنْهُ النَّاسُ . وَكَقَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ :  
وَإِذَا الْمِنَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ  
تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الشَّجَاعَ أَسَدٌ وَالْعَالِمُ بَحْرٌ وَالْمِنَّةُ سَبْعٌ . وَهَذَا  
وَأِنْ كَانَ يُشَبِّهُ الْإِسْتِعَارَةَ الْمَجْرَدَةَ إِلَّا أَنَّهُ أَغْرَبُ وَأَعْجَبُ . وَيَقْرَبُ  
مِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

## البحث الخامس

### فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله

( عن صناعة الترسل ايضاً )

الاعلام لا يدخلها الاستعارة لما تقدم في الحجاز . واما الفعل  
فالاستعارة تقع أولاً في المصدر ثم تقع بواسطة ذلك في الفعل .  
فإذا قلت : نطقت الحال بكذا . فهذا إنما يصح لأنك وجدت الحال  
شبيهة للنطق في الدلالة على الشيء فلا جرم استعرت النطق لتلك  
الحالة ثم نقلته إلى الفعل . والاسماء المشتقة في ذلك كالفعل . فظهر  
أن الاستعارة إنما تقع وقوعاً أولاً في اسماء الأجناس . ثم الفعل  
إذا كان مستعاراً فاستعارته إما من جهة فاعله كقوله : نطقت الحال  
بكذا أولعت به الهوم . وكقول جرير :

يخشى الرواس ربها فحجده بعد ألبلى وثميه الأمطار

أو من جهة مفعوله كقول ابن المعتز :

جمع ألق لنا في إمام قتل الجور وأخيا السما

أو من جهة الفاعل والمفعول كقوله : يكاد البرق يخطف  
أبصارهم . ويتصل بهذا ترشيح الاستعارة وتجريدها . أما ترشيحها فهو  
أن تنظر فيها إلى المستعار وتراعي جانبه وتولييه ما تستدعيه وتضم  
إليه ما تقتضيه كقول النابغة :

وصدر أراح الليل عارب هبه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

فِيهِ ظُهُورُ آدَاةِ التَّشْبِيهِ وَإِذَا أَظْهَرْتَ أَزَالْتَ عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ مَا  
كَانَ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْفَصَاحَةِ... فَأَلْفَرُقْ إِذَا بَيْنَ التَّشْبِيهِ  
الْمُضْمَرِ الْآدَاةَ وَبَيْنَ الْإِسْتِعَارَةِ أَنَّ التَّشْبِيهِ الْمُضْمَرِ الْآدَاةَ يَحْسُنُ  
إِظْهَارُ آدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةُ لَا يَحْسُنُ ذَلِكَ فِيهَا . وَالْإِسْتِعَارَةُ  
أَخْصُ مِنَ الْعَجَازِ إِذْ قَصْدُ الْمُبَالَغَةِ شَرْطٌ فِي الْإِسْتِعَارَةِ دُونَ الْعَجَازِ .  
وَأَيْضًا فَكُلُّ إِسْتِعَارَةٍ مِنَ الْبَدِيعِ وَلَيْسَ كُلُّ عَجَازٍ مِنْهُ وَآخِذٌ أَنَّ  
الْمَعْنَى يُعَارَى أَوْ لَا ثُمَّ بِوَاسِطَتِهِ يُعَارَى اللفظُ . وَلَا تَحْسُنُ الْإِسْتِعَارَةُ إِلَّا  
حَيْثُ كَانَ التَّشْبِيهِ مُقَرَّرًا بَيْنَهُمَا ظَاهِرًا أَوْ لَا فَلَا بُدَّ مِنَ التَّصْرِيحِ  
بِالتَّشْبِيهِ . فَلَوْ قُلْتَ : رَأَيْتُ نُحْلَةً أَوْ خَامَةً . وَأَنْتَ تُرِيدُ مُؤَمِّنًا إِشَارَةً  
إِلَى قَوْلِهِ : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النُّحْلَةِ أَوْ مَثَلِ الْخَامَةِ . لَكُنْتَ  
كَالْمُغْزِ الْتَارِكِ لِمَا يُفْهَمُ وَكَلِمًا زَادَ التَّشْبِيَهُ خَفَاءً زَادَتْ الْإِسْتِعَارَةُ  
حُسْنًا بِحَيْثُ يَكُونُ الْطَفُّ مِنَ التَّصْرِيحِ بِالتَّشْبِيهِ . وَرَبَّمَا جُمِعَ بَيْنَ عِدَّةٍ  
إِسْتِعَارَاتٍ إِحْقَاقًا لِلشَّكْلِ بِالشَّكْلِ لِاتِّمَامِ التَّشْبِيهِ فَتُرِيدُ الْإِسْتِعَارَةَ  
بِهِ حُسْنًا كَقَوْلِ أَمْرِي الْقَيْسِ فِي صِفَةِ اللَّيْلِ :

قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَلَّى بِصُلْبِهِ وَارْدَفَ عَجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ كَلٍ  
وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ مَعْنَى يَشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُسْتَعَارِ وَالْمُسْتَعَارِ  
مِنْهُ . فَالْمَعْنَى الْمُسْتَرَكُ بَيْنَ قَيْدِ الْأَوَابِدِ مَثَلًا وَمَانِعِ الْأَوَابِدِ هُوَ  
الْحُسْنُ وَعَدَمُ الْإِفْلَاتِ . وَبَيْنَ مِيزَانِ الْقِيَاسِ وَتَعْدِيلِ حُصُولِ الْإِسْتِقَامَةِ  
هُوَ ارْتِفَاعُ الْحَيْفِ وَاللَّيْلِ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ . وَهَكَذَا جَمِيعُ  
الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْعَجَازَاتِ



وَقَالَ الْهَذْلِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا جَارُ دَعَا بِغُومِهِ أُشْمِرُ حَتَّى يَنْصِفَ السَّاقَ وَمُزْرِي  
وَلَا بَدْ لِلِاسْتِعَارَةِ مِنْ حَقِيقَةٍ هِيَ أَصْلُهَا وَهِيَ : مُسْتَعَارٌ مِنْهُ .  
وَمُسْتَعَارٌ بِهِ . وَمُسْتَعَارٌ لَهُ . فَأَلْتَارُ فِي قَوْلِهِ : (أَشْتَعِلُ الرَّأْسُ شَيْئًا) .  
مُسْتَعَارٌ مِنْهَا . وَالْإِشْتِعَالُ مُسْتَعَارٌ . وَالشَّيْبُ مُسْتَعَارٌ لَهُ . وَأَمَّا قَوْلُنَا : (مَعَ  
طَرَحِ ذِكْرِ الْمُشَبَّهِ) . فَأَعْلَمُ أَنَّنَا إِذَا طَرَحْنَاهُ كَقَوْلُنَا : رَأَيْتُ أَسَدًا .  
وَأَرَدْنَا الرَّجُلَ الشَّجَاعَ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ بِالِاتِّفَاقِ وَإِنْ ذَكَّرْنَا مَعَهُ الْمُشَبَّهَ  
وَقُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَأَحْتَارُ أَنَّهُ لَيْسَ بِاسْتِعَارَةٍ إِذْ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ  
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِأَسَدٍ فَلَمْ تَحْصُلِ الْمُبَالِغَةُ . وَإِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ الْأَسَدُ .  
فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْاسْتِعَارَةِ فَإِنَّ الْأَوَّلَ خَرَجَ بِالتَّنْكِيرِ مِنْ أَنْ يَحْسُنَ  
فِيهِ كَافُ التَّشْبِيهِ . فَإِنَّ قَوْلَكَ : زَيْدٌ كَأَسَدٍ . كَلَامٌ نَازِلٌ بِخِلَافِ  
الثَّانِي . قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ : وَهَذَا التَّشْبِيهُ الْمُضْمَرُ الْأَدَاةُ  
قَدْ خَلَطُوهُ بِالِاسْتِعَارَةِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَهُمَا وَذَلِكَ خَطَأٌ مُحْضٌ . وَسَأَوْضِحُ وَجْهَ  
الْخَطَأِ فِيهِ وَأُحَقِّقُ الْقَوْلَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فَأَقُولُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ  
الْمُظْهَرَ الْأَدَاةُ فَلَا حَاجَةَ لِيَبَيِّنَ ذِكْرُهُ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ وَلَكِنْ  
نَذَكُرُ التَّشْبِيهَ الْمُضْمَرَ الْأَدَاةَ فَنَقُولُ : إِذَا ذَكَرْنَا الْمَنْقُولُ وَالْمَنْقُولُ  
إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ تَشْبِيهُ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةُ قِيلَ فِيهِ : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَيْ كَالْأَسَدِ .  
فَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِيهِ مُضْمَرَةٌ مُقَدَّرَةٌ . وَإِذَا أَظْهَرْتَ حَسَنَ ظُهُورِهَا  
وَلَمْ تَقْدَحْ فِي الْكَلَامِ الَّذِي أَظْهَرْتَ فِيهِ وَلَمْ تُزَلِّ عَنْهُ فَصَاحَتَهُ وَبَلَغَتَهُ  
وَهَذَا بِخِلَافِ مَا إِذَا ذَكَرْنَا الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ دُونَ الْمَنْقُولِ فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ

أَثَبَتْ أَيْدِ الشَّمَالِ مُبَالَغَةً فِي تَشْبِيهِهَا بِالْقَادِرِ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ .  
وَحَدَّ الرُّمَانِيُّ الْإِسْتِعَارَةَ فَقَالَ : هِيَ تَعْلِيْقُ الْعِبَارَةِ عَلَى غَيْرِ مَا وُضِعَتْ  
لَهُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ عَلَى سَبِيلِ النَّقْلِ لِلإِبَانَةِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : هِيَ  
إِسْتِعَارَةُ الْكَلِمَةِ مِنْ شَيْءٍ قَدْ عُرِفَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ لَمْ يُعْرَفْ بِهَا .  
وَذَكَرَ الْخَفَاجِيُّ كَلَامَ الرُّمَانِيِّ وَقَالَ : وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّ قَوْلَهُ مَثَلًا :  
(وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا) . إِسْتِعَارَةٌ لِأَنَّ الْأَشْتِعَالَ لِلنَّارِ وَلَمْ تَوْضَعْ فِي أَصْلِ  
اللُّغَةِ لِلشَّيْبِ فَلَمَّا نُقِلَ إِلَيْهِ بَانَ الْمَعْنَى لَمَّا اكْتَسَبَهُ مِنَ التَّشْبِيهِ .  
لِأَنَّ الشَّيْبَ لَمَّا كَانَ نَافِذًا فِي الرَّأْسِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يُحْمِلَهُ إِلَى غَيْرِ  
لَوْهِ الْأَوَّلِ كَانَ بِمِثْلَةِ النَّارِ الَّتِي تَسْرِي فِي الْخَشَبِ حَتَّى تُحْمِلَهُ إِلَى  
غَيْرِ حَالَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ . فَهَذَا مِنْ نَقْلِ الْعِبَارَةِ عَنِ الْحَقِيقَةِ فِي الْوَضْعِ  
لِلْبَيَانِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَوْضَحَ مِنَ الْحَقِيقَةِ لِأَجْلِ التَّشْبِيهِ الْعَارِضِ  
فِيهَا . لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ لَوْ قَامَتْ مَقَامَهَا لَكَانَتْ أَوَّلَى بِهَا لِأَنَّهَا الْأَصْلُ  
وَلَيْسَ يَحْتَغِي عَلَى التَّمَثُّلِ أَنْ قَوْلُهُ : (وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا) . أَبْلَغُ مِنْ :  
كَثُرَ شَيْبُ الرَّأْسِ . وَهُوَ حَقِيقَةُ هَذَا الْمَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ  
سَاقٍ) . أَحْسَنُ وَأَبْلَغُ فِي مَا قُصِدَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ لَوْ قَالَ : يَوْمَ يُكْشَفُ  
عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ . وَإِنْ كَانَ الْمُعْنِيَانِ وَاحِدًا . أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ  
لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْجِلْدِ فِي أَمْرِهِ : شِدْرَ عَنْ سَاقِكَ . فَيَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ  
مِنْكَ أَزْكَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَوْلِكَ : جِدَّ فِي أَمْرِكَ . وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ  
الْصِّمَّةِ :

كَبَيْتِ الْأَزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الضَّرَاءِ طَلَّاعُ أَنْجَدِ

وَيُسَجِّعُ بِهَا الْجَبَانُ وَيُحْكَمُ بِهَا الطَّائِشُ الْمُسْرِعُ وَيَجِدُ الْمُخَاطَبُ بِهَا  
عِنْدَ سَمَاعِهَا نَشْوَةً كَلَشْوَةِ الْخَمْرِ حَتَّى إِذَا قُطِعَ عِنْدَ ذَلِكَ الْكَلَامِ  
أَفَاقَ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ بَذْلِ مَالٍ . أَوْ تَرَكَ عُقُوبَةً . أَوْ  
إِقْدَامَ عَلَى أَمْرٍ مَهُولٍ وَهَذَا هُوَ فَخْوَى السَّيْرِ الْحَلَالِ الْمُسْتَعْنِي مِنَ  
إِلْقَاءِ الْأَعْصَا وَالْجَبَالِ . ( وَاعْلَمْ ) أَنَّهُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كَلَامٌ . يُجَوِّزُ أَنْ  
يُحْمَلَ مَعْنَاهُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَعَلَى طَرِيقِ الْإِجْازِ بِاخْتِلَافِ لَفْظِهِ  
فَاقْظَرْ فَإِنْ كَانَ لَا مَزِيَّةَ لِمَعْنَاهُ فِي حَمْلِهِ عَلَى طَرِيقِ الْإِجْازِ فَلَا يَتَّبِعِي  
أَنْ يُحْمَلَ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّهَا هِيَ الْأَصْلُ وَالْإِجْازُ هُوَ الْفَرْعُ  
وَلَا يُعْدَلُ عَنِ الْأَصْلِ إِلَى الْفَرْعِ إِلَّا لِفَائِدَةٍ .

## البحث الرابع

### في الاستعارة

( عن صناعة الترشل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٢٩ من علم الادب )

هِيَ ادِّعَاءُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ فِي الشَّيْءِ لِلْمُبَالَاةِ فِي التَّشْبِيهِ مَعَ طَرَحِ  
ذِكْرِ الْمُسَبِّهِ مِنَ الْبَيْنِ لَفْظًا وَتَقْدِيرًا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : هُوَ جَعْلُ  
الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ لِأَجْلِ الْمُبَالَاةِ فِي التَّشْبِيهِ . فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُ  
أَسَدًا نَمَنِي الرَّجُلَ الشَّجَاعَ . وَالثَّانِي كَقَوْلِ لَيْبَدٍ :  
إِذَا أَضْبَحْتَ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامَهَا



مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَا حِجَازَ لَهُ كَأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ لِأَنَّهَا وُضِعَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ  
الذَّوَاتِ لَا لِلْفَرْقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ

وَكَيْذَلِكَ فَأَعْلَمَ أَنَّ الْحِجَازَ أَوَّلَى بِالِاسْتِعْمَالِ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي بَابِ  
الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَكَانَتْ الْحَقِيقَةُ الَّتِي هِيَ  
الْأَصْلُ أَوَّلَى مِنْهُ حَيْثُ هُوَ فَرْعٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ  
ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ أَنَّ فَائِدَةَ الْكَلَامِ الْخَطَاطِيَّ هُوَ اثْبَاتُ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ  
فِي نَفْسِ السَّامِعِ بِالتَّخْيِيلِ وَالتَّصْوِيرِ حَتَّى يَكَادَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ عَيْنَانَا . أَلَا  
تَرَى أَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . هِيَ قَوْلُنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَكِنْ  
فَرْقَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي التَّصْوِيرِ وَالتَّخْيِيلِ وَاثْبَاتُ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ فِي  
نَفْسِ السَّامِعِ . لِأَنَّ قَوْلُنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَا يَتَخَيَّلُ مِنْهُ السَّامِعُ سِوَى  
أَنَّهُ رَجُلٌ جَرِيٌّ مُقْدَامٌ . فَإِذَا قُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . يُخَيَّلُ عِنْدَ ذَلِكَ  
صُورَةُ الْأَسَدِ وَهَيْئَتُهُ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ وَدَقِّ الْفَرَاسِ .  
وَقَوْلُ أَمْرِي الْقَيْسِ فِي الْفَرَسِ : ( قَيْدُ الْأَوَابِدِ ) هُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ  
لَوْ قَالَ : مَا نِعَ الْأَوَابِدِ عَنِ الدَّهَابِ وَالْإِفْلَاتِ . وَالْقَيْدُ مِنْ أَعْلَى  
مَرَاتِبِ الْمَنَعِ عَنِ التَّصَرُّفِ لِأَنَّكَ تُشَاهِدُ مَا فِي الْقَيْدِ مِنَ الْمَنَعِ فَلَا  
تَشْكُ فِيهِ . وَكَقَوْلِهِمْ : هَذَا مِيزَانُ الْقِيَاسِ أَيُّ تَعْدِيلِهِ . وَالْحِجَازُ  
أَبْلَغُ لِأَنَّ الْمِيزَانَ يُصَوِّرُ لَكَ التَّعْدِيلَ حَتَّى تُعَايِنَهُ وَلِإِعْيَانِ فَضْلِهِ عَلَى  
مَا سِوَاهُ . وَكَذَلِكَ : الْغَرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ أَيُّ حَقِيقَتِهِ تَقْوِيهِ . وَهَذَا  
لَا تِرَاعَ فِيهِ . وَاعْجَبْ مَا فِي الْعِبَارَةِ الْحِجَازِيَّةِ أَنَّهَا تَنْقُلُ السَّامِعَ  
عَنْ خُلُقِهِ الطَّبِيعِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ حَتَّى إِنَّهَا يَسْمَعُ بِهَا التَّخْيِيلَ

الخطابة والشعر توسعوا في الأساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة إلى المجاز  
ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص كل  
منهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية . هذا أمرؤ القيس  
قد اخترع شيئاً لم يكن قبله . فمن ذلك أنه أول من عبّر عن الفرس  
بقوله : ( قيد الأوابد ) . ولم يسمع ذلك لاحد من قبله . . .  
وواضع اللغة ما ذكر شيئاً من ذلك فعلمنا حينئذ أن من اللغة  
حقيقة بوضعه ومجازاً بتوسعات أهل الخطابة والشعر . وفي زماننا هذا  
قد يجترعون أشياء من المجاز على حكم الاستعارة لم تكن من  
قبل . ولو كان هذا موقوفاً من جهة واضع اللغة لما اخترعه أحد  
من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه . وأما الفرق بينه وبين الحقيقة  
فهو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائر . ألا ترى إذا قلنا :  
فلان عالم صدق على كل ذي علم . بخلاف ( وأسأل القرية ) . لأنه  
لا يصح إلا في بعض الجادات دون بعض إذ المراد أهل القرية  
لأنهم ممن يصح السؤال لهم . ولا يجوز أن يقال : وأسأل الحجر  
والتراب . وقد يحسن أن يقال : وأسأل الربيع والطلل . ( وأعلم )  
أن كل مجاز فله حقيقة لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا  
عن حقيقة موضوعة له إذ المجاز هو اسم للموضوع الذي ينتقل فيه  
من مكان إلى مكان فجعل ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلى  
غيرها . وإذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها إلى حالة  
المجازية فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز . فإن



نَظَرِيٍّ وَالْآخَرُ وَضْعِيٌّ. (أَمَّا النَّظَرِيُّ) فَهُوَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ إِنَّمَا جُعِلَتْ  
أَدِلَّةً عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى وَلَوْ كَانَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَحِيحًا لَكَانَ  
الْبَجْرُ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْمَاءِ الْعَظِيمِ الْمَلِجِ وَعَلَى الرَّجُلِ الْجَوَادِ بِالِاشْتِرَاكِ .  
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ أَيْضًا فَإِنَّمَا كَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ الْعَظِيمِ  
الْكَثِيرِ الضَّوِّ وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْعَلِيِّ بِالِاشْتِرَاكِ . وَجِنْدٌ فَإِذَا وَرَدَ  
أَحَدُ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ مُطْلَقًا بغيرِ قَرِينَةٍ مُخَصِّصَةٍ فَلَا يُفْهَمُ الْمُرَادُ بِهِ مَا  
هُوَ مِنْ أَحَدِ الْمَعْنَيْنِ الْأَشْرَكَيْنِ الْمُنْدَرَجَيْنِ تَحْتَهُ وَتَحْنُ نَزَى الْأَمْرَ  
بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّا إِذَا قُلْنَا: شَمْسٌ أَوْ بَجْرٌ . وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ لَا يُفْهَمُ  
مِنْ ذَلِكَ وَجْهٌ مَلِجٌ وَلَا رَجُلٌ جَوَادٌ . وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ الْكَوْكَبُ  
الْمَعْرُومُ وَذَلِكَ الْمَاءُ الْمَعْلُومُ لَا غَيْرَ قَبْطَلِ إِذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بِمَا بَيَّنَّاهُ  
وَأَوْضَحْنَاهُ. (فَإِنْ قُلْتَ): إِنَّ الْعُرْفَ يُخَالَفُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فَإِنَّ مِنْ  
الْأَلْفَاظِ مَا إِذَا أُطْلِقَ لَمْ يَذْهَبِ إِلَيْهِ مِنْهُ إِلَّا إِلَى الْحِجَازِ دُونَ  
الْحَقِيقَةِ. (قُلْتُ فِي الْجَوَابِ): هَذَا شَيْءٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَلَيْسَ  
الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ . لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِطْلَاقُ اللَّفْظِ فِيهِ بَيْنَ عَامَّةِ  
النَّاسِ فَهُوَ لِأَنَّهُ لَا يُفْهَمُونَ إِلَّا الْمَعْنَى الْحِجَازِيَّ . لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَصْلَ  
وَضْعِ الْكَلِمَةِ . وَأَمَّا خَاصَّةُ النَّاسِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَصْلَ الْوَضْعِ  
فَانَّهُمْ لَا يُفْهَمُونَ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ إِلَّا الْحَقِيقَةَ لَا غَيْرَ . . . (وَأَمَّا  
الْوَجْهُ الْوَضْعِيُّ) فَهُوَ أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي هَذَا وَمَا يَجْرِي تَجَرُّاهُ إِلَى أَصْلِ  
اللُّغَةِ الَّتِي هِيَ وَضْعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمُسَمَّاتِ وَلَمْ يُوْجَدْ فِيهَا أَنَّ الْوَجْهَ  
الْعَلِيَّ يُسَمَّى شَمْسًا وَلَا أَنَّ الرَّجُلَ الْجَوَادَ يُسَمَّى بَجْرًا . وَإِنَّمَا أَهْلُ



الْمَذْهَبَيْنِ فَاسِدٌ عِنْدِي . وَسَاجِبُ الْخُصْمِ عَمَّا أَدَّعَاهُ فِيهِمَا فَأَقُولُ : مَحَلُّ  
الْإِزَاعِ هُوَ إِنْ أَلْفَغَ كُلَّهَا حَقِيقَةً أَوْ إِنَّمَا كَلَّمَهَا مَجَازًا . وَلَا فَرْقَ عِنْدِي  
بَيْنَ قَوْلِكَ إِنَّمَا كَلَّمَهَا حَقِيقَةً أَوْ إِنَّمَا مَجَازًا . فَإِنْ كِلَا الطَّرَفَيْنِ عِنْدِي  
سَوَاءٌ . لِأَنَّ مُسَكَّرَهُمَا غَيْرُ مُسَلِّمٍ لِّهِمَا . وَأَنَا بِصَدَدٍ أَنْ أُبَيِّنَ أَنَّ فِي  
أَلْفَغِ حَقِيقَةٍ وَمَجَازًا . وَالْحَقِيقَةُ اللَّغَوِيَّةُ هِيَ حَقِيقَةُ الْأَلْفَاطِ فِي دَلَالَتِهَا  
عَلَى الْمَعْنَى وَلَيْسَتْ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ ذَاتُ الشَّيْءِ أَيْ نَفْسُهُ وَعَيْنُهُ .  
فَالْحَقِيقَةُ اللَّفْظِيَّةُ إِذَا هِيَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي أَصْلِ  
أَلْفَغِهِ . وَالْمَجَازُ هُوَ نَقْلُ الْمَعْنَى عَنِ اللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لَهُ إِلَى لَفْظٍ آخَرَ  
غَيْرِهِ . وَتَفَرُّدُ ذَلِكَ بِأَنْ أَقُولَ : الْخَلْقُوتُ كُلُّهَا تَفْتَقِرُ إِلَى أَسْمَاءٍ  
يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهَا لِيَعْرِفَ كُلُّ مَنْهَا بِاسْمِهِ مِنْ أَجْلِ التَّفَاهُمِ بَيْنَ  
النَّاسِ . وَهَذَا يَقَعُ ضَرُورَةً لَا بُدَّ مِنْهَا . فَلِأَنَّهُ الْمَوْضُوعُ بِإِزَاءِ الْمُسَمَّى  
هُوَ حَقِيقَةٌ لَهُ فَإِذَا نُقِلَ إِلَى غَيْرِهِ صَارَ مَجَازًا . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَا إِذَا  
قُلْنَا : شَمْسٌ . أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْكَوْكَبَ الْعَظِيمَ الْكَثِيرَ الضَّوْءِ .  
وَهَذَا الْإِسْمُ لَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وُضِعَ بِإِزَائِهِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْنَا : بَجْرٌ .  
أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْمَاءَ الْعَظِيمَ الْمُجْتَمِعَ الَّذِي طَعْمُهُ مِلْحٌ . وَهَذَا الْإِسْمُ  
لَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وُضِعَ بِإِزَائِهِ . فَإِذَا نَقَلْنَا الشَّمْسَ إِلَى الْوَجْهِ الْمَلِيحِ  
اسْتِعَارَةً كَانَ لَهُ ذَلِكَ مَجَازًا لِاحْتِقَاقِهِ . وَكَذَلِكَ إِذَا نَقَلْنَا الْبَجْرَ إِلَى  
الرَّجُلِ الْجَوَادِ اسْتِعَارَةً كَانَ ذَلِكَ لَهُ مَجَازًا لِاحْتِقَاقِهِ . ( فَإِنْ قِيلَ ) :  
إِنَّ الْوَجْهَ الْمَلِيحَ يُقَالُ لَهُ شَمْسٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ . وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ  
الْجَوَادِ بَجْرٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ . ( فَالْجَوَابُ ) عَنْ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا )

## البحث الثالث

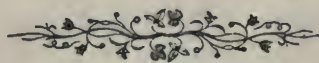
### في الحقيقة والمجاز

( من المثل السائر لابن الاثير )

( راجع صفحة ٢٩ من علم الادب )

هَذَا الْفَضْلُ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْ مُهِمَّاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ لَا بَلْ هُوَ عِلْمُ  
 الْبَيَانِ بِأَجْمَعِهِ . فَإِنَّ فِي تَصْرِيفِ الْعِبَارَاتِ عَلَى الْأَسْلُوبِ الْحِجَازِي  
 فَوَائِدَ كَثِيرَةً . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى جَمْعِهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا .  
 فَأَمَّا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ . وَأَمَّا الْحِجَازُ  
 فَهُوَ مَا أُريدَ بِهِ غَيْرُ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ مِنْ أَصْلِ اللَّغَةِ وَهُوَ مَا أُخِذَ  
 مِنْ جَازٍ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ إِذَا تَحَطَّاهُ إِلَيْهِ . فَأَحْجَازُ  
 إِذَا اسْمٌ لِلْمَكَانِ الَّذِي يُحَازُ فِيهِ كَالْمَعَالِجِ وَالْمَزَارِ وَأَشْبَاهِهِمَا . وَحَقِيقَتُهُ  
 هِيَ الْإِتِّقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ . فَيُجْعَلُ ذَلِكَ لِثِقَلِ الْأَلْفَازِ مِنْ  
 مَحَلٍّ إِلَى مَحَلٍّ كَقَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَإِنَّ زَيْدًا إِنْسَانٌ وَالْأَسَدُ هُوَ  
 هَذَا الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ . وَقَدْ جُزْنَا مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى الْأَسَدِيَّةِ . أَيْ  
 عَبَرْنَا مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ لَوْضَلَةٍ بَيْنَهُمَا وَتِلْكَ الْوُضَلَةُ هِيَ صِفَةُ الشَّجَاعَةِ .  
 وَقَدْ يَكُونُ الْعُبُورُ لِغَيْرِ وَضَلَةٍ . وَذَلِكَ هُوَ الْإِتْسَاعُ كَقَوْلِهِمْ فِي كِتَابِ  
 كَلِمَةٍ وَدَمْنَةٍ : قَالَ الْأَسَدُ . قَالَ الثَّعْلَبُ . فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا وَضَلَةَ  
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَيْنِ بِجَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ . وَإِنَّمَا أُخْرِجِي عَلَيْهِمَا إِتْسَاعًا مُحْضًا  
 لَا غَيْرُ . . . . . وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ كُلَّهُ حَقِيقَةٌ لَا حِجَازَ  
 فِيهِ . وَذَهَبَ آخَرُونَ : إِلَى أَنَّهُ كُلُّهُ حِجَازٌ لِحَقِيقَةٍ فِيهِ . وَكِلَاهُمَا هَذَيْنِ

وَأَلْيَانُ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ : هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ  
بِتَرَاكِبٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي وُضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ بِأَنْ يَكُونَ دَلَالَةُ  
بَعْضِهَا أَجْلَى مِنْ بَعْضٍ . وَمَوْضُوعُهُ الَّلَفْظُ الْبَلِغُ مِنْ حَيْثُ وُضُوحُ  
الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ . وَغَرَضُهُ تَحْصِيلُ مَلَكَهَ الْإِفَادَةِ بِالدَّلَالَةِ  
الْعَقْلِيَّةِ وَفَهْمِ مَدْلُولَاتِهَا . وَغَايَتُهُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْخَطَا فِي تَعْيِينِ الْمَعْنَى  
الْمُرَادِ . وَمَبَادِئُهُ بَعْضُهَا عَقْلِيَّةٌ كَأَقْسَامِ الدَّلَالَةِ وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ .  
وَبَعْضُهَا وَجْدَانِيَّةٌ ذَوْقِيَّةٌ كَوُجُودِ التَّشْبِيهَاتِ وَأَقْسَامِ الْإِسْتِعَارَاتِ  
وَكَيْفِيَّةٌ حُسْنِيَّةٌ . وَإِنَّمَا اخْتَارُوا فِي عِلْمِ أَلْيَانٍ وَضُوحِ الدَّلَالَةِ لِأَنَّ  
بَحْثَهُمْ لَمَّا اقْتَصَرَ عَلَى الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَغْنَى التَّضَمُّنِيَّةَ وَالْإِلْتِزَامِيَّةَ  
وَكَانَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ خَفِيَّةً سِيَّيَا إِذَا كَانَ الْإِزْمُ بِحَسَبِ الْعَادَاتِ  
وَالطَّبَائِعِ فَوَجَبَ التَّعْيِيرُ عَنْهَا بِلَفْظٍ أَوْضَحَ . سَلَا : إِذَا كَانَ الْمُرْتَبِ  
دَقِيقًا فِي الْغَايَةِ تَحْتَاجُ الْحَاسَّةُ فِي إِبْصَارِهَا إِلَى شُعَاعٍ قَوِيٍّ يَخْلُفُ  
الْمُرْتَبِ إِذَا كَانَ جَلِيلًا . وَكَذَا الْحَالُ فِي الرُّوْيَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَغْنَى الْفَهْمَ  
وَالْأَذْرَاكَ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُعْتَرِ فِي عِلْمِ أَلْيَانٍ دِقَّةُ الْمَعَانِي الْمُعْتَبَرَةِ  
فِيهَا مِنَ الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْكِنَايَاتِ مَعَ وُضُوحِ الْأَلْفَازِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهَا





أَلْيَانُ . وَقَالَ ابْنُ التَّوَّامِ : الرُّوحُ عِمَادُ الْبَدَنِ وَالْعِلْمُ عِمَادُ الرُّوحِ  
وَأَلْيَانُ عِمَادُ الْعِلْمِ . وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ  
عَنْ قَدْرِ الْحَاجَةِ وَزَادَ عَلَى حَدِّ الْكِفَايَةِ وَكَانَ صَوَابًا لَا يَشُوْبُهُ خَطْلٌ  
وَسَلِيمًا لَا يَتَقَصُّهُ زَلَلٌ فَهُوَ أَلْيَانٌ وَالسَّخَرُ الْحَلَالُ . (وَفِي كُتُبِ  
الْحُكَمَاءِ) : أَلْيَانٌ هُوَ أَنْ يُحْسِنَ الْعِبَارَةَ عَنْ الْمَعْنَى الَّتِي تَهَجُّسُ  
فِي الضَّمِيرِ فَيَحْتَاجُ إِلَى نَقْلِ صَوْرِهَا الْمُحْيِلَةِ أَوْ الْمُعْقُولَةِ إِلَى ضَمِيرٍ مَنْ  
يُخَاطَبُهُ . وَقَالَ آخَرُ : خَيْرُ أَلْيَانٍ مَا كَانَ مُصَرِّحًا عَنْ الْمَعْنَى لِيُسْرِعَ  
إِلَى الْفَهْمِ تَلَقُّنُهُ وَمَوْجِزًا لِيُخَفِّعَ عَلَى اللِّسَانِ تَعَاهُدُهُ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :  
أَلْيَانُ تَرْجُمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقُلُ الْعُقُولِ . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ :  
أَلْيَانُ تَرْجُمَانُ اللِّسَانِ وَرَوْضُ الْقُلُوبِ

### البحث الثاني

### في تعريف علم البيان

(عن الكشف للتهانوي وكشف الظنون للحاج خلفا)

(راجع صفحة ٢٧ من علم الادب)

أَلْيَانُ لُغَةً الْكَشْفُ وَالتَّوَضُّعُ وَالظُّهُورُ وَهُوَ فِي الْأَصْطِلَاحِ  
عِبَارَةٌ عَنْ الْمُنْطِقِ الْقَصِيحِ الْمَعْبَرِ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ . وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ  
بِمَعْنَى الْإِثْبَاتِ بِالْدَّلِيلِ . وَقِيلَ : الْفَرْقُ بَيْنَ أَلْيَانٍ وَأَلْيَانٍ بَأَنَّ  
أَلْيَانًا هُوَ إِظْهَارُ الْمُرَادِ . وَالْأَلْيَانُ يَحْتَوِي عَلَى كَدِّ الْخَاطِرِ وَأَعْمَالِ  
الْقَلْبِ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا قِيلَ : الْأَلْيَانُ بَيَانٌ مَعَ دَلِيلٍ وَبُرْهَانٍ .

## الفصل الرابع

في البيان

البحث الاول

في تحديد البيان على وجه الاجمال

( من كتاب البيان والتبيين للجاحظ وغرر الخصائص للوطواط بتصرف )

( راجع صفحة ٢٧ و ٢٨ من علم الادب )

أَلْبَيَانُ أُنْمٌ لِكُلِّ شَيْءٍ كَشَفَ لَكَ عَلَى بَيَانٍ أَلْمَعْنَى وَهَتَكَ  
لَكَ أَلْعَجَبَ دُونَ الصَّمِيرِ حَتَّى يُفْضِيَ السَّامِعُ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَيَنْجِمَ عَلَى  
مَحْضُولِهِ كَأَنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَلْبَيَانُ وَمِنْ أَيْ جِنْسٍ كَانَ ذَلِكَ الدَّلِيلُ .  
لِأَنَّ مَدَارَ الْأَمْرِ وَالْعَاقِبَةِ الَّتِي يَجْرِي إِلَيْهَا الْقَائِلُ وَالسَّامِعُ إِنَّمَا هُوَ  
أَلْفَهُمْ وَالْإِفْهَامُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ بَلَّغْتَ الْإِفْهَامَ وَأَوْضَحْتَ عَنْ أَلْمَعْنَى  
فَذَلِكَ هُوَ أَلْبَيَانُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . وَقِيلَ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَلْبَرْمَكِيِّ :  
مَا أَلْبَيَانُ . قَالَ : أَنْ يَكُونَ الْأُنْمُ يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ وَيَكْشِفُ عَنْ  
مَعْرَاكَ وَيُخْرِجُهُ مِنَ التَّمَرُّكِ وَلَا يُسْتَعَانُ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ وَيَكُونُ سَلِيمًا  
مِنَ التَّكَلُّفِ بَعِيدًا مِنَ الصَّنْعَةِ بَرِيًّا مِنَ التَّعْقِيدِ غَنِيًّا عَنِ التَّلَوِيلِ .  
وَقَالُوا : أَلْبَيَانُ بَصَرٌ وَالْعِيُّ عَمَى كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ بَصَرٌ وَالْجَهْلَ عَمَى  
وَأَلْبَيَانٌ مِنْ نَتَائِجِ الْعِلْمِ وَالْعِيُّ مِنْ نَتَائِجِ الْجَهْلِ . وَقَالُوا : حَيَاةُ  
الْمُرُوءَةِ الصِّدْقُ وَحَيَاةُ الرُّوحِ الْعِفَافُ وَحَيَاةُ الْحِلْمِ الْعِلْمُ وَحَيَاةُ الْعِلْمِ

يَنْظِمُهَا فِي سِلْكٍ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْجَاحِظِ : جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبْهَةَ وَعَصَمَكَ  
 مِنَ الْخَيْرَةِ وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ نَسَبًا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ الصِّدْقِ  
 سَبَبًا . وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ النُّعْمَانِ : يُفَاخِرُكَ ابْنُ أَبِي جَفْنَةَ وَإِنَّ لَقَفَاكَ  
 خَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ وَلَشِمَّا لَكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ وَلَا تَخْصُصْكَ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ  
 وَلَخَطَاكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ وَلَخَدَمَكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِهِ . وَهَذَا النَّظْمُ لَا يَسْتَحِقُّ  
 الْفَضْلَ إِلَّا بِسَلَامَةٍ مَعْنَاهُ وَسَلَامَةِ الْفَظِّ إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى دَقِيقٌ  
 لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِثَاقِبِ الْفِكْرِ . وَرَبَّمَا ظَنَّ بِالْكَلَامِ أَنَّهُ مِنْ هَذَا  
 الْجَنْسِ وَلَا يَكُونُ مِنْهُ . ( الثَّانِي ) أَنْ تَكُونَ الْجَمْلُ الْمَذْكُورَةُ  
 يَتَعَلَّقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَهَنَّاكَ تَظْهَرُ قُوَّةُ الطَّبَعِ وَجُودَةُ الْقَرِيحَةِ وَاسْتِقَامَةُ  
 الذِّهْنِ . ثُمَّ لَيْسَ لِهَذَا أَلْبَابٌ قَانُونٌ يُحْفَظُ فَإِنَّمَا يَجِيءُ عَلَى وَجْهِ شَتَّى :  
 ( فَمِنْهَا الْإِيجَازُ ) وَهُوَ التَّغْيِيرُ عَنِ الْغَرَضِ بِأَقْلٍ مَا يُمْكِنُ مِنَ  
 الْحُرُوفِ وَهُوَ عَلَى ضَرَبَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) إِيْجَازٌ قَصْرٌ وَهُوَ تَقْلِيلُ اللَّفْظِ  
 وَتَكْثِيرُ الْمَعْنَى . ( وَالثَّانِي ) إِيْجَازٌ حَذْفٌ وَهُوَ الْأَسْتِغْنَاءُ بِالْمَذْكُورِ  
 عَمَّا لَمْ يُذَكَّرْ . ( وَمِنْهَا التَّأْكِيدُ ) وَهُوَ تَقْوِيَةُ الْمَعْنَى وَتَقْرِيرُهُ إِمَّا  
 بِإِظْهَارِ الْبُرْهَانِ كَقَوْلِ قَابُوسَ :

يَا ذَا الَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا      هَلْ عَانَدَ الدَّهْرِ الْإِمْنُ لَهُ خَطَرُ  
 أَمَا تَرَى الْجَبْرَ يَعْلُو قُوَّتَهُ جَيْفٌ      وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدَّرَرُ  
 وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ غَيْرُ ذِي عَدَدٍ      وَلَيْسَ يَكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
 ( أَوْ بِالْغَرِيْمَةِ ) كَقَوَائِدِهِ : فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ .

( أَوْ بِالتَّكْرَارِ ) كَقَوْلِهِمْ : اللَّهُ اللَّهُ وَالْأَسَدُ الْأَسَدُ



فِي ضَمَنِ السُّهُولَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ . وَإِنْ كَانَ الْأَنْسِجَامُ فِي النَّثْرِ تَكُونُ  
غَالِبُ قَرَأَتِهِ مَوْزُونَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِقُوَّةِ الْأَنْسِجَامِ . وَإِنْ كَانَ فِي  
النَّظْمِ فَتَكَادُ الْآيَاتُ أَنْ تَسِيلَ رِقَّةً وَعُدُوبَةً . وَرَبَّمَا دَخَلَتْ فِي  
الْمُطَرَّبِ وَالْمُرْقَصِ

### البحث الثاني عشر

### في القول في النظم

( عَنْ صِنَاعَةِ التَّرْسِلِ لَشَهَابِ الدِّينِ الْحَلَبِيِّ بِاخْتِصَارٍ )

( رَاجِعْ صَفْحَةَ ٢٤ مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ )

النَّظْمُ عِبَارَةٌ عَنْ تَوَاحِي مَعَانِي النَّحْوِ فِيمَا بَيْنَ الْكَلَامِ . وَذَلِكَ  
أَنْ تَضَعَ كَلَامَكَ الْوَضْعَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ عِلْمُ النَّحْوِ بِأَنْ تَنْظُرَ فِي  
كُلِّ نَابٍ إِلَى قَوَائِنِهِ وَالْفُرُوقِ الَّتِي بَيْنَ مَعَانِي اخْتِلَافِ صِيغِهِ وَتَضَعَ  
الْحُرُوفَ مَوَاضِعَهَا وَتُرَاعِي شَرَايِطَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَمَوَاضِعَ الْفَضْلِ  
وَالْوَضَلِ وَمَوَاضِعَ حُرُوفِ الْعَطْفِ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهَا وَتَعْتَبِرَ  
الْإِصَابَةَ فِي طَرِيقِ التَّنْصِيهِ وَالتَّمْثِيلِ . وَقَدْ أَطَبَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَعْظِيمِ  
شَأْنِ النَّظْمِ وَأَنْ لَا فَضْلَ مَعَ عَدَمِهِ وَلَوْ بَلَغَ الْكَلَامُ فِي غَرَاةٍ مَعْنَاهُ  
إِلَى مَا بَلَغَ . وَإِنْ سَبَبَ فُسَادِهِ تَرْكُ الْعَمَلِ بِقَرَائِنِ النَّحْوِ وَاسْتِعْمَالُ  
شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . ثُمَّ الْجُمْلُ الْكَبِيرَةُ إِذَا نُظِمَتْ نَظْمًا وَاحِدًا  
فَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَتَعَلَّقَ الْبَعْضُ بِالْبَعْضِ فَلَا يَحْتَاجُ  
وَضْعَهُ إِلَى فِكْرٍ وَرُويَةٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ بَلْ هُوَ كَمَنْ عَمِدَ إِلَى اللَّائِلِ

مُوجَزَةً . وَلَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهَا الْإِيْجَازَ وَآمَّا الْغَرَضُ مَكَانَهَا مِنْ الْحُسْنِ  
الَّذِي لَا تَظَيَّرُ لَهَا فِيهِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ : ( وَطَنَ الْتُّهَيَّ )  
فَإِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنِ الرَّأْسِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّأْسَ أَوْجَزُ لِأَنَّ الرَّأْسَ  
لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ . وَوَطَنَ الْتُّهَيَّ لَفْظَتَانِ . إِلَّا إِنْ ( وَطَنَ الْتُّهَيَّ ) أَحْسَنُ فِي  
التَّعْيِيرِ عَنِ الرَّأْسِ . فَبِإِنْ يَهَذَا أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ غَيْرُ الْآخَرِ

البحث الحادي عشر

### في الانسجام

( عن شرح بديعة العميان لابن جابر وبديعة الحموي )

( راجع صفحة ٢١ من علم الادب )

الْإِنْسِجَامُ لُغَةً جَرِيَانُ الْمَاءِ وَعِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ  
النَّاطِقُ أَوْ النَّاتِرُ بِكَلَامٍ خَالٍ مِنَ التَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ بَسِيطًا  
مَفْهُومًا دَقِيقَ الْأَلْفَاظِ جَلِيلَ الْمَعْنَى لَا تَكْلُفَ فِيهِ وَلَا تَعَسُّفَ يَتَحَدَّرُ  
كَتَحَدَّرِ الْمَاءُ الْمُتَسَحِّمُ فَيَكَادُ لِسُهُوْلَةٍ تَرْكِيْبِهِ وَعُدُوْبَةٍ أَلْفَاظِهِ أَنْ يَسِيلَ  
رِقَّةً . وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنْ هُوَ مَطْبُوعٌ عَلَى سَلَامَةِ الذَّوْقِ  
وَتَوْقُدِ الْفِكْرَةَ وَبِرَاعَةِ الْإِنْشَاءِ وَحُسْنِ الْأَسَالِيْبِ . فَإِنْ كَانَ  
صَنْوَعًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِيهِ غَالِبًا مَا يُظْهِرُ صِنَاعَتَهُ مَعَ مُقَابَلَتِهِ بِغَيْرِهِ  
مِنْ نَفْسِ صَانِعِهِ . وَإِنْ فُحِّلَ هَذَا الْمِيدَانِ مَا أَثَقَلُوا كَاهِلَ سُهُوْلَتِهِ  
بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ .  
وَعَلَى هَذَا أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ فِي حَدِّ هَذَا النَّوعِ فَانْهَمَّ قَرَرُوا : أَنْ  
يَكُونَ بَعِيدًا فِي التَّصْنَعِ خَالِيًا مِنَ الْأَنْوَاعِ الْبَدِيعِيَّةِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ

عَلَيْهَا يَصِفُ بِذَلِكَ عَدَمَ اخْتِفَالِهِ بِالْفَوَاحِ وَقَلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِالْخُطُوبِ  
الَّتِي تُخَذُّ أَفْكَارًا تَسْتَعْرِقُ الْقُلُوبَ وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَجِيبَةٌ لَا يُؤْتِي بِمِثْلِهَا  
مِمَّا يَسُدُّ مَسَدَهَا . ( وَآمَّا ) مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ فَكَقُولِ ابْنِ  
الرُّومِيِّ :

سَقَى اللَّهُ أَوْطَارًا لَنَا وَمَارِبًا      تَقَطَّعَ مِنْ أَقْرَانِهَا مَا تَقَطَّعَا  
لَيَالٍ تُنْسِيَنِي اللَّيَالِي حِسَابَهَا      بُلْهَنِيَّةٌ أَقْضِي بِهَا الْحَوْلَ أَجْمَعَا  
سِوَى عِزَّةٍ لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِاسْمِهِ      وَأَعْمَلُ فِيهِ اللَّهُ مَرَأًى وَمَسْمَعَا  
فَقَوْلُهُ : ( لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِاسْمِهِ ) مِنْ أَلَكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ أَيِ  
إِنِّي قَدْ شَغِلْتُ بِاللَّذَاتِ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَلَوْ وَصَفَ  
أَشْتِغَالَهُ بِاللَّذَاتِ مَهْمَا وَصَفَ لَمْ يَأْتِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ : ( لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ  
بِاسْمِهِ ) . ( وَآمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي ) مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ فَأَلْمَرَادُ بِهِ الْإِيحَازُ  
الَّذِي يُدَلُّ بِهِ بِالْأَلْفَافِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ أَيِ تَكُونُ  
الْأَلْفَافُ جَامِعَةً لِلْمَعَانِي الْمَقْصُودَةِ عَلَى إِيجَازِهَا وَاخْتِصَارِهَا . وَسَيَأْتِي  
فِي بَابِ الْإِيحَازِ مِنْهُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَمَنْعٌ . ( فَإِنْ قِيلَ ) : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ  
هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمَا فَلَنْهَمَا بِالنَّظَرِ سِوَاهُ . ( قُلْتُ فِي  
الْجَوَابِ ) : إِنَّ الْإِيحَازَ هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِالْأَلْفَافِ دَلَالَةً عَلَى مَعْنَى مِنْ غَيْرِ  
أَنْ تَرِيدَ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى وَلَا يُشْتَرَطُ فِي تِلْكَ الْأَلْفَافِ أَنَّهَا لَا تَظِيرُ  
لَهَا فَإِنَّهَا تَكُونُ قَدْ اتَّصَفَتْ بِوَصْفٍ آخَرَ خَارِجٍ عَنْ وَصْفِ الْإِيحَازِ .  
وَحِينَئِذٍ يَكُونُ إِيجَازًا أَوْ زِيَادَةً . وَآمَّا هَذَا الْقِسْمُ الْآخَرُ فَإِنَّهُ الْأَلْفَافُ  
أَفْرَادٌ فِي حُسْنِهَا لَا تَظِيرُ لَهَا . فَتَارَةً تَكُونُ مُوجِزَةً وَتَارَةً لَا تَكُونُ



وَالْمُرَادُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الْجَوَامِعُ لِلْمَعَانِي . وَهُوَ عِنْدِي يَقْسِمُ قِسْمَيْنِ : ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ) مِنْهُمَا هُوَ مَا اسْتُخْرِجَتْهُ وَنَبِّهَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ سَابِقٌ وَهُوَ أَنَّ لَنَا أَلْفَاظًا تَتَضَمَّنُ مِنَ الْمَعْنَى مَا لَا تَتَضَمَّنُهُ أَخَوَاتُهَا بِمَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي مَكَانِهَا . فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحِجَازِ . وَمِنْهُ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ . وَقَدْ وَرَدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ الْمُفْلِقِينَ . وَلَقَدْ تَصَفَّحْتُ الْأَشْعَارَ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا وَحَفِظْتُ مَا حَفِظْتُ مِنْهَا وَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ بِنَظَرِي فِي دِيوَانٍ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَيُلُوحُ لِي فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَجَدُ لَهَا نَشْوَةً كَنَشْوَةِ الْحَمْرِ وَطَرَبًا كَطَرَبِ الْأَحَانِ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاطِلِينَ وَالنَّائِثِينَ يَمُرُّ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَتَفَتَّنُ لَهُ سِوَى أَنَّهُ يَسْتَحْسِنُهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِيمَا نَظَرْتُ أَنَا فِيهِ وَيَظُنُّهُ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسِنَةِ . فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

كَمْ صَارِمٍ عَضِبَ أَنَا فَعَلَى قَفَا مِنْهُمْ لِأَعْبَاءِ الْوَعَى حَمَالٍ  
سَبَقَ الْمَشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى أَبْتَرَّهُ وَطَنُ النَّهْيِ مِنْ مَفْرَقٍ وَقَدَالَ  
فَقَوْلُهُ : ( وَطَنُ النَّهْيِ ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ وَهِيَ عِبَارَةٌ  
عَنِ الرَّأْسِ وَلَا يُجَاءُ بِمِثْلِهَا فِي مَعْنَاهَا بِمَا يَسُدُّ مَسَدَهَا . وَكَذَلِكَ وَرَدَ  
قَوْلُ الْبُخْتَرِيِّ :

قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيَدُّ تَمْضِي الْأُمُورِ وَنَفْسٌ لَهَا الْتَعَبُ  
فَقَوْلُهُ : ( قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعِ .  
وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَنَّ قَلْبَهُ لَا تَمْلَأُهُ الْأَفْكَارُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ عَالٍ

أَكْرَمَنِي عَبْدُ اللَّهِ وَأَكْرَمْتُ عَبْدَ اللَّهِ. وَمِمَّا يُشَبِّهُ ذَلِكَ مَفْعُولُ الْمَشِيئَةِ إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ (لَوْ). فَإِنْ كَانَ مَفْعُولُهَا عَظِيمًا أَوْ غَرِيبًا فَلَا وَلِيَ ذِكْرُهُ كَقَوْلِهِ : وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ فَإِنَّ بُكَاءَ الْإِنْسَانِ دَمًا عَجِيبٌ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا وَلِيَ حَذْفُهُ كَقَوْلِهِ : وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى. وَالتَّقْدِيرُ : وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى لَجَمَعَهُمْ. وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَرَكَّ الْكِينَاةَ إِلَى التَّصْرِيحِ لِمَا فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ التَّخَامَةِ كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّوِّ دِدٍ وَالْحَجْدِ وَالْمِــأَرِمِ مِثْلًا أَلْمَعْنَى قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا. ثُمَّ حُذِفَ لِأَنَّ هَذَا الْمَدْحَ إِنَّمَا يَتِمُّ بِنَفْيِ الْمِثْلِ فَلَوْ قَالَ : قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا فِي السُّوِّ دِدٍ وَالْحَجْدِ فَلَمْ نَجِدْ لَكَ لَكَ أَنْ أَوْقَعَ نَفْيَ الوجودِ عَلَى ضَمِيرِ (الْمِثْلِ) فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ الْمُبَالَغَةِ مَا إِذَا أَوْقَعَهُ عَلَى صَرِيحِ الْمِثْلِ. فَإِنَّ الْكِينَاةَ لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَ الصَّرِيحِ. وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

## البحث العاشر

### في جوامع الكلم

( عن المثل السائر لابن الاثير باختصار )

إِنَّ الْكَلِمَ جَمْعُ كَلِمَةٍ. وَالْجَوَامِعُ جَمْعُ جَامِعَةٍ. وَالْجَامِعَةُ اسْمُ فَاعِلَةٍ مِنْ جَمَعَتْ فِيهِ جَامِعَةٌ. كَمَا يُقَالُ فِي الْمَذَكَّرِ جَمَعَ فَهُوَ جَامِعٌ

إِلَى حَيْثُ يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا لَهٗ سَوَاءٌ كَانَ فِي نَفْسِهِ  
كَذَلِكَ أَوْ بِحَسَبِ دَعْوَى الشَّاعِرِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ فَذَكَرَهُ يُبْطِلُ  
هَذَا الْغَرَضَ . وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : مَا مِنْ أَسْمٍ يُحْذَفُ فِي الْحَالَةِ  
يَنْبَغِي أَنْ يُحْذَفَ فِيهَا إِلَّا وَحْدَهُ أَحْسَنُ مِنْ ذِكْرِهِ فَمِنْ حَذْفِ  
الْمُبْتَدَأِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا يُنْعِدِ اللَّهُ التَّلَبُّبَ مَ وَالْغَارَاتِ إِذْ قَالَ الْخَمِيسُ نَعَمْ  
أَيُّ هَذِهِ نَعَمْ . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَطْرُدُ  
فِيهَا حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ بِالْقَطْعِ وَالِاسْتِنَافِ أَنَّهُمْ يَبْدَأُونَ بِذِكْرِ الرَّجُلِ  
وَيُقَدِّمُونَ بَعْضَ أَمْرِهِ ثُمَّ يَدْعُونَ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ فَيَسْتَأْنِفُونَ كَلَامًا  
آخَرَ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَتَوْا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِجَهْرِ مِنْ غَيْرِ مُبْتَدَأٍ مِثَالُ ذَلِكَ :  
وَعَلِمْتُ أَيُّ يَوْمَ ذَا لَكَ مُنَازِلٌ كَعَبًا وَنَهْدًا  
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ مَ تَنَمَّرُوا حَلْفًا وَقَدَا  
وَقَوْلُ الْخَطِيبَةِ :

هُمْ حَلَاوٌ مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا  
أُسَاةٌ مَكَارِمٍ وَأُسَاةٌ كَلَمٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ  
وَأَمِثْلُهُ كَثِيرَةٌ . وَمِنْ حَذْفِ الْخَبَرِ قَوْلُهُ : لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا  
مُؤْمِنِينَ أَيُّ لَوْلَا أَنْتُمْ مُضِلُّونَا . وَقَوْلُ عُمَرَ : لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ . أَيُّ  
لَوْلَا عَلِيٌّ حَاضِرٌ أَوْ مُفْتٍ . وَمِمَّا يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ قَوْلُهُ : طَاعَةٌ وَقَوْلُ  
مَعْرُوفٍ . وَقَوْلُهُ : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

الِاضْمَارُ عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ كَقَوْلِكَ : أَكْرَمَنِي وَأَكْرَمْتَ عَبْدَ اللَّهِ أَيُّ



الْمَفْعُولُ كَقَوْلِ طَفِيلٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْلَقْتَ      بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِينَ فَرَلْتَ  
أَبُو أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أُمْنَا      تَلَا فِي الَّذِي لَا قُوَّةَ مِنَّا لَمَلْتَ  
هُمْ خَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَاجْلَاؤَا      إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْفَاتٍ وَأَظَلَّتْ  
وَالْأَضَلُّ أَنْ يَقُولَ : لَمَلَّتْنَا وَاجْلَاؤَنَا وَادْفَاتْنَا وَأَظَلَّتْنَا فَحَذَفَ

الْمَفْعُولَ الْمُعَيْنَ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ وَكَأَنَّهُ قَدْ أُهِمَّ وَلَمْ يُقْصَدْ  
قَصْدُ شَيْءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ كَمَا تَقُولُ : قَدْ مَلَ فُلَانٌ . تُرِيدُ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ  
الْمَلَالُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَخْصَّ شَيْئًا بَلْ لَا تُرِيدُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ الْمَلَالَ مِنْ  
صِفَتِهِ . فَكَذَلِكَ الشَّاعِرُ جَعَلَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِنْ ذَاتِهِمْ وَلَوْ أَضَافَ  
إِلَى مَفْعُولٍ مُعَيَّنٍ لَبَطَلَ هَذَا الْفَرَضُ . (الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ ذِكْرُهُ  
إِلَّا إِنَّكَ لَا تَذْكُرُهُ إِيَّاهُمَا لِأَنَّكَ لَا تَقْصِدُ ذِكْرَهُ كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :

شَجَوْ حُسَادِهِ وَغَضِبُوا عِدَاهُ      أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ  
الْمَعْنَى أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ مُحَاسِنَةً وَأَنْ يَسْمَعَ وَاعٍ أَخْبَارَهُ . وَلَكِنَّهُ  
نَغَافِلٌ عَنْ ذَلِكَ إِذَا بَانَ فَضَائِلُهُ يَكْفِي فِيهَا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهَا بَصَرٌ  
وَيَعْبَاهَا سَمْعٌ حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّ الْمُنْفَرِدَ بِالْفَضَائِلِ فَلَيْسَ حُسَادِهِ وَعِدَاهُ  
أَشْجَى مِنْ عَلَيْهِمْ بَانَ هَاهُنَا مُبْصِرًا وَسَامِعًا . (الثَّالِثُ) أَنْ يُحْذَفَ  
لِكَوْنِهِ بَيْنَا كَقَوْلِهِمْ : أَضَعَيْتُ إِلَيْكَ . أَيُّ أُذُنِي . وَأَغَضَيْتُ عَلَيْكَ .  
أَيُّ جَفْنِي

( فَضْلٌ فِي حَذْفِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ) قَدْ يُحْسَنُ حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ حَيْثُ  
يَكُونُ الْفَرَضُ أَنَّ قَدْ بَلَغَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْوَصْفِ بِمَا جُعِلَ وَضْعًا لَهُ

زَيْدًا قَائِمٌ . وَفِي الدَّارِ سَعْدٌ جَالِسٌ . وَلَا يَجُوزُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْعَامِلِ  
وَالْمَعْمُولِ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ فَلَا تَقُولُ : كَانَتْ زَيْدًا الْحُمَى تَأْخُذُ . إِذَا  
رَفَعْتَ الْحُمَى بِكَانَتْ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعَامِلِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ . فَإِنْ  
أَضْمَرْتَ الْحُمَى فِي كَانَتْ صَحَّتِ الْمَسَلَّةُ

## البحث التاسع

### في الحذف والاضمار

( عن صناعة الترسل ايضاً )

( راجع صفحة ٢٠ من علم الادب )

اعْلَمْ أَنَّ الْأَفْعَالَ الْمُتَعَدِّيَةَ الَّتِي يُتْرَكُ ذِكْرُ مَفْعُولَاتِهَا عَلَى قِسْمَيْنِ :  
( الْأَوَّلُ ) أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَفْعُولٌ مُعَيَّنٌ فَقَدْ يُتْرَكُ مَفْعُولُهُ لَفْظًا  
وَتَقْدِيرًا وَيُجْعَلُ حَالُهُ كَحَالِ غَيْرِ الْمُتَعَدِّي كَقَوْلِهِمْ : فَلَانُ يُحِلُّ وَيَعْقِدُ  
وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ . وَالْمَقْصُودُ اثْبَاتُ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ لِلشَّيْءِ  
مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِحَدِيثِ الْمَفْعُولِ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : بِحَيْثُ يَكُونُ مِنْهُ  
حَلٌّ وَعَقْدٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وَضَرْ وَنَفْعٌ . وَبِالْجُمْلَةِ مَتَى كَانَ الْقَرَضُ بَيَانِ  
حَالِ الْفَاعِلِ فَقَطْ فَلَا تُعَدُّ الْفِعْلُ فَإِنْ تَعَدِّيَّتُهُ تَنْقُصُ الْقَرَضُ . أَلَا  
تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : فَلَانٌ يُعْطِي الدَّانِيَةَ كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانِ  
جِنْسِ مَا تَتَوَلَّاهُ الْإِعْطَاءُ لَا بَيَانِ حَالِ كَوْنِهِ مُعْطِيًا . ( الثَّانِي ) أَنْ  
يَكُونَ لَهُ مَفْعُولٌ مَعْلُومٌ إِلَّا أَنَّهُ يُحْذَفُ مِنَ اللَّفْظِ لِأَغْرَاضٍ : ( الْأَوَّلُ )  
أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بَيَانِ حَالِ الْفَاعِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ دَأْبُهُ لَا بَيَانُ

بِمَا بَعْدَهُ كَقَوْلِهِ: وَتَغَشَّى وَجُوهَهُمُ النَّارُ. فَإِنَّهُ أَشْكَلُ بِمَا بَعْدَهُ.  
وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. وَبِمَا قَبْلَهُ وَهُوَ: مُقَرَّنِينَ فِي  
الْأَصْفَادِ. (الثَّالِثُ) أَنْ يَكُونَ أَعْرَفَ أَوْ أَشَدَّ تَعَلُّقًا بِمَا بَعْدَهُ  
كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ قَامَ. وَقَامَ زَيْدٌ. وَزَيْدٌ الطَّوِيلُ. (الرَّابِعُ) أَنْ  
يَكُونَ مِنَ الْخُرُوفِ الَّتِي لَهَا صَدْرُ الْكَلَامِ كَخُرُوفِ الْإِسْتِفْهَامِ وَاللَّفْظِ  
فَإِنَّ الْإِسْتِفْهَامَ طَلَبُ فَهْمِ الشَّيْءِ وَهُوَ حَالَةٌ إِضَافِيَّةٌ فَلَا تَسْتَقِيلُ  
بِالْمَفْهُومِيَّةِ فَيَشْتَدُّ اتِّصَالُهُ بِمَا بَعْدَهُ. (الخَامِسُ) تَقْدِيمُ الْكَلِمَةِ  
عَلَى جُزْئِيَّاتِهِ. فَإِنَّ الشَّيْءَ كُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ عُمُومًا كَانَ أَعْرَفَ فَإِنَّ  
الْوُجُودَ لَمَّا كَانَ أَعَمَّ الْأُمُورِ كَانَ أَعْرَفَهَا عِنْدَ الْعَقْلِ. (السَّادِسُ)  
تَقْدِيمُ الدَّلِيلِ عَلَى الدَّلُولِ

وَأَمَّا التَّأْخِيرُ فَيَحْسُنُ فِي مَوَاضِعَ: (الْأَوَّلُ) تَأَمُّمُ الْأِسْمِ كَالصِّلَةِ  
وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ. (الثَّانِي) تَوَابُعُ الْأَسْمَاءِ. (الثَّالِثُ) الْفَاعِلُ.  
(الرَّابِعُ) الْمُضَرَّ وَهُوَ إِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا لَفْظًا وَتَقْدِيرًا كَقَوْلِكَ:  
ضَرَبَ زَيْدٌ غُلَامَهُ. أَوْ مُؤَخَّرًا فِي اللَّفْظِ مُقَدِّمًا فِي الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ: وَإِذَا  
أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ. أَوْ بِالْعَكْسِ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدٌ. جَازَ.  
وَأَنْ تَقَدَّمَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَمْ يَجُزْ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدًا.  
(الخَامِسُ) مَا يُفْضِي إِلَى اللَّبْسِ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ مُوسَى عِيسَى. وَأَكْرَمَ  
هَذَا هَذَا. فَيَجِبُ فِيهِ تَقْدِيمُ الْفَاعِلِ. (السَّادِسُ) الْعَامِلُ الَّذِي يَضْعُفُ  
عَمَلُهُ كَالصِّفَةِ الْمَشَبَّهِةِ وَالتَّمْيِيزِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ حَرْفٌ أَوْ مَعْنَى كَقَوْلِكَ: هُوَ  
حَسَنٌ وَجْهًا. وَكَرِيمٌ أَبًا. وَتَصَبَّبَ عَرَقًا. وَحَسَنَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا وَإِنْ



الْأَبْصَارَ لَا تَعْمَى وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يُفْلِحُونَ . وَهَذَا الْكَلَامُ فِي الْخَبَرِ  
الْمُنْفِيِّ . فَإِذَا قُلْتَ . أَنْتَ لَا تُحْسِنُ هَذَا . كَانَ أَبْلَغَ مِنْ أَنْ تَقُولَ :  
لَا تُحْسِنُ هَذَا . فَإِلَّا أَوَّلُ لِمَنْ هُوَ أَشَدُّ إِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَأَكْثَرُ دَعْوَى  
بِأَنَّهُ يُحْسِنُ . وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ تَقْدِيمُ الْأَسْمِ كَاللَّازِمِ وَهُوَ :  
( كَيْشِلْ ) فِي نَحْوِ قَوْلِهِ :

يَا عَادِي دَعْنِي مِنْ عَذْلِكَ      مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ  
وَقَوْلِ الْمُتَسَيِّ :

مِثْلَكَ يَشْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ      وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ  
وَكَقَوْلِ النَّاسِ : مِثْلَكَ يَرْغَى الْحَقُّ وَالْحُرْمَةُ . وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ مِمَّا  
لَا يَقْصِدُ فِيهِ إِلَّا نَسَانُ سِوَى الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ وَجِيءَ بِهِ لِلْمُبَالَغَةِ .  
وَالْمَعْنَى إِنْ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي الْحَالِ وَالصِّفَةِ كَانَ مِنْ مُقْتَضَى الْقِيَاسِ  
أَنْ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ فَكَيْفَ بِهِ . وَقَدْ عَبَّرَ الْمُتَسَيِّ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :  
وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَعْنِي بِهِ      سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشَبِّهِ

وَكَذَلِكَ حُكْمُ ( غَيْرِ ) إِذَا سُلِكَ فِيهِ هَذَا الْمَسْلُوكُ كَقَوْلِ الْمُتَسَيِّ :  
غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَخْجَعُ      إِنْ قَاتَلُوا جَبْنُوا أَوْ حَدَثُوا شَجَعُوا  
أَيُّ لَسْتُ مِمَّنْ يَخْجَعُ وَيَغْتَرُّ . وَلَوْ لَمْ يُقَدِّمَ ( مِثْلًا وَغَيْرًا ) فِي  
هَذِهِ الصُّورِ لَمْ يُرِدْ هَذَا الْمَعْنَى

( أَمَّا مَوَاضِعُ التَّقْدِيمِ وَالَّتَّأْخِيرِ ) فَقَدْ يُحْسِنُ التَّقْدِيمُ فِي مَوَاضِعَ :  
( الْأَوَّلُ ) أَنْ تَكُونَ الْحَاجَةُ إِلَى ذِكْرِهِ أَشَدَّ كَقَوْلِكَ : قَطَعَ اللَّصَّ  
الْأَمِيرُ . ( الثَّانِي ) أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَلْيَقَ بِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَوْ

وَيُنَاقِضُهُ الْإِثْبَاتُ الْخَاصُّ . فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ كُنْتَ كَاذِبًا . وَإِنْ قَدَّمْتَ  
الْسَّلْبَ وَقُلْتَ : لَمْ أَفْعَلْ كُلَّ ذَلِكَ . كَانَ نَفْيًا لِلْعُمُومِ وَلَا يُنْكَاسِي  
الْإِثْبَاتَ الْخَاصَّ فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ لَمْ تَكُنْ كَاذِبًا . (الثَّالِثُ فِي التَّقْدِيمِ  
وَالْتَأْخِيرِ فِي الْخَبَرِ الْمَثْبُتِ ) مَا تَقَدَّمَ فِي الْأَسْتِفْهَامِ وَالنَّفْيِ قَائِمٌ هَاهُنَا  
فَإِذَا قَدَّمْتَ الْأَمْرَ وَقُلْتَ : زَيْدٌ فَعَلَ وَأَنَا فَعَلْتُ . فَأَلْقَصِدُ أَنَّ  
الْفَاعِلَ إِمَّا لِلتَّخْصِصِ ذَلِكَ الْفِعْلَ بِهِ كَقَوْلِكَ : أَنَا شَفَعْتُ فِي شَأْنِهِ  
مُدْعِيًا الْإِفْرَادَ بِذَلِكَ . أَوْ لِتَأْكِيدِ إِثْبَاتِ الْفِعْلِ لَهُ لَا لِلتَّحْصِرِ  
كَقَوْلِكَ : هُوَ يُعْطِي الْجَزِيلَ . لِيَتِمَّكَنَ فِي نَفْسِ السَّامِعِ أَنَّ ذَلِكَ  
دَأْبُهُ دُونَ نَفْيِهِ عَنْ غَيْرِهِ كَقَوْلِ دَرْنَا بِنْتُ عَشْعَشَةَ :

هُمَا يَلْبَسَانِ الْحَجْدَ أَحْسَنَ لِنِسَةِ شَحِيحَانِ مَا أَسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا  
وَالسَّبَبُ فِي هَذَا التَّأْكِيدِ إِذَا قُلْتَ مَثَلًا : ( زَيْدٌ ) . فَقَدْ أَشْعَرْتَ  
بِأَنَّكَ تُرِيدُ الْحَدِيثَ عَنْهُ فَيُخْصَلُ لِلْسَّامِعِ تَبَشُّرٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ . فَإِذَا  
ذَكَرْتَهُ قَبْلَهُ النَّفْسُ قَبُولَ الصَّدِيقِ صَدِيقَةٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي  
التَّحْقِيقِ وَنَفْيِ الشَّكِّ وَالشُّبْهِ . وَلِهَذَا تَقُولُ لِمَنْ تَعُدُّهُ : أَنَا أُعْطِيكَ .  
أَنَا أَكْفِيكَ . أَنَا أَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ . وَذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ شَأْنٍ مَنْ  
سَبَقَ لَهُ وَعَدٌ أَنْ يَعْتَرِضَهُ الشَّكُّ فِي وَفَائِهِ . وَلِذَلِكَ يُقَالُ فِي الْمَدْحِ :  
أَنْتَ تُعْطِي الْجَزِيلَ . أَنْتَ تَجُودُ حِينَ لَا يَجُودُ أَحَدٌ . وَمِنْ هَاهُنَا  
تُعَرَّفُ التَّحَاكُمَةُ فِي الْجَمَلِ الَّتِي فِيهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالْقِصَّةِ كَقَوْلِهِ : فَإِنَّهَا  
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَالْأَكْنَ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . وَكَقَوْلِهِ :  
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ . ( وَإِنَّهَا ) فِيهَا مَا لَيْسَ فِي قَوْلِكَ : فَإِنَّ

أَتْرَكُ إِنْ قُلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتُهُ إِنِّي إِذَا لَلْتِمُّ  
 أَوْ لَتَقْدِيمِ الْفِعْلِ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَرْكَبُ الْخَطَرَ : أَتْرَكُ فِي هَذَا  
 الْوَقْتِ . وَإِنْ أَدَخَلْتُهُ عَلَى الْأِسْمِ فَهُوَ لِإِنْكَارِ صُدُورِ الْفِعْلِ مِنْ  
 ذَلِكَ الْفَاعِلِ إِمَّا لِاسْتِحْقَاقِ كَقَوْلِكَ : أَأَنْتَ تَنْعُنِي . أَوْ لِلتَّعْظِيمِ  
 كَقَوْلِكَ : أَهْوَى يَسْأَلُ النَّاسَ . أَوْ لِلْمُبَالَغَةِ إِمَّا فِي كَرَمِهِ كَقَوْلِكَ :  
 أَهْوَى يَنْعُ مَائِلَهُ . وَإِمَّا فِي خَسَاسَتِهِ كَقَوْلِكَ : أَهْوَى يَسْمَحُ بِمِثْلِ هَذَا .  
 وَقَدْ يَكُونُ لِيَبَانِ اسْتِحَالَةِ فِعْلِ ظَنْ مُمَكِّنًا كَقَوْلِهِ : أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ  
 الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَى . وَكَذَلِكَ إِذَا أَدَخَلْتُهُ عَلَى الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ :  
 أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخَذَ وَلِيًّا وَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ . وَأَبْشَرًا مِنَّا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ .

بَنَوْا كُفْرَهُمْ عَلَى أَنَّ الْبَشَرَ لَيْسَ بِمَثَابَةٍ أَنْ يُتَّبَعَ وَيُطَاعَ  
 ( فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي النَّفْيِ ) إِذَا أَدَخَلْتَ النَّفْيَ عَلَى الْفِعْلِ  
 قُلْتَ : مَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . فَقَدْ نَفَيْتَ عَنْ زَيْدٍ ضَرْبًا وَاقِعًا بِزَيْدٍ وَهَذَا  
 لَا يَقْتَضِي كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا . وَإِذَا أَدَخَلْتُهُ عَلَى الْأِسْمِ قُلْتَ : مَا  
 أَنَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . أَقْتَضَى مِنْ بَابِ دَلِيلِ الْخَطَابِ كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا  
 وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي :

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرُ كُلَّهُ وَلَكِنْ لَشَعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شَعْرٌ  
 وَكَذَلِكَ ( حُكْمُ الْحَارِّ وَالْحَجْرُورِ وَحُكْمُ الْمَفْعُولِ ) . فَإِذَا قُلْتَ : مَا  
 أَمَرْتُكَ بِهَذَا . لَمْ يَقْتَضِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَمَرْتُهُ بِشَيْءٍ غَيْرِ هَذَا . وَإِذَا  
 قُلْتَ : مَا بِهَذَا . أَمَرْتُكَ . أَقْتَضَاهُ . وَإِذَا قَدَّمْتَ صِفَةَ الْعُمُومِ عَلَى  
 السَّلْبِ وَقُلْتَ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ أَفْعَلْهُ بِرَفْعِ ( كُلِّ ) كَانَ نَفْيًا عَامًّا



أَنَّ قَتْلَ الْخَارِجِيِّ هُوَ الَّذِي يَغْنِيهِمْ . وَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ قَتْلُ مَنْ  
رَجُلٍ يَبْعُدُ فِي اعْتِقَادِ النَّاسِ وَقُوعُ الْقَتْلِ مِنْ مِثْلِهِ قَدْ أَمْسَى ذِكْرُ  
الْفَاعِلِ فَيَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ رَجُلًا . لِاعْتِقَادِ النَّاسِ فِي الْمَذْكُورِ خِلَافَ  
ذَلِكَ ( اهـ ) . وَلَنْذَكُرُ مِنْهُ ثَلَاثَةَ مَوَاضِعَ يُعْرَفُ بِهَا مَا لَمْ يُذَكَّرْ :  
( الْأَوَّلُ الْإِسْتِفْهَامُ ) فَإِذَا ادْخَلْتَهُ عَلَى الْفِعْلِ وَقُلْتَ : أَضْرَبْتَ  
زَيْدًا . كَانَ الشَّكُّ فِي وُجُودِ الْفِعْلِ مُحَقَّقًا وَالشَّكُّ فِي تَعْيِينِ الْفَاعِلِ  
وَهَكَذَا حُكْمُ النَّكِرَةِ . فَإِذَا قُلْتَ : أَجَاءَكَ رَجُلٌ فَإِنَّ الْقَصْدَ  
هَلْ وَجَدَ الْحَيَّ مِنْ رَجُلٍ . فَإِذَا قُلْتَ : أَرَجُلٌ جَاءَكَ كَانَ ذَلِكَ  
سُوءَ الْأَعْنَ جِنْسٍ مِنْ جَاءَ بَعْدَ الْحُكْمِ بِوُجُودِ الْحَيِّ مِنْ إِنْسَانٍ .  
وَقَسَّ عَلَيْهِ الْخَبَرُ فِي قَوْلِكَ : ضَرَبْتُ زَيْدًا وَزَيْدًا ضَرَبْتُ . وَجَاءَ نِي  
رَجُلٌ تَمِيحِي . وَرَجُلٌ تَمِيحِي جَاءَ نِي . ثُمَّ الْإِسْتِفْهَامُ قَدْ تَمِيحِي لِلْإِنْكَارِ :  
وَهُوَ إِمَّا لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيحِ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ : أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا . وَإِمَّا  
لِلإِنْكَارِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ مَعَ تَحْقِيقِ الْفِعْلِ كَقَوْلِكَ لِنِ أَنْتَ شَعْرًا :  
أَنْتَ قُلْتَ هَذَا . وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مُضَارِعًا فَإِنْ ادْخَلْتَ حَرْفَ  
الْإِسْتِفْهَامِ عَلَيْهِ كَانَ إِمَّا لِلإِنْكَارِ وَوُجُودِهِ كَقَوْلِهِ : أَنْزَلْتُكُمْ هَاوَاتِمَ هَا  
كَارِهُونَ . أَوْ لِلإِنْكَارِ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى الْفِعْلِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
أَيْقُنْنِي وَالْمَشْرِيئِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْبَابِ أَعْوَالِ  
أَوْ لِإِزَالَةِ طَمَعٍ مِنْ طَمَعٍ فِي أَمْرٍ لَا يَكُونُ فَيَجْهَلُهُ فِي طَمَعِهِ  
كَقَوْلِكَ : أَرْضَى عَنْكَ فَلَانٌ وَأَنْتَ عَلَى مَا يَكْرَهُ . أَوْ لِتَغْنِيفٍ مِنْ  
يُضِيعُ الْحَقَّ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَلَكِنَّ التَّعْرِيزَ بِأَمْرٍ هُوَ مُقْتَضَاهُ . وَهَذَا الْقَرَضُ لَا يَحْصُلُ بِدُونِ  
( أَمَّا ) لِأَنَّ مِنْ إِثْبَاتِهَا تَضْمِينَ الْكَلَامِ مَعْنَى النَّفْيِ بَعْدَ الْإِثْبَاتِ .  
فَإِذَا أَسْقَطْتَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا إِثْبَاتُ الْحُكْمِ لِلْمَذْكُورِينَ فَلَا يَدُلُّ  
عَلَى نَفْيِ غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنْ يُذْكَرَ فِي مَعْرُضِ سَدْحِ الْإِنْسَانِ بِالتَّيَقُّظِ  
وَالْكَرَمِ وَأَمَثَلِهِمَا كَمَا يُقَالُ : كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْعَاقِلُ وَهَكَذَا يَفْعَلُ  
الْكَرِيمُ

### البحث الثامن

### في التقديم والتأخير

( عن صناعة الترسل ايضاً )

( راجع علم الادب صفحة ١٩ )

إِذَا قُدِّمَ الشَّيْءُ عَلَى غَيْرِهِ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ كَمَا  
إِذَا قُدِّمَ الْخَبَرُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ وَلَكِنْ  
أَنْتَقَلَ الشَّيْءُ مِنْ مُحْكَمٍ إِلَى آخَرٍ . كَمَا إِذَا جِئْتَ إِلَى أَتَمِّينَ جَازَ أَنْ  
يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُبْتَدَأً فَجَعَلْتَ أَحَدَهُمَا مُبْتَدَأً كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ  
الْمُنْطَلِقُ وَالْمُنْطَلِقُ زَيْدٌ . قَالَ الْجُرْجَانِيُّ : كَانَهُمْ يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَّانُهُ  
أَهَمُّ لَهُمْ وَهُمْ بَيَّانُهُ أَغْنَى وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يَبَيِّنُهُمْ وَيَعْنِيَانِهِمْ . وَمِثْلُهُ  
إِنَّ النَّاسَ إِذَا تَعَلَّقَ غَرَضُهُمْ بِقَتْلِ خَارِجِيٍّ مُفْسِدٍ وَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ  
صَدَرَ الْقَتْلُ مِنْهُ وَارَادَ مُرِيدُ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ فَلَدَنَّهُ يُقَدِّمُ ذِكْرَ الْخَارِجِيِّ  
فَيَقُولُ : قَتَلَ الْخَارِجِيَّ زَيْدٌ . وَلَا يَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ الْخَارِجِيَّ . لِأَنَّهُ يَعْلَمُ

زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ وَمَا قَائِمٌ إِلَّا زَيْدٌ. وَأَمَّا (إِنَّمَا) فَلَا اخْتِصَاصُ فِيهَا يَقَعُ مَعَ  
الْمُتَأَخِّرِ. فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرُو. فَلَا اخْتِصَاصَ فِي الضَّارِبِ.  
وَقَوْلُهُ: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) فَلَا غَرَضَ بَيَانِ الْمَرْفُوعِ  
وَهُوَ أَنَّ الْخَاشِينَ هُمُ الْعُلَمَاءُ. وَلَوْ قُدِّمَ الْمَرْفُوعُ لَصَارَ الْمَقْصُودُ بَيَانِ  
الْخَشْيَةِ مِنْهُ فَالْأَوَّلُ أَتَمُّ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

أَنَا الرَّائِدُ الْحَامِي الدَّمَارُ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي  
فَإِنَّ غَرَضَهُ أَنْ يَحْصُرَ الْمُدَافِعَ بِأَنَّهُ هُوَ لَا الْمُدَافِعَ عَنْهُ. وَلَوْ قَالَ:  
إِنَّمَا أَنَا أَدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ. تَوَجَّهَ التَّخْصِصُ إِلَى الْمُدَافِعِ عَنْهُ. إِذَا  
أَدْخَلْتَ عَلَيْهِمَا (إِنَّمَا) فَإِنَّ قَدِّمْتَ الْخَبَرَ فَلَا اخْتِصَاصَ لِلْمُسْتَدِّ. وَإِنْ  
لَمْ تُقَدِّمَهُ فَلِلْخَبَرِ. فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّمَا هَذَا لَكَ فَلَا اخْتِصَاصَ فِي (لَكَ)  
بِدَلِيلِ أَنَّكَ تَقُولُ بَعْدَهُ: لَا لِغَيْرِكَ. وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا لَكَ هَذَا.  
فَلَا اخْتِصَاصَ فِي هَذَا بِدَلِيلِ أَنَّكَ تَقُولُ بَعْدَهُ لَأَذَاكَ. ثُمَّ قَدْ يَجْتَمِعُ  
مَعَهُ حَرْفُ النِّفْيِ إِمَّا مُتَأَخِّرًا كَقَوْلِكَ: إِنَّمَا يَحْيَى زَيْدٌ لَا عَمْرُو. وَقَالَ  
أَبِيئِد:

وَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَلْأَجْزِهِ: إِنَّمَا يَجْزِي أَلْفَتِي لَيْسَ الْحَمْلُ  
وَأَمَّا مُقَدِّمًا عَلَيْهِ كَقَوْلِكَ: مَا جَاءَ نِي زَيْدٌ وَإِنَّمَا جَاءَ نِي عَمْرُو.  
فَهَا هُنَا لَوْ لَمْ تَقُلْ: (إِنَّمَا). وَقُلْتَ: مَا جَاءَ نِي زَيْدٌ وَجَاءَ نِي عَمْرُو.  
لَكَانَ الْكَلَامُ مَعَ مَنْ ظَنَّ أَنَّهَا جَاءَ أَجْمِيعًا. وَإِذَا أَدْخَلْتَهَا كَانَ  
الْكَلَامُ مَعَ مَنْ غَلِطَ فِي الْجَائِي أَنَّهُ زَيْدٌ لَا عَمْرُو. وَأَعْلَمَ أَنَّ أَقْوَى مَا  
يَكُونُ إِنَّمَا إِذَا كَانَ لَا يُرَادُ بِالْكَلَامِ الَّذِي بَعْدَهَا نَفْسُ مَعْنَاهَا



(الْحَامِسَةُ) قَالَ الْمُرَدُّ إِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ . فَهُوَ  
 جَوَابٌ عَنْ سُؤَالِ سَائِلٍ . فَإِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . فَهُوَ جَوَابٌ  
 عَنْ انْكَارِ نَكِرٍ لِقِيَامِهِ سَوَاءٌ كَانَ الَّنَكِرُ هُوَ السَّائِلُ أَوِ الْخَاضِرِينَ  
 (وَأَمَّا إِنَّمَا) قِتَارَةٌ تَحِي لِلْخَصْرِ بِمَعْنَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لَا يُوجَدُ فِي  
 غَيْرِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ (لَيْسَ إِلَّا) كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا يَسْتَحِبُّ الَّذِينَ  
 يَسْمَعُونَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ  
 مُنذِرٌ مَنْ يُخْشَاهَا . وَتَارَةٌ تَحِي لِيَبَانَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ ظَاهِرٌ عِنْدَ كُلِّ  
 أَحَدٍ سَوَاءٌ كَانَ كَذَلِكَ أَوْ فِي زَعْمِ الْمُتَكَلِّمِ . وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :  
 إِنَّمَا مُصْعَبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّهِ مَ تَجَلَّتْ مِنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ  
 مُدْعِيًا أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُنْكِرُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ . (فَائِدَةٌ) إِذَا  
 دَخَلَ (مَا وَإِلَّا) عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُشْتَبِهَةِ عَلَى الْمَنْصُوبِ كَانَ الْمَقْصُودُ بِالذِّكْرِ  
 مَا اتَّصَلَ (بِإِلَّا) مُتَأَخِّرًا عَنْهُ . فَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ عُمَرَا إِلَّا زَيْدٌ .  
 فَالْمَقْصُودُ الْمَرْفُوعُ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عُمَرَا . فَالْمَقْصُودُ  
 الْمَنْصُوبُ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عُمَرَا . فَالْإِخْتِصَاصُ بِالضَّارِبِ .  
 وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدًا عُمَرُو . فَالْإِخْتِصَاصُ بِالْمَضْرُوبِ . وَإِذَا  
 قُلْتَ : لَمْ أَكْسُ إِلَّا زَيْدًا جَبَّةً . فَالْمَعْنَى تَخْصِصُ سُوَّةِ الْجَبَّةِ بَيْنَ  
 النَّاسِ بِزَيْدِهِ . وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ حَيْثُ يَكُونُ يَدُلُّ أَحَدُ الْمَفْعُولَيْنِ جَارًا  
 وَمَجْرُورًا كَقَوْلِ السَّيِّدِ الْحَمِيرِيِّ :

لَوْ خَيْرَ النَّسْرِ فُرْسَانَهُ . مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا .  
 وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَالْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ كَقَوْلِكَ : مَا

الْمَاضِي فَقَالُوا : جَاءَ زَيْدٌ مَا ضَرَبَ عَمْرًا. وَجَاءَ زَيْدٌ وَمَا ضَرَبَ عَمْرًا

### البحث السابع

في تأكيد الكلام وقصره وتعزيزه باناً وانما

( عن صناعة النرسل ايضاً )

( راجع صفحة ١٩ من علم الادب )

أَمَّا ( إِنْ ) فَلَهَا فَوَائِدُ : ( الْأُولَى ) أَنَّهَا تَرْبِطُ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ  
بِالْأُولَى وَبِسَبَبِهَا يَحْصُلُ التَّأْلِيفُ بَيْنَهُمَا حَتَّى كَانَ الْكَلَامَيْنِ أَوْفَرَا  
أَوْفَرَا وَاحِدًا وَلَوْ أَسْقَطْتُمَا كَانَ الثَّانِي نَاتِبًا عَنِ الْأَوَّلِ كَقَوْلِهِ :  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . ( الثَّانِيَةُ )  
أَنَّكَ تَرَى لِضَمِيرِ الشَّانِ وَالْقِصَّةِ فِي الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ مَعَ ( إِنْ ) مِنْ  
الْحُسْنِ وَاللُّطْفِ مَا لَا تَرَاهُ إِذَا هِيَ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ : إِنَّهُ  
مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ . ( الثَّلَاثَةُ ) أَنَّهَا  
تُهَيِّئُ النَّكِرَةَ وَتُضَلِّحُهَا لِأَنْ يُحْدِثَ عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ النَّكِرَةُ مَوْضُوعَةً  
جَارَ حَذْفُهَا وَلَكِنْ دُخُولُهَا أَصْلَحَ كَقَوْلِ حَسَّانَ :

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجَمَلٍ لَزِمَانٌ بِهِمْ بِالْإِحْسَانِ  
( الرَّابِعَةُ ) أَنَّهَا تُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ كَمَا إِذَا قِيلَ لَكَ : النَّاسُ  
أَلْبُوا عَلَيْكُمْ فَهَلْ لَكُمْ أَحَدٌ . فَقُلْتُ : إِنْ زَيْدًا أَوْ إِنْ عَمْرًا .  
أَيُّ لَنَا . قَالَ الْأَعَشَى :

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحِلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا

كَقَوْلِكَ : لَقِيتُكَ رَاكِبًا وَالْحَسَنُ قَادِمٌ . فَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ التَّاءِ أَوْ  
مِنْ الْكَافِ وَالْعَامِلُ فِيهَا (لَقِيتُ) أَوْ مِنْ ضَمِيرِ (رَاكِبٍ) وَرَاكِبٌ  
هُوَ الْعَامِلُ فِيهَا . (الْقِسْمُ الثَّانِي) الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ . وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ  
مَاضِيًا أَوْ مُضَارِعًا . أَمَّا الْمَاضِي فَلَا بُدَّ مَعَهُ مِنَ الْإِثْنَانِ بِالْوَاوِ وَقَدْ  
أَوْ بِأَحَدِهِمَا كَقَوْلِكَ : نَكَلَمْتُ وَقَدْ عَجَلْتُ . وَجَاءَ زَيْدٌ قَدْ ضَرَبَ  
عَمْرًا . وَجِئْتُ وَاسْرَعْتُ فِي الْحَجِيِّ . وَلَمْ يُجْزِ الْبَصْرِيُّونَ حُلُوهُ عَنْهُمَا  
وَقَالُوا فِي قَوْلِ أَبِي صَخْرٍ الْهُذَلِيِّ :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هِزَّةً كَمَا اتَّقَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ  
إِنَّ (قَدْ) مُقَدَّرَةٌ فِيهَا فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُرِفَ مَوْضِعُهُ جَازَ حَذْفُهُ .  
وَأَمَّا الْمُضَارِعُ فَإِنْ كَانَ مُوجِبًا فَلَا يُؤْتَى مَعَهُ بِالْوَاوِ تَقُولُ : جَاءَ نِي زَيْدٌ  
يَضْحَكُ وَجَاءَ عَمْرُو يُسْرِعُ وَجَلَسَ يُحَدِّثُنَا (بِالرَّفْعِ) أَيُّ مُحَدِّثًا لَنَا  
يَجْرِدُهُ عَمَّا يُغَيِّرُ مَعْنَاهُ أَشْبَهَ اسْمَ الْفَاعِلِ إِذَا وَقَعَ حَالًا . وَإِنْ كَانَ  
مَنْفِيًا جَازَ حَذْفُ الْوَاوِ مُرَاعَاةً لِأَصْلِ الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ الْإِيجَابُ وَجَازَ  
إِبْثَاتُهَا لِأَنَّ الْفِعْلَ لَيْسَ هُوَ الْحَالُ . فَإِنَّ مَعْنَى قَوْلِكَ : (جَلَسَ زَيْدٌ  
وَلَمْ يَتَكَلَّمْ) جَلَسَ زَيْدٌ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ . فَجَرَى مَجْرَى الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ .  
فَالْحَذْفُ كَقَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ مَا يَفُوهُ بِنْتِ شَفَةِ . وَكَقَوْلِهِ : أَحَلَّنَا  
دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُعُوبٌ . فَقَوْلُهُ :  
(لَا يَمَسُّنَا) فِي تَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ الِارْفُوعِ فِي أَحَلَّنَا .  
وَالْإِبْثَاتُ كَقَوْلِكَ : جَلَسَ زَيْدٌ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ . وَقَالَ : أَفَلَا يَرَوْنَ  
أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا . وَشَبَّهُوا بِهِ الْفِعْلَ



كثيراً . فمن لطيف ذلك قوله :

زَعَمَ الْغَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ صَدَّقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَحْبِلِي  
لَا حَكِي عَنْ الْغَوَازِلِ قَوْلُهُمْ إِنَّهُ فِي غَمْرَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَا يُحْرِكُ  
السَّامِعَ عَلَى أَنْ يَسْأَلَهُ : فَأَجَابَكَ عَنْ ذَلِكَ . أَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَهُ  
إِذَا كَانَ قَدْ قِيلَ فَقَالَ : أَقْبَلُ صَدَّقُوا . أَنَا كَمَا قَالُوا وَلَكِنْ لَا مَطْمَعَ  
لَهُمْ فِي فَلَاحِي . وَلَوْ قَالَ : وَصَدَّقُوا لَكِنْ لَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ فِي أَنَّهُ  
مَسْئُولٌ . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى  
الْعَاطِفِ بِخِلَافِ قَوْلِهِ : يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ . وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ  
اللَّهُ : فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ خَبَرٌ

( وَمِمَّا يَجِبُ ) ذِكْرُهُ هَاهُنَا الْجُمْلَةُ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَلَهَا تَحْيِيٌّ مَعَ الْوَاوِ  
تَارَةً وَيَدُونِهَا أُخْرَى . فَقَوْلُ الْجُمْلَةِ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ  
خَبَرِيَّةً تَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) وَلَهُ  
أَحْوَالٌ : ( الْأَوَّلَى ) أَنْ يُجْمَعَ لَهَا بَيْنَ الْوَاوِ وَضَمِيرِ صَاحِبِ الْحَالِ كَقَوْلِكَ :  
جَاءَ زَيْدٌ وَمَعَهُ غَلَامُهُ وَلَقِيتُ زَيْدًا وَفَرَسُهُ سَابِقُهُ . وَهَذِهِ الْوَاوُ تُسَمَّى  
وَإِوَاءَ الْحَالِ . ( الثَّانِيَةُ ) أَنْ تَحْيِيَ بِالضَّمِيرِ مِنْ غَيْرِ وَإِوَاءَ كَقَوْلِكَ :  
كَلَّمْتُهُ فُوهُ إِلَى فِي . وَهُوَ فِي مَعْنَى مُشَافَهًا وَالرَّابِطُ الضَّمِيرُ . ( الثَّالِثَةُ )  
أَنْ تَحْيِيَ بِالْوَاوِ مِنْ غَيْرِ ضَمِيرٍ وَهُوَ كَثِيرٌ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُكَ وَالْجَيْشُ  
قَادِمٌ . وَزِدْتَنَا وَالشِّتَاءُ خَارِجٌ . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا يُجْزِدُ قَيْدَ الْإِوَاءِ هَيْكَلُ  
وَيُجْزِدُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ حَالَيْنِ : مُفْرَدٍ وَجُمْلَةٍ . إِذَا أَجَزْنَا وَوُقِعَ حَالَيْنِ

هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي الْعَاطِفِ وَمَعْنَى الْمُنَاسَبَةِ أَنْ يَكُونَا مُتَشَابِهَيْنِ كَقَوْلِكَ :  
 زَيْدٌ كَاتِبٌ وَعَمْرُوهُ . أَوْ مُتَضَادَّيْنِ تَضَادًّا عَلَى الْخُصُوصِ كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ  
 طَوِيلٌ وَعَمْرُوهُ قَصِيرٌ . وَكَقَوْلِكَ : الْعِلْمُ حَسَنٌ وَالْجَهْلُ قَبِيحٌ . فَلَوْ  
 قُلْتَ : زَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرُوهُ شَاعِرٌ اخْتَلَفَ إِذَا لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ طُولِ الْقَامَةِ  
 وَالشَّعْرِ . وَإِنْ كَانَ الْخَبَرُ عَنْهُ فِي الْجُمْلَتَيْنِ شَيْئًا وَاحِدًا كَقَوْلِكَ :  
 فَلَانٌ يَقُولُ وَيَفْعَلُ وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسِيئُ وَيُحْسِنُ . يَجِبُ  
 ادْخَالُ الْعَاطِفِ فَإِنَّ الْفَرْصَ جَعَلَهُ فَاعِلًا لِلْأَمْرَيْنِ . فَلَوْ قُلْتَ : يَقُولُ  
 يَقَعْلُ بِلَا عَاطِفٍ لَتَوَهَّمَنَّ أَنَّ الثَّانِي رُجُوعٌ عَنِ الْأَوَّلِ . وَإِذَا أَفَادَ  
 الْعَاطِفُ الْاجْتِمَاعَ أَزْدَادَ الْأَشْتِرَاكَ كَقَوْلِكَ : أَعْجَبُ مِنْ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ  
 وَأَسَأْتَ . وَأَعْجَبُ مِنْ أَنَّكَ تَنْهَى عَنْ شَيْءٍ تَأْتِي مِثْلُهُ . وَكَقَوْلِهِ :  
 لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَتُكْرِمَكُمُ . وَأَنْ نَكْفِيَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا  
 فَإِنَّ الْمَعْنَى جَعَلَ الْفِعْلَيْنِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ أَيْ لَا تَطْمَعُوا أَنْ  
 تَرَوْا إِكْرَامَنَا أَيْكُمْ يُوجَدُ مَعَ إِهَانَتِكُمْ أَيْ أَنَا . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَجِبُ  
 اسْقَاطُ الْعَاطِفِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ لِاخْتِلَالِ الْمَعْنَى عِنْدَ اثْبَاتِهِ  
 كَقَوْلِهِ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ  
 مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ . فَقَوْلُهُ : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) كَلَامٌ  
 مُسْتَأْنَفٌ وَهُوَ إِخْبَارٌ مِنْهُ . فَلَوْ آتَى بِالْوَاوِ لَكَانَ إِخْبَارًا عَنِ الْيَهُودِ  
 بِأَنَّهُمْ وَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُفْسِدُونَ فَيَحْتَلُّ الْمَعْنَى . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ :  
 وَإِذَا اسْتَفْرِيتَ وَجَدْتَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ تَهْزِيلِهِمُ الْكَلَامَ  
 إِذَا جَاءَ بِعَقَبٍ مَا يَقْتَضِي سُؤَالَ تَهْزِيلِهِ إِذَا صَرَّحَ بِذَلِكَ السُّؤَالِ



السَّامِعُ حَالَةَ الْأَوَّلِ عَسَاهُ يَعْرِفُ حَالَةَ الثَّانِي . يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ  
إِذَا عَطَفْتَ عَلَى الْأَوَّلِ شَيْئًا لَيْسَ مِنْهُ سَبَبٌ وَلَا هُوَ مِمَّا يُذَكَّرُ بِذِكْرِهِ  
لَمْ يَسْتَقِم . فَلَوْ قُلْتَ : ( خَرَجْتُ الْيَوْمَ مِنْ دَارِي وَأَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ  
بَيِّنَاتٍ كَذَا ) قُلْتَ مَا يُضْحِكُ مِنْهُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قُوَّةِ الْمَفْرَدِ فَهُوَ عَلَى  
قِسْمَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَحَدَى الْجُمْلَتَيْنِ لِذَاتِهِ مُتَعَلِّقًا  
بِمَعْنَى الْأُخْرَى كَمَا إِذَا كَانَتْ كَالْتَوْكِيدِ لَهَا أَوْ كَالصِّفَةِ فَلَا يَجُوزُ إِدْخَالُ  
الْعَاطِفِ عَلَيْهِ لِأَنَّ التَّوْكِيدَ وَالصِّفَةَ مُتَعَلِّقَانِ بِالْمَوْكَّدِ وَالْمَوْصُوفِ  
لِذَاتِيهِمَا . وَالتَّعَلُّقُ الذَّاتِيُّ يُغْنِي عَنْ لَفْظِ يَدُلُّ عَلَى التَّعَلُّقِ . فَمَثَلُ التَّوْكِيدِ  
قَوْلُهُ : وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ  
بِمُؤْمِنِينَ يُجَادِعُونَ اللَّهَ . وَلَمْ يَقُلْ : ( وَيُجَادِعُونَ ) لِأَنَّ التَّجَادُعَةَ لَيْسَتْ  
شَيْئًا غَيْرَ قَوْلِهِمْ : آمَنَّا مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ . وَمِمَّا جَاءَ فِيهِ الْإِثْبَاتُ  
( بَانَ وَالْأَلَا ) عَلَى هَذَا أَحَدِ قَوْلَيْهِ : إِنَّ هُوَ الْإِوْحِيُّ يُوْحِي . فَلَا إِثْبَاتَ فِي  
قَوْلِهِ تَأْكِيدٌ لِنَفْيِ مَا يُنْفَى . ( الْقِسْمُ الثَّانِي ) أَنْ يَكُونَ بَيْنَ  
الْجُمْلَتَيْنِ تَعَلُّقٌ ذَاتِيٌّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَيَجِبُ تَرْكُ الْعَاطِفِ  
أَيْضًا لِأَنَّ الْعَاطِفَ لِلتَّشْرِيكِ وَلَا تَشْرِيكَ . وَمِنْ هَاهُنَا عَابُوا عَلَى أَبِي  
عَمَّامٍ قَوْلُهُ :

لَا وَالَّذِي عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى مُرٌّ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ  
إِذَا لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ مَرَارَةِ النَّوَى وَبَيْنَ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ . وَلِذَلِكَ لَمْ  
يُحْسِنْ جَوَازَ الْعَاطِفِ . وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَمَا أَنْ يَكُونَ  
بِالَّذِي أُخْبِرَ بِهِمَا أَوْ بِالَّذِي أُخْبِرَ عَنْهُمَا أَوْ بِهِمَا كِلَيْهِمَا . وَهَذَا الْآخِرُ



فِيهِ فَلْتَعَدَّ حَالَاتِهِ الْأَرْبَعُ فِي تَبَرُّعِهِ وَسُوءِ إِلِهِ وَإِكْثَارِهِ وَإِقْلَالِهِ وَمَا  
فِي مُعَانَةِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْمَسَاقِّ . فَهَذَا إِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالتَّرْجِيمِ  
الْبَلَاغِيِّ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَبَيْنَ الْحِجَازِ وَالْحِجَازِ وَبَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحِجَازِ

## البحث السادس

### في الفصل والوصل

( عن صناعة الترسُّل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ١٨ من علم الادب )

الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ هُوَ الْعِلْمُ بِمَوَاضِعِ الْعَطْفِ وَالْإِسْتِنَافِ وَالْهُدَى  
إِلَى كَيْفِيَّةِ إِيقَاعِ حُرُوفِ الْعَطْفِ فِي مَوَاضِعِهَا . وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَزْكَانِ  
الْبَلَاغَةِ حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ حَدَّ الْبَلَاغَةَ بِأَنَّهَا مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ . وَقَالَ  
عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنَّهُ لَا يَكْمُلُ لِإِخْرَازِ الْفَضِيلَةِ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا كَمَلَ لِسَائِرُ  
مَعَانِي الْبَلَاغَةِ . إِعْلَمْ أَنَّ فَائِدَةَ الْعَطْفِ الشَّرِيكَ بَيْنَ الْمُعْطُوفِ  
وَالْمُعْطُوفِ عَلَيْهِ . ثُمَّ مِنْ حُرُوفِ الْعَاطِفَةِ مَا لَا يُفِيدُ إِلَّا هَذَا الْقَدْرَ  
وَهُوَ الْوَاوُ . وَمِنْهَا مَا يُفِيدُ فَائِدَةً زَائِدَةً كَالْفَاءِ وَثُمَّ وَآوُ . وَغَرَضُنَا هَاهُنَا  
تُعَلِّقُ بِمَا لَا يُفِيدُ إِلَّا الْإِشْتِرَاقَ فَنَقُولُ : الْعَطْفُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي  
الْمُفْرَدَاتِ كَقَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ خَلَقَهُ حَسَنٌ وَخَلَقَهُ قَبِيحٌ . فَقَدْ  
أَشْرَكَتَ بَيْنَهُمَا فِي الْإِعْرَابِ وَالْمَعْنَى لِأَشْتِرَاقِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ  
نَهْمًا مُقْتَدًا لِلْمَوْصُوفِ . وَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَعْنَى يَقَعُ ذَلِكَ  
الْإِشْتِرَاقُ فِيهِ وَحَقٌّ يَكُونَا كَالنَّظِيرَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ بِحَيْثُ إِذَا عَرَفَ

(وَأَمَّا مِثَالُ الْمُعْنَيْنِ) إِذَا كَانَا حَقِيقَتَيْنِ فَقَوْلُهُ : أَلْتَمِسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الْأَرْضِ وَالْخَبَايَا مَعُ خَيْتَةٍ وَهُوَ كُلُّ مَا يُخْبَأُ كَأَنَّهَا مَا كَانَ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) الْكُنُوزُ الْخَبُوءَةُ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ . ( وَالْآخَرُ ) الْحَرْثُ وَالْغِرَاسُ . وَجَانِبُ الْحَرْثِ وَالْغِرَاسِ أَرْجَحُ لِأَنَّ مَوَاضِعَ الْكُنُوزِ لَا تُعْلَمُ حَتَّى تُلْتَمَسَ وَهُوَ لَا يَأْمُرُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ شَيْءٌ مَجْهُولٌ غَيْرُ مَعْلُومٍ فَبَقِيَ الْمُرَادُ بِخَبَايَا الْأَرْضِ مَا يُحْرَثُ وَيُغْرَسُ . (وَأَمَّا مِثَالُ الْحَازِنِ) فَقَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

قَدْ بَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا  
وَوَرَدَنَاهُ سَاحِلًا وَقَلْبِيًّا وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَمِيًّا  
فَعَلِمْنَا أَنَّ لَيْسَ إِلَّا بِشَقِّمٍ النَّفْسُ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا  
فَالسَّاحِلُ وَالْقَلْبِيُّ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُمَا تَأْوِيلَانِ مُجَازِيَانِ : ( أَحَدُهُمَا )  
أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا الْكَثِيرَ وَالْقَلِيلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّاحِلِ وَالْقَلْبِيِّ .  
( وَالْآخَرُ ) أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا السَّبَبَ وَغَيْرَ السَّبَبِ . فَإِنَّ السَّاحِلَ  
لَا يُحْتَاجُ فِي وَرْدِهِ إِلَى سَبَبٍ وَالْقَلْبِيُّ يُحْتَاجُ فِي وَرْدِهِ إِلَى سَبَبٍ .  
وَكِلَاهُ هَذَيْنِ الْمُعْنَيْنِ مُجَازٌ . فَإِنَّ حَقِيقَةَ السَّاحِلِ وَالْقَلْبِيِّ غَيْرُهُمَا  
وَأَلُوجُهُ هُوَ الثَّانِي لِأَنَّهُ هُوَ آدَلُّ عَلَى بَلَاغَةِ الْقَائِلِ وَمَدْحِ الْقَوْلِ فِيهِ .  
أَمَّا بَلَاغَةُ الْقَائِلِ فَالْإِسْلَامَةُ مِنْ هُجْنَةِ التَّكْثِيرِ بِالنَّحَالَةِ بَيْنَ صَدْرِ  
الْبَيْتِ وَعَجْزِهِ . فَإِنَّ عَجْزَهُ يَدُلُّ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ لِأَنَّ الْبَارِضَ  
هُوَ أَوَّلُ الثَّبَتِ حِينَ يَبْدُو فَإِذَا كَثُرَ وَتَكَاثَفَ سُمِّيَ حَمِيمًا . فَكَأَنَّهُ  
قَالَ : أَخَذْنَا مِنْهُ تَبَرُّعًا وَمَسْئَلَةً وَقَلِيلًا وَكَثِيرًا . وَأَمَّا مَدْحُ الْقَوْلِ



وَلَا كُلُّ مَنْ وَزَنَ بِهِ سُمِّيَ عَرَافًا . وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا التَّرْجِيحِ وَالتَّرْجِيحِ  
الْفَقْهِيِّ أَنَّهُ هُنَاكَ يُرْجَحُ بَيْنَ دَلِيلِي الْخُصْمَيْنِ فِي حُكْمٍ شَرْعِيٍّ وَهُمَا  
يُرْجَحُ بَيْنَ جَانِبِي فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فِي الْفَاطِ وَمَعَانٍ خَطَابِيَّةٍ . وَبَيَانُ  
ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ التَّرْجِيحِ الْفَقْهِيَّ يُرْجَحُ بَيْنَ خَبَرِ التَّوَاتُرِ مَثَلًا وَبَيْنَ  
خَبَرِ الْإِحَادِ أَوْ بَيْنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُرْسَلِ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْجَرَى . وَهَذَا  
لَا يُعْرَضُ إِلَيْهِ صَاحِبُ عِلْمِ الْبَيَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ وَلَكِنَّ الَّذِي  
هُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُرْجَحَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ أَوْ بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ أَوْ بَيْنَ  
مَجَازَيْنِ وَيَكُونُ نَظَرًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى الصَّنَاعَةِ الْخَطَابِيَّةِ . وَأَرَبَمَا  
اتَّفَقَ هُوَ وَصَاحِبُ التَّرْجِيحِ الْفَقْهِيِّ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ كَالْتَّرْجِيحِ بَيْنَ  
عَامٍّ وَخَاصٍّ أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ . وَكُنَّا قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فِي الْحُكْمِ  
عَلَى الْمَعْنَى وَأَنْقَسَامِهَا . وَلَنُبَيِّنَ فِي هَذَا الْفَصْلِ مَوَاضِعَ التَّرْجِيحِ بَيْنَ  
وُجُوهٍ تَأْوِيلَاتِهَا فَتَقُولُ : ( أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ) مِنْ الْمَعْنَى فَلَا تَعْلُقُ  
لِلتَّرْجِيحِ بِهِ إِذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا  
فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي شَيْءٍ . وَالتَّرْجِيحُ إِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ مَعْنَيْنِ يَدُلُّ  
عَلَيْهِمَا لَفْظٌ وَاحِدٌ وَلَا يَحْتَمِلُ التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ  
يَكُونَ اللَّفْظُ حَقِيقَةً فِي أَحَدِهِمَا مَجَازًا فِي الْآخَرِ . أَوْ حَقِيقَةً فِيهِمَا جَمِيعًا  
أَوْ مَجَازًا فِيهِمَا جَمِيعًا وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ . وَالتَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَتَيْنِ أَوْ  
بَيْنَ الْمَجَازَيْنِ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ . ( وَأَمَّا التَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ )  
فَأَنَّهُ يُعْلَمُ بِبَدِيهَةِ النَّظَرِ لِمَكَانِ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا . وَالشَّيْئَانِ الْمُخْتَلِفَانِ  
يُظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِخِلَافِ مَا يَظْهَرُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الْمَشْبَهَيْنِ . . . .



الدَّهْرُ بِالْأَنْجَمِ وَالْوَشَايَاتِ فَلَمَّا أَتَقَضَى مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْوَصْلِ  
سَكَنُوا أَوْ تَرَكَوا السَّعَايَةَ . وَهَذَا مِنْ بَابِ وَضْعِ الْإِضَافِ إِلَيْهِ مَكَانَ  
الْإِضَافِ كَقَوْلِهِ : وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ أَيَّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ . وَمِنْ الدَّقِيقِ  
الْمَعْنَى فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ فِي عَضِدِ الدَّوْلَةِ مِنْ  
جُمْلَةِ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا ( أَوْهَ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا ) فَقَالَ :

لَوْ قَطَنْتُ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضَهَا أَنْ تَرَاهُ يُرْضَاهَا  
وَهَذَا يُسْتَنْبَطُ مِنْهُ مَعْنَيَانِ . ( أَحَدُهُمَا ) أَنْ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ  
مِقْدَارَ عَطَايَاهُ الْبَفِيسَةِ لَمَا رَضِيَتْ لَهُ بِأَنْ تَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ عَطَايَاهُ لِأَنَّ  
عَطَايَاهُ أَنْفَسُ مِنْهَا . ( الْآخَرُ ) أَنَّ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ أَنَّ يَسْبِهَا مِنْ جُمْلَةِ  
عَطَايَاهُ لَمَا رَضِيَتْ ذَلِكَ إِذْ تَكْرَهُ خُرُوجَهَا عَنْ مُلْكِهِ . وَهَذَانِ الْوَجْهَانِ  
أَنَا ذَكَرْتُهُمَا وَأَنَا الْمَذْكُورُ مِنْهُمَا أَحَدُهُمَا . وَهَذَا الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ  
مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَانِي وَتَأْوِيلَاتِهَا كَافٍ لِمَنْ عِنْدَهُ ذَوْقٌ وَلَهُ قُوَّةٌ  
عَلَى حَمْلِهَا عَلَى أَشْبَاهِهَا وَنَظَائِرِهَا

### البحث الخامس

### في الترجيح بين المعاني

( غن المثل السائر باختصار )

هَذَا الْفَصْلُ هُوَ مِيزَانُ الْخَوَاطِرِ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ نَقْدُ دِرْهَمِهَا  
وَدِينَارِهَا بَلِ الْحَكِّ الَّذِي يَعْلَمُ مِنْهُ مِقْدَارُ عِيَارِهَا وَلَا يَزِنُ بِهِ إِلَّا ذُو  
فِكْرَةٍ مُتَقَدِّدَةٍ وَاحْتِمَاءٍ مُتَقَدِّدَةٍ . فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ حَمَلَ مِيزَانًا سَمِيَ صَرَّافًا .

إِلَى حَيْثُ الطَّيِّبِ فِي أَوْقَاتِ عِلَاجِهِ . وَمِثْلُهُ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :  
 إِذَا جَعَفْتُ مَرَّتْ عَلَى هَضْبَةِ الْحِمَى فَقَدْ أَخَذَ الْأَحْيَاءُ مِنْهَا قُبُورَهَا  
 وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) ذَمُّ الْأَحْيَاءِ وَالْآخِرُ ذَمُّ الْأَمْوَاتِ .  
 أَمَّا (ذَمُّ الْأَحْيَاءِ) فَهُوَ أَنَّهُمْ خَذَلُوا الْأَمْوَاتَ يُرِيدُ أَنَّهُمْ تَلَاقُوا قِتَالَهُمْ  
 وَقَوْمًا آخَرِينَ فَفَرَّ الْأَحْيَاءُ عَنْهُمْ وَأَسْلَمُوهُمْ أَوْ إِنَّهُمْ اسْتَجَبُوا لَهُمْ فَلَمْ  
 يُجِدُوهُمْ . وَأَمَّا (ذَمُّ الْأَمْوَاتِ) فَهُوَ أَنَّ لَهُمْ مَخَازِي وَفَضَائِحَ تُجِبُّ عَارًا  
 وَشَارًا فَهُمْ يَعُدُّونَ بِهَا الْأَحْيَاءَ وَيُلْصِقُونَهَا بِهِمْ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ  
 أَبِي تَمَّامٍ :

بِالشَّعْرِ طُولٌ إِذَا أَضْطَكْتَ قَصَائِدُهُ

فِي مَعْشَرٍ وَبِهِ عَنْ مَعْشَرٍ قِصْرُ  
 فَهَذَا الْبَيْتُ يُحْتَمَلُ تَأْوِيلَيْنِ . (أَحَدُهُمَا) أَنَّ الشَّعْرَ يَتَسَّعُ مَجَالُهُ  
 بِمَدْحِكَ وَيَضِيقُ بِمَدْحِ غَيْرِكَ . يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ مَا رُءِيَ كَثِيرَةً وَمَا رُءِيَ  
 غَيْرَهُ قَلِيلَةً . (وَالْآخَرُ) أَنَّ الشَّعْرَ يَكُونُ ذَا فَخْرٍ وَنَبَاهَةٍ بِمَدْحِكَ وَذَا  
 خُومٍ بِمَدْحِ غَيْرِكَ . فَلَفْظَةُ الطُّولِ : يُفْهَمُ مِنْهَا ضِدُّ الْقِصْرِ وَيُفْهَمُ مِنْهَا  
 الْفَخْرُ مِنْ قَوْلِنَا : طَالَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ أَيْ فُخِرَ عَلَيْهِ . وَمِمَّا يَنْتَظَمُ  
 بِهَذَا السِّلْكِ قَوْلُ أَبِي كَبِيرٍ الْهَذَلِيِّ :

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ  
 وَهَذَا يُحْتَمَلُ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ . (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعْيِ  
 الدَّهْرِ سُرْعَةَ تَقْضِي الْأَوْقَاتِ مُدَّةَ الْوِلَاقِ . فَلَمَّا انْقَضَى الْوِلَاقُ عَادَ  
 الدَّهْرُ إِلَى حَالَتِهِ فِي السُّكُونِ وَالْبَطْ . (وَالْآخَرُ) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعْيِ

عَدُوَّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ  
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عِلَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَدْيَانِ  
ثُمَّ قَالَ :

فَمَا لَكَ تَعْنِي بِالْإِسْنَةِ وَالْقَنَا وَجَدَّكَ طَعَانٌ بَعِيرٍ سِنَانٍ  
فَإِنَّ هَذَا بِالذِّمِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْمَدْحِ لِأَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ تَبْلُغْ مَا بَلَغَتْهُ  
بِسَعْيِكَ وَاهْتِمَامِكَ بَلْ بِجِدِّ وَسَعَادَةٍ . وَهَذَا لَأَفْضَلُ فِيهِ لِأَنَّ السَّعَادَةَ  
تَنَالُ الْخَامِلُ وَالْجَاهِدُ وَمَنْ لَا يَسْتَحْمِلُهَا . وَاسْكُتْ مَا كَانَ الْمُتَسَتِّي  
يَسْتَعْمِلُ هَذَا الْقِسْمَ فِي قِصَائِدِهِ الْكَافُورِيَّاتِ . . . . . وَهَذَا الْقِسْمُ مِنْ  
الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمَوْجَهَ أَيْ لَهُ وَجْهَانِ وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ الشَّاعِرِ  
وَحُسْنِ تَأْتِيهِ . ( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ ) فَإِنَّهُ يَكُونُ أَكْثَرَ وَقُوعًا مِنْ  
الْقِسْمِ الثَّانِي وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ . لِأَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ كَثِيرُ  
الْوُقُوعِ . وَالْقِسْمَ الثَّانِي قَلِيلُ الْوُقُوعِ . وَهَذَا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ وَسَطٌ  
بَيْنَهُمَا فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ . فَإِنَّ هَذَا لَهُ وَجْهَانِ  
مِنْ التَّأْوِيلِ أَحَدُهُمَا الْقَتْلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ مَعْرُوفٌ وَالْآخَرُ هُوَ  
الْقَتْلُ الْجَزَائِي وَهُوَ الْإِكْبَابُ عَلَى الْمَعَاصِي فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكَبَّ  
عَلَى الْمَعَاصِي قَتَلَ نَفْسَهُ فِي الْآخِرَةِ . . . . . وَمِمَّا يُجْرِي عَلَى هَذَا النَّهْجِ  
مَا يُحْكِي عَنْ أَفْلَاطُونٍ أَنَّهُ قَالَ : تَرَكُ الدَّوَاءَ دَوَاءً . فَذَهَبَ بَعْضُ  
الْأَطِبَّاءِ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ : إِنْ لَطَفَ الزَّاجُ وَأَتَتْهُ إِلَى غَايَةِ لَا يَحْتَمِلُ  
الدَّوَاءَ فَتَرَكُهُ حِينَئِذٍ وَالْإِضْرَابُ عَنْهُ دَوَاءً . وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ  
أَرَادَ بِالَّتَرَكِ الْوَضْعَ أَيْ : وَضَعَ الدَّوَاءَ عَلَى الدَّاءِ دَوَاءً . يُشِيرُ بِذَلِكَ



دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى وَضِدَهُ أَغْرَبُ مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَعْنَى وَغَيْرِهِ .  
فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ . وَهَذَا يَشْتَمِلُ عَلَى  
مَعْنَيْنِ ضِدَّيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فَعَلًا تَسْتَحِي  
مِنْهُ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ  
حَيَاةٌ يَذْرَعُكَ عَنْ فِعْلٍ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ . وَهَذَانِ  
مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ أَحَدُهُمَا مَدْحٌ وَالْآخَرُ ذَمٌّ . وَيَجْرِي عَلَى هَذَا النَّهْجِ مِنْ  
الشَّعْرِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا :

وَاطْلَمْ أَهْلُ الظُّلَمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ  
وَهَذَا أَلْبَيْتٌ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ : ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ الْمُنْعَمَ  
عَلَيْهِ يَحْسِدُ الْمُنْعَمَ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّ الْمُنْعَمَ يَحْسِدُ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ  
وَرَدَّ قَوْلُهُ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُهُ :

فَإِنْ نَلْتُ مَا آمَلْتُ وَنَكَ قَرَّبًا شَرِبْتُ بِمَا يُغْزِرُ الطَّيْرَ وَرَدُّهُ  
فَإِنَّ هَذَا أَلْبَيْتٌ يَحْتَمِلُ مَدْحًا وَذَمًّا وَإِذَا أُخِذَ بِمُفْرَدِهِ مِنْ غَيْرِ  
نَظَرٍ إِلَى مَا قَبْلَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِالذَّمِّ أَوَّلَى مِنْهُ بِالْمَدْحِ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ  
وَصْفَ نَوَالِهِ بِالْبَعْدِ وَالشَّدُوذِ . وَصَدْرُ أَلْبَيْتٍ مُقْتَضٍ ( بِإِنْ ) الشَّرْطِيَّةِ وَقَدْ  
أُجِيبَ بِلَفْظَةِ ( رَبِّ ) الَّتِي مَعْنَاهَا التَّقْلِيلُ أَيْ : لَسْتُ مِنْ نَوَالِكَ عَلَى  
يَقِينٍ فَإِنْ نَلْتَهُ قَرَّبًا وَصَلْتُ إِلَى مَوْرِدٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ لِبُعْدِهِ .  
وَإِذَا نَظَرَ إِلَى مَا قَبْلَ هَذَا أَلْبَيْتِ دَلَّ عَلَى الْمَدْحِ خَاصَّةً لِارْتِبَاطِهِ  
بِالْمَعْنَى الَّتِي قَبْلَهُ . وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقْصِدُ الْمُتَشَبِّهُ هَذَا الْقِسْمَ فِي شِعْرِهِ  
كَقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

دَلِيلٍ لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ عَنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُصَلِّيَ فَأَدْخُلْ بَيْتَكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ . فَالظَّاهِرُ مِنْ هَذَا هُوَ أَلَيْتُ وَالْبَابُ . وَمَنْ تَوَلَّى ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ تَجْمَعُ عَلَيْكَ هَمَّ قَلْبِكَ وَتَنْتَعُ أَنْ يَخْطُرَ بِهِ سِوَى أَمْرِ الصَّلَاةِ . فَغَبَرَ عَنْ الْقَلْبِ بِالْأَلَيْتِ وَعَنْ مَنَعَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَخْطُرُ لَهُ بِإِغْلَاقِ الْبَابِ . وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . فَالْمَعْنَى الْحَمُولُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَا يَقَعُ فِي تَفْسِيرِهِ خِلَافٌ وَالْمَعْنَى الْمَعْدُولُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ يَقَعُ فِيهِ الْخِلَافُ إِذَا بَابُ التَّأْوِيلِ غَيْرُ مَحْصُورٍ . وَالْعُلَمَاءُ تَفَاوَتُوا فِي هَذَا فَإِنَّهُ قَدْ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ وَجْهًا ضَعِيفًا مِنْ التَّأْوِيلِ فَيَكْسُوهُ بِعِبَارَتِهِ قُوَّةً تَمَيِّزُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْوُجُوهِ الْقَوِيَّةِ فَإِنَّ السَّيْفَ بِضَارِبِهِ

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِمْ إِذَا اتَّقَى الْجَمْعَانِ تَلَقَّى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ . مِثْلُ الْجَبَانِ يَكْفُ كُلَّ جَبَانٍ وَهَذَا الْفَصْلُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْدِ ذِكْرِهِ هَاهُنَا يَرْجِعُ أَكْثَرُهُ إِلَى التَّأْوِيلِ لِأَنَّهُ أَدَقُّ وَلَا يَخْلُو تَأْوِيلُ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُحْتَمَلُ غَيْرُهُ . وَإِمَّا أَنْ يُحْتَمَلَ الشَّيْءُ وَغَيْرُهُ . وَتِلْكَ الْغَيْرِيَّةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ ضِدًّا أَوْ لَا تَكُونَ ضِدًّا وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ . ( فَالْأَوَّلُ ) يَقَعُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ وَلَا يَجْرِي فِي الدَّقِيقَةِ وَاللِّطَافَةِ بِجَرَى الْقِسْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ . ( وَآمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي ) فَإِنَّهُ قَلِيلُ الْوُقُوعِ جِدًّا وَهُوَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ . لِأَنَّ

إِذَا كَتَبْتُ . وَالْعَاقِلُ يَكْشُرُ الْمَعَانِي وَشَيَّ الْكَلَامَ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ  
يُبْدِيهَا بِالْفَاطِطِ كَوَاسٍ فِي أَحْسَنِ زِينَةٍ . وَالْجَاهِلُ يَسْتَعْجِلُ بِإِظْهَارِ  
الْمَعَانِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِزَيْنِ مَعَارِضِهَا وَاسْتِكْمَالِ مُحَاسِنِهَا . قِيلَ لِشَارِ  
أَنْ بُرْدٍ : مَا فُتِّ أَهْلُ عُمْرِكَ وَسَبَقَتْ أَهْلَ عَصْرِكَ فِي حُسْنِ مَعَانِي  
الشِّعْرِ وَتَهْذِيبِ الْفَاطَةِ . فَقَالَ : لَا يَلِي لَمْ أَقْبَلْ كُلَّ مَا تُورِدُهُ عَلَيَّ  
تَرْيِجِي وَيُنَاجِيَنِي بِهِ طَبْعِي وَيَبْعَثُهُ فِكْرِي . وَنَظَرْتُ إِلَى مَعَارِسِ  
الْفُطْنِ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ التَّشْبِيهَاتِ فَبَسْتُ إِلَيْهَا بِقَهْمٍ  
جَيِّدٍ وَغَرِيزَةٍ قَوِيَّةٍ فَأَحْكَمْتُ سَيْرَهَا وَاتَّقَيْتُ حُرَّهَا وَكَشَفْتُ عَنْ حَقَائِقِهَا  
وَأَحْذَرْتُ مِنْ مُتَكَلِّفِهَا وَمَا مَلَكَ قِيَادِي قَطُّ إِلَّا عَجَابُ بَشْيٍ مِمَّا  
آتَى بِهِ

### البحث الرابع

### في الحكم على المعاني

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

فَائِدَةُ هَذَا الْفَصْلِ الْإِحَاطَةُ بِأَسَالِبِ الْمَعَانِي عَلَى اخْتِلَافِهَا  
وَتَبَيُّنُهَا . وَصَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُفْتَقِرٌ إِلَى هَذَا الْفَصْلِ وَالَّذِي يَلِيهِ  
بِخِلَافٍ غَيْرُهُمَا مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ الْمَذْكُورَةِ لَا سِيَّمَا مُفَسِّرِي الْأَشْعَارِ  
فَانَّهُمْ بِهِ اَعْنَى . وَاعْلَمَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمَعْنَى أَنْ يُجْمَلَ عَلَى ظَاهِرِ  
لَفْظِهِ وَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى التَّأْوِيلِ يَقْتَرِفُ إِلَى دَلِيلِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ :  
وَيْثَابَكَ فَطَهَّرْ . فَالظَّاهِرُ مِنْ لَفْظِ (الْثِيَابِ) هُوَ مَا يُلْبَسُ وَمَنْ تَأَوَّلَ  
ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ الْقَلْبُ لَا الْمَلْبُوسُ . وَهَذَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ



كَانَتْ الدَّلَالَةُ أَوْضَحَ وَأَفْصَحَ وَكَانَتْ الْإِشَارَةُ أَيْبَنَ وَأَنُورَ كَانَتْ  
 أَنْفَعَ وَأَنْجَعَ فِي الْيَبَانِ . ثُمَّ أَعْلَمَ حَفِظَكَ اللَّهُ أَنَّ حُكْمَ الْمَعَانِي خِلَافُ  
 حُكْمِ الْأَلْفَافِ لِأَنَّ الْمَعَانِي مَبْسُوطَةٌ إِلَى غَايَةٍ وَمُتَمِّدَةٌ إِلَى غَيْرِهَا وَلَسَاءَ  
 الْمَعَانِي مَحْضُورَةٌ مَعْدُودَةٌ وَمَحْصَلَةٌ مُحْدُودَةٌ . وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الدَّلَالَةِ عَلَى  
 الْمَعَانِي مِنْ لَفْظٍ أَوْ غَيْرِ لَفْظٍ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِيدُ : أَوَّلُهَا  
 اللَّفْظُ . ثُمَّ الْإِشَارَةُ . ثُمَّ الْعَقْدُ . ثُمَّ الْخَطُّ . ثُمَّ الْحَالُ الَّتِي تُسَمَّى نَصْبَةً . وَالثَّانِيَةُ  
 هِيَ الْحَالُ الدَّلَالَةُ الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ وَلَا تُقْصِرُ عَنْ تِلْكَ  
 الدَّلَالَاتِ . وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَالِ الْخَمْسَةِ صُورَةٌ بَائِنَةٌ مِنْ  
 صُورَةِ صَاحِبَتِهَا وَجَلِيَّةٌ مُخَالَفَةٌ لِحَلِيَّتِهَا . وَهِيَ الَّتِي تَكْشِفُ لَكَ عَنْ  
 أَعْيَانِ الْمَعَانِي فِي الْجُمْلَةِ وَعَنْ حَقَائِقِهَا فِي التَّفْسِيرِ وَعَنْ أَجْنَاسِهَا  
 وَأَقْدَارِهَا وَعَنْ خَاصِّهَا وَعَامِّهَا وَعَنْ طَبَقَاتِهَا فِي السَّارِ وَالضَّارِ وَعَمَّا  
 يَكُونُ مِنْهَا لَهَوًا مُبْهَرَجًا وَسَاقِطًا مُطَرَحًا . وَفِي نَحْوِ قَوْلِ أَبِي عُثْمَانَ  
 ( إِنَّ الْمَعَانِي غَيْرُ مَقْصُورَةٍ وَلَا مَحْضُورَةٍ ) يَقُولُ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي لِأَبِي  
 دَلْفِ بْنِ عَيْسَى الْعِجْلِيِّ :

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرَ أَفْنَتْهُ مَا قَرَّتْ حَيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الدَّوَاهِبِ  
 وَلَكِنَّهُ فِضُّ الْقَوْلِ إِذَا انْجَلَّتْ سَحَابُ مِنْهُ أُغْقِيتْ بِسَحَابِ  
 وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُعْتَرِّ : لَحْظَةُ الْقَلْبِ أَسْرَعُ مِنْ لَحْظَةِ  
 الْبَصَرِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا وَهِيَ الْغَائِصَةُ فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمُتَمَلِّمَةُ  
 لَوُجُوهِ الْعَوَاقِبِ وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ مَا غَابَ وَحَضَرَ وَالْمِيزَانُ الشَّاهِدُ عَلَى  
 مَا نَفَعَ وَضَرَ . وَالْقَلْبُ كَالْمِلْحِيِّ الْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَالْيَدُ

صِفَاتِ الصَّوَابِ . وَابْلَاغَةُ أَعْلَى مِنْهُ رُتَبَةً وَأَشْرَفُ مَنَزَلَةٍ وَلَيْسَ لِمَنْ  
لَحَنَ فِي كَلَامِهِ مَدْحٌ فِي الْأَدَبَاءِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي عِدَادِ  
الْبُلَغَاءِ

### البحث الثالث

### في انواع المعاني

( ملخص عن زهر الاداب للقيرواني )

( راجع صفحة ١٢ من علم الاداب )

قَالَ أَبُو عُمَانَ عَمْرُو بْنُ بَجْرِ الْجَاحِظُ : قَالَ بَعْضُ جِهَابِدَةَ الْأَلْفَاظِ  
وَنُقَادِ الْمَعَانِي : الْمَعَانِي الْقَائِمَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ الْمُتَصَوِّرَةِ فِي أَذْهَانِهِمْ  
الْمُخْتَلِجَةُ فِي نَفْسِهِمْ الْمُتَّصِلَةُ بِخَوَاطِرِهِمْ وَالْحَادِثَةُ عَنْ فِكْرِهِمْ  
مُسْتَوْرَةٌ خَفِيَّةٌ وَبَعِيدَةٌ وَخَشِيَّةٌ وَمُخْجِبَةٌ مَكْنُونَةٌ وَمَوْجُودَةٌ فِي مَعْنَى  
مَعْدُومَةٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا نَسَانُ ضَمِيرِ صَاحِبِهِ وَلَا حَاجَةٌ أَخِيهِ وَخَلِيطِهِ وَلَا  
مَعْنَى شَرِيكِهِ وَالْمُعَاوِنُ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَعَلَى مَا لَا يَبْلُغُهُ مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِهِ  
إِلَّا بغيرِهِ . وَإِنَّمَا يُجَنَّبِي تِلْكَ الْمَعَانِي ذِكْرُهُمْ لَهَا وَإِخْبَارُهُمْ عَنْهَا  
وَأَسْتَعْمَلُهُمْ بِأَيَّاهَا . وَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ الَّتِي تُقَرِّبُهَا مِنَ الْفَهْمِ وَتَجْلُوهَا  
لِلْعَقْلِ وَتَجْعَلُ الْخَفِيَّ مِنْهَا ظَاهِرًا وَالْغَائِبَ شَاهِدًا وَالْبَعِيدَ قَرِيبًا . وَهِيَ  
الَّتِي تُلْخِصُ الْمُلْتَبَسَ وَتُحَلُّ الْمُنْعَقِدَ وَتَجْعَلُ الْمُهْمِلَ مُقَيَّدًا وَالْمُقَيَّدَ مُطْلَقًا  
وَالْمُتَجَهِّولَ مَعْرُوفًا وَالْمُخَشِيَّ مَأْلُوفًا . وَعَلَى قَدَرِ وُضُوحِ الدَّلَالَةِ وَصَوَابِ  
الْإِشَارَةِ وَحُسْنِ الْإِخْتِصَارِ وَرِقَّةِ الْمَدْخَلِ يَكُونُ ظُهُورُ الْمَعْنَى . وَكَلِمًا



الْأَلْفَاظِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ : ( أَحَدُهَا ) مُجَانِبَةُ الْغَرِيبِ الْوَحْشِيِّ  
 حَتَّى لَا يَجِبَ سَمْعُهُ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ . ( وَالثَّانِي ) تَنَكُّبُ الَّلَفْظِ الْمُتَبَذَّلِ  
 وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَرْدَلِ حَتَّى لَا يَسْتَسْقِطَ خَاصِيٌّ وَلَا يَنْبُو  
 عَنْهُ فَهْمٌ عَامِّيٌّ كَمَا قَالَ الْجَاهِظُ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ : أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ  
 قَوْمًا أَمَثَلَ طَرِيقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ الْكُتَّابِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ انْتَمَسُوا  
 مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعَّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا . ( وَالثَّلَاثُ )  
 أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ . أَمَّا الْمُطَابَقَةُ  
 فَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَرِيدُ عَلَيْهَا وَلَا  
 تَنْقُصُ عَنْهَا . وَقَالَ بِشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي الْبَلَاغَةِ : إِذَا لَمْ  
 تَجِدِ اللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي  
 مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلَقَةً فِي مَكَانِهَا نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى  
 الْقَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ  
 وَلَمْ تَتَكَلَّفِ اخْتِيَارَ الْمَشُورِ لَمْ يَعْيبَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ  
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا فِيهِمَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلُ عَيْبًا مِنْهُ  
 وَأَزْدَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ . وَأَمَّا الْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى  
 يَلِيقُ بِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ إِمَّا لِعُرْفِ مُسْتَعْمِلٍ أَوْ لِاتِّفَاقِ مُسْتَحْسِنٍ حَتَّى  
 إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ الْمَعْنَى بِغَيْرِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ  
 كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِاعْتِيَادِ مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ :  
 لَا يَكُونُ الْبَلِغُ بَلِغًا حَتَّى يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ  
 لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ . وَأَمَّا مُعَاطَةُ الْأَعْرَابِ وَتَجَنُّبُ اللَّحْنِ فَلِنَّمَا هُوَ مِنْ



الْبَلَاغَةُ. فَيَكُونُ تَرْتِيبُ الْمَعَانِي الْأَوَّلِ عَلَى الْوَجْهِ الْخُصُوصِ مَنَشَأَ  
الْفَضِيلَةِ وَمَنَاطِ الْبَرَاةِ بِالشَّكِّ. قَالَ الشَّيْخُ : وَلَمَّا كَانَتْ الْمَعَانِي  
تَتَبَيَّنُ بِالْأَلْفَافِ وَلَمْ يَكُنْ لِلتَّرْتِيبِ الْمَعَانِي سَبِيلٌ إِلَّا بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَافِ  
فِي النُّطْقِ تَجَوَّزُوا فَعَبَّرُوا عَنْ تَرْتِيبِ الْمَعَانِي بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَافِ ثُمَّ  
بِالْأَلْفَافِ بِحَذْفِ التَّرْتِيبِ. وَإِذَا وَضَعُوا اللَّفْظَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَفْخِيمِهِ  
كَانَ يُقَالُ الْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّفْظِ. أَوْ هُوَ مَحَلُّ الْفَضِيلَةِ الَّتِي بِهَا  
يَسْتَحِقُّ الْإِتِّصَافَ بِالْفَصَاحَةِ وَنَحْوِهَا لَمْ يُرِيدُوا اللَّفْظَ الْمَنْطُوقَ وَلَكِنْ  
أَرَادُوا مَعْنَى اللَّفْظِ الَّذِي دَلَّ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي

### البحث الثاني

### في صحة المعاني

(عن ادب الدنيا والدين للآوردی)

(راجع صفحة ١٠١ من علم الادب)

أَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : (أَحَدُهَا) إِضَاحُ  
تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْمَلَةً. (وَالثَّانِي) اسْتِيفَاءُ تَقْسِيمِهَا  
حَتَّى لَا يَنْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا هُوَ فِيهَا. (وَالثَّلَاثُ)  
صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا. وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِمَا  
يُؤَافِقُ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَلَةِ لِأَنَّ الْمَعَانِي تَصِيرُ مُتَشَابِكَةً. وَالثَّانِي  
مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ الْمُقَابَلَةِ. وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ  
الْوَجْهَيْنِ : الْمُوَافَقَةُ فِي الْإِتِّلَافِ وَالْمُضَادَّةُ مَعَ الْإِخْتِلَافِ. فَأَمَّا فَصَاحَةُ

بِالْبَلَاغَةِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ بِلَفْظِهِ عَلَى مَعْنَاهُ اللَّغَوِيِّ أَوِ الْعُرْفِيِّ أَوِ  
الْشَّرْعِيِّ . ثُمَّ تَحْدِثُ ذَلِكَ الْمَعْنَى دَلَالَةً ثَانِيَةً عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ  
الَّذِي يُرِيدُ الْمُتَكَلِّمُ إِثْبَاتَهُ أَوْ نَفْيَهُ فَهَذَا الْفَاعِلُ وَمَعْنَى أَوَّلُ وَمَعْنَى  
ثَوَانٍ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هِيَ مَدْلُولَاتُ التَّرَاكِيِبِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي  
تُسَمَّى فِي عِلْمِ النُّحُوِّ أَصْلَ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى الثَّوَانِي الْأَغْرَاضُ الَّتِي  
يُسَاقُ لَهَا الْكَلَامُ . وَلِذَا قِيلَ : مُقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي .  
كَرَّرَ الْأِنْكَارَ وَدَفَعَ الشَّكَّ مَثَلًا إِذَا قُلْنَا : إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ . فَالْمَعْنَى  
الْأَوَّلُ هُوَ الْقِيَامُ الْمَوْكَّدُ وَالْمَعْنَى الثَّانِي رَدُّ الْإِنْكَارِ وَدَفْعُ الشَّكِّ .  
وَإِذَا قُلْنَا : هُوَ أَسَدٌ فِي صُورَةٍ الْإِنْسَانِ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هُوَ مَدْلُولُ هَذَا  
الْكَلَامِ وَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ أَنَّهُ شَجَاعٌ . فَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ الَّذِي يُرَادُ  
إِيرَادُهُ فِي الطَّرِيقِ الْمُخْتَلَفَةِ وَالْمَفْهُومِ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ .  
وَتَسْمِيَتُهُ بِالْمَعْنَى الثَّانِي لِكَوْنِ اللَّفْظِ دَالًّا عَلَيْهِ بِوَاسِطَةِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ .  
فَدَلَالَةُ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي عَقْلِيَّةٌ قَطْعًا وَأَمَّا دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى  
الْمَعْنَى الْأَوَّلِ فَقَدْ تَكُونُ وَضْعِيَّةً وَقَدْ تَكُونُ عَقْلِيَّةً . وَقَدْ تُسَمَّى  
الْمَعْنَى الْأَوَّلُ بِالْخُصُوصِيَّاتِ وَالْكَيفِيَّاتِ الزَّائِدَةِ عَلَى أَصْلِ الْمَعْنَى  
وَبِالْصُّورِ وَالْخَوَاصِّ وَالزَّوَايَا مَجَازًا . ثُمَّ إِنَّهُمْ سَمَوْا تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ  
وَكَذَا الْمَعْنَى الْأَوَّلِ الْفَاعِلَ . وَفَضِيلَةُ الْكَلَامِ بِاعْتِبَارِ هَذَا التَّرْتِيبِ  
لِكَوْنِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ مَحَلَّ الْفَضِيلَةِ لِأَنَّ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ فِي  
النَّفْسِ ثُمَّ تَرْتِيبَ الْأَلْفَاظِ فِي النُّطْقِ عَلَى حَذْوِهَا عَلَى وَجْهِ يَنْتَقِلُ مِنْهَا  
الذَّهْنُ بِتَوَسُّلِهَا إِلَى الْخَوَاصِّ فِي الْإِفَادَةِ بِلَا إِخْلَالٍ وَلَا تَعْقِيدٍ هُوَ

فَالْحَلُّ عَيْنَ الْكُنْهَةِ يَمِيلُ إِلَى الْبَلَاغَةِ وَأَجَلُ رَمَصِ الْعُقْلَةِ يَمُرُّ بِالنَّقْطَةِ .  
( ثُمَّ قَالَ ) : أَحْمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ أَبْلَغَ الْكَلَامِ مَا إِذَا أَشْرَقَتْ  
شَمْسُهُ أَنْ تَكْشِفَ لَبْسَهُ وَإِذَا صَدَقَتْ أَنْوَاؤُهُ أَخْضَرَتْ أَحْمَاؤُهُ

## الفصل الثالث

في المعاني

البحث الأول

في حقيقة المعاني

( عن كشاف اصطلاحات الفنون بتصرف )

( راجع صفحة ١٠ من علم الادب )

الْمَعْنَى لُغَةً الْمَقْصُودُ وَفِي الْأَصْطِلَاحِ هُوَ الصُّورَةُ الذَّهْنِيَّةُ مِنْ  
حَيْثُ إِنَّهُ وَضَعَ بِإِزَائِهَا اللَّفْظُ أَيَّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُقْصَدُ مِنْهُ . وَذَلِكَ  
إِنَّمَا يَكُونُ بِالْوَضْعِ فَإِنْ عُبِّرَ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُفْرَدٍ يُسَمَّى مَعْنًى مُفْرَدًا .  
وَأِنْ عُبِّرَ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُرَكَّبٍ يُسَمَّى مَعْنًى مُرَكَّبًا . فَأَلْفَرَادُ وَالْتَّرْكَيبُ  
صِفَتَانِ لِلْأَلْفَافِ حَقِيقَةٌ وَيُوصَفُ بِهِمَا الْمَعْنَى تَبَعًا . وَعِلْمُ الْمَعْنَى عِلْمٌ  
يُخْتَرُ بِهِ عَنِ الْخَطِّ فِي تَأْدِيَةِ الْمَرَادِ وَتُعْرَفُ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ  
الَّتِي يَتَطَبَّقُ اللَّفْظُ مُقْتَضَى الْحَالِ وَهُوَ مِنْ أُصُولِ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ  
يَبْتَغَى عَنْ الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِإِعْتِبَارِ إِفَادَتِهَا لِمَعْنَى زَائِدَةٍ عَلَى  
أَصْلِ الْمَعْنَى . قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْنَى : الْكَلَامُ الَّذِي يُوصَفُ



وَجَبِيهِ الْمَعْرِفَةُ وَكَمَاهُ الْوَجَازَةُ وَدَخَارِيصُهُ الْإِفْهَامُ وَدَرُورُهُ الْحَلَاوَةُ  
وَلَا يَسُهُ جَسَدُ اللَّفْظِ وَرُوحُ الْمَعْنَى . ( وَقَالَ الصَّبَّاحُ ) : أَحْسَنُ  
الْكَلَامِ مَا لَمْ تَنْضَ بَهْجَةً إِنْجَازِهِ . وَلَمْ تُكْشِفْ صَبْغَةً إِنْجَازِهِ .  
قَدْ صَقَلَتْهُ يَدُ الرُّوِيَّةِ مِنْ كُمُودِ الْأَشْكَالِ فَرَاعَ كَوَائِبَ الْأَدَابِ .  
وَأَلْفَ عَذَارَى الْأَلْبَابِ . ( وَقَالَ الْخَالِئُ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا  
اتَّصَلَتْ لُحْمَةُ الْفَاطِلِ بِسَدَى مَعَانِيهِ فَخَرَجَ مُفَوِّقًا مُنِيرًا وَمُوشِيًا مُحَبَّرًا .  
( وَقَالَ الْبَزَّازُ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ الْفَاطِلِ وَحَسَنَ  
كُشْرُ مَعَانِيهِ فَلَمْ يُسْتَعْجَمْ عَنْكَ كُشْرٌ وَلَمْ يُسْتَبْهَمْ عَلَيْكَ طَيٌّ . ( وَقَالَ  
الرَّائِضُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ حَدِّ التَّخْلِيعِ إِلَى مَزَلَّةِ التَّقْرِيبِ إِلَّا  
بَعْدَ الرِّيَاضَةِ وَكَانَ كَالْمُهَرِّ الَّذِي أَطْمَعَ أَوَّلُ رِيَاضَتِهِ فِي تَامِ ثِقَاتِهِ .  
( وَقَالَ الْجَمَّالُ ) : أَلْيَمِغُ مَنْ أَخَذَ بِخِطَامِ كَلَامِهِ فَأَنَازَهُ فِي مَبْرَكِ الْمَعْنَى  
ثُمَّ جَعَلَ الْإِخْتِصَارَ لَهُ عِقَالًا وَالْإِنْجَازَ لَهُ مَجَالًا . فَلَمْ يَنْدَ عَنْ الْأَذَانِ . وَلَمْ  
يَشُدَّ عَنْ الْأَذْهَانِ . ( وَقَالَ الْخَمَارُ ) : أَلْبَغُ الْكَلَامِ مَا طَبَّخْتُهُ مَرَّجُلُ  
الْعِلْمِ وَصَفَّاهُ رَأُوقُ الْفَهْمِ وَضَمَّنْتُهُ دِنَانَ الْحِكْمَةِ قَتَمَشْتِ فِي  
الْمَفَاصِلِ عُدُوبَتَهُ وَفِي الْأَفْكَارِ دِقَّتَهُ وَفِي الْعُقُولِ حِدَّتَهُ . ( وَقَالَ  
الْفُقَاعِيُّ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا رَوَّحَتْ الْفَاطِلُ غِبَاوَةَ الشَّكِّ وَدَفَعَتْ  
دِقَّتَهُ قَطَاطَةَ الْجَهْلِ قَطَابَ جُشَاءِ قِطْعِهِ وَعَذَبَ مَصُّ جُرْعِهِ . ( وَقَالَ  
الطَّيِّبُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا إِذَا بَاشَرَ دَوَاءَ بَيَانِهِ سَقَمَ الشُّبْهَةِ  
أَسْتَطَلَقَتْ طَبِيعَةُ الْعِبَاوَةِ فَشَقَى مِنْ سُوءِ التَّفْهَمِ وَأَوْرَثَ صِحَّةَ التَّوَهُّمِ .  
( قَالَ الْكَحَّالُ ) : كَمَا أَنَّ الرَّمْدَ أَتَذَى الْأَبْصَارِ فَالشُّبْهَةُ قَذَى الْأَبْصَارِ

الشُّدُورِ: تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ فَوَصَفُوا بِلَاغَاتِهِمْ مِنْ طَرِيقِ  
صِنَاعَاتِهِمْ . ( فَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ نِظَامًا مَا ثَقَبَتْهُ  
يَدُ الْفِكْرَةِ وَنَظَمَتْهُ الْفِطْنَةُ وَوُضِلَ جَوْهَرُ مَعَانِيهِ فِي سُموطِ الْفَظِّهِ  
فَاحْتَمَلَتْهُ نُحُورُ الرُّوَاةِ . ( وَقَالَ الْعَطَّارُ ) : أَطْيَبُ الْكَلَامِ مَا عُجِنَ  
عَنْبَرُ الْفَظِّهِ بِمِسْكِ مَعَانِيهِ فَفَاحَ نَسِيمُ نَشْقِهِ . وَسَطَعَتْ رَائِحَةُ عَبْقِهِ .  
فَتَعَلَّقَتْ بِهِ الرُّوَاةُ وَتَعَطَّرَتْ بِهِ السَّرَاةُ . ( وَقَالَ الصَّانِعُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ  
مَا أَحْمَيْتَهُ بِكَبِيرِ الْفِكْرِ . وَسَبَكْتَهُ بِمِشَاعِلِ النَّظْرِ . وَخَلَصْتَهُ مِنْ خَبَثِ  
الْإِظْنَابِ فَبَرَزَ بَرُوزُ الْإِبْرِيزِ . فِي مَعْنَى وَجِيزٍ . ( وَقَالَ الصَّيْرَفِيُّ ) :  
خَيْرُ الْكَلَامِ مَا نَقَدْتَهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ وَجَلَّتْهُ عَيْنُ الرُّوِيَّةِ وَوَزَنَتْهُ بِمِيزَانِ  
الْفَصَاحَةِ فَلَا نَظَرَ يُرِيقُهُ وَلَا سَمَاعَ يُبْهِرُجُهُ . ( وَقَالَ الْحَدَّادُ ) : أَحْسَنُ  
الْكَلَامِ مَا نَصَبْتَ عَلَيْهِ مِنْخَةَ الْقَرِيحَةِ وَاشْعَلْتَ عَلَيْهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ  
ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ فَحْمِ الْإِفْهَامِ . وَرَقَّقْتَهُ بِفِطْيَسِ الْإِفْهَامِ . ( وَقَالَ  
الْتَّجَارُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا أَحْكَمْتَ تَجَرَ مَعْنَاهُ بِقُدُومِ التَّقْدِيرِ . وَنَشَرْتَهُ  
بِمِشَارِ التَّدْبِيرِ . فَصَارَ بَابًا لَيْتَ الْبَيَانِ . وَعَارِضَةً لِسَقْفِ اللِّسَانِ .  
( وَقَالَ التَّجَادُ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا لَطَفْتَ رِقَافُ الْفَظِّهِ وَحَسَنْتِ  
طَارِحُ مَعَانِيهِ فَتَنَزَّهَتْ فِي زُرَائِي مَحَاسِنِهِ عُيُونُ النَّازِلِينَ . وَاصَاحَتْ  
لِنَارِقِ بَهْجَتِهِ آذَانُ السَّامِعِينَ . ( وَقَالَ الْأَمَلِيُّ ) : آيِنُ الْكَلَامِ مَا  
عَلَّقْتَ وَذَمَّ الْفَظِّهِ بِبَكْرَةِ مَعَانِيهِ ثُمَّ أَرْسَلْتَهُ فِي قَلْبِ الْفِطْنِ رِيًّا  
فَأَمْتَحَتْ بِهِ سِقَاءَ يَكْشِفُ الشُّبُهَاتِ . وَاسْتَبْطَتْ بِهِ مَعْنَى يُرْوِي مِنَ  
ظُلَمٍ أَنْشِكِلَاتِ . ( وَقَالَ الْحَيَّاطُ ) : الْبَلَاغَةُ رِدَاءُ فُجْرٍ بَأَنَّهُ الْبَيَانُ



وَأَجْسَادًا لَا تُقَوِّسُ . وَقِيلَ فِي آخِرَ : يَرْضَى بِعَقْرِ الطَّبَعِ . وَيَقْبَعُ بِمَا  
خَفَّ عَلَى السَّمْعِ . وَيُوجِزُ فَلَا يُجِلُّ . وَيُطِنُّ فَلَا يُعِلُّ . فَلِلَّهِ فَلَانٌ أَخَذَ  
بِأَزْمَةِ الْقَوْلِ يَقُودُهَا كَيْفَ أَرَادَ وَيَجْذِبُهَا إِلَى شَاءٍ فَلَا تَعْصِيهِ  
بَيْنَ الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ . وَلَا تُسْلِمُهُ عِنْدَ الْحُزْنِ وَالسُّهُولِ . كَلَامُهُ  
يَشْتَدُّ مَرَّةً حَتَّى تَقُولَ : الصَّخْرُ الْأَمْلَسُ . وَيَلِينُ تَارَةً حَتَّى تَقُولَ : أَلْمَاءُ  
أَوْ أَسْلَسُ . يَقُولُ : فَيَصُولُ . وَيُجِيبُ . فَيُصِيبُ . وَيَكْتُبُ . فَيُطِيقُ الْمَفْصِلَ .  
وَيَنْسُقُ الدَّرَجَاتِ الْمَفْصِلَ . وَيَرِدُ مَشَارِعَ الْكَلَامِ وَهِيَ صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرَقْ .  
وَجَامَةٌ لَمْ تُرْتَقِ . خَاطِرُهُ الْبَرَقُ أَوْ أَسْرَعُ أَلْعَاءِ . وَالسَّيْفُ أَوْ أَحَدُ قِطْعَاءِ .  
وَأَلْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ جَرِيًّا . وَالْفَلَكُ أَوْ أَقْوَمُ هَدْيًا . يَسْهَلُ الْكَلَامُ عَلَى  
لَفْظِهِ وَتَتَرَاخَمُ أَلْعَائِي عَلَى طَبْعِهِ فَيَتَنَاوَلُ الْمُرْمَى الْبَعِيدَ بِقَرِيبِ سَعْيِهِ .  
وَيَسْتَسْبِطُ الْمَشْرَعَ الْعَمِيقَ بِسَيْرِ جَرِيهِ . لِسَانُهُ يَفْلِقُ الصُّخُورَ . وَيُفِيضُ  
الْبُحُورَ . خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ وَلَا تَرْتَهِنُهُ لُكْنَةٌ وَلَا تَحْجِفُ بَيَانُهُ عُجْمَةٌ  
وَلَا تَعَارِضُ لِسَانُهُ عُقْدَةٌ يُحْسِنُ السَّقَارَةَ . وَيَسْتَوْفِي الْعِبَارَةَ . وَيُؤَدِّي  
الْأَلْفَاظَ . وَيَسْتَعْرِقُ الْأَغْرَاضَ . قَالَ حَتَّى قَالَ الْكَلَامُ : لَوْ أَعْفَيْتَ .  
وَكَتَبَ حَتَّى قَالَتْ الْأَقْلَامُ : قَدْ أَحْفَيْتَ

### البحث الثالث

في أوصاف البلاغات على السنة اقوام من اهل البلاغات  
(عن زهر الاداب للقيرواني).

قَالَ بَعْضُ مَنْ وُلِدَ عَقَائِلُ هَذَا الْمَثُورِ . وَآلِفِ فَوَاصِلِ هَذِهِ



يَقِفْ عَلَى الْمَعْنَى الْمُؤَدِّي إِلَى الْحِطَابِ . فَأَلَا سَمِعَ الْحَسَنُ عَوْنُ  
لِلْبَلِيغِ عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى

وَقَدْ جَاءَ لِلْبَلَاغَةِ تَعْرِيفَاتٌ أُخَرُ مِنْهَا قَوْلُ بَعْضِ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ :  
جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالنَّجَّةِ وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاقِعِ الْفُرْصَةِ وَمِنْ الْبَصَرِ بِالنَّجَّةِ  
أَنْ تَدَعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ طَرِيقُ الْإِفْصَاحِ  
وَعَرًّا وَكَانَتْ الْكِنَايَةُ أَحْضَرَ نَفْعًا . قَالَ آخَرُ : أَلْبَغُ الْكَلَامِ مَا  
يُؤْنِسُ مَسْمَعَهُ . وَيُؤْنِسُ مُصْنَعُهُ . وَالْبَلِيغُ مَنْ يَجْتَنِي مِنَ الْأَلْفَاظِ أَوَارَهَا .  
وَمِنْ الْمَعَانِي ثَمَارَهَا . لَيْسَتْ الْبَلَاغَةُ أَنْ يُطَالَ عِنَانُ الْقَلَمِ أَوْ سِنَانُهُ .  
أَوْ يُبْسَطَ رِهَانُ الْقَوْلِ وَمِيدَانُهُ . بَلْ هِيَ أَنْ يَبْلُغَ أَسَدَ الْمُرَادِ  
بِالْفَظِ أَعْيَانِ وَمَعَانِ أَفْرَادٍ مِنْ حَيْثُ لَا تَرِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ وَلَا إِخْلَالَ  
يُضِي إِلَى الْفَاقَةِ . وَصَفَ بَعْضُهُمُ الْبَلَاغَةَ قَالَ : هِيَ مِيدَانٌ لَا يُقْطَعُ  
إِلَّا بِسَوَاقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَلَّكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ أَلْيَانِ . يَعْثُ صَاحِبُهَا  
بِالْكَلَامِ . وَيَقُودُهُ بِاللِّينِ زِمَامٍ . حَتَّى كَانَ الْأَلْفَاظُ تَتَحَادَثُ فِي التَّسَابُقِ إِلَى  
خَوَاطِرِهِ وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْأَنْثِيَالِ عَلَى أَنْوَالِهِ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي :  
تَغَايَرُ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرَتْ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَلُ  
وَقِيلَ فِي بَلِيغٍ : فَلَانٌ مَشْرِفِي الْمَشْرِقِ . وَصِدْرِي الْمُنْطِقِ .  
أَلْيَانُ أَصْغَرُ صِفَاتِهِ . وَالْبَلَاغَةُ عَفْوُ خَطَرَاتِهِ . كَأَنَّهُ أُوحِيَ بِالتَّوْفِيقِ إِلَى  
صَدْرِهِ . وَحَسَنُ الصَّوَابِ بَيْنَ طَبْعِهِ وَفِكْرِهِ . يَخُزُّ مَفَاصِلَ الْكَلَامِ .  
وَيَسْتَقِي فِيهَا إِلَى دَرَكِ الْمَرَامِ . كَأَنَّمَا جَمَعَ الْكَلَامَ حَوْلَهُ حَتَّى أَتَتْقَى مِنْهُ  
وَأَنْتَجَبَ . وَتَنَاوَلَ مِنْهُ مَا طَلَبَ . وَتَرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَذْنَابًا لَا رُؤْسًا .

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانٍ : لَمْ يُفَسِّرْ أَحَدُ الْبَلَاغَةِ تَفْسِيرَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ  
إِذْ قَالَ : الْبَلَاغَةُ لِمَعَانٍ تَجْرِي فِي وُجُوهِ كَثِيرَةٍ : فَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي  
الْإِشَارَةِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْحَدِيثِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِسْتِمَاعِ  
وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِحْتِجَاجِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ شِعْرًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ  
أَبْتِدَاءً . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ جَوَابًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ سَجْعًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ  
خُطْبًا . وَمِنْهَا رَبَّمَا كَانَتْ رَسَائِلَ . فَقَايَةُ ( ١ ) هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْوَحْيُ  
فِيهَا وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَعْنَى الْبَلَّغُ وَالْإِجَارُ هُوَ الْبَلَاغَةُ . فَالْشُّكُوتُ يُسَمَّى  
بَلَاغَةً مَجَازًا وَهُوَ فِي حَالَةٍ لَا يَجْعُ فِيهَا الْقَوْلُ وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا إِقَامَةُ  
الْحُجَجِ . إِمَّا عِنْدَ جَاهِلٍ لَا يَفْهَمُ الْحُطَابَ أَوْ عِنْدَ وَضِيعٍ لَا يَرْهَبُ  
الْجَوَابَ . أَوْ ظَالِمٍ سَلِيطٍ يَحْكُمُ بِالْهَوَى وَلَا يَرْتَدِعُ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى  
وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يُعْرَى مِنَ الْخَيْرِ أَوْ يَحِبُّ الشَّرَّ فَالْشُّكُوتُ أَوَّلَى  
كَمَا قَالَ أَبُو الْقَتَاهِيَةِ :

مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابٌ      جَوَابُ مَا يُكْرَهُ الشُّكُوتُ  
وَرَبَّمَا كَانَ صَمْتُكَ فِي حَالٍ أَرْفَقَ مِنْ كَلَامِكَ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ  
قَوْلُهُمْ : كُلُّ صَامِتٍ نَاطِقٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ دَلَائِلَ الصَّنْعَةِ  
فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَاضِحَةٌ . وَالْمَوْعِظَةُ فِيهَا قَائِمَةٌ . وَقَدْ قَالَ الرَّقَاشِيُّ :  
سَلِ الْأَرْضَ مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ وَجَنَى ثَمَارَكَ . فَإِنْ لَمْ  
تُحِبِّكَ حِوَارًا أَجَابَتْكَ أَعْتِبَارًا . وَقَوْلُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ : ( رَبَّمَا كَانَتْ  
الْبَلَاغَةُ بِالْإِسْتِمَاعِ ) فَلِأَنَّ الْمُخَاطَبَ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ



أَلْكَلَامُ بِمَعْنَاهِ إِذَا قُضِرَ وَحُسْنُ التَّأْلِيفِ إِذَا طَالَ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ :  
 أَلْبَلَاغَةُ إِيجَازٌ فِي غَيْرِ عَجْزٍ وَإِطْنَابٌ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ :  
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَضَحِيحُ الْأَقْسَامِ وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ :  
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : حُسْنُ الْأَقْتِصَابِ عِنْدَ الْبِدَاهَةِ وَالْغَرَارَةِ يَوْمَ  
 الْأُطَالَةِ . وَقِيلَ لِلْهِنْدِيِّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَأَنْتِهَازُ  
 الْفُرْصَةِ وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقِيلَ لِلْفَارِسِيِّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : مَعْرِفَةُ  
 الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَانِيُّ : أَلْبَلَاغَةُ إِيْصَالُ  
 الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ فِي حُسْنِ صُورَةٍ مِنَ اللَّفْظِ . وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ  
 أَلْبَلَاغَةٍ . قَالَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا حَسُنَ إِيجَازُهُ . وَقُلَّ عَجَازُهُ . وَكَثُرَ  
 عَجَازُهُ . وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ . وَقِيلَ لَجَعْفَرِ بْنِ خَالِدٍ : مَا  
 أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ وَالِدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ عَلَى  
 الْكَثِيرِ . وَقِيلَ لِآخَرَ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَطْوِيلُ الْقَصِيرِ وَتَقْصِيرُ  
 الطَّوِيلِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ  
 وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ وَحُسْنُ الْأِسْتِعَارَةِ . وَقِيلَ لِحَالِسِيئُوسَ : مَا أَلْبَلَاغَةُ .  
 قَالَ : إِيْضَاحُ الْمُعْضِلِ وَفَكُّ الْمَشْكِلِ . وَقِيلَ لِلْحَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : مَا  
 أَلْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : مَا قُرْبَ طَرَفَاهُ وَبَعْدَ مُنْتَهَاهُ . وَقِيلَ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :  
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : إِصَابَةُ الْمَعْنَى وَالْمَقْصَدُ إِلَى الْحُجَّةِ . وَقِيلَ لِآخَرَ :  
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ وَتَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي  
 صُورَةِ الْحَقِّ (١) . وَقِيلَ لِابْرِهِيمَ الْأِمَامِ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : الْحُجْرَةُ وَالْإِصَالَةُ

(١) لا يجوز ذلك إلا على طريقة المغايرة في الأمور القابلة المدح والذم



فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِلَهَا أَشْعَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ  
النَّاسِ أَشْعَرَ مِنْهُ . وَنَحْنُ نَفْهَمُ مَعَانِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِأَسْرَها لِعَادَتِنَا  
لِسَمَاعِ مِثْلِهَا لَا لِأَنَّا أَغْرَفُ بِالْكَلَامِ مِنَ الْأَعْرَابِ . وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا  
قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ أَمَّا هِيَ إِضْاحُ الْمَعْنَى وَتَحْسِينُ اللَّفْظِ قَوْلُ بَعْضِ  
الْحُكَمَاءِ : الْبَلَاغَةُ تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ : الْبَلَاغَةُ قَوْلٌ يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ بِأَسْهَلِ  
الْعِبَارَةِ . فَقَوْلُهُ : (يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ) عِبَارَةٌ عَنْ إِضْاحِ الْمَعْنَى .  
وَقَوْلُهُ : (بِأَسْهَلِ الْعِبَارَةِ) تَنْبِيهُ عَلَى تَسْلِيسِ اللَّفْظِ وَتَرْكِ تَنْقِيحِهِ

## البحث الثاني

### أقوال في تحديد البلاغة

(ملخص عن زهر الاداب المصري وكتاب الصناعتين للعسكري )

قَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْبَعِيدِ وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكُلْفَةِ  
وَالدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ . قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى : الْبَلَاغَةُ تَقْرِيرُ  
الْمَعْنَى فِي الْأَفْهَامِ مِنْ أَقْرَبِ وَجْهِ الْكَلَامِ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :  
الْبَلَاغَةُ الْبُلُوغُ إِلَى الْمَعْنَى وَلَمْ يَطْلُ سَفَرُ الْكَلَامِ . قَالَ سَهْلُ بْنُ  
هَارُونَ : الْبَيَانُ تَرْجُمَانُ الْعُقُولِ وَرَوْضُ الْقُلُوبِ . وَقَالَ آيُضًا : الْعَقْلُ  
رَأْدُ الرُّوحِ وَالْعِلْمُ رَأْدُ الْعَقْلِ وَالْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْعِلْمِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
الْإِمَامُ : يَكْفِي مِنَ الْبَلَاغَةِ أَنْ لَا يُؤْتِيَ السَّامِعُ مِنْ سُوءِ فَهْمٍ النَّاطِقِ  
وَلَا يُؤْتِيَ النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ فَهْمٍ السَّامِعِ . قَالَ الْعَتَائِي : الْبَلَاغَةُ مَدُّ

وَالْإِبَانَةُ سَوَاءٌ . وَآيضًا فَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ الْوَاضِحُ السَّهْلُ وَالْقَرِيبُ  
السَّلسُ اُخْلُو بَلِيغًا وَمَا خَالَفَهُ مِنْ الْكَلَامِ الْمُسْتَبْهَمِ الْمُسْتَقْلِقِ  
وَالْمُتَكَلِّفِ الْمُتَعَقِّدِ آيضًا بَلِيغًا لَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ مَحْمُودًا وَمَمْدُوحًا  
مَقْبُولًا لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ أَمُّ يُمْدَحُ بِهِ الْكَلَامُ . فَلَمَّا رَأَيْنَا أَحَدَهُمَا  
مُسْتَحْسَنًا وَالْآخَرَ مُسْتَهْجَنًا عَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي يُسْتَحْسَنُ هُوَ الْبَلِيغُ وَالَّذِي  
يُسْتَهْجَنُ لَيْسَ بِبَلِيغٍ . وَقَالَ الْعَتَائِيُّ : كُلُّ مَنْ أَفْهَمَكَ حَاجَتَهُ فَهُوَ  
بَلِيغٌ . وَإِنَّمَا عَنِ أَنَّ مَنْ أَفْهَمَكَ حَاجَتَهُ بِالْأَلْفَافِ الْحَسَنَةِ وَالْعِبَارَةِ  
الَّتِي تَرِدُ فَهُوَ بَلِيغٌ . وَلَوْ حَمَلْنَا هَذَا الْكَلَامَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَزِمَ أَنْ  
يَكُونَ الْإِلْكَنُ بَلِيغًا لِأَنَّهُ يُفْهَمُ حَاجَتَهُ بَلٍ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ  
النَّاسِ بُلْغَاءً حَتَّى الْأَطْفَالُ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَعْدَمُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى غَرَضِهِ  
بِعُجْمَتِهِ وَلَكِنَّتِهِ وَإِيَانِهِ وَإِشَارَتِهِ بَلٍ أَرِمَ أَنْ يَكُونَ السَّنُورُ بَلِيغًا  
لِأَنَّا نَسْتَدِلُّ بِضَعَائِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ إِرَادَتِهِ وَهَذَا ظَاهِرُ الْإِحَالَةِ .  
وَنَحْنُ نَفْهَمُ رَطَانَةَ الشُّوقِ وَجَحْمَةَ الْأَعْجَبِيِّ لِلْعَادَةِ الَّتِي جَرَتْ لَنَا فِي  
سَمَاعِهَا لِأَنَّ تِلْكَ بَلَاغَةٌ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ إِنْ سَمِعَ ذَلِكَ لَمْ  
يَفْهَمْهُ إِذْ لَا عَادَةَ لَهُ بِسَمَاعِهِ . وَارَادَ رَجُلٌ أَنْ يَسْأَلَ بَعْضَ الْأَعْرَابِ  
عَنْ أَهْلِهِ فَقَالَ : كَيْفَ أَهْلِكَ ( بِالْكَسْرِ ) . فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ :  
صَلْبًا . إِذْ لَمْ يَشْكُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْأَلُهُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي يَهْلِكُ بِهِ . وَسَمِعَ  
أَعْرَابِيٌّ قَصِيدَةَ أَبِي تَمَّامٍ فِي خَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ :

طَلَّ الْجَمِيعَ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا

فَقَالَ : إِنَّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَشْيَاءَ أَفْهَمَهَا وَأَشْيَاءَ لَا أَفْهَمَهَا

## الفصل الثاني

في البلاغة

### المبحث الأول

في الإبانة عن حدّ البلاغة

( من كتاب الصناعتين للعسكري )

( راجع صفحة ٩ من علم الادب )

أَلْبَلَاغَةُ كُلُّ مَا يُبْلَغُ بِهِ الْمَعْنَى قَلْبَ السَّامِعِ فَتَمَكَّنُهُ فِي نَفْسِهِ  
كَتَمَكَّنِهِ فِي نَفْسِكَ مَعَ ضُورَةٍ مَقْبُولَةٍ وَمَعْرِضٍ حَسَنِ . وَأَمَّا جَعَلْنَا  
حُسْنَ الْمَعْرِضِ وَقَبُولَ الصُّورَةِ شَرْطًا فِي أَلْبَلَاغَةٍ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا  
كَانَتْ عِبَارَتُهُ رَدَّةً وَمَعْرِضُهُ خَلْقًا لَمْ يُسَمَّ بَلِيغًا وَإِنْ كَانَ مَفْهُومُ الْمَعْنَى  
مَكْشُوفَ الْمَغْزَى . أَلَا تَرَى إِلَى مَعْنَى الْكَاتِبِ الَّذِي كَتَبَ إِلَى  
بَعْضِ مُعَاوَلِيهِ : ( قَدْ تَأَخَّرَ الْأَمْرُ فِيمَا وَعَدْتَ حَمَلُهُ ضُخْوَةَ النَّهَارِ  
وَالْقَوْمُ غَيْرُ مُقِيمِينَ لَيْسَ لَهُمْ صَبْرٌ . فَإِنْ رَأَيْتَ فِي إِزَاحَةِ الْعَلَّةِ مَعَ  
الْجَهْدِ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ) . فَمَعْنَاهُ مَفْهُومٌ وَمَغْزَاهُ مَعْلُومٌ وَلَيْسَ كَلَامُهُ  
بِلَيِّغٍ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ شَرْطِ أَلْبَلَاغَةٍ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مَفْهُومًا  
وَاللَّفْظُ مَقْبُولًا عَلَى مَا قَدَّمَاهُ . وَمَنْ قَالَ إِنَّ أَلْبَلَاغَةً إِنَّمَا هِيَ إِفْهَامُ  
الْمَعْنَى فَقَطْ فَقَدْ جَعَلَ الْفَصَاحَةَ وَاللُّكْنَةَ وَالْخَطَأَ وَالصَّوَابَ وَالْإِغْلَاقَ



ذَلِكَ . (الْحَامِسُ) أَنْ يَسْلَمَ مِنَ التَّكَرَّارِ الْمَوْجِبِ فِي الثَّقَلِ كَتَّكَرَّارِ  
الْلَفْظَةِ ذَاتِهَا وَتَوَالِي الْأِضَافَاتِ وَالصِّفَاتِ وَلَا يُخْلُ بِالْفَصَاحَةِ قَطْعًا تَكَرَّارُ  
الْلَفْظَةِ لِلتَّوَكِيدِ وَإِنَّمَا يُعَابُ قُبْحُ التَّكَرَّارِ بِلَا فَائِدَةٍ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :  
كُنْتُ كُنْتُ كُنْتُ السَّرَّ كُنْتُ كَمَا

كُنَّا وَكُنْتُ وَلَكِنْ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ  
فَجَاءَتْ الْحُرُوفُ قَلِيلَةً مَكْدُودَةً غَيْرَ مُتِمِّكِنَةٍ فِي مَوَاضِعِهَا . (وَتَتَابَعُ  
الْإِضَافَاتِ) . مِثْلُ قَوْلِ أَبِي فَايِدٍ :

حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجُنْدَلِ اسْبِجِي فَأَنْتِ بِرَأْيٍ مِنْ سَعَادَ وَمَسْمَعٍ (١)  
فَفِيهِ إِضَاقَةٌ حَمَامَةٍ إِلَى جَرَعًا وَجَرَعًا إِلَى حَوْمَةٍ وَحَوْمَةٍ إِلَى الْجُنْدَلِ .  
وَلَيْسَ هَذَا بِقَصِيحٍ مَا نُوَسَّ

( وَتَوَالِي الصِّفَاتِ ) ذَكَرَهُ الطَّيِّبِيُّ ذَلِكَ مِمَّا يُحْدِثُ فِي الْكَلَامِ  
ثِقَلًا وَأَسْتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّئِيِّ :  
دَانٍ بَعِيدٌ مُحِبٌّ مُبْغِضٌ بِهِجٍّ أَعَزُّ حُلُوٍّ مُرٍّ لَيْتَ شَرِّسُ

(١) الجرعا تخفيف الجرعاء وموئث الاجرع وهي ارض ذات رمل لاتنبت  
شيئا. والحومة معظم الشيء. والجنبدل ارض ذات حجارة يقول : اسبجي يا حمامة ارضي  
قفرة سبعة فان سعاد تراك وتسمعك



وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا الْمَلِكُ أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ (١)  
التَّقْدِيرُ: وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيُّ يُقَارِبُهُ فِي الشَّرَفِ إِلَّا الْمَلِكُ أَبُو  
أَمِ ذَلِكَ الْمَلِكُ أَبُو هَذَا الْمَدُوحِ. فَتَأْمَلْ مَا فِيهِ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ  
الْمَوْزُونِ بِالتَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَهُوَ أَنْ يُرِيدَ  
أَلْتَكَلَّمَ الدَّلَالَةَ فِي اللَّفْظِ عَلَى لَازِمِ مَعْنَاهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
فِي الْمَشْهُورِ مِنْ كَلَامِ الْفُصَحَاءِ كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ أَتَقَرُّبُوا. وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا (٢)  
فَجَعَلَ سَكْبَ الدُّمُوعِ كِنَايَةً عَمَّا يَلْزَمُ فِرَاقُ الْأَحِبَّةِ مِنَ الْكِبَابَةِ  
وَالْحُزْنِ وَأَصَابَ. لَكِنَّهُ أَخْطَأَ فِي جَعْلِ جُمُودِ الْعَيْنِ كِنَايَةً عَمَّا يُوجِبُهُ  
دَوَامُ التَّلَاقِ مِنَ الْفَرَحِ وَالشُّرُورِ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ الشُّرُورَ بِمَعْنَى الْجُمُودِ.  
لِأَنَّ جُمُودَ الْعَيْنِ عِنْدَ الْفُصَحَاءِ إِنَّمَا يَلْزَمُ بُحْلَهَا بِالدُّمُوعِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ  
لَا الشُّرُورَ. وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الدِّينِ الطَّيِّبِيِّ جَعَلَ بَيْتَ الْعَبَّاسِ  
(سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ) مِنَ الْمَطَابَقَةِ الْحَسَنَةِ وَلَيْسَ فِيهِ عِنْدَهُ تَعْقِيدٌ  
مَعْنَوِيٌّ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ سَكْبَ الدُّمُوعِ فِي الْبَيْتِ عِبَارَةٌ عَنِ الْحُزْنِ.  
وَالْجُمُودَ عِبَارَةٌ عَنِ الشُّرُورِ فَحَصَلَتْ بَيْنَهُمَا مُطَابَقَةٌ بِهَذَا اللَّفْظِ. وَجَعَلَ  
التَّعْقِيدَ اللَّفْظِيَّ فِيمَا يَخْدُثُ مِنَ التَّقْلِيلِ مِنْ تَوَالِي الْمُضَافَاتِ وَالضَّمَائِرِ  
وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ وَتَكَرُّارِ الْأَلْفَاظِ وَمَا جَرَى مَجْرَى

(١) أي ليس في الناس مثل المدوح حيُّ يقاربه إلا ابن أخيه وهو هشام  
الملك أي المعطى الملك

(٢) المعنى: أني أطيب نفساً بالبعد والفراق وأوطنها على مقاساة الحزن  
والتجرب غصصاً تفيض لأجلها الدموع من عيني إلى أن يأتي بعد العسر يسر

جَزَا رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ جَزَاءَ الْكِلَابِ أَعَاوِيَاتٍ وَقَدْ فَعَلَ  
فَاتَهُ خَالَفَ الْقِيَاسَ فِي إِعَادَةِ الضَّمِيرِ فِي (رَبِّهِ) إِلَى عَدِيٍّ  
وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ لَفْظًا وَمَعْنَى . وَالْقَاعِدَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَنَّ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى مَا  
قَبْلَهُ أَوْ عَلَى مَا بَعْدَهُ لَفْظًا لَا مَعْنَى . (الثَّالِثُ) : أَنَّ يَسْلَمَ مِنْ  
تَنَافُرِ الْكَلِمَةِ وَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ حَالِ الْإِفْرَادِ غَيْرِ مُتَنَافِرَةٍ  
فَإِذَا رُكِبَتْ حَصَلَ التَّنَافُرُ نَحْوُ قَوْلِهِ :

وَقَبْرُ حَرْبٍ (١) بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ  
قِيلَ : إِنَّ هَذَا أَلْبَيْتَ لَا يُمَكِّنُ إِنْشَادُهُ فِي أَلْغَابِ ثَلَاثَ  
مَرَّاتٍ مُتَوَالِيَةٍ إِلَّا وَيَغْلُطُ الْمُنْشِدُ فِيهِ لِأَنَّ نَفْسَ اجْتِمَاعِ الْكَلَامِ  
وَالْقُرْبَ فِي الْخَارِجِ يُجِدُّ ثَانٍ ثِقَلًا . وَإِذَا كَانَ التَّنَافُرُ فِي حُرُوفِ  
الْكَلِمَةِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى عَدَمِ فَصَاحَةِ الْمُفْرَدِ وَلَا يَسْلَمُ الْمُرْكَبُ مِنَ  
التَّنَافُرِ مَتَى تَسْلَمَ مُفْرَدَاتُهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَذِي  
فَالْتَّنَافُرُ فِيهِ مِنْ وَجْهِ تَكَرُّارِ (أَمَدَحُهُ) لِأَمِنْ وَجْهِ أَنَّ حُرُوفَ  
(أَمَدَحُهُ) مُتَنَافِرَةٌ لِاجْتِمَاعِ حُرُوفِ الْخَلْقِ . (الرَّابِعُ) : أَنَّ يَسْلَمَ  
مِنَ التَّعْقِيدِ وَهُوَ إِيْرَادُ كَلَامٍ خَفِيٍّ الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَاهُ وَهُوَ مِنْ جِهَةِ  
الْلَفْظِ وَبَيْنَ جِهَةِ الْمَعْنَى . فَمِنْ جِهَةِ الْلَفْظِ كِتَاخِيرُ الْأَلْفَاظِ وَتَقْدِيمُهَا  
عَلَى مَوَاضِعِهَا وَحُصُولُ الْفَضْلِ إِذَا ذَاكَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَلَازِمَةِ كَقَوْلِ  
الْفَرَزْدَقِ يَدْحُ إِبْرَاهِيمَ خَالَ هِشَامٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :



أَنْ لَا يَكُونَ مُتَنَاهِيًا فِي كَثَرَةِ الْحُرُوفِ بِلَا زِيَادَةٍ مَعْنَى نَحْوُ :  
خَدَرِيْسٍ . وَلَا فِي قَلْتِهَا نَحْوُ : حَدَّ عَنْ ذَا الْمَرْءِ . وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا  
وَهُوَ الثَّلَاثِيُّ إِذَا لَا فَضْلَةَ فِيهِ عَمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حَرْفِ الْإِبْتِدَاءِ  
وَحَرْفِ الْوَقْفِ وَحَرْفِ فَاصِلٍ بَيْنَ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ . أَمَّا لَوْ كَانَتْ  
زِيَادَةُ الْحُرُوفِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى زَائِدٍ لَكَانَتْ اللَّفْظَةُ فَصِيحَةً نَحْوُ :  
أَخْشَوْشٍ مَعْنَاهُ أَزِيدُ مِنْ خَشْنٍ . (الرَّابِعُ) : أَنْ لَا يَكُونَ وَحْشِيًّا  
غَيْرَ مَأْلُوفٍ نَحْوُ : الْأَسْفِنُطُ لِلْخَمْرِ وَالْخَنْشَلِيلُ لِلسَّيْفِ وَالْقَدْوُ كَسِ  
لِلْأَسَدِ . فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ عَرَبِيَّةٌ يَجُحُّهَا الطَّبَعُ وَلَا يُطْلَعُ عَلَى مَعْنَاهَا إِلَّا  
بَعْدَ بَحْثٍ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ . (الْخَامِسُ) : أَنْ لَا يَكُونَ مَبْدُوءًا وَذَلِكَ  
نَحْوُ أَنْ يُخْرَجَ اللَّفْظُ عَنْ أَصْلٍ وَضَعِهِ وَيُسْتَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مُسْتَقْبَحٍ .  
(الْسَّادِسُ) : أَنْ لَا يَكُونَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ مَعْنَيْنِ أَحَدُهُمَا مَكْرُوهٌ كَمَا لَوْ  
قُلْتُ : لَقِيتُ فُلَانًا فَعَزَزْتُهُ . فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ الْإِكْرَامَ وَالْأَهَاتَةَ . فَلَوْ كَانَ فِي  
الْكَلَامِ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْحَسَنِ لَكَانَ اللَّفْظُ فَصِيحًا كَقَوْلِكَ :  
لَقِيتُ فُلَانًا فَعَزَزْتُهُ وَنَصَرْتُهُ . فَلَفْظُ (نَصَرْتُهُ) يُعَيِّنُ فِيهِ الْمَعْنَى الْحَسَنَ .  
وَعَلَيْهِ يَكُونُ اللَّفْظُ حَسَنًا فِي نَفْسِهِ فَيَعْدُ قَبِيحًا بِسَبَبِ مُحَلِّهِ مِنَ الْكَلَامِ  
وَمَوْقِعِهِ بِهِ

وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فِي التَّرْكِيبِ فَهُوَ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ .  
(الْأَوَّلُ) : سَلَامَةٌ مُفْرَدَاتِهِ مِنَ السِّتَةِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي كَرِهَ فِي  
الْمُفْرَدِ لِأَنَّ لِلْمُرَكَّبِ حُكْمًا مَا تَرَكَّبَ مِنْهُ . (الثَّانِي) : أَنْ يَسْلَمَ مِنْ  
ضَعْفِ التَّلَافُيفِ وَهُوَ خُرُوجُهُ عَنْ قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ كَقَوْلِهِ :

مِنْ تَظْمٍ وَتَثْرٍ وَرَأَى أَنَّ مِنْ مُهِمَّاتِ ذَلِكَ التَّحْنِيسَ وَلَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا  
الْأَسْمَاءُ الْمُشْتَرَكَةُ الَّتِي هِيَ كُلُّ اسْمٍ وَاحِدٍ دَلَّ عَلَى مُسَمِّيْنِ فَصَاعِدًا  
فَوَضَعَهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ يَجَادِبُهُ جَانِبَانِ يَتَرَجَّعُ أَحَدُهُمَا  
عَلَى الْآخَرِ . وَبَيَّانُهُ أَنَّ التَّحْنِيسَ يَقْضِي بَوَضعِ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ  
وَوَضْعَهَا يَذْهَبُ بِفَائِدَةِ الْبَيَانِ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنْ  
وَضَعَهَا الْوَاضِعُ ذَهَبَ بِفَائِدَةِ الْبَيَانِ وَإِنْ لَمْ يَضَعْ ذَهَبَ بِفَائِدَةِ  
التَّحْنِيسِ . لَكِنَّهُ إِنْ وَضَعَ اسْتَدْرَكَ مَا ذَهَبَ مِنْ فَائِدَةِ الْبَيَانِ بِالْقَرِينَةِ  
وَإِنْ لَمْ يَضَعْ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا ذَهَبَ مِنْ فَائِدَةِ التَّحْنِيسِ فَتَرَجَّعَ حِينَئِذٍ  
جَانِبُ الْوَضْعِ فَوُضِعَ

### البحث السادس

### في فصاحة المفرد وفصاحة المزدك

( من شرح بديعة العميان لابن جابر الاندلسي باختصار )

( راجع صفحة ٤٠٤ من علم الادب )

الْفَصَاحَةُ فِي الْمَفْرَدِ هِيَ أَنْ تَكُونَ مِمَّا اسْتَعْمَلَتِ الْعَرَبُ الْفُصْحَاءُ  
كَثِيرًا وَدَارَ عَلَى السِّتْنِهِمْ فَسَلِمَ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ . ( الْأَوَّلُ ) : أَنْ  
لَا يَتْرَكَ مِنْ حُرُوفٍ مُتَتَابِعَةٍ كَلَفْظَةٍ ( الْعَجْفُ ) وَهُوَ نَبْتُ . سُئِلَ أَعْرَابِيٌّ  
عَنْ نَاقَتِهِ فَقَالَ : تَرَكْتُهَا تَرعى الْعَجْفَ . وَآمَنَّا . تَنَافَرَتْ حُرُوفُ هَذِهِ  
الْكَلِمَةِ لِكُونِهَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْحَلْقُ . ( الثَّانِي ) : أَنْ  
لَا تَتَوَالَى فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ حَرَكَتَيْنِ يَحْدُثُ بِسَبَبِهِمَا ثِقَلٌ . ( الثَّلَاثُ ) :

إِنَّ ذَلِكَ يُخِلُّ بِفَائِدَةِ وَضْعِ اللُّغَةِ لِأَنَّ اللُّغَةَ إِنَّمَا هِيَ وَضْعُ الْأَلْفَافِ  
فِي دَلَالَتِهَا عَلَى الْمَعْنَى أَيْ وَضْعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمُسَمَّيَاتِ لِتَكُونَ  
مُنْبَتَّةً عَنْهَا عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَالْإِشْتِرَاكِ لَا بَيَانَ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ ضِدُّ  
الْبَيَانِ. لَكِنَّ طَرِيقَ الْبَيَانِ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ الْمَعْنَيْنِ فِي اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ  
حَقِيقَةً وَالْآخَرُ مَجَازِيًا. فَإِذَا قُلْنَا: هَذِهِ كَلِمَةٌ. وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ فُهِمَ مِنْهُ  
الْلَفْظَةُ الْوَاحِدَةُ. وَإِذَا قِيدْنَا اللَّفْظَ فَقُلْنَا: هَذِهِ كَلِمَةٌ شَاعِرَةٌ. فُهِمَ مِنْهُ  
الْقَصِيدَةُ الْمُقْصَدَةُ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ مَجْمُوعُ كَلِمَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَلَوْ أَطْلَقْنَا  
مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ وَآرَدْنَا الْقَصِيدَةَ مِنَ الشَّعْرِ لَمَا فُهِمَ مُرَادُنَا الْبَيِّنَةُ.  
هَذَا خُلَاصَةٌ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ يُنْكَرُ وَقُوعِ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ فِي الْمَعْنَيْنِ  
حَقِيقَةً. وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ. وَسَائِرُ مَا يَدْخُلُهُ مِنَ الْخَلَلِ فَأَقُولُ فِي  
الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ مَا اسْتَخْرَجْتُهُ بِفِكْرِي وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ مِنْ  
قَبْلِي وَهُوَ: أَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ فَائِدَةَ وَضْعِ اللُّغَةِ إِنَّمَا هُوَ الْبَيَانُ عِنْدَ  
إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَاللَّفْظُ الْمُشْتَرَكُ يُخِلُّ بِهَذِهِ الْفَائِدَةِ. فَهَذَا غَيْرُ مُسَلِّمٍ  
بَلْ فَائِدَةُ وَضْعِ اللُّغَةِ هُوَ الْبَيَانُ وَالْتَّحْسِينُ

(أَمَّا الْبَيَانُ) فَقَدْ وَفَى الْأَسْمَاءُ الَّتِي كُلُّ اسْمٍ وَاحِدٍ  
دَلَّ عَلَى مُسَمًّى وَاحِدٍ. فَإِذَا أُطْلِقَ اللَّفْظُ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ كَانَ بَيِّنًا  
مَفْهُومًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى قَرِينَةٍ وَلَوْ لَمْ يَضَعِ الْوَاضِعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ شَيْئًا  
غَيْرَهَا لَكَانَ كَافِيًا فِي الْبَيَانِ

(وَأَمَّا التَّحْسِينُ) فَإِنَّ الْوَاضِعَ لِهَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
اللُّغَاتِ نَظَرًا إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَرْبَابُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فِيمَا يَصُوغُونَهُ



# البحث الخامس

## في الالفاظ المترادفة والاسماء المشتركة

( عن المثل السائر لابن الاثير )

( راجع صفحة ٦ من علم الادب )

وَيَفْتَقِرُ مُؤَلِّفُ الْكَلَامِ إِلَى مَعْرِفَةِ عِدَّةِ أَسْمَاءٍ لِمَا يَقَعُ اسْتِعْمَالُهُ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ لِيَجِدَ إِذَا ضَاقَ بِهِ مَوْضِعٌ فِي كَلَامِهِ بِإِيرَادِ بَعْضِ الْأَلْفَافِ فِيهِ الْعُدُولَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ . وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ تُسَمَّى الْمُتَرَادِفَةَ وَهِيَ اتِّحَادُ الْمُسَمَّى وَاخْتِلَافُ أَسْمَاءِهِ كَقَوْلِنَا : الْحُمْرُ وَالرَّاحُ وَالْمَدَامُ . فَإِنَّ الْمُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَأَسْمَاؤُهُ كَثِيرَةٌ . وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى اسْتِعْمَالِ التَّجْنِيسِ فِي كَلَامِهِ وَهِيَ اتِّحَادُ الْأَسْمِ وَاخْتِلَافُ الْمُسَمَّيَاتِ . كَالْعَيْنِ فَإِنَّهَا تُطْلَقُ عَلَى الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَعَلَى يَنْبُوعِ الْمَاءِ وَعَلَى الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ . إِلَّا أَنَّ الْمُشْتَرَكَةَ تَفْتَقِرُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ إِلَى قَرِينَةٍ تُخَصِّصُهَا كَمَا لَا تَكُونُ مُبْهَمَةً . لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا : عَيْنٌ . ثُمَّ سَكَنَّا وَقَعَ ذَلِكَ عَلَى مُحْتَمَلَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَالْعَيْنِ النَّابِغَةِ وَالْمَطَرِ وَغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ مَوْضُوعٌ بِإِزَاءِ هَذَا الْأَسْمِ . وَإِذَا قُرِنَ إِلَيْهِ قَرِينَةٌ تُخَصِّصُهُ زَالَ ذَلِكَ الْإِلْهَامُ بِأَن تَقُولَ : عَيْنٌ حَسَنَاءُ أَوْ عَيْنٌ نَضَّاجَةٌ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . وَهَذَا مَوْضِعٌ لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ مُجَادِبَاتٌ جَدَلِيَّةٌ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ أَنَّ يَكُونَ اللَّفْظُ الْمُشْتَرَكُ حَقِيقَةً فِي الْمَعْنَيْنِ جَمِيعًا وَيَقُولُ :

فَلَفْظَةُ (أَطْلَحَمَ) مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْكِرَةِ الَّتِي جُمِعَتْ الْوَصْفَيْنِ الْقَبِيحَيْنِ  
فِي أَنَّهَا غَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِيهَةٌ عَلَى الذَّوْقِ وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ  
(دَهَارِيسَ) أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ مِنْ آيَاتٍ يَصِفُ فَرْسًا مِنْ  
جَمَلَتِهَا :

نِعْمَ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرَوُعُ لَا جِيدَرُ وَلَا جِنْسُ  
فَلَفْظَةُ (جِيدَرٍ) غَلِيظَةٌ . وَأَغْلَظُ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِي :  
جَفَحْتُ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا يَهُمُّ شَيْمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغَرِّ دَلَالُ  
فَإِنَّ لَفْظَةَ (جَفَحَ) مُرَّةُ الطَّعْمِ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَفْشَعَرَتْ مِنْهَا  
وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَاسْتِعْمَالِ تَابَطَ شَرًّا لَفْظَةُ جَحِيشٍ . فَإِنَّ  
تَابَطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَنَدُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِ تِلْكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَشَرْنَا  
فِيمَا تَقَدَّمَ . وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ  
جَفَحْتُ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَحَرَتْ وَالْجَفْحُ الْفَحْرُ يُقَالُ : جَفَحَ فُلَانٌ إِذَا فَحَرَ . وَلَوْ  
اسْتَعْمَلَ عَوَضًا عَنْ جَفَحْتُ فَحَرْتُ لَأَسْتَقَامَ أَلْبَيْتُ وَحَظِي فِي اسْتِعْمَالِهِ  
بِالْأَحْسَنِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَآمِثَالُهُ عَلَى وَثَلٍ هُوَ لَا  
الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ  
هُوَ الْوَحْشِيُّ الْغَلِيظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي قَبِيحِهِ وَكَرَاهَتِهِ . وَهَذِهِ  
الْأَمِثَلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أوردناه . وَأَلْعَرَبُ إِذَنْ لَا تُتْلَمُ عَلَى اسْتِعْمَالِ  
الْغَرِيبِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا تُتْلَمُ عَلَى الْغَرِيبِ الْقَبِيحِ . وَأَمَّا  
الْخَضْرِيُّ فَإِنَّهُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْقِسْمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً  
مِنْهُ فِي الْآخَرِ

فَلَا تَظُنَّ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَافِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ وَيَثْقُلُ  
عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقِلُّ اسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخْفُ  
عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةً يَثْقُلُ عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ  
الْكَرَاهَةَ . وَذَلِكَ فِي اللَّفْظِ عَيْنَانِ : ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّهُ غَرِيبُ الْاسْتِعْمَالِ  
( وَالْآخَرُ ) أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ عَلَى الذَّوْقِ . وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ  
بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى قَطَاعَتِهِ وَغَلَاظَتِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى  
الْوَحْشِيَّ الْغَلِيظَ وَيُسَمَّى أَيْضًا الْمُتَوَعَّرَ وَلَيْسَ وَرَاءَهُ فِي الْقُبْحِ دَرَجَةٌ  
أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَحْطُرْ بِيَالِهِ شَيْءٌ مِنْ  
مَعْرِقَةِ هَذَا الْقَفْنِ أَصْلًا . فَإِنْ قِيلَ : فَمَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَافِ . قُلْتُ :  
قَدْ ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ النُّطْقُ بِهِ .  
وَسَا ضَرْبُ لَكَ فِي ذَلِكَ مِثَالًا فَمِنْهُ مَا وَرَدَ لَتَابَطٍ شَرًّا فِي كِتَابِ  
الْحِمَاسَةِ :

يَظُلُّ بِمَوَاقِفٍ وَيُمِيزُ بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ  
فَإِنَّ لَفْظَةَ ( جَحِيشٍ ) مِنَ الْأَلْفَافِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ . وَيَا لِلَّهِ الْعَجَبِ  
أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى ( فَرِيدٍ ) وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ وَلَوْ وُضِعَتْ فِي هَذَا  
الْبَيْتِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَمَا اخْتَلَفَ شَيْءٌ مِنْ وَرَنِهِ . فَتَابَطٌ شَرًّا مَلُومٌ مِنْ  
وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ الْقَبِيحَ . وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ  
لَهُ مَسَدُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهِ فَلَمْ يَغْدِلْ عَنْهُ . وَمِمَّا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهَا مَا وَرَدَ  
لَا فِي تَمَامِ قَوْلِهِ :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَطْلَحْتُمُ الْأَمْوَالَ نَبَعَتْ عَشَوَاءَ تَالِيَةً غُنَسًا دَهَارِيَسًا



أَيْسَ بِحَسَنِ وَإِنَّمَا نَسْتَعْمِلُهُ لِضُرُورَةٍ فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ الْحَسَنِ بِمُمْكِنٍ فِي  
كُلِّ الْأَحْوَالِ . وَهَذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ أَعْرَافٍ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ  
يَعْرِفْ صِنَاعَةَ النِّظَمِ وَالنَّثَرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنَ الْكُلْفَةِ فِي صَوْعِ  
الْأَلْفَاطِ وَاخْتِيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعْدُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ :

لَا يَعْرِفُ الْحُزْنَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا  
وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : بَانَ الْعَرَبُ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنْ  
الْأَلْفَاطِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ . قَوْلُ قَاسِدٍ لَا يَصْدُرُ  
إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ . فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ الْأَلْفَاطِ وَاسْتِقْبَاحَهَا لَا يُؤْخَذُ بِالتَّقْلِيدِ مِنَ  
الْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ بِالتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصُ  
وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وَجِدْتَ عِلْمَ حُسْنِهِ مِنْ قُبْحِهِ . وَأَمَّا الَّذِي نُقِلْدُ  
الْعَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَلْفَاطِ فَإِنَّمَا هُوَ الْإِسْتِشْهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يُنْقَلُ مِنْ  
أَعْيُنِهَا وَالْأَخْذُ بِأَقْوَالِهَا فِي الْأَوْضَاعِ الْخَوِيَّةِ فِي رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ  
الْمَفْعُولِ وَجَرِّ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ الشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ وَمَا عَدَاهُ  
فَلَا . وَحُسْنُ الْأَلْفَاطِ وَقُبْحُهَا لَيْسَ إِضَافِيًّا إِلَى زَيْدٍ دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى  
عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصْفٌ ذَوَوِيٌّ لَا يَتَغَيَّرُ إِلَّا بِالْإِضَافَةِ . أَلَا تَرَى  
أَنَّ لَفْظَةَ الْمُرْتَبَةِ مَثَلًا حَسَنَةً عِنْدَ النَّاسِ كَقَائِهِ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ  
وَهَلَمْ جَرًّا لَا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي حُسْنِهَا . وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَاقِ فَإِنَّهَا  
قَبِيحَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَقَائِهِ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا الْعَرَبُ  
لَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا مُخْرَجًا لَهَا عَنِ الْقُبْحِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِذَنْ إِلَى  
اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ اسْتِعْمَالُهَا وَيُعَاطَى لَهُ النَّكِيرُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا

الإنس فتارة يكون حسناً وتارة يكون قبيحاً . وعلى هذا فإن أحد  
 قسمي الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب  
 والإضافات . وأما القسم الآخر من الوحشي الذي هو قبيح فإن  
 الناس في استقباحه سواء ولا يختلف به عربي بادي ولا قروي متحضر .  
 وأحسن الألفاظ ما كان مألوفاً متداولاً لأنه لم يكن مألوفاً متداولاً  
 إلا لِمكان حسنه وقد تقدم الكلام على ذلك في باب الفصاحة .  
 فإن أرباب الخطابة والشعر نظروا إلى الألفاظ ونقبوا عنها ثم عدلوا  
 إلى الأحسن منها فاستعملوه وتركوا ما سواه وهو أيضاً يتفاوت في  
 درجات حسنه فالألفاظ إذاً تنقسم ثلاثة أقسام : قسمان حسنان  
 وقسم قبيح . فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الأول  
 والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي .  
 والآخر ما تداول استعماله الأول دون الآخر ويختلف في استعماله  
 بالنسبة إلى الزمن وأهله وهذا هو الذي لا يعاب استعماله عند  
 العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي  
 ولا ينبق وهمك أيها المتأمل إلى قول القائل الذي غلب عليه  
 غلط الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ  
 كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن . بل ينبغي أن تعلم أن  
 الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب  
 مستحسنًا والذي نستحيه هو الذي كان عندهم مستحيًا . والاستعمال  
 ليس بدليل على الحسن فإنا نحن نستعمل الآن من الكلام ما



الَّذِي يُؤْتِيهِ اللَّهُ فِطْرَةً نَّاصِعَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تُمْسَسْهُ نَارٌ  
حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْأَلْقَاطِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا  
وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْقَاطِ الْمُفْرَدَةِ خَصَائِصَ  
وَهَيْئَاتٍ تَتَّصِفُ بِهَا وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ  
فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَحَ الْآخَرُ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ فِيهِ . وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَّفُوا  
عَلَى السِّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ الْأَلْقَاطِ بِالْحُسْنِ وَبَعْضِهَا بِالْقُبْحِ لَمَا كَانَ  
بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةُ  
حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ: كُلُّ الْأَلْقَاطِ حَسَنٌ وَالْوِاضِعُ لَمْ  
يَضَعْ إِلَّا أَحْسَنًا . وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلَهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغَضَنِ  
وَلَفْظَةِ الْعُسُوجِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْمُدَامَةِ وَلَفْظَةِ الْإِسْفِنِطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ  
السَّيْفِ وَلَفْظَةِ الْحَشَائِلِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدَوْكْسِ فَلَا  
يَبْنِي أَنْ يُخَاطَبَ بِخُطَابٍ وَيُجَابَ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيََتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخَرُ يَبْنِي أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهَا . فَمِنْهَا أَنْ  
لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً . وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَسَمِّينَ  
إِلَى صِنَاعَةِ الظُّمِّ وَالنَّثْرِ وَظَنُّوهُ الْمُسْتَفْجَحُ مِنَ الْأَلْقَاطِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
بَلِ الْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ  
قَبِيحٌ . وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْقِفَارَ وَلَيْسَ  
بِأَنْيَسٍ . وَكَذَلِكَ الْأَلْقَاطُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ بِأَنْوَسَةٍ الْإِسْتِعْمَالِ . وَلَيْسَ  
مِنْ شَرْطِ الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَفْجِحًا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلَفُ



## البحث الرابع

### في احكام الفصاحة وشروطها

( عن المثل السائر )

( راجع صفحة ٤٣ من علم الادب )

اعلم أَنَّهُ يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ فِي تَأْلِيفِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : ( الْأَوَّلُ ) مِنْهَا اخْتِيَارُ الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ . وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ اللَّائِلِ الْمُبَدَّءَةِ فَإِنَّهَا تُخَيَّرُ وَتُنْتَقَى قَبْلَ النَّظْمِ . ( الثَّانِي ) نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ اخْتِيَارِهَا فِي الْمَشَاكَلَةِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ الْكَلَامُ قَلَقًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ الْعِقْدِ الْمَنْظُومِ فِي اقْتِرَانِ كُلِّ لَوْوَةٍ مِنْهُ بِاخْتِيَارِ الْمَشَاكَلَةِ لَهَا . ( الثَّالِثُ ) الْفَرَضُ الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْعِقْدُ الْمَنْظُومُ فَتَارَةً يُجْعَلُ اكْتِلَابًا عَلَى الرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ قِلَادَةً فِي الْعُنُقِ وَتَارَةً يُجْعَلُ شَفَا فِي الْأُذُنِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ مِنَ الْحُسْنِ تَخُصُّهُ . فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ مِنَ الْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ الْأَصْلُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنَ النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ . فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ هُمَا الْمُرَادُ بِالْفَصَاحَةِ . وَالثَّلَاثَةُ بِجُمْلَتِهَا هِيَ الْمُرَادُ بِالْبَلَاغَةِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ يَضِلُّ فِي سُؤْلِكَ طَرِيقَهُ الْعُلَمَاءُ بِصِنَاعَةِ صَوْنِ الْكَلَامِ مِنَ النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ فَكَيْفَ الْجَهَالُ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعْهُمْ رَاحَتُهُ . وَمَنْ

وَالِدِيَّةُ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَا لُوفِي الْأِسْتِعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ الْبُعَاقِ وَمَا  
 جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يُسْتَعْمَلُ . وَإِنْ اسْتَعْمِلَ فَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُ جَاهِلٌ  
 بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ ذَوْقُهُ غَيْرُ ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحَضًّا مِنْ  
 أَجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلِمْتَ وَجِبَ الْوُقُوفُ  
 عِنْدَهَا وَلَمْ يُعْرَجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا . وَإِذْنُ ثَبَتَ أَنَّ الْقَصِيحَ مِنْ  
 الْأَلْفَاظِ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَإِنَّمَا كَانَ ظَاهِرًا بَيِّنًا لِأَنَّهُ مَا لُوفَ الْأِسْتِعْمَالِ  
 وَإِنَّمَا كَانَ مَا لُوفَ الْأِسْتِعْمَالِ لِمَكَانِ حُسْنِهِ وَحُسْنُهُ مُدْرِكٌ بِالسَّمْعِ .  
 وَالَّذِي يُدْرِكُ بِالسَّمْعِ إِنَّمَا هُوَ اللَّفْظُ لِأَنَّهُ صَوْتٌ يَأْتِلِفُ عَنْ مَخَارِجِ  
 الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَلْذَهُ السَّمْعُ مِنْهُ فَهُوَ الْحَسَنُ وَمَا كَرِهَهُ فَهُوَ الْقَبِيحُ  
 وَالْحَسَنُ هُوَ الْمُوصُوفُ بِالْفَصَاحَةِ وَالْقَبِيحُ غَيْرُ مُوصُوفٍ بِفَصَاحَةٍ لِأَنَّهُ  
 ضِدُّهَا لِمَكَانِ قُبْحِهِ . وَقَدْ مَثَلَتْ أَلْمَالُ الْمُتَقَدِّمُ بِلَفْظَةِ الْمُرْتَبَةِ  
 وَالِدِيَّةِ وَلَفْظَةِ الْبُعَاقِ وَلَوْ كَانَتْ الْفَصَاحَةُ لِأَمْرٍ يَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَى  
 لَكَانَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ سَوَاءً لَيْسَ مِنْهَا حَسَنٌ وَمِنْهَا  
 قَبِيحٌ . وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّهَا تَخْصُ اللَّفْظَ دُونَ الْمَعْنَى .  
 وَلَيْسَ لِقَائِلِ هُنَا أَنْ يَقُولَ لَا لَفْظَ إِلَّا بِمَعْنَى فَكَيْفَ فَصَلْتَ أَنْتَ  
 بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى . قُلْتُ : لَمْ أَفْصَلْ بَيْنَهُمَا وَإِنَّمَا حَصَصْتُ اللَّفْظَ  
 بِصِفَةِ هِيَ لَهُ وَالْمَعْنَى بِمَجِيئِهِ فِيهِ ضَمْنًا وَتَبَعًا





وَأَحَقُّ الْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ : إِنَّ الْكَلَامَ الْقَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ  
وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ أَنْ تَكُونَ الْفَاطَةُ مَفْهُومَةً لَا يُحْتَاجُ فِي فَهْمِهَا  
إِلَى اسْتِخْرَاجٍ مِنْ كِتَابٍ لُغَةٍ . وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ  
مَأْلُوقَةً الْإِسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ . وَإِنَّمَا  
كَانَتْ مَأْلُوقَةً الْإِسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي الْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاطِ  
لِمَكَانِ حُسْنِهَا . وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ غَرَبُوا اللُّغَةَ بِاعْتِبَارِ  
الْفَاطَةِ . وَسَبَرُوا وَقَسَمُوا فَأَخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاطِ فَاسْتَعْمَلُوهُ  
وَقَفَّوْا الْقَبِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنُ الْإِسْتِعْمَالِ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا  
دُونَ غَيْرِهَا وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهورِهَا وَبَيَانِهَا . فَالْقَصِيحُ إِذَنْ مِنْ  
الْأَلْفَاطِ هُوَ الْحَسَنُ . فَإِنْ قِيلَ : مِنْ أَيِّ وَجْهِ عِلْمِ أَرْبَابِ النَّظْمِ  
وَالْتَّنْثِيرِ الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاطِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعِلِمُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى قَفَّوْهُ  
وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ . قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْخُصُوسَةِ  
الَّتِي شَاهَدُهَا بِنَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَاطَ دَاخِلَةً فِي حَيْثُ الْأَصْوَاتِ فَالَّذِي  
يَسْتَلِذُّ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَمِيلُ إِلَيْهِ هُوَ الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ  
الْقَبِيحُ . أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبَلْبَلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشُّجُرِ  
وَيَمِيلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ يَكْرَهُ نَهيقَ  
الْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ . وَالْأَلْفَاطُ جَارِيَةٌ هَذَا النُّجْرَى  
فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمُرْتَبَةِ وَالْدِّيمَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ . وَأَنَّ  
لَفْظَةَ الْبُعَاقِ قَبِيحَةٌ يَكْرَهُهَا السَّمْعُ . وَهَذِهِ اللَّفْظَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ  
الطَّرِيقِ وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمُرْتَبَةِ



النَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يُكَثِّرُونَ الْقَوْلَ فِيهِ  
وَالنَّجْثَ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يُعُولُ عَلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلَ . وَغَايَةُ  
مَا يُقَالُ فِي هَذَا أَلْبَابٍ أَنَّ الْفَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ فِي أَصْلِ  
الْوَضْعِ اللَّغْوِيِّ يُقَالُ : أَفْصَحَ الصَّبْحُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ  
ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ السِّرِّ فِيهِ . وَهَذَا الْقَوْلُ لَا تَبَيَّنُ حَقِيقَةُ  
الْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتَاضَاتِ . (أَحَدُهَا) : أَنَّهُ  
إِذَا لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيِّنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ  
صَارَ فَصِيحًا . (الْوَجْهُ الثَّانِي) : أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ هُوَ الظَّاهِرُ  
الْبَيِّنُ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ  
قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا لَزِيدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا لِعَمْرٍو فَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ  
هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٌ عِنْدَ هَذَا . وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ  
عِنْدَ الْجَمِيعِ لِاخْتِلَافِ فِيهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ  
الْفَصَاحَةِ وَعُرفَ مَا هِيَ لَمْ يَبْقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يُخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ .  
(الْوَجْهُ الثَّلَاثُ) : أَنَّهُ إِذَا جِيَ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَنْبُوعُهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ  
ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ  
وَصْفُ حُسْنٍ لِلْفِظِ لَا وَصْفُ قُبْحٍ . فَهَذِهِ الْأَعْتَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ وَارِدَةٌ  
عَلَى قَوْلِ الْقَائِلِ إِنَّ اللَّفْظَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ .  
وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا أَلْبَابٍ مَلَكَتْنِي الْحَيْرَةُ فِيهَا وَلَمْ  
يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أَعُولُ عَلَيْهِ وَلِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِي هَذَا الْفَنِّ  
وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ أَنْ كَشَفَ لِي السَّرْفِيُّ وَسَاوَضَهُ فِي كِتَابِي هَذَا

مُحْصُوا بِالْإِتِّلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ . وَمَثَلُ الْمَنْظُومِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :  
 تَرَى غَابَةَ الْخَطِيِّ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ      كَمَا اشْرَقَتْ فَوْقَ الصُّوَارِقِ قُرُونُهَا  
 (قَالُوا) وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَجْمَعُ نُعُوتَ الْجُودَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ  
 فُحَامَةٌ وَقَضْلُ جَزَالَةٍ سُمِّيَ بِلِغَاءٍ ثُمَّ فَصِيحًا كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ وَقَدْ سُئِلَ  
 عَنْ حَالِهِ عِنْدَ الْوَفَاةِ فَقَالَ : مَا حَالُ مَنْ يُرِيدُ سَفَرًا بَعِيدًا بِلا زَادٍ  
 وَيَقْدُمُ عَلَى مَلِكٍ عَادِلٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَيَسْكُنُ قَبْرًا مُوحِشًا بِلا أُنَيْسٍ .  
 وَقَوْلِ آخِرِ لَاحِ أَهْ : مَدَدَتْ إِلَى الْمَوَدَّةِ يَدًا فَشَكَرْنَاكَ وَشَفَعْتَ  
 ذَلِكَ بَشِيءٌ مِنَ الْجَفَاءِ فَعَذَرْنَاكَ وَالرُّجُوعُ إِلَى مُحَمَّدٍ أَوَّلِي بَيْتٍ  
 مِنَ الْمَقَامِ عَلَى مَكْرُوهِ الصِّدِّ . وَاسْتَدَلُّوا عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَذْهَبِ بِقَوْلِ  
 الْعَاصِي بْنِ عَدِيٍّ : الشُّجَاعَةُ قَلْبُ رَكِيْنٍ وَالْفَصَاحَةُ لِسَانُ رَزِيْنٍ .  
 وَاللِّسَانُ هَاهُنَا الْكَلَامُ . وَالرَّزِيْنُ الَّذِي فِيهِ فُحَامَةٌ وَجَزَالَةٌ وَلَيْسَ  
 الْعَرَضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ سُلُوكُ مَذْهَبِ الْمُتَكَلِّمِينَ . وَإِنَّمَا قَصِدْتُ  
 فِيهِ مَقْصِدَ صُنَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ فَلِهَذَا لَمْ أُطِلْ  
 الْكَلَامُ فِي هَذَا الْفَصْلِ

### البحث الثالث

### في حقيقة الفصاحة

( غن المثل السائر )

( راجع صفحة ٣ من علم الادب )

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا تَابٌ مُتَعَدِّرٌ عَلَى الْوَالِحِ وَمَسْلَكٌ مُتَوَعِّرٌ عَلَى

وَالْبَلَاغَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ الْإِبَانَةُ عَنْ  
 الْمَعْنَى وَالْإِظْهَارُ لَهُ . وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِنَا : الْفَصَاحَةُ تَمَامُ آلَةِ الْبَيَانِ .  
 فَلِهَذَا لَا يُجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى فَصِيحًا إِذَا كَانَتْ الْفَصَاحَةُ تَتَضَمَّنُ  
 مَعْنَى الْآلَةِ وَلَا يُجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْآلَةُ . وَيُوصَفُ كَلَامُهُ بِالْفَصَاحَةِ  
 لِمَا يَتَضَمَّنُ مِنْ تَمَامِ الْبَيَانِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْأَتْعَ وَالْتِمَامَ  
 لَا يُسَمَّيَانِ فَصِيحَيْنِ لِتَقْصَانِ آتِيَهُمَا عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ . وَقِيلَ : زِيَادُ  
 الْأَعْجَمِ . لِتَقْصَانِ آلَةِ نَظْمِهِ عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ وَكَانَ يُعَدُّ عَنْ الْحِمَارِ  
 بِالْهِمَارِ فَهُوَ أَعْجَمُ وَشَعْرُهُ فَصِيحٌ لِتَمَامِ بَيَانِهِ . فَعَلَى هَذَا تَكُونُ  
 الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ مُحْتَافَتَيْنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْفَصَاحَةَ تَمَامُ آلَةِ الْبَيَانِ فَهِيَ  
 مَقْصُورَةٌ عَلَى اللَّفْظِ لِأَنَّ الْآلَةَ تَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى . وَالْبَلَاغَةُ  
 إِنَّمَا هِيَ انْتِهَاءُ الْمَعْنَى فِي الْقَلْبِ فَكَانَتْهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الْمَعْنَى . وَمِنْ  
 الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْفَصَاحَةَ تَتَضَمَّنُ اللَّفْظَ وَالْبَلَاغَةُ تَتَنَاوَلُ الْمَعْنَى  
 أَنَّ الْبَلْبَاءَ يُسَمَّى فَصِيحًا وَلَا يُسَمَّى بَلْبِيًا إِذْ هُوَ مُقِيمُ الْحُرُوفِ وَلَيْسَ  
 لَهُ قَصْدٌ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي يُؤَدِّيهِ . وَقَدْ يُجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يُسَمَّى الْكَلَامُ  
 الْوَاحِدُ فَصِيحًا بَلْبِيًا إِذَا كَانَ وَاضِحَ الْمَعْنَى سَهْلَ اللَّفْظِ وَجَيِّدَ السَّبْكِ  
 غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ فَحَجٌّ وَلَا مُتْكَلِفٍ وَخِمٌ وَلَا يَنْعُهُ مِنْ أَحَدِ الْأَسْمَانِ  
 شَيْءٌ لِمَا فِيهِ مِنْ إِضَاحِ الْمَعْنَى وَتَقْوِيمِ الْحُرُوفِ . وَشَهِدَتْ قَوْمًا  
 يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ لَا يُسَمَّى فَصِيحًا حَتَّى يَجْمَعَ مَعَ هَذِهِ النُّعُوتِ  
 فَحَامَةً وَشِدَّةَ جَزَالَةٍ فَيَكُونُ مِثْلَ كَلَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ : إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ  
 الْأَمْوَالِ وَالَّذِينَ لَعَوْهُ عَلَى أَسْنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَالِيهِمْ فَإِذَا



غَيْرِي. وَمَبْلَغُ الشَّيْءِ مُتَّهَاهُ . وَالْمَبْلَغَةُ فِي الشَّيْءِ الْإِنْتِهَاءُ إِلَى غَايَتِهِ .  
فَسُمِّيَتْ الْمَبْلَغَةُ بِلَاغَةً لِأَنَّهَا تُنْهِي الْمَعْنَى إِلَى قَلْبِ السَّامِعِ فِيهِمُهَا  
وَسُمِّيَتْ الْمَبْلَغَةُ بِلَغَةً لِأَنَّكَ تَتَبَلَّغُ بِهَا فَتَنْتَهِي بِكَ إِلَى مَا فَوْقَهَا وَهِيَ  
الْمَبْلَغُ أَيْضًا . وَيُقَالُ : الدُّنْيَا بِلَاغٌ لِأَنَّهَا تُؤَدِّيكَ إِلَى الْآخِرَةِ . وَالْمَبْلَغُ  
أَيْضًا التَّبْلِيغُ . وَمِنْهُ : هَذَا بِلَاغٌ لِلنَّاسِ أَيِ تَبْلِيغٌ . وَيُقَالُ : بَلَغَ الرَّجُلُ  
بِلَاغَةً إِذَا صَارَ بَلِيغًا كَمَا يُقَالُ نَبْلٌ نَبَالَةٌ إِذَا صَارَ نَبِيلًا . وَكَلَامٌ بَلِيغٌ  
وَبَلَغٌ ( بِالْفَتْحِ ) كَمَا يُقَالُ وَجِيزٌ وَوَجَزٌ . وَرَجُلٌ بَلَغٌ ( بِالْكَسْرِ ) يَبْلُغُ مَا  
يُرِيدُ وَفِي مِثْلِ لَهُمْ : أَحَقُّ بَلَغٌ . وَيُقَالُ : أَبْلَغْتُ فِي الْكَلَامِ إِذَا  
أَتَيْتَ بِالْبَلَاغَةِ فِيهِ كَمَا تَقُولُ : أَبْرَحْتُ إِذَا أَتَيْتَ بِالْبَرَحَاءِ وَهُوَ  
الْأَمْرُ الْجَسِيمُ . وَالْبَلَاغَةُ مِنْ صِفَةِ التَّكَلِّمِ فَلِهَذَا لَا يُجُوزُ أَنْ يُسَمَّى  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ بَلِيغٌ إِذَا لَا يُجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِصِفَةٍ كَانَ مَوْضُوعُهَا  
لِلْكَلَامِ وَتَسْمِيَتُنَا التَّكَلِّمَ بِأَنَّهُ بَلِيغٌ تَوْسَعُ حَقِيقَتُهُ أَنْ كَلَامُهُ  
بَلِيغٌ كَمَا تَقُولُ : فَلَانُ رَجُلٌ مُحْكَمٌ وَتَعْنِي أَنْ أَفْعَالُهُ مُحْكَمَةٌ .  
وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْأِسْتِعْمَالِ جَعَلَتْ تَسْمِيَةَ التَّكَلِّمِ بِأَنَّهُ بَلِيغٌ  
كَالْحَقِيقَةِ

أَمَّا الْفَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَفْصَحَ فَلَانُ عَمَّا  
فِي نَفْسِهِ إِذَا أَظْهَرَهُ . وَالشَّاهِدُ عَلَى أَنَّهَا هِيَ الْإِظْهَارُ قَوْلُ الْعَرَبِ  
أَفْصَحَ الصُّبْحُ إِذَا أَضَاءَ وَفْصَحَ أَيْضًا . وَأَفْصَحَ الْأَعْجَبِيُّ إِذَا أَبَانَ  
بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يُبَيِّنُ وَفْصَحَ اللَّحْنُ إِذَا عَبَّرَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَأَظْهَرَهُ  
عَلَى جِهَةِ الصَّوَابِ دُونَ الْخَطَأِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَالْفَصَاحَةُ

# الفصل الاول

في الفصاحة

البحث الاول

في تحديد الفصاحة

( عن الفصاحة والبلاغة للامام السيوطي باختصار )

( راجع صفحة ٣ من الجزء الاول من علم الادب )

الْفَصَاحَةُ لُغَةٌ تُنْبِئُ عَنِ الْإِبَانَةِ وَالظُّهُورِ يُقَالُ : فَصَحَ الْأَعْجَمِيُّ  
وَأَفْصَحَ إِذَا انْطَلَقَ لِسَانُهُ وَخَلَصَتْ لُغَتُهُ مِنَ الْكُنْهَةِ وَجَادَتْ فَلَمْ  
يَلْحَنْ . وَأَفْصَحَ بِهِ أَيَّ صَرَحَ . وَعِنْدَ أَهْلِ الْمَعَانِي تُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ  
مِنْهَا : وَصَفُ فِي الْكَلَامِ بِهِ يَقَعُ التَّفَاضُلُ وَيَثْبُتُ الْإِعْجَازُ . قَالَ  
الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ : أَعْلَمُ أَنَّ الْفَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ مِنَ  
التَّعْقِيدِ . وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَفْصَحَ اللَّبَنُ إِذَا ذَهَبَتْ عَنْهُ الرِّغْوَةُ .  
وَهِيَ بِالْأَصْطِلَاحِ : عِبَارَةٌ عَنِ الْأَلْفَافِ الْيَنَةِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَبَادِرَةِ إِلَى  
الْفَهْمِ وَالْمَأْنُوسَةِ الْإِسْتِعْمَالِ لِمَكَانٍ حُسْنِهَا

البحث الثاني

في الفرق بين الفصاحة والبلاغة وموضوعهما

( عن كتاب الصناعتين للامام السيوطي باختصار )

الْبَلَاغَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ : بَلَغْتُ أَلْفَايَةَ إِذَا أَنْتَهَيْتُ إِلَيْهَا وَبَلَغْتُهَا

صُعُوبَتُهُ وَأَنْ يَحْكَزَّ عَنِ التَّكْرَارِ وَأَنْ يَجْعَلَ الْأَلْفَاظَ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي  
دُونَ الْعَكْسِ . إِذَا أَلْمَعَانِي إِذَا تَرَكَّبَتْ عَلَى سَمِجَّتِهَا طَلَبَتْ لِأَنْفُسِهَا  
أَلْفَاظًا تَلِيْقُ بِهَا فَيَحْسُنُ اللفظُ والمَعْنَى جَمِيعًا . وَأَمَّا جَعْلُ الْأَلْفَاظِ  
مُتَكَلِّفَةً وَالْمَعَانِي تَابِعَةً لَهَا فَهُوَ كِلْبَاسٌ مَلِيحٌ عَلَى مَنْظَرٍ قَبِيحٍ فَيَجِبُ  
أَنْ يَجْتَنِبَ عَمَّا يَفْعَلُهُ بَعْضُ مَنْ لَهُمْ شَغَفٌ بِإِيرَادِ شَيْءٍ مِنَ الْمُحْسِنَاتِ  
اللفظية فيَصْرِفُونَ الْعِنَايَةَ إِلَى الْمُحْسِنَاتِ وَيَجْعَلُونَ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ غَيْرُ  
سُوقٍ لِإِقَادَةِ الْمَعْنَى فَلَا يُبَالُونَ بِخِفَاءِ الدَّلَالَاتِ وَرَكَاكَةِ الْمَعْنَى .  
وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَلِيْقُ لِمَنْ يَتَعَاطَى الْإِنْشَاءَ أَنْ يَكْتُبَ مَا يُرَادُ لِمَا  
يُرِيدُ . كَمَا قِيلَ فِي الصَّاحِبِ وَالصَّابِي : إِنْ الصَّابِي يَكْتُبُ مَا يُرَادُ  
وَالصَّاحِبُ يَكْتُبُ مَا يُرِيدُ . وَلَا بُدَّ أَنْ يُلَاحِظَ فِي كِتَابِ النَّثْرِ حَالُ  
الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ وَيُعْنَوْنَ الْكِتَابُ بِمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ





# الجزء الأول

في علم الانشاء

## بحث في تعريف الانشاء

( عن ابي الخير وعن آداب المنشي لابن صدر الدين )

( راجع الجزء الاول من علم الادب صفحة ١ )

انَّ الْإِنشَاءَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ الْمُنْشُورِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَلِيغُ وَفَصِيحٌ  
وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْأَدَابِ الْمَعْتَبَرَةِ عِنْدَهُمْ فِي الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ  
وَاللَّائِقَةِ بِالْمَقَامِ . وَمَوْضُوعُهُ وَغَرَضُهُ وَغَايَتُهُ ظَاهِرَةٌ بِمَا ذُكِرَ وَمَبَادِيهِ  
مَأْخُودَةٌ مِنْ تَتَبُعِ الْخُطْبِ وَالرَّسَائِلِ بَلْ لَهُ اسْتِمْدَادٌ مِنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ  
سِوَا الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَسِرِّ الْمُلُوكِ وَوَصَايَا الْعُقَلَاءِ  
وغير ذلك مِنْ الْأُمُورِ الْغَيْرِ الْمُنْتَهِيَةِ . هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْخَيْرِ .  
وَيَنْدَرِجُ فِيهِ مَا أوردَهُ فِي عِلْمِ مَبَادِي الْإِنشَاءِ وَأَدَوَاتِهِ فَلَا وَجْهَ  
لِجَلِّهِ عِلْمًا آخَرَ . وَأَمَّا ابْنُ صَدْرِ الدِّينِ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ سِوَى مَعْرِفَةِ  
الْمَحَاسِنِ وَالْمَعَايِبِ وَبُذَّةٍ مِنَ آدَابِ الْمُنَشِيِّ . وَزُبْدَةٌ كَلَامِهِ أَنَّ  
لِلنَّثْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ نَثْرٌ مُحَاسِنٌ وَمَعَايِبٌ يُجِبُّ عَلَى الْمُنَشِيِّ أَنْ يَفْرِقَ  
بَيْنَهُمَا فَيَحْزَرَ عَنِ الْمَعَايِبِ . وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَعْلَى كَعْبًا فِي الْعَرَبِيَّةِ  
مُحْتَزِّرًا عَنِ اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ وَمَا يُخِلُّ لَهُ بِفَهْمِ الْمُرَادِ وَيُوجِبُ

إِنَّ تَقْدِيرَ الدِّينَارِ إِلَّا عَلَى الصَّرِّ فِي صَعْبٍ فَكَيْفَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ  
 قَدْ رَأَيْتُكَ لَسْتَ تَفْرُقُ فِي الْأَمِّ شَعَارَ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ  
 وَحَكِي الْأَمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ قَالَ : رَكِبَ الْكِندِيُّ  
 الْمُتَفَلِّسُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ  
 حَشْوًا . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَجَدْتَ ذَلِكَ . قَالَ :  
 وَجَدْتُ الْعَرَبَ يَقُولُ : عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ . ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ .  
 ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . فَأَلَّا لَفَاطُ مُتَكَرِّرَةً وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .  
 فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : بَلِ الْمَعْنَى مُخْتَلِفَةٌ لِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاطِ . فَقَوْلُهُمْ :  
 عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ إِنْخِبَارٌ عَنْ قِيَامِهِ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ جَوَابٌ  
 عَنْ سُؤَالٍ سَائِلٍ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ جَوَابٌ عَنْ انْكَارٍ  
 مُبْكَرٍ قِيَامِهِ . فَمَا أَحَارَ الْمُتَفَلِّسُ جَوَابًا . فَأَذَا ذَهَبَ مِثْلُ هَذَا عَلَى  
 الْكِندِيِّ فَمَا أَظُنُّ بَغْيَرَهُ . وَإِنْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْكَلَامِ مَا لَا  
 يَحْكُمُ فِي أَمْرٍ أَجَاهِ بِالْقُلُوبِ غَيْرُ الذَّوْقِ السَّلِيمِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
 شَيْءٌ بِهِ فُتِنَ الْوَرَى غَيْرُ الَّذِي يُدْعَى الْجَمَالَ وَلَسْتُ أَدْرِي مَا هُوَ  
 لَكِنَّ الْغَالِبَ فِي الْكَلَامِ يُعْلَمُ سَبَبُ تَحْسِينِهِ وَتَعْلُلُ مَوَادِّ  
 تَمْكِينِهِ وَنِجَابُ عَنْ الْعَلَّةِ فِي اتِّحَاطِهِ وَارْتِقَاءِهِ وَيَذْكُرُ الْمَعْنَى فِي  
 ارْتِقَاءِهِ مِنْ حَضِيضِ الْقَوْلِ إِلَى آيَفَاءِهِ



شَيْئَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا تَمَثَّلُ بِهِ الصَّحَابَةُ كَثِيرٌ .  
وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي ( الْأَحْكَامِ السَّاطِنَةِ ) فَإِنَّهُ قَدْ يُؤْمَرُ بِأَمْرٍ  
يَعْرِفُ بِهَا كَيْفَ يُخْلَصُ قَلَمُهُ عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ وَلَايَةِ  
الْقَضَاءِ وَالْحِسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَهَذِهِ أُمُورٌ كَلِيَّةٌ لَا بُدَّ لِلْمُتَرَشِّحِ لِهَذِهِ  
الصَّنَاعَةِ مِنْ اتِّصَادِي الإِطْلَاعِ عَلَيْهَا وَالْإِكْتِبَابِ عَلَى مُطَالَعَتِهَا  
وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا . يُنْفَقُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ وَيَسْلُكُ فِي الْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ  
الصَّنَاعَةِ بِذَلِكَ الْجَوَادِ وَالْأَقْلَعَلَمِ أَنَّهُ فِي وَادٍ وَالْكِتَابَةُ فِي وَادٍ

وَأَمَّا الْأُمُورُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَرِيدُ مَعْرِفَتَهَا قَدْرَهُ وَيَزِينُ الْعِلْمَ بِهَا  
نَظْمَهُ وَنَثَرَهُ فَلَهَا مِنْ الْمَكْمَلَاتِ لِهَذَا الْقَنْ وَانْ لَمْ يُضْطَرَّ إِلَيْهَا ذُو  
الذَّهْنِ الثَّاقِبِ وَالطَّبْعِ السَّلِيمِ وَالْقَرِيحَةِ الْمَطَاوِعَةِ وَالْفِكْرَةِ الْمُنْقَحَةِ  
وَالْبَدِيعَةِ النُّحْيَةِ وَالرَّوِيَّةِ الْمُتَصَرِّفَةِ . لَكِنَّ الْعَالَمَ بِهَا مُتَمَكِّنٌ مِنْ  
أَزْمَةِ الْمَعَانِي يَقُولُ عَنْ عِلْمٍ وَيَتَصَرَّفُ عَنْ مَعْرِفَةٍ وَيَتَقَدَّرُ بِحُجَّةٍ وَيَتَخَيَّرُ  
بِدَلِيلٍ وَيَسْتَحْسِنُ بِبُرْهَانٍ وَيَصُوغُ الْكَلَامَ بِتَرْتِيبٍ

مِنْ ذَلِكَ ( عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ وَالْبَدِيعُ ) وَمَا يَلْحَقُ بِهَا وَأَنَا  
أُشِيرُ الْآنَ إِلَى نُكْتٍ مِنْهَا تَدُلُّ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِ هَذَا الْعِلْمِ وَعَظَمِهِ  
الْفَائِدَةِ بِهِ وَأَنَّ الْأَدِيبَ وَالْكَاتِبَ الْعَارِضِينَ مِنْهُ قَاصِرَانِ عَنْ آدَنِ  
رُتَبِ الْكَمَالِ يُجِيدَانِ وَلَا يَذَرِيَانِ كَيْفَ يُجِيبَانِ . فَلَوْ سُئِلَ عَنْ  
عِلَّةٍ مَعْنَى اسْتَحْسَنَهُ أَوْ لَفْظٍ اسْتَحْلَاهُ أَوْ تَرْكِيبٍ اسْتَجَادَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى  
الْإِثْبَانِ بِدَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ اتَّحَكَّمْ فِي الشَّعْرِ مَ وَمَا فِيكَ آلهُ الْحَكَمِ



وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ دُونَ حِفْظِهَا لِمَا فِي النَّظَرِ فِيهَا  
 مِنْ تَقْيِيقِ الْقَرْيَةِ وَارْشَادِ الْخَاطِرِ وَتَسْهِيلِ الطَّرِيقِ وَالتَّسْمِيحِ عَلَى مِنْوَالِ  
 التَّحْيِيدِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةِ الْحُسْنِ وَاسْتِحْلَاءِ مَا أَنْتَجَتْهُ الْقَرَائِحُ مِنْ  
 أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ وَاسْتِحْلَاءِ مَا رَوَّقَتْهُ الْخَوَاطِرُ مِنْ حِيَاضِ الْأَلْفَافِ  
 وَاسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ الْقَاصِرَ وَالْإِحْتِرَازِ بِمَا أَظْهَرَهُ النَّقْدُ وَرَدَّ مَا بَهَرَجَهُ  
 السَّبْكُ . فَأَيُّمَا أَلْهَيْ عَنْ حِفْظِ ذَلِكَ فَلَيْلًا يَكِلَ الْخَاطِرُ عَمَّا فِي حَاصِلِهِ  
 وَيَسْتَنْدِ الْفِكْرُ إِلَى مَا فِي مُودَعِهِ وَيَكْتَفِي بِمَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَلَبَّسَ بِمَا لَمْ  
 يُعْطَ كَلَابِسَ ثَوْبِي زُورٍ . . . . .

وَكَذَلِكَ ( النَّظَرُ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ ) الْوَارِدَةِ عَنِ الْعَرَبِ نَظْمًا  
 وَنَثْرًا كَأَمْثَالِ الْمَيْدَانِيِّ وَالْفَضْلِ بْنِ سَلَمَةَ الضَّيِّي وَحَمْزَةَ الْأَصْبَهَانِيِّ  
 وَغَيْرِهِمْ وَأَمْثَالِ الْمُخَدَّثِينَ الْوَارِدَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ كَأَيِّ الْعَتَاهِيَةِ وَأَيِّ نَامٍ  
 وَالْمُتَنَبِّي وَأَمْثَالِ الْمُؤَلِّدِينَ وَالْأَمْثَالِ الْمُتَوَسَّعَةِ عَلَى السَّنِ الْحَيَوَانِ  
 لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ لِيَسْتَشْهَدَ بِالْمَثَلِ فِي مَوْضِعِهِ وَيُورِدَهُ فِي مَكَانِهِ وَيَكُونَ  
 مِنْ وَرَاءِ الْمَعْرِفَةِ بِأَصْلِهِ وَأَوَّلِ مَنْ أَرْسَلَهُ مَثَلًا وَمَنْ أَسْتَشْهَدَ بِهِ  
 وَذَكَرَ سَبِيهِ . . . . .

وَأَمَّا ( التَّمَثُّلُ بِالشَّعْرِ ) فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ تَمَثَّلَ يَوْمًا بِقَوْلِ  
 النَّابِغَةِ :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ  
 ثُمَّ قَالَ : لِمَنْ هَذَا فَقِيلَ لَهُ : لِلنَّابِغَةِ . فَقَالَ : ذَاكَ أَشْعَرُ شَعْرَائِكُمْ .  
 وَسَالَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ نَثْيٍ فَأَجَابَهُ عَنْهُ فَأَعْجَبَهُ جَوَابُهُ فَقَالَ :

ذَلِكَ مِنْ غَزَارَةِ الْمَوَادِّ وَصِحَّةِ الْإِسْتِشْهَادِ وَكَثْرَةِ النُّقْلِ وَصَقْلِ  
مِرَاةِ الْعَقْلِ وَانْتِزَاعِ الْأَمْثَالِ وَالْأَخْذِ فِي اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي عَلَى أَصَحِّ  
مِثَالٍ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى أَصُولِ اللُّغَةِ وَشَوَاهِدِهَا وَالْأَضْطِلَاعِ مِنْ نَوَادِرِ  
الْعَرَبِيَّةِ وَشَوَارِدِهَا . وَقَدْ كَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يَغْتَنُونَ بِذَلِكَ غَايَةَ  
الِاعْتِنَاءِ . فَذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يُقَدِّمُ زُهَيْرَ بْنِ أَبِي سَلَمَى فِي الشَّعْرِ  
فَقِيلَ لَهُ : بِمِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ . فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاطِلُ بَيْنَ الْقَوْلِ  
وَلَا يَتَّبِعُ حَوَاشِي الْكَلَامِ وَلَا يَصِفُ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا يَكُونُ فِي الرَّجَالِ .  
فَإِذَا أَكْثَرَ الْمُتَرَشِّحُ لِلْكِتَابَةِ مِنْ حِفْظِ خِيَارِ الشَّعْرِ وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهِ يَسْهَلُ  
عَلَيْهِ حُلُهُ وَظَهَرَتْ لَهُ مَوَاضِعُ الْإِسْتِشْهَادِ بِهِ وَسَاقَهُ الْكَلَامُ إِلَى إِبْرَازِ  
مَا فِي ذَخِيرَةِ حِفْظِهِ وَوَضْعِهِ فِي مَكَانِهِ وَثَقْلِهِ فِي الْإِسْتِشْهَادِ أَوْ التَّضْمِينِ  
إِلَى مَا كَانَتْهُ وَضَعَهُ لَهُ . . . . .

وَكَذَلِكَ حَفِظُ جَانِبٍ جَيِّدٍ مِنْ شَعْرِ الْمُخْدَشِينَ كَأَبِي نَعَامٍ وَمُسْلِمِ  
ابْنِ الْوَلِيدِ وَالْمُجْتَرِيِّ وَابْنِ الرُّومِيِّ وَالْمُتَنَبِّيِّ لِلطُّفِّ مَأْخِذِهِ  
وَدَوْرَانِ الصَّنَاعَةِ فِي كَلَامِهِمْ وَدَقَّةِ تَوَلِيدِ الْمَعَانِي فِي أَشْعَارِهِمْ وَقُرْبِ  
أُسْلُوبِهِمْ مِنْ أُسْلُوبِ الْخُطَابَةِ وَالْكِتَابَةِ وَخُصُوصًا الْمُتَنَبِّيِّ الَّذِي  
كَانَتْهُ يَنْطَوُّ عَنْ النِّسْبَةِ النَّاسِ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ . وَكَثُرَ الْإِسْتِشْهَادُ لِشَعْرِهِ  
حَتَّى قُلَّ مَنْ يَجْهَلُهُ وَحَتَّى أَكْتَفِيَ بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى  
الْقَصْدِ وَبُلُوغِ الْفَرَضِ فِي الْجَوَابِ كَمَا كَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَرَبِ  
إِلَى مَنْ كَرَّرَ كُتْبَهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ :  
وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفَةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمَرَمُ

الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَمَعْرِفَةِ يَوْمِ كُلِّ قَبِيلَةٍ عَلَى الْأُخْرَى وَمَا جَرَى  
بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْمُنَاقَضَاتِ . لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا  
يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنْ وَاقِعَةٍ قَدِيمَةٍ أَوْ يَرَدُّ عَلَيْهِ فِي مُكَاتَبَةٍ مِنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ  
مَشْهُورَةٍ أَوْ ذِكْرِ فَارِسٍ مُعَيَّنٍ . . . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي تَطَايُرِهِ كَثِيرَةٌ  
فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ  
هَذِهِ الْأَيَّامِ عَالِمًا بِمَا جَرَى فِيهَا لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ عَمَّا يَرَدُّ إِلَيْهِ مِنْ  
مِثْلِهَا وَلَا مَا يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا وَحَسْبُهُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي صِنَاعَتِهِ وَقُصُورًا  
عَمَّا يَحْتَمُّ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَحُسْنِ الْجَوَابِ فِيهِ عِنْدَ السُّؤَالِ عَنْهُ

ثُمَّ ( النَّظَرُ فِي التَّوَارِيخِ ) وَمَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الدُّوَلِ مِنَ الْأَطْلَاعِ عَلَى  
سِيرِ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَتِهِمْ وَذِكْرِ وَقَائِعِهِمْ وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ وَمَا اتَّفَقَ  
لَهُمْ مِنَ التَّجَارِبِ الَّتِي بَلَّغُوا بِهَا أَقْصَى الْمَارَبِ وَغَدَتْ لِنَ بَعْدَهُمْ كَالْمِرَاقَةِ  
الَّتِي تُصَوِّرُ لَهُمْ وَجُودَ التَّدْيِيرِ وَثَرِيهِمْ مَا اسْتَتَرَ عَنْهُمْ مِنْ صَغِيرِ أحوَالِهِمْ  
وَالْكَبِيرِ . فَإِنَّهُ قَدْ يُضْطَرُّ إِلَى السُّؤَالِ عَنْ أحوَالِ مَنْ سَلَفَ مِنْ  
أَوَّلِ الْعَصْرِ وَإِلَى الْآنَ وَيُسْتَحْبَرُ كَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو  
وَكَيفَ ائْتَصَرَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ . أَوْ يَرَدُّ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ ذِكْرُ وَاقِعَةٍ  
بَعِينِهَا أَوْ يُخْتَمُّ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ قَدِيمَةٍ فَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا مِنْ مَجَازِهَا وَلَا  
صِدْقَهَا مِنْ مَنِيهَا

ثُمَّ ( حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ) وَمُطَالَعَةُ سُرُوجِهَا وَاسْتِكْشَافُ  
غَوَامِضِهَا وَالتَّوَقُّفُ عَلَى مَا اخْتَارَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْهَا كَالْحِمَاةِ  
وَالْمُفْضَلِيَّاتِ وَالْأَضْمَعِيَّاتِ وَدِيَوَانِ الْهَذَلِيِّينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لِمَا فِي



الْأَعْرَابِ وَيَلَازِمُهُ وَيَجْعَلُهُ دَابَّةً لِيَرْتَسِمَ فِي فِكْرِهِ وَيَدُورَ عَلَى لِسَانِهِ  
وَيَنْطَلِقَ بِهِ عِقَالُ قَلَمِهِ وَكَلِمُهُ وَيَزُولَ بِهِ الْوَهْمُ عَنْ سَجِيَّتِهِ وَيَكُونُ عَلَى  
بَصِيرَةٍ مِنْ عِبَارَتِهِ . فَإِنَّهُ لَوْ آتَى مِنَ الْبَلَاغَةِ بِأَتَمِّ مَا يَكُونُ وَلَحَنَ  
ذَهَبَتْ مُحَاسِنُ مَا آتَى بِهِ وَأَنْهَدَتْ طَبَقَةَ كَلَامِهِ وَأَلْقَى جَمِيعَ مَا  
يُحْسِنُهُ وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ مَا جَهِلَهُ . وَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ قِرَاءَةً مَا تَيْهَى مِنْ  
مُخْتَصَرَاتِ (كُتُبِ الْأَلْفَةِ) كَأَنْفَصِيحِ الثَّعْلَبِ وَكَيْفَايَةِ الْمُتَحَفِّظِ وَغَيْرِ ذَلِكَ  
مِنْ كُتُبِ الْأَلْفَاظِ لِيَتَسَّعَ عَلَيْهِ نِطَاقُ النُّطْقِ وَيَنْقَسِحَ لَهُ مَجَالُ الْعِبَارَةِ  
وَيَنْتَفِجَ لَهُ بَابُ الْأَوْصَافِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَى وَضْفِهِ مِنْ خَيْلٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ  
حَرْبٍ أَوْ سَيْرٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ يَمَّا يَحْتَاجُ إِلَى وَضْفِهِ وَيَضْطَرُّ إِلَى  
نَعْتِهِ . وَيَتَّصِلُ بِذَلِكَ حِفْظُ (خُطَبِ الْبَلْغَاءِ) مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ  
وَمُخَاطَبَاتِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ وَمُرَاجَعَاتِهِمْ وَمَا أَدْعَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ أَوْ  
لِقَوْمِهِ وَمَا نَقَضَهُ عَلَيْهِ خَصْمُهُ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَعْرِقَةِ الْوَقَائِعِ بِنَظَائِرِهَا  
وَتَلَقِّيِ الْحَوَادِثِ بِمَا شَاكَلَهَا وَالْإِقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةٍ مِنْ فُلُجٍ عَلَى خَصْمِهِ  
وَأَقْتِفَاءِ آثَارٍ مِنْ اضْطُرَّ إِلَى عُذْرٍ أَوْ إِبْطَالٍ دَعَا إِلَى أَوْ إِثْبَاتِهَا فَحَنَ  
بِحُجَّتِهِ وَتَخَلَّصَ بِأُطْفٍ مَأْخُذِهِ وَدَقَّةِ مَسْلَكِهِ وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ . . .  
فَانْظُرْ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ وَاحْفَظْ مِنْهُ وَالْإِكْتِثَارُ مِنْ مُطَالَعَتِهِ يَمَّا يَشْجِدُ  
الْقَرَائِحُ وَيَفْتَقُ الْأَذْهَانُ وَيَرْتَسِمُ فِي الْخَوَاطِرِ وَيَكْمُنُ فِي الْأَفْكَارِ  
حَتَّى يَفِضَ مَا غَاضَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ وَيَبْدُو مِنْهُ لِكُلِّ وَاقِعَةٍ  
مِنْوَالٌ يُنْسَجُ عَلَيْهِ وَمِثَالٌ يُنْظَرُ فِي نَظَائِرِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ  
ثُمَّ النَّظَرُ فِي (أَيَّامِ الْعَرَبِ) وَوَقَائِعِهِمْ وَحُرُوفِهِمْ وَتَسْمِيَةِ الْأَيَّامِ

عَلَى عَقِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ نَفَاذٌ . وَأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ  
الطَّبْعِ فِي الْمَنْظُومِ يُجِدُ فِي الْمَدِيحِ دُونَ الْهَجَاءِ أَوْ فِي الْهَجَاءِ دُونَ  
الْمَدِيحِ أَوْ يُجِدُ فِي الْمَرَاثِي دُونَ التَّهَانِي أَوْ فِي التَّهَانِي دُونَ الْمَرَاثِي .  
وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الطَّبْعِ فِي الْمَنْشُورِ . هَذَا ابْنُ الْحَرِيرِيِّ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ  
قَدْ كَانَ عَلَى مَا طَهَّرَهُ عَنْهُ مِنْ تَشْيِيقِ الْمَقَامَاتِ وَاجِدًا فِي قِتِّهِ فَلَمَّا  
حَضَرَ بَغْدَادَ وَوُقِفَ عَلَى مَقَامَاتِهِ قِيلَ هَذَا لِيَسْتَصْلِحَ لِكِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ  
فِي دِيْوَانِ الْخِلَاقَةِ وَيُحَسِّنُ أَثَرَهُ فِيهِ . فَأَحْضَرَ وَكَلَّفَ كِتَابَةَ كِتَابِ  
فَاتِحِهِ وَلَمْ يَجِرْ لِسَانُهُ فِي طَوِيلَةٍ وَلَا قَصِيرَةٍ . . . . . وَبَلَغَنِي عَنْ  
السَّيِّحِ أَبِي مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُشَّابِ النَّخْوِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : ابْنُ  
الْحَرِيرِيِّ رَجُلٌ مَقَامَاتٍ أَيُّ إِنَّهُ لَمْ يُحَسِّنْ مِنْ الْكَلَامِ الْمَنْشُورِ  
سِوَاهَا وَإِنْ أَتَى بِغَيْرِهَا لَا يَقُولُ شَيْئًا . فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَى هَذَا  
الْتِفَاقِ فِي الصَّنَاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ الْكَلَامِ الْمَنْشُورِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
قِيلَ : شَيْئَانِ لَا نِهَايَةَ لَهُمَا الْبَيَانُ وَالْجَمَالُ

### البحث الثالث

فَمَا يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ مَعْرِفَتُهُ

(عَنْ صِنَاعَةِ التَّرْسُلِ لَشَهَابِ الدِّينِ الْحَلِيِّ بِاخْتِصَارِ)

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَتَرَسَّخَ بِهِ لِلْكِتَابَةِ قِرَاءَةُ مَا يَتَّفِقُ مِنْ  
(كُتُبِ النَّخْوِ) الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ مِنْ مَعْرِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِحَيْثُ يَجْمَعُ  
بَيْنَ طَرَفِي الْكِتَابِ الَّذِي يَقْرَأُهُ وَيَسْتَكْمِلُ اسْتِشْرَاحَهُ وَيَكِبُّ عَلَى

تُجَاهِهِ بِطَرَفِكَ مِنْ بَعِيدٍ . فَيَنْفَعُهُمْ رَجْعُ لِحْظِكَ بِالْإِشَارَةِ  
فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لِلْكَاتِبِ هَذِهِ الْجُلَالُ وَانْتَضَمَتْ فِيهِ هَذِهِ الْحِصَالُ  
فَهُوَ الْكَاتِبُ الْبَلِيعُ وَالْأَدِيبُ الْحَرِيرُ وَإِنْ قَصُرَتْ بِهِ آتَةٌ مِنْ هَذِهِ  
الْآلَاتِ وَقَعَدَتْ بِهِ آدَاةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ فَهُوَ مَنْقُوصُ الْجَمَالِ  
مُنْكَسِفُ الْحُسْنِ مَحْضُ النَّصِيبِ

### البحث الثاني

## في ادوات علم الكتابة

( عن المثل السائر لابن الاثير الموصلي باختصار )

اعْلَمْ أَنَّ صِنَاعَةَ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ تَقْتَضِرُ  
إِلَى آلَاتٍ كَثِيرَةٍ . وَقَدْ قِيلَ : يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِكُلِّ عِلْمٍ  
حَتَّى قِيلَ : كُلُّ ذِي عِلْمٍ يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسُبَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ فَيَقُولَ : فُلَانٌ  
الْحَوِيُّ وَفُلَانٌ الْفَقِيهُ وَلَا يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسُبَ نَفْسَهُ إِلَى الْكِتَابَةِ فَيَقُولَ :  
فُلَانٌ الْكَاتِبُ وَذَلِكَ لِمَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَوْضِ فِي كُلِّ فَنٍّ . وَمَلَكَ هَذَا  
كُلَّهُ الطَّبَعُ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ طُبِعَ فَإِنَّهُ لَا تُغْنِي تِلْكَ الْآلَاتُ  
شَيْئًا . وَمِثْلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ النَّارِ الْكَامِنَةِ فِي الزَّرْنَادِ وَالْحَدِيدَةِ الَّتِي  
يُقَدِّحُ بِهَا . لَا تَرَى أَنَّهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الزَّرْنَادِ نَارٌ لَا تُقِيدُ تِلْكَ  
الْحَدِيدَةَ شَيْئًا . وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا مِنْ غَرَائِبِ الطَّبَاعِ فِي تَعَلُّمِ الْعُلُومِ  
حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَكُونُ لَهُ نَقَادٌ فِي تَعَلُّمِ عِلْمٍ مُشْكِلِ الْمَسَلِّكَ  
صَغْبٍ أَلَّا خَذَ فَإِذَا كَلِّفَ تَعَلَّمَ مَا هُوَ دُونَهُ مِنْ سَهْلِ الْعُلُومِ نَكَسَ



## فصل في صفة الكاتب وما يحتاج إليه من المعارف

### البحث الاول

#### في صفة الكاتب الظاهرة

( عن ابراهيم الشيباني وآثار الاول للحسن بن عبدالله )

قِيلَ لَهُمْ قَدْ اسْتَحْسَنُوا فِي الْكَاتِبِ اَعْتَدَالَ الْقَامَةِ وَصِغَرَ الْهَامَةِ  
وَحِفَّةَ اللَّهَازِمِ وَصَدَقَ الْحَسِّ وَلُطْفَ الْمَذْهَبِ وَحَلَاوَةَ الشَّامِلِ وَحُسْنَ  
الْاِشَارَةِ وَمَلَاةَ الرَّيِّ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْمُهَاجِرَةِ لَوْلَيْهِ : تَرَيُوا بَرِي  
الْكِتَابِ فَإِنَّ فِيهِمْ آدَبَ الْمُلُوكِ وَتَوَاضَعَ السُّوقَةِ . وَقِيلَ : إِنَّ  
مِنْ كَمَالِ آلَةِ الْكِتَابَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ نَعِيَّ الْمَلْبَسِ نَظِيفِ  
الْجِلْسِ ظَاهِرِ الْمُرُوءَةِ دَقِيقِ الذِّهْنِ حَسَنِ الْفَهْمِ وَافِرِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ  
صَادِقِ الْحَسِّ حَسَنِ الْبَيَانِ صَحِيحِ الرَّأْيِ وَالْعِبَارَةِ مَلِيحِ التَّأْنِي فِي نَظْمِ  
الْمَعَانِي وَنَثَرِهَا دَقِيقِ حَوَائِشِ اللِّسَانِ حُلُوَ الْاِشَارَةِ مَلِيحِ الْاِسْتِعَارَةِ  
لَطِيفِ الْمَسَالِكِ مُسْتَقِرَّ التَّرْكِيبِ . وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ قَدَمُ الْمُنْظَرِ  
مُتَقَاوِتَ الْأَجْزَاءِ مُضْطَرِبَ الْخَلْقِ . فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ  
لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا الذِّكَاؤُ وَالْفِطْنَةُ . وَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْخَطِّ  
فَهُوَ كَمَالُهُ وَلَا فَيْكُونُ هُوَ الْمُنْشِئُ وَغَيْرُهُ الْكَاتِبُ . وَنَظَرَ أَحْمَدُ  
أَبْنُ خَصِيبٍ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْكِتَابِ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فَقَالَ : لَأَنْ  
يَكُونُ هَذَا فِطَاسَ مَرْكَبٍ أَشَبَّهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا . قَالَ بَعْضُهُمْ :  
عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لَبِقٍ رَشِيقٍ ذَكِيٍّ فِي شَأْنِهِ حَدَارَةٍ

تَعَالَى إِسَانًا هَجَامًا وَخَاطِرًا رَقَامًا وَإِنَّمَا تَكُونُ نَفَاسَةُ الْأَشْيَاءِ بِعِزَّةِ حُصُولِهَا  
وَمَشَقَّةِ وُضُوعِهَا :

لَيْسَ خُلُوعًا وَجُودُكَ الشَّيْءِ تَبْغِيهِ مِ طِلَابًا حَتَّى يَغِزَّ طِلَابُهُ  
وَهَذِهِ الطَّرِيقُ يُجْهَلُهَا كَثِيرٌ مِنْ مُتَعَالِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَالَّذِي  
يَعْلَمُهَا مِنْهُمْ يَرْضَى بِالْحَوَاشِي وَالْأَطْرَافِ وَيَقْنَعُ مِنْ لَالِيهَا بِمَعْرِقَةٍ مَا  
فِي الْأَصْدَافِ . وَلَا أُرِيدُ بِهِ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ مُرْتَبِطًا  
فِي كِتَابَتِهِ بِمَا يَسْتَخْرِجُهُ بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يُنْشِئُ كِتَابًا إِلَّا مِنْ ذَلِكَ بَلْ  
أُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ مِمَّا قَدَّمْنَا شَيْئًا ثُمَّ نَقَّبَ عَنْ ذَلِكَ تَنْقِيبَ مُطْلِعٍ  
عَلَى مَعَانِيهِ مُقْتَسِ عَنْ دَفَائِنِهِ وَقَلْبُهُ ظَهَرًا لِبَطْنِ عَرَفٍ جِينِدٍ مِنْ أَيْنَ  
تَوَكَّلُ الْكَتِفُ فِيمَا يُنْشِئُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَأَسْتَعَانَ بِالْمَحْفُوظِ عَلَى  
الْفَرِيزَةِ الطَّبِيعِيَّةِ . الْأَتْرَى صَاحِبَ الْأَجْتِهَادِ مِنَ الْفُقَهَاءِ يَفْتَقِرُ إِلَى  
مَعْرِقَةِ أَخْبَارِ الْأَحْكَامِ وَإِلَى مَعْرِقَةِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ  
مِنَ الْعُلُومِ وَالْجَهْلُولِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكَاتِبِ إِذَا  
أَحَبَّ التَّرَقِّيَ إِلَى دَرَجَةِ الْأَجْتِهَادِ فِي الْكِتَابَةِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَدَوَاتٍ  
كَثِيرَةٍ سَنَذْكُرُهَا

## البحث الحادي عشر

### في طرائق مختلفة من الممارسة والتمرين

( المثل السائر باختصار )

( راجع صفحة ١٠ من توطئة علم الادب )

هَذَا الْفَصْلُ هُوَ كَثْرُ الْكِتَابَةِ وَمَنْبَعُهَا وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَمْأَ حَبِثَ إِلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَبَلَّغَنِي اللَّهُ مِنْهَا مَا بَلَّغَنِي وَجَدْتُ الطَّرِيقَ يَنْقَسِمُ فِيهَا إِلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ : ( الْأُولَى ) أَنْ يَتَصَفَّحَ الْكَاتِبُ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَيَطَّلِعَ عَلَى أَوْضَاعِهِمْ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي ثُمَّ يَخْذُو حَذْوَهُمْ . وَهَذِهِ أَدْنَى الطَّبَقَاتِ عِنْدِي . ( الثَّانِيَّةُ ) أَنْ يَمِزْجَ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِمَا يَسْتَحْسِنُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ زِيَادَةِ حَسَنَةِ إِمَامَا فِي تَحْسِينِ الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي تَحْسِينِ الْمَعَانِي . وَهَذِهِ الطَّبَقَةُ الْوُسْطَى وَهِيَ أَعْلَى مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا . ( الثَّالِثَةُ ) أَنْ لَا يَتَصَفَّحَ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا يَطَّلِعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلْ يَصْرِفَ هَمَّهُ إِلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ وَالْأَخْبَارِ وَعِدَّةٍ مِنْ دَوَائِنِ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ يَمُنُّ غَلَبَ عَلَى شِعْرِهِ الْإِجَادَةُ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ . ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْإِقْتِبَاسِ مِنْ هَذِهِ فَيَقُومُ وَيَقَعُ وَيُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَيَضِلُّ وَيَهْتَدِي حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَلَى طَرِيقَةٍ يَفْتَحُهَا لِنَفْسِهِ . وَآخِلِقُ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ أَنْ تَكُونَ مُبْتَدَعَةً غَرِيبَةً لِاشْرَاكَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيهَا . وَهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ طَرِيقُ الْإِجْتِهَادِ وَصَاحِبُهَا يُعَدُّ إِمَامًا فِي فَنِّ الْكِتَابَةِ . إِلَّا أَنَّهُا مُسْتَوْرَعَةٌ جِدًّا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ



## البحث العاشر

### في الارتياض والممارسة

( المثل السائر والوشى المرقوم لابن الاثير )

( راجع صفحة ٩ و ١٠ من توطئة علم الادب )

إِعْلَمَ أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي أَنَّ مَدَارَ عِلْمِ الْبَيَانِ عَلَى حَاصِمِ  
الدَّوْقِ السَّلِيمِ الَّذِي هُوَ أَنْفَعُ مِنْ ذَوْقِ التَّعْلِيمِ . وَهَذَا الْكِتَابُ وَإِنْ  
كَانَ فِيهِ يُلْقِيهِ إِلَيْكَ أَسْتَاذًا أَوْ إِذَا سَأَلْتَ عَمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي فِتْنِهِ قِيلَ  
لَكَ هَذَا فَإِنَّ الدَّرَبَةَ وَالْإِذْمَانَ أَجْدَى عَلَيْكَ نَفْعًا وَأَهْدَى بَصَرًا  
وَسَمْعًا . وَهَمَّا يُرِيَانِكَ أَخْبَرَ عِيَانًا وَيَجْعَلَانِ عُسْرَكَ مِنَ الْقَوْلِ إِمْكَانًا  
وَكُلَّ جَارِحَةٍ مِنْكَ قَلْبًا وَلِسَانًا . فَخُذْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ مَا أَعْطَاكَ  
وَأَسْتَنْبِطْ بِإِدْمَانِكَ مَا أَخْطَاكَ . وَمَا مَثَلِي فِيهِمَا مَهْدُتُهُ لَكَ مِنْ هَذَا  
الطَّرِيقِ إِلَّا كَدَنْ طَبَعَ سَيْفًا وَوَضَعَهُ فِي يَمِينِكَ لِنَقَاتِلَ بِهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ  
أَنْ يَخَافَكَ لَكَ قَلْبًا فَإِنْ حَمَلَ اتِّصَالٍ غَيْرُ مُبَاشَرَةٍ الْقِتَالِ  
وَأَمَّا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ غَايَتَهُ مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ  
وَأَنَّ صَاحِبَ الْكِتَابَةِ لَا يَرَى فِي أَمْرِهِ إِلَّا ضَعْفًا وَوَعُورَةً  
وَطَرِيقًا مُشْكِكَةً الْمَذَاهِبَ كَثِيرَةَ الشَّعَابِ . فَإِذَا أَكْرَهَ خَاطِرُهُ عَلَى  
سُلُوكِهَا وَشَجَعَهُ عَلَى تَوَرُّدِهَا فَمَا مَخْضَى بِهِ هُنِيئَةً حَتَّى يَسْتَوِرَ بِهِ الطَّرِيقُ  
وَيَتَضَحَّ لَدَيْهِ . وَالتَّعَبُ عَلَى مَنَازِلِ الْعُلِيَاءِ إِمَارَةٌ

وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكََةِ الْعِبَارَةِ فِي شَيْءٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## البحث التاسع

### في المطالعة

(المثل السائر لابي الفتح بن الاثير الموصلي)

( راجع صفحة ٨ من توطئة علم الادب )

إِنَّ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ قَوَائِدَ جَمَّةٍ لِأَنَّهُ يُعْلَمُ مِنْهُ أَغْرَاضُ النَّاسِ وَنَتَائِجُ أَفْكَارِهِمْ وَيَعْرِفُ بِهِ مَقَاصِدُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ وَإِلَى أَيْنَ تَرَامَتْ بِهِ صَنْعَتُهُ فِي ذَلِكَ . فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِمَّا تَشْتَدُّ الْقَرِيحَةُ وَتُرَكِّي الْفِطْنَةُ . وَإِذَا كَانَ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِهَا تَصِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي ذُكِرَتْ وَتَعَبَ فِي اسْتِخْرَاجِهَا كَالشَّيْءِ الَّتِي يَنْ يَدِيهِ يَأْخُذُ مِنْهُ مَا أَرَادَ . وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مُطْلَعًا عَلَى الْمَعَانِي الْمَسْبُوقِ إِلَيْهَا قَدْ يَنْقَدِحُ لَهُ مِنْ بَيْنِهَا مَعْنَى غَرِيبٌ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ . وَمِنَ الْعُلُومِ أَنَّ خَوَاطِرَ النَّاسِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَاوِتَةً فِي الْجُودَةِ وَالرَّدَاءَةِ فَإِنَّ بَعْضَهَا لَا يَكُونُ عَالِيًا عَلَى بَعْضٍ أَوْ مُخْطَأًا عَنْهُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ . وَكَثِيرًا مَا تَتَسَاوَى الْقَرَائِحُ وَالْأَفْكَارُ فِي الْإِثْنَانِ بِالْمَعَانِي حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى مَوْضُوعٍ بِلَفْظٍ ثُمَّ يَأْتِي الْآخَرُ بَعْدَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى وَاللَّفْظَ بَيْنَهُمَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَوَّلُ وَهَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ أَرَبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَقُوعَ الْخَافِرِ عَلَى الْخَافِرِ

الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِنَّمَا كَانُوا عَجْمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطَّ وَآمَّا الْمَرْبَى وَاللَّشَاءُ  
فَكَانَتْ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ  
فَاسْتَوَلُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى غَايَةٍ لَا وَرَاءَهَا . وَكَانَهُمْ فِي أَوَّلِ  
نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَحْيَانِهِمْ (١) حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهَ اللُّغَةِ  
وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا . فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا عَجْمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِأَعْجَامٍ فِي  
اللُّغَةِ وَالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلَمَّةً فِي غَفَوَاتِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ  
تَذْهَبْ آثَارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ . ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى الْمُمَارَسَةِ  
وَالْمُدْرَاسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى غَايَتِهِ . وَالْوَاحِدُ الْيَوْمَ مِنْ  
الْعَجَمِ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَمْصَارِ فَأَوَّلُ مَا يَجِدُ تِلْكَ  
الْمَلَكَةَ الْمَنْصُودَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُنْجِيَةً الْآثَارِ وَيَجِدُ مَلَكَتَهُمْ  
الْخَاصَّةَ بِهِمْ مَلَكَتُهُ أُخْرَى مُخَالَفَةً لِمَلَكَتِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . ثُمَّ إِذَا فَرَضْنَا  
أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمُمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَسْعَارَهُمْ بِالْمُدْرَاسَةِ وَالْحِفْظِ  
يَسْتَفِيدُ تَحْصِيلَهَا فَقَلَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا  
سَبَقَتْهَا مَلَكَتُهُ أُخْرَى فِي الْتَحَلِّ فَلَا تَحْصُلُ إِلَّا نَاقِصَةً مُخْدُوشَةً . وَإِنْ  
فَرَضْنَا عَجْمِيًّا فِي النَّسَبِ سَلِمَ مِنْ مُخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ بِالْكَلِمَةِ  
وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْحِفْظِ وَالْمُدْرَاسَةِ فَرُبَّمَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ  
لَكِنِّهِ مِنَ التَّدْوِيرِ بِحَيْثُ لَا يَنْفَقِي عَلَيْكَ بِمَا تَقَرَّرَ . وَرُبَّمَا يَدَّعِي كَثِيرٌ مِمَّنْ  
يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَائِنِ أَلْبَيَانِيَّةَ حُصُولِ هَذَا الذَّوْقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ  
مُغَالَطَةٌ وَإِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَائِنِ أَلْبَيَانِيَّةَ



أَحْيَاهُمْ. وَالتَّوَانِينُ بِمِزَلٍ عَنْ هَذَا. وَاسْتُعِيرَ لَهُذِهِ الْمَلَكَةُ عِنْدَمَا تَرَسُخُ  
وَتَسْتَقِرُّ أَسْمُ الدُّوقِ الَّذِي اضْطَلَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ صِنَاعَةِ الْبَيَانِ. وَالدُّوقُ  
إِنَّمَا هُوَ مَوْضُوعٌ لِإِدْرَاكِ الطَّعُومِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي  
اللِّسَانِ مِنْ حَيْثُ النُّطْقِ بِالْكَلَامِ كَمَا هُوَ مَحَلُّ لِإِدْرَاكِ الطَّعُومِ اسْتُعِيرَ  
لَهَا اسْمُهُ وَآيْضًا فَهُوَ وَجَدَانِيٌّ لِلِّسَانِ كَمَا أَنَّ الطَّعُومَ مَحْسُوسَةٌ لَهُ فَقِيلَ  
لَهُ ذَوْقٌ. وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعَاجِمَ الدَّاخِلِينَ فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّينَ إِلَى النُّطْقِ بِهِ لِحَاطَةِ أَهْلِهِ  
كَالْفُرسِ وَالرُّومِ وَالتُّركِ بِالشَّرْقِ وَكَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ  
لَهُمْ هَذَا الدُّوقُ لِقُصُورِ حَظِّهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي قَرَرْنَا أَمْرَهَا.  
لِأَنَّ قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُمُرِ وَسَبْقِ مَلَكَةِ أُخْرَى إِلَى اللِّسَانِ  
وَهِيَ لِعَلَّتُهُمْ أَنْ يَعْتَنُوا بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ الْمَضَرِّ (١) بَيْنَهُمْ فِي الْحَاوِرَةِ مِنْ  
مُفْرَدٍ وَمُرَكَّبٍ لِمَا يَضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ قَدْ ذَهَبَتْ  
لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَبَعْدُوا عَنْهَا كَمَا تَقَدَّمَ. وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَلَكَةٌ  
أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْمَطْلُوبَةُ. وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكَةَ  
مِنَ الْقَوَائِنِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكُتُبِ فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي شَيْءٍ  
إِنَّمَا حُصِّلَ أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تُحْصَلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمُمَارَسَةِ  
وَالْإِعْتْيَادِ وَالتَّكْرُّرِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ. فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ  
أَنَّ سَبْيُونِيَّ وَالْفَارِسِيَّ وَالزُّخْمَشَرِيَّ وَأَمْثَالَهُمْ مِنْ فُرْسَانِ الْكَلَامِ  
كَانُوا أَعْجَامًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ فَأَعْلَمُ أَنَّ أَوْلِيكَ الْقَوْمِ

الْمَلَكَةُ كَمَا تَقَدَّمَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَتَكَرُّرِهِ عَلَى  
السَّمْعِ وَالتَّقَطُّنِ لِحَوَاصِ تَرَكَيبِهِ . وَلَيْسَتْ تَحْصُلُ بِمَعْرِفَةِ الْقَوَائِنِ  
الْعِلْمِيَّةِ فِي ذَلِكَ الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا أَهْلُ صِنَاعَةِ اللِّسَانِ . فَإِنَّ هَذِهِ  
الْقَوَائِنَ إِنَّمَا تُفِيدُ عِلْمًا بِذَلِكَ اللِّسَانِ وَلَا تُفِيدُ حُصُولَ الْمَلَكَةِ  
بِالْفِعْلِ فِي مَحَلِّهَا . وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَالْمَلَكَةُ الْبَلَاغَةُ فِي اللِّسَانِ تَهْدِي  
الْبَلِغَ إِلَى وُجُوهِ النَّظْمِ وَحُسْنِ التَّرَكِيبِ الْمُوَافِقِ لِتَرَكَيبِ الْعَرَبِ  
فِي لُغَتِهِمْ وَنَظْمِ كَلَامِهِمْ . وَلَوْ رَامَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ حَيْدًا عَنْ  
هَذِهِ السَّبِيلِ الْمُعَيَّنَةِ وَالتَّرَاكِيبِ الْخُصُوصَةِ لَمَا قَدَرَ عَلَيْهِ وَلَا وَاقَعَهُ  
عَلَيْهِ لِسَانُهُ لِأَنَّهُ لَا يَعْتَادُهُ وَلَا تَهْدِيهِ إِلَيْهِ مَلَكَتُهُ الرَّاسِخَةُ عِنْدَهُ . وَإِذَا  
عُرِضَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ حَائِدًا عَنْ أُسْلُوبِ الْعَرَبِ وَبَلَاغَتِهِمْ فِي نَظْمِ  
كَلَامِهِمْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَجَّهًا وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
مَارَسَ كَلَامَهُمْ . وَرَبَّمَا يَعْجُزُ عَنِ الْإِخْتِجَاجِ لِذَلِكَ كَمَا تَصْنَعُ أَهْلُ الْقَوَائِنِ  
النَّحْوِيَّةِ وَالْبَيَانِيَّةِ . فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْلَالٌ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْقَوَائِنِ الْمُقَادَةِ  
بِالْإِسْتِقْرَاءِ وَهَذَا أَمْرٌ وَجَدَانِيٌّ حَاصِلٌ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى  
يَصِيرَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ . وَمِثَالُهُ لَوْ قَرَضْنَا صَبِيًّا مِنْ صَبِيَّانِهِمْ نَشَأَ وَرَبِّي فِي  
جِيلِهِمْ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ لُغَتَهُمْ وَيُحْكِمُ شَأْنَ الْإِعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ فِيهَا حَتَّى  
يَسْتَوِي عَلَى غَايَتِهَا وَلَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ الْقَانُونِيِّ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ بِحُصُولِ  
هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي لِسَانِهِ وَنُطْقِهِ . وَكَذَلِكَ تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لِمَنْ  
بَعْدَ ذَلِكَ لِجَلِيلِ بِحْفِظِ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَخُطْبِهِمْ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى ذَلِكَ  
بِحَيْثُ يُحْصَلُ الْمَلَكَةُ وَيَصِيرُ كَوَاحِدٍ مِنْ نَشَأَ فِي جِيلِهِمْ وَرَبِّي بَيْنَ



## البحث الثامن

### في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان

( مقدمة ابن خلدون )

( راجع صفحة ٦ من توطئة علم الادب )

إِعْلَمُ أَنَّ لَفْظَةَ الذَّوْقِ يَتَدَاوَلُهَا الْمُعْتَمِدُونَ بِقُنُونِ الْبَيَانِ . وَمَعْنَاهَا  
حُصُولُ مَلَكَتِ الْبَلَاغَةِ لِلْسَّانِ الَّتِي هِيَ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَعْنَى مِنْ  
جَمِيعِ وُجُوهِهِ بِخَوَاصِّ تَقَعُّمِ التَّرَاكِبِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ . فَأَمَّا تَكَلِّمُ  
بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَالْبَلِغُ فِيهِ يَتَحَرَّى الْهَيْئَةَ الْمُنْفِذَةَ لِذَلِكَ عَلَى أَسَايِبِ  
الْعَرَبِ وَأَنْحَاءِ مُخَاطَبَتِهِمْ وَيَنْظِمُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ جُهْدَهُ .  
فَإِذَا اتَّصَلَتْ مَقَامَاتُهُ بِمُخَالَطَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَتُ فِي  
نَظْمِ الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّرَكِيبِ حَتَّى لَا يَكَادُ  
يُخَوِّفُهُ غَيْرُ مَتْنِ الْبَلَاغَةِ آتِي لِلْعَرَبِ . وَإِنْ سَمِعَ تَرْكِيبًا غَيْرَ جَارٍ  
عَلَى ذَلِكَ الْمَتْنِ مَجَّهَ وَنَبَا عَنْهُ سَمْعُهُ بِادْنَى فِكْرٍ بَلٍ وَبَغْيٍ فِكْرٍ إِلَّا بِمَا  
اسْتَفَادَهُ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَتِ . فَإِنَّ الْمَلَكَاتِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ  
وَرَسَخَتْ فِي مَحَالِّهَا ظَهَرَتْ كَانُهَا طَبِيعَةً وَجِبِلَّةً لِذَلِكَ الْحَلِّ . وَلِذَلِكَ  
يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفْعَلِينَ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ أَنَّ الصَّوَابَ  
لِلْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ إِعْرَابًا وَبَلَاغَةً أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ وَيَقُولُ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَنْطِقُ  
بِالطَّبَعِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ . وَإِنَّمَا هِيَ مَلَكَتُ لِسَانِيَّةٌ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ  
تَمَكَّنَتْ وَرَسَخَتْ فَظَهَرَتْ فِي بَأْدِي الرَّأْيِ أَنَّهَا جِبِلَّةٌ وَطَبَعٌ وَهَذِهِ



عَلِمِي مَعِيَ حَيْثُ مَا يَمُتُ يَنْفَعِي  
قَلْبِي وَعَاءُ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ  
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرَبَّمَا أَعْتَنَى الْمُتَعَلِّمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ حَتَّى يَصِيرَ  
حَافِظًا لَا لَفَاطِ الْمَلْعَانِي قِيمًا بِتَلَاوتِهَا وَهُوَ لَا يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا  
تَضَمَّنَهَا يَرْوِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ فَهُوَ كَالْكِتَابِ الَّذِي  
لَا يَدْفَعُ شُبُهَةً وَلَا يُؤَيِّدُ حُجَّةً وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : هِمَّةُ السُّفَهَاءِ الرِّوَايَةُ .  
وَهِمَّةُ الْعُلَمَاءِ الرِّعَايَةُ . وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ : كُونُوا لِلْعِلْمِ رِعَاءَةً . وَلَا  
تَكُونُوا لَهُ رُؤَاةً . فَقَدْ يَرْعَوِي مَنْ لَا يَرْوِي . وَيَرْوِي مَنْ لَا يَرْعَوِي .  
وَحَدَّثَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِحَدِيثٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا سَعِيدٍ عَمَّنْ .  
قَالَ : مَا تَصْنَعُ بَعَمَّنْ . أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَأَلْتِكَ عِظَّتَهُ وَقَامَتْ عَلَيْكَ  
حُجَّتُهُ

وَرَبَّمَا اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَاعْتَغَلَ تَقْسِيدَ الْعِلْمِ فِي كُتُبِهِ  
ثِقَةً بِمَا اسْتَقَرَّ فِي ذَهْنِهِ وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ مُغْتَرِضٌ  
وَالنِّسْيَانَ طَارِقٌ . وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : أَجْعَلْ مَا فِي الْكُتُبِ رَأْسَ  
أَمَالٍ وَمَا فِي الْقُلُوبِ التَّفَقُّةَ . وَقَالَ مَهْبُودٌ : لَوْلَا مَا عَقَدَتْهُ الْكُتُبُ  
مِنْ تَجَارِبِ الْأَوَّلِينَ لَا تَحِلُّ مَعَ النِّسْيَانِ عُقُودُ الْآخِرِينَ



فَإِنَّ الْأَعْلَامَ الْيَاقُوتِيَّةَ الْمَنْشُورَةَ عَلَى الرِّمَاحِ الزَّبْرَجَدِيَّةِ مِمَّا لَا  
يُذَرِّكُهُ الْحَسُّ لِأَنَّ الْحَسَّ إِنَّمَا يُذَرِّكُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْمَادَّةِ حَاضِرَةٌ  
عِنْدَ الْمَذَرِكِ عَلَى هَيْئَاتٍ مَحْصُوسَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِهِ . لَكِنَّ مَادَّتَهُ الَّتِي  
يَتَرَكَّبُ هُوَ مِنْهَا كَالْأَعْلَامِ وَالْيَاقُوتِ وَالرِّمَاحِ وَالزَّبْرَجَدِ كُلِّ مِنْهَا  
مَحْصُوسٌ بِالْبَصَرِ

### البحث السابع

### في الحافظة

( عن الماوردي باختصار )

( راجع صفحة ٦٥٥ من توطئة علم الادب )

رَبَّمَا اسْتَشَقَلُ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي  
عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْإِطْلَاعِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا  
كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ  
الثِّقَةُ إِلَّا حَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا . وَهَذِهِ حَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ  
ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : الصَّجَرُ مِنْ مُعَانَاةِ الْحِفْظِ وَمُرَاعَاةِ وَطُولِ الْأَمَلِ  
فِي التَّوَفُّرِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ  
الصَّجُورَ خَائِبٌ وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمَلَ مَغْرُورٌ وَأَنَّ الْقَاسِدَ الرَّأْيَ مُصَابٌ .  
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا : حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي كُتُبِكَ .  
وَقَالُوا : لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَعْبُرُ مَعَكَ الْوَادِي وَلَا يَعْمُرُ بِكَ النَّادِي .  
وَأُنْشِدْتُ عَنْ الرَّبِيعِ الشَّافِعِيِّ :

## البحث السادس

### الخيال والخيالي

(عن الحاج خلفا بتصرف)

(راجع صفحة ٥ من توطئة علم الادب)

الْخَيَالُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى النَّشْخِ وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ يُطْلَقُ عَلَى إِحْدَى  
 الْخَوَاسِ الْبَاطِنَةِ . وَهُوَ قُوَّةٌ تَحْفَظُ الصُّورَ الْمُرْتَسِمَةَ فِي الْحِسِّ الْمَشْتَرَكِ  
 إِذَا غَابَتْ تِلْكَ الصُّورُ عَنِ الْخَوَاسِ الْبَاطِنَةِ . وَحَمَلُهُ مُؤَخَّرُ التَّجْوِيفِ  
 الْأَوَّلِ مِنَ التَّجْوِيفِ الثَّلَاثَةِ لِلدِّمَاغِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ (١) . وَأَسْتَدَلُّوا عَلَى  
 وَجُودِ الْخَيَالِ بِأَنَّا إِذَا شَاهَدْنَا صُورَةً ثُمَّ ذَهَبْنَا عَنْهَا زَمَانًا ثُمَّ نَشَاهِدُ  
 مَرَّةً أُخْرَى نَحْكُمُ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي شَاهَدْنَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ . فَلَوْ لَمْ  
 تَكُنْ تِلْكَ الصُّورَةُ مُحْفُوظَةً فِينَا زَمَانَ الذُّهُولِ لَأَمْتَنَعَ الْحُكْمُ بِأَنَّهَا  
 هِيَ الَّتِي شَاهَدْنَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ . (وَالْخَيَالِيُّ) يُطْلَقُ عَلَى الصُّورَةِ الْمُرْتَسِمَةِ  
 فِي الْخَيَالِ الْمُتَأَذِيَةِ إِلَيْهِ مِنْ طُرُقِ الْخَوَاسِ . وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْمَعْدُومِ  
 الَّذِي اخْتَرَعَتْهُ الْخَيَلَةُ وَرَكَّبَتْهُ مِنَ الْأُمُورِ الْخُشُوسَةِ أَيِ الْمُدْرَكَةِ  
 بِالْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ . وَيَقُولُنَا مِنَ الْأُمُورِ الْخُشُوسَةِ خَرَجَ الْوَهْمِيُّ بِمَعْنَى  
 مَا اخْتَرَعَتْهُ الْقُوَّةُ الْخَيَلِيَّةُ اخْتِرَاعًا صِرْفًا عَلَى نَحْوِ الْخُشُوسَاتِ وَهَذَا الْمَعْنَى  
 يُسْتَعْمَلُ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَانَ مُحَرَّرَ الشَّقِيقِ م إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ  
 أَعْلَامُ يَأْقُوتٍ نُشِرَ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدٍ

(١) ليس هذا الرأي بمقرر



مِئَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَأَنْتَ أَحَقُّ. قَالَ: لَا. قَالَ: فَقُلْتُ: وَلَمْ. قَالَ:  
أَخَافُ أَنْ يُخَيِّنَنِي عَلَيَّ حَقِّي جَنَائَةً تَذْهَبُ بِمَالِي وَيَبْقَى عَلَيَّ حَقِّي. فَانْظُرْ  
إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ كَيْفَ اسْتُخْرِجَ بِفَرْطِ ذَكَاءِهِ وَاسْتَنْبَطَ بِجُودَةِ قَرِيحَتِهِ مَا  
لَعَلَّهُ يَدِقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا وَأَكْثَرُ تَجَرُّبَةً. وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا  
الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ مَا حَكَى ابْنُ قُتَيْبَةَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِصَبِيَّانِ  
يَلْعَبُونَ وَفِيهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَهَرَّبُوا مِنْهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:  
مَا لَكَ لَا تَهْرُبُ مَعَ أَصْحَابِكَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ أَكُنْ عَلَى  
رِيَّةٍ فَأَخَافُكَ وَلَمْ يَكُنِ الطَّرِيقُ ضَيِّقًا فَأُوسِعَ لَكَ. فَانْظُرْ مَا تَصْنَعُهُ  
هَذَا الْجَوَابُ مِنَ الْفِطْنَةِ وَقُوَّةِ الْمَنَّةِ وَحُسْنِ الْبَدِيعَةِ كَيْفَ نَفَى عَنْهُ  
الْلَّوْمَ وَأَثَبَتْ لَهُ الْحِجَّةَ فَلَيْسَ لِلذَّكَاءِ غَايَةٌ. وَلَا جُودَةُ الْقَرِيحَةِ نِهَائَةٌ.

### البحث الخامس

## في التصور والتمثل

( من كتاب زجر النفس لهروس )

يَا نَفْسُ إِنَّ مُبْدِعَ الْأَشْيَاءِ وَمُنْشِئَهَا جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ  
أَبْدَعَكَ وَجَعَلَكَ ذَاتَ التَّصَوُّرِ وَالتَّمَثُّلِ. فَأَمَّا التَّصَوُّرُ فَتَصَوُّرُكَ الشَّيْءَ  
عَلَى حَقِيقَةٍ مَا أَبْدَعَهُ مُبْدِعُهُ. وَأَمَّا التَّمَثُّلُ فَتَمَثُّلُكَ مَا خَفِيَ عَنْكَ مِنْ  
عَالَمِ الْعَقْلِ بِمَا سَاهَدْتَهُ فِي عَالَمِ الْحِسِّ مِثْلًا بِمِثْلٍ وَمَعْنَى بِمَعْنَى كَمَا  
أَنْ تَدُلَّ ذَاتُ الصُّورَةِ الْمَطْبُوعَةِ فِي الشَّمْعِ عَلَى مَعْنَاهَا وَحَقِيقَتِهَا فِي  
الطَّابِعِ وَكَمَا تَدُلُّ الصُّورَةُ الْمُمَثِّلَةُ فِي الطَّابِعِ عَلَى مَعْنَى حَقِيقَتِهَا فِي  
نَفْسِ مُمَثِّلِهَا وَمُصَوِّرِهَا وَكَمَا يُؤَثِّرُ الْمَاءُ فِي الرَّمْلِ مَعَانِي حَرَكَاتِهِ وَتَوَجُّهِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ أَلْعَقْلَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وَلَكِنْ قَامَ أَلْعَقْلُ طُولُ التَّجَارِبِ  
وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الْأَيَّامُ فِي كَرِّهَا عَقْلًا  
(وَأَمَّا الْوَجْهُ الثَّلَاثِي) فَقَدْ يَكُونُ بِفَرْطِ الذِّكَاةِ وَحُسْنِ الْفِطْنَةِ  
وَذَلِكَ جُودَةُ الْحَدْسِ فِي زَمَانٍ غَيْرِ مُهْمَلٍ لِلْحَدْسِ . فَإِذَا أَمْتَزَجَ بِالْعَقْلِ  
الْعَرِيزِيِّ صَارَتْ نَتِيجَتُهُمَا نُوُّ أَلْعَقْلِ الْمَكْتَسَبِ . كَالَّذِي يَكُونُ فِي  
الْأَحْدَاثِ مِنْ وَفُورِ أَلْعَقْلِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ حَتَّى قَالَ هَرِمٌ بِنُ قُطْبَةَ حِينَ  
تَنَافَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِيِّ وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ : عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ  
السِّنِّ . الْحَدِيدِ الذِّهْنِ . وَلَعَلَّ هَرِمًا أَرَادَ أَنْ يَدْفَعَهُمَا عَنْ نَفْسِهِ  
فَاعْتَدَرَ بِمَا قَالَ . لَكِنْ لَمْ يُنْكِرَا قَوْلَهُ إِدْعَاءًا لِلْحَقِّ فَصَارَا إِلَى أَبِي  
جَهْلٍ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ وَحِدَّةِ ذَهْنِهِ . فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا فَرَجَعَا إِلَى  
هَرِمٍ فَحَكَمَ بَيْنَهُمَا . وَفِيهِ قَالَ لَيْدٌ :

يَاهَرِمُ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجِبًا  
وَقَدْ قَالَتِ الْعَرَبُ : عَلَيْكُمْ بِمُشَاوَرَةِ الشَّبَابِ فَإِنَّهُمْ يُتَّجُونَ  
رَأْيًا لَمْ يَنْلَهُ طُولُ الْقِدَمِ . وَلَا أَسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ رُطُوبَةُ الْهَرَمِ . وَقَدْ  
قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ أَلْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ أَنْتَهَابًا وَلَمْ يُقَسَّمْ عَلَى عَدَدِ السِّنِينَ  
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْأَنْاءُ أَنْصَبَةَ الْبَلِينَا  
وَحَكَى الْأَضْمَعِي قَالَ : قُلْتُ لِعَلَّامٍ حَدَّثَ مِنْ أَوْلَادِ الْعَرَبِ  
كَانَ يُجَادِثُنِي فَأَمْتَعَنِي بِفَصَاحَةٍ وَمَلَاخَةٍ : أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ

## البحث الرابع في العقل المكتسب ( عن الماوردي )

إِنَّ الْعَقْلَ الْمَكْتَسَبَ هُوَ نَتِيجَةُ الْعَقْلِ الْغَرِيزِيِّ وَهُوَ نَسَايَةُ  
الْمَعْرِفَةِ وَصِحَّةُ السِّيَاسَةِ وَإِصَابَةُ الْفِكْرَةِ وَلَيْسَ لِهَذَا حَدٌّ لِأَنَّهُ يَنْمُو  
إِنْ اسْتُعْمِلَ وَيَنْقُصُ إِنْ أَهْمِلَ . وَغَاوُهُ يَكُونُ بِأَحَدِ وَجْهَيْنِ :  
( الْوَجْهُ الْأَوَّلُ ) بِكَثْرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ إِذَا لَمْ يُعَارِضْهُ مَانِعٌ مِنْ هَوَى  
وَلَا صَادٍّ مِنْ شَهْوَةٍ كَالَّذِي يَحْضُلُ لِذَوِي الْأَسْنَانِ مِنَ الْخَشَاكَةِ وَصِحَّةِ  
الرَّوِيَّةِ لِكثَرَةِ التَّجَارِبِ وَمُمَارَسَةِ الْأُمُورِ . وَلِذَلِكَ حَمَدَتِ الْعَرَبُ  
آرَاءَ الشُّيُوخِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ . وَمَنَاجِعُ  
الْأَخْبَارِ . لَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ . وَلَا يَنْسَقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ . إِنْ رَأَوْكَ فِي  
قَبِيحٍ صَدُّوكَ . وَإِنْ أَبْصُرُوكَ عَلَى جَمِيلٍ أَمَدُّوكَ . وَقِيلَ : عَلَيْكُمْ  
بِآرَاءِ الشُّيُوخِ فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذِكَاءَ الطَّبَعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عُيُونِهِمْ  
وُجُوهُ الْعِبَرِ . وَتَصَدَّتْ لِاسْمَاعِهِمْ آثَارُ الْغَيْرِ . وَقِيلَ فِي مَنْشُورِ  
الْحِكَمِ : مَنْ طَالَ عُمُرُهُ نَقَصَتْ قُوَّةُ بَدَنِهِ وَزَادَتْ قُوَّةُ عَمَلِهِ . وَقَالَ  
فِيهِ : لَا تَدْعُ الْأَيَّامُ جَاهِلًا إِلَّا أَدَبْتُهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :  
كَفَى بِالتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا وَبِتَقْلُبِ الْأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ :  
التَّجَرُّبَةُ مِرَاةُ الْعَقْلِ . وَالْغِرَّةُ ثَمَرَةُ الْجَهْلِ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَنَاءِ :  
كَفَى مُخْبِرًا عَمَّا بَقِيَ مَا مَضَى وَكَفَى عِبْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا جَرَّبُوا . وَقَالَ  
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :



الْمُسْكَلِينَ : الْعَقْلُ هُوَ حَمْلَةُ عُلُومٍ ضَرُورِيَّةٍ . وَهَذَا الْحَدُّ غَيْرُ مُحْصُورٍ  
لَمَّا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْإِجْمَالِ وَيَتَأَوَّلُهُ مِنَ الْإِحْتِمَالِ . وَالْحَدُّ إِنَّمَا هُوَ بَيَانُ  
التَّحْدِيدِ بِمَا يَنْفِي عَنْهُ الْإِجْمَالُ وَالْإِحْتِمَالُ . وَقَالَ آخَرُونَ وَهُوَ الْقَوْلُ  
الصَّحِيحُ : إِنَّ الْعَقْلَ هُوَ الْعِلْمُ بِالْمَذَرَكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ . وَذَلِكَ نَوْعَانِ :  
أَحَدُهُمَا مَا وَقَعَ عَنْ دَرَكِ الْخَوَاسِ وَالثَّانِي مَا كَانَ مُبْتَدِئًا فِي النُّفُوسِ .  
فَأَمَّا مَا كَانَ وَاقِعًا عَنْ دَرَكِ الْخَوَاسِ فَمِثْلُ الْمَرِيَّاتِ الْمَذَرَكَةِ بِالنَّظَرِ  
وَالْأَصْوَاتِ الْمَذَرَكَةِ بِالسَّمْعِ وَالطُّعُومِ الْمَذَرَكَةِ بِالدُّوقِ وَالرَّوَاحِجِ  
الْمَذَرَكَةِ بِالسَّمِّ وَالْأَجْسَامِ الْمَذَرَكَةِ بِاللَّمْسِ . فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ  
يَمُنُّ لَوْ أَدْرَكَ بِخَوَاسِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ثَبَتَ لَهُ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ .  
لِأَنَّ خُرُوجَهُ فِي حَالِ تَغْيِيزِ عَيْنَيْهِ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ بِهِمَا وَيَعْلَمُ لَا يُخْرِجُهُ  
مِنْ أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الْعَقْلِ مِنْ حَيْثُ عِلْمٌ مِنْ حَالِهِ أَنْ لَوْ أَدْرَكَ  
لَعِلِمَ . وَأَمَّا مَا كَانَ مُبْتَدِئًا فِي النُّفُوسِ فَكَأَنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَخْلُو  
مِنْ وَجُودٍ أَوْ عَدَمٍ . وَأَنَّ الْمَوْجُودَ لَا يَخْلُو مِنْ حُدُوثٍ أَوْ قَدَمٍ .  
وَأَنَّ مِنَ الْحَالَ اجْتِمَاعَ الصِّدِّيقِينَ . وَأَنَّ الْوَاحِدَ أَقَلُّ مِنَ الْإِثْنَيْنِ .  
وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَفِي عَنِ الْعَاقِلِ مَعَ سَلَامَةِ حَالِهِ  
وَكَمَالِ عَقْلِهِ . فَإِذَا صَارَ عَالِمًا بِالْمَذَرَكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ مِنْ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ  
فَهُوَ كَامِلُ الْعَقْلِ

الانساني . ولإدراك العقل يقتضي ان تجرد مادته عن المحسوسات وهذا ما يصنعه  
العقل بالفعل فتنتقل المفردات بذلك الى حالة الكليات

يُمَارَ الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ فَإِذَا تَمَّ فِي الْإِنْسَانِ سُمِّيَ عَاقِلًا  
وَخَرَجَ بِهِ إِلَى حَدِّ الْكَمَالِ كَمَا قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :  
إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ تَمَّتْ أُمُورُهُ وَتَمَّتْ أَمَانِيهِ وَتَمَّ بِنَاؤُهُ  
وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حَدِّ الْعَقْلِ وَفِي صِفَتِهِ عَلَى مَذَاهِبَ شَتَّى فَقَالَ  
قَوْمٌ : هُوَ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ يُفْصَلُ بِهِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْمَعْلُومَاتِ . . وَهَذَا  
الْقَوْلُ فِي الْعَقْلِ بِأَنَّهُ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ قَاسِدٌ مِنْ وَجْهَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا )  
أَنَّ الْجَوَاهِرَ مُتَمَاثِلَةٌ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُوجِبَ بَعْضُهَا مَا لَا يُوجِبُ سَائِرُهَا  
وَلَوْ أَوْجَبَ سَائِرُهَا مَا يُوجِبُ بَعْضُهَا لَأَسْتَعْنَى الْعَاقِلُ بِوُجُودِ نَفْسِهِ عَنْ  
وُجُودِ عَقْلِهِ (١) . (وَالثَّانِي) أَنَّ الْجَوْهَرَ يَصِحُّ قِيَامُهُ بِذَاتِهِ فَلَوْ كَانَ الْعَقْلُ  
جَوْهَرًا لَجَازَ أَنْ يَكُونَ عَقْلٌ بَغَيْرِ عَاقِلٍ كَمَا جَازَ أَنْ يَكُونَ جِسْمٌ بَغَيْرِ  
عَقْلٍ . فَأَمْتَنَعَ يَهْدِينَ أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا . وَقَالَ آخَرُونَ : الْعَقْلُ  
هُوَ الْمَذْرُوكُ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ حَقَائِقِ الْمَعْنَى . وَهَذَا الْقَوْلُ  
وَأِنْ كَانَ أَقْرَبَ يَمَّا قَبْلَهُ قَبِيحٌ مِنَ الصَّوَابِ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ وَهُوَ :  
أَنَّ الْأَذْرَاكَ مِنْ صِفَاتِ الْحَيِّ (٢) وَالْعَقْلُ عَرَضٌ يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ مِنْهُ كَمَا  
يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مُتَلَذِّذًا أَوْ أَلْمًا أَوْ مُشْتَهِيًا (٣) . وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ

( ١ ) يُرِيدُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا مُخْتَلِفًا عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ مُلَازِمًا لَهَا لَأَتَّفَقَا فِي  
جَمِيعِ أَجْزَائِهِمَا لِأَنَّ النَّفْسَ وَالْعَقْلَ بَسِيطَانِ مُتَمَاثِلَانِ فِي ذَلِكَ وَإِذَا تَمَّ الْإِتْفَاقُ كَانَ جَوْهَرُ  
النَّفْسِ وَجَوْهَرُ الْعَقْلِ وَاحِدًا فَيَسْتَعْنَى الْإِنْسَانُ عَنْ عَقْلِهِ بِوُجُودِ نَفْسِهِ وَهَذَا بَاطِلٌ  
( ٢ ) يُرِيدُ هُنَا بِالْأَدْرَاكِ عَلَى مَا حَدَّهُ الْحُكَمَاءُ تَمَثُّلَ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَحَدُّهُ مِنْ غَيْرِ  
حُكْمٍ عَلَيْهِ أَوْ اثْبَاتٍ وَيُسَمَّى إِضْمًا لِلتَّصَوُّرِ وَهَذَا يَعْمُ كُلَّ حَيٍّ لَا يَخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِ فَقَطْ  
( ٣ ) أَيِ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُتَلَذِّذًا هَذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ كَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَلَذِّذًا  
أَوْ أَلْمًا أَوْ مُشْتَهِيًا . لِأَنَّ اللَّذَّةَ وَالْأَلَمَ وَالشَّهْوَةَ مِنَ الْأَنْفِعَالِ الطَّارِئَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ

فَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكُ مَطْبُوعٌ  
كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ وَضُوءُ الْعَيْنِ مُنْعُوعٌ \*

### البحث الثالث

## في العقل الغريزي وتعريفه

( عن الماوردي باختصار )

إِنَّ الْعَقْلَ الْغَرِيزِيَّ هُوَ الْعَقْلُ الْحَقِيقِيُّ وَلَهُ حَدٌّ يَتَعَلَّقُ بِهِ  
التَّكْلِيفُ لَا يُجَاوِزُهُ إِلَى زِيَادَةٍ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ إِلَى نُقْصَانٍ . وَبِهِ

\* قد قسّم القزويني القوى العقلية الى اربعة اقسام مرجعها الى هذين القسمين  
قال: القوى (العقلية اربعة اقسام. (الاول) القوة التي بها يفارق الانسان البهائم وهي  
التي بها استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الفكرية فيقال انها القوة  
الغريزية بها يستعد الانسان لادراك العلوم النظرية. فكما ان الحياة هي الجسم للحركات  
الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك هذه القوة الغريزية هيئة الانسان للعلوم  
النظرية والصناعات الفكرية والحكماء يقولون لها العقل الحيواني وهي مجرد  
الاستعداد الذي هو موجود في الطفل وغير موجود في ولد البهيمة. (الثاني) القوة التي  
تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز جواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم  
بأن الاثنين أكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون في مكانين فيقال له  
التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة والحكماء يسمونه العقل بالملكة .  
(والثالث) قوة تحصل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجاري الاحوال فن تصف بها  
يقال انه عاقل في العادة ومن لم يتصف بها يقال انه غبي غمر. فيقال لها معان مجتمعة  
في الذهن من مقدمات تستنبط بها المصالح في الاعراض . (الرابع) قوة بها تُعرف  
حقائق الأمور وعواقبها فتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتتمثل المكروه  
العاجل لسلامة الآجل . فاذا حصلت هذه القوة يسمّى صاحبها عاقلاً من حيث ان  
اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة. والأولان  
بالطبع والأخيران بالاكتساب



وَكَمَا يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ شَوَاهِدُ الْأُمُورِ كَذَلِكَ يُدْرِكُ بِنُورِ الْعَقْلِ كَثِيرٌ  
 مِنَ الْمَحْجُوبِ وَالْمُسْتَوْرِ . وَعَمَى الْقَلْبَ كَعَمَى الْبَصَرِ . قَالَ بَرْجَمَهْرُ :  
 الْإِنْسَانُ صُورَةٌ فِيهَا عَقْلٌ فَإِنْ أَخْطَأَهُ الْعَقْلُ وَلَزِمَتْهُ الصُّورَةُ فَلَيْسَ  
 بِإِنْسَانٍ . قَالَ الْمُتَنَبِّي :

لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ آدَنَى ضِعْفٍ آدَنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ  
 وَسَمِّيَ الْعَقْلُ عَقْلاً تَشْبِيهاً بِعَقْلِ النَّاقَةِ (١) لِأَنَّ الْعَقْلَ يَنْعُ  
 الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَقْدَامِ عَلَى شَهْوَاتِهِ إِذَا قُبِجَتْ كَمَا يَنْعُ الْعَقْلُ النَّاقَةَ  
 مِنَ الشُّرُودِ إِذَا نَفَرَتْ . وَكَذَلِكَ قَالَ عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ : إِذَا عَقَلَكَ  
 عَقْلُكَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَأَنْتَ عَاقِلٌ

### البحث الثاني

## في تقسيم العقل الى غريزي ومكتسب

( عن الوطواط والماوردي )

اعْلَمْ أَنَّ بِالْعَقْلِ تُعْرَفُ حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَيُقْصَلُ بَيْنَ الْحَسَنَاتِ  
 وَالسَّيِّئَاتِ وَقَدْ يَنْقَسِمُ قَسْمَيْنِ غَرِيزِيٍّ وَمُكْتَسَبٍ . قَالَ الْعُتْبِيُّ :  
 الْعَقْلُ عَقْلَانِ عَقْلٌ تَفَرَّدَ اللَّهُ بِصَنْعِهِ وَهُوَ الْأَصْلُ . وَعَقْلٌ يَسْتَفِيدُهُ  
 الْخَلْقُ بِهِ وَهُوَ الْفَرْعُ فَإِذَا اجْتَمَعَ قَوَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ تَقْوِيَةُ  
 النَّارِ فِي الظُّلْمَةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :  
 رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَيْنِ فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ

١ يُقَالُ عَقَلَ النَّاقَةَ عَقْلاً أَي رَبطَهَا فِي وَسْطِ ذِرَاعَيْهَا بِجِبلٍ وَيُسَمَّى الْجِبلُ عَقْلاً

## فصل في قوى العقل الغريزية

### البحث الاول

في العقل وشرفه واصل تسميته وتقسيمه

( عن الماوردي باختصار وتصرف )

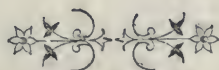
( راجع صفحة ٣ من توطئة علم الادب )

اعلم ان لكل فضيلة اُسًا ولكل اَدبٍ يَنْبوعًا. وَاُسُ الْفَضَائِلِ  
وَيَنْبُوعُ الْاَدَابِ هُوَ الْعَقْلُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى لِلدِّينِ اَصْلًا وَلِلدُّنْيَا  
عِمَادًا فَوَجِبَ الدِّينَ بِكَمَالِهِ وَجَعَلَ الدُّنْيَا مُدَبَّرَةً بِاَحْكَامِهِ وَالْفَّ بِه  
بَيْنَ خَلْقِهِ مَعَ اخْتِلَافِ هِمَمِهِمْ وَمَا رِيهِمْ . قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : الْعَقْلُ  
خَيْرُ الْمَوَاهِبِ وَالْجَهْلُ شَرُّ الْمَصَائِبِ . قَالَ اِبْرَاهِيمُ بْنُ حَسَّانَ :  
يَزِينُ الْاَلْفَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ . وَانْ كَانَ مَخْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ  
يَشِينُ الْاَلْفَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ . وَانْ كَرُمَتْ اَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ  
يَعْلِشُ الْاَلْفَى بِالْعَقْلِ فِي النَّاسِ اِنَّهُ عَلَى الْعَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وَتَجَارِبُهُ  
وَاَفْضَلُ قَسَمِ اللهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَلَيْسَ مِنْ الْاَشْيَاءِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ  
اِذَا اكْمَلَ الرَّحْمَانُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمَلَتْ اخْلَاقُهُ وَمَا رِبُهُ  
وَقَالَ مُطَرِّفٌ : مَا اَوْقَى الْعَبْدَ بَعْدَ الْاِيْمَانِ بِاللّٰهِ تَعَالَى اَفْضَلَ  
مِنَ الْعَقْلِ . وَيُقَالُ : مَا تَمَّ دِيْنُ اَمْرِي حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ . قَالَ بَرْزَجْمَهْرُ :  
الْعَقْلُ كَالْمِسْكِ اِنْ خَبَأَتْهُ عَبَقٌ وَانْ بَغَتْهُ نَفَقٌ . وَقَالُوا : الْعَقْلُ  
كَنُورٍ وَضَعَهُ اللهُ طَبْعًا وَغَرَزَهُ فِي الْقَلْبِ كَالنُّورِ فِي الْاَعْيُنِ وَهُوَ الْبَصَرُ .

رَزِيَّةً . قَالَ بَرِّحْمَهُ : مَنْ كَثُرَ آدَبُهُ كَثُرَ شَرُّهُ وَإِنْ كَانَ وَضِعًا .  
وَبَعْدَ صِيَّتِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ  
النَّاسِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : مَنْ دَابَّ فِي طَرِيقِ الْأَدَبِ أَذْرَكَ  
حَاجَتَهُ وَمَلَكَ نَاصِيَّتَهُ وَبَلَّ قَدْرَهُ وَنَبَّ ذِكْرَهُ . يُتُوبُ الْأَدَبُ عَنِ  
النَّسَبِ وَلَا يَنْفَعُ نَسَبٌ بِلَا آدَبٍ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِعَ الْقَدْرَ لَيْسَ لَهُ فِي الْعَرَبِ بَيْتٌ وَلَا يُنْمَى إِلَى نَسَبٍ  
قَدْ صَارَ بِالْأَدَبِ الْمُحْمُودُ ذَا شَرَفٍ غَالٍ وَذَا حَسَبٍ مُحْضٍ وَذَا نَسَبٍ  
يُعْلَى التَّأْدَبُ أَقْوَامًا وَيَرْفَعُهُمْ حَتَّى يُسَاوُوا ذَوِي الْعُلْيَا فِي الرُّتَبِ  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ يَتَخَرَّجُ وَيَعْتَدِرُ :

مَالِي عَقْلِي وَهَمِّي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي  
وَإِذَا أَنْتَهَى مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ فَلَنْنِي مُنْتَمٍ إِلَى آدِي  
فَلْبَسُوا إِذَا الْأَدَبُ حُلَّةٌ وَتَرَيْنَاهُ حِلْيَةً فَلَا تَهْ أَنْفَقُ مَعَاشٍ وَاجْتَلِ  
رِيَاشٍ إِنْ اخْتَجَمَ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا وَإِنْ اسْتَقْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ  
جَمَالًا





إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْحَاسِنِ وَالتَّارِيخِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ  
الْأَحْوَالِ . وَلَا يُعَدَّلُ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا تَعْلَمُهُ وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي  
يَسْمُو إِلَيْهَا الْأَدَبُ وَيَقِفُ عِنْدَهَا

### البحث الرابع

### في شرف الادب ومنافعه

( عن الثعالبي وابن عبد ربّه والوطواط )

( راجع صفحة ٢ من تمهيد علم الادب )

قَالَ أَكُنْهُمْ بَنُ صَيْفِيٍّ : الرَّجُلُ بِلَا أَدَبٍ شَخْصٌ بَغَيْرِ آلَةٍ وَجَسَدٌ  
بِلَا رُوحٍ . وَقِيلَ : الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةٌ وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ  
فَاطْلُبُوهُ فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالنَّبَاهَةِ وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ وَدَلِيلٌ عَلَى  
الْمُرُوءَةِ وَمَنْبَهَةٌ لِلرَّأْيِ وَلِلصَّوَابِ وَصَاحِبٌ فِي الْعُرْبَةِ وَآيِسٌ فِي  
الْوَحْدَةِ وَجَمَالٌ فِي الْحَافِلِ وَصَلَةٌ فِي النِّجَاسِ . وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ  
لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا  
وَلِيُعْجِبَكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَلْفَتِي فَاتَهُ مَالٌ يُجَمِّلُهُ فَبِئْسَ التَّادِبُ بِمَا فَاتَهُ خَلْفُ  
هُوَ اللَّيَاسُ الَّذِي لَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ وَالْمُفْرَدُ الدِّينُ فِيهِ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ  
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَبْنِيهِ : تَادَبُوا فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا بَرَزْتُمْ وَإِنْ  
كُنْتُمْ أَوْسَاطًا فُتُتُمْ وَإِنْ أَعُوزَكُمْ الْمَعَاشُ عِشْتُمْ . وَقِيلَ : إِنَّ  
الْأَدَبَ يُفِيدُ الرِّغَابَ الْجَلِيلَةَ وَيُعِزُّ بِلا عَشِيرَةٍ وَيُكَثِّرُ الْأَنْصَارَ لِعَيْرِ

وَمَنَاجِي بَلَاعَتِهِمْ إِذَا تَصَفَّحَهُ . لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا  
 بَعْدَ فَهْمِهِ فَيُجْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ . ثُمَّ أَنَّهُمْ  
 إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْفَنِّ قَالُوا : الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ  
 وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِطَرَفٍ يُرِيدُونَ مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ  
 أَوِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُتُونُهَا فَقَطْ إِذْ لَا مَدْخَلَ بغيرِ ذَلِكَ  
 مِنَ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُونَ عِنْدَ كَلْفِهِمْ  
 بِصِنَاعَةِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّوَرِيَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرْسُلِهِمْ بِالْإِصْطِلَاحَاتِ  
 الْعِلْمِيَّةِ . فَاجْتَاجَ صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ إِلَى أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا  
 عَلَى فَهْمِهَا : وَسَمِعْنَا مِنْ شُيُوخِنَا فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنَّ أَصُولَ هَذَا الْفَنِّ  
 وَآرَكَاهُ أَرْبَعَةُ دَوَائِينَ وَهِيَ : أَدَبُ الْكَاتِبِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ وَكِتَابُ  
 الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّيْنِينَ لِلْجَاحِظِ وَكِتَابُ النُّوَادِرِ  
 لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَاسِمِيِّ الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فَتَبَعَ لَهَا وَفَرَعَ  
 عَنْهَا وَكُتِبَ الْمُحَدَّثِينَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ . وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ  
 مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْفَنِّ لَمَّا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذْ الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَلْحِينُهُ .  
 وَكَانَ الْكَتَّابُ وَالْفَضْلَاءُ مِنَ الْخَوَاصِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَأْخُذُونَ  
 أَنْفُسَهُمْ بِهِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ آسَالِبِ الشَّعْرِ وَفُنُونِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَنْتِحَالُهُ  
 قَادِحًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ آفَ الْقَاضِي أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ  
 كِتَابَهُ فِي الْأَغَانِي جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَنَسَابَهُمْ  
 وَأَيَّامَهُمْ وَدَوْلَتَهُمْ . وَجَعَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي أَلْفَةِ صَوْتًا الَّتِي اخْتَارَهَا  
 الْمُعَنُونَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ فِيهِ ذَلِكَ أَلْفَ اسْتِيعَابٍ وَأَدْنَاهُ . وَلَعَمْرِي

الْبَيَانِ. وَعِلْمُ الْبَدِيعِ ذَيْلٌ لِعِلْمِي الْمَعْنِي وَالْبَيَانِ دَاخِلٌ تَحْتَهُمَا. (٣) وَإِمَّا  
(عَنِ الْمُرَكَّبَاتِ الْمَوْزُونَةِ). فَأَمَّا مِنْ حَيْثُ وَزْنُهَا فَعِلْمُ الْعُرُوضِ أَوْ مِنْ  
حَيْثُ أَوَاخِرُهَا فَعِلْمُ الْقَوَافِي  
وَأَمَّا الْفُرُوعُ فَالْبَحْثُ فِيهَا إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِنُقُوشِ الْكِتَابَةِ فَعِلْمُ  
الْحِطِّ أَوْ يَخْتَصُّ بِالْمَنْظُومِ فَالْعِلْمُ الْمُسَمَّى بِقِرْضِ الشِّعْرِ. أَوْ بِالنَّثَرِ  
فَعِلْمُ الْإِنْشَاءِ. أَوْ لَا يَخْتَصُّ بِشَيْءٍ فَعِلْمُ الْمُحَاضَرَاتِ وَمِنْهُ التَّوَارِيخُ

### البحث الثالث

## في موضوع علم الادب واركانه

(مقدمة ابن خلدون)

(راجع صفحة ٣ من تمهيد علم الادب)

هَذَا الْعِلْمُ لَامَوْضُوعٌ لَهُ يُنْظَرُ فِي اثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَفْيِهَا وَإِنَّمَا  
الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ ثَمَرُهُ وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ  
وَالْمَنْشُورِ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَمَنَاجِيهِمْ. فَيَجْمَعُونَ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ  
الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شِعْرِ عَالِي الطَّبَقَةِ وَسَجْعِ  
مُتَسَاوٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مَبْنُوءَةٌ أَثْنَاءَ ذَلِكَ  
مُتَفَرِّقَةٌ يَسْتَقْرِي مِنْهَا النَّظَرُ فِي الْغَالِبِ مُعْظَمَ قَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ  
بَعْضٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ لِيُفْهَمَ بِهِ مَا يَقَعُ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْهَا وَكَذَلِكَ  
ذِكْرُ أَلْهَمٍ مِنَ الْأَنْسَابِ الشَّهِيدَةِ وَالْأَخْبَارِ الْعَامَّةِ. وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ  
كُلُّهُ أَنْ لَا يَخْفَى عَلَى النَّظِيرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيهِمْ



## البحث الثاني

### في تقسيم الادب وانواع العلوم الادبية

( عن الوطواط والجرجاني )

( راجع صفحة ٢ و ٣ من تمهيد علم الادب )

الْأَدَبُ نَوْعَانِ نَفْسِيٌّ وَكَسْبِيٌّ . فَالنَّفْسِيُّ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ يَهْبُهُ لِمَنْ يُرِيدُ  
وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ الدَّالَّةِ عَلَى كَرَمِ الطَّبَاعِ . وَالْكَسْبِيُّ  
مَا اسْتَفَادَهُ الْإِنْسُ مِنْ أَحَاسِنِ الْأَقْوَالِ الْآخِذَةِ بِأَعْنَةِ الْقُلُوبِ  
وَالْأَسْمَاعِ وَهُوَ الَّذِي تَرَجَّمْتُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِيَقَعَ ذِكْرُهُ فِي  
النُّفُوسِ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ لَتَرْمُقَهُ لِأَجْلِ الْعُيُونِ بِالْإِجْلَالِ وَتَحْمَلَ  
النُّفُوسُ بِهِ لِمِيلِهَا إِلَيْهِ بِتَتَابُعِ الْإِذْلَالِ

وَأَمَّا تَقْسِيمُ الْأَدَبِ الْكَسْبِيِّ فَانَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي أَقْسَامِهِ فَذَكَرَ ابْنُ  
الْأَنْبَارِيِّ أَنَّهَا ثَمَانِيَةٌ وَقَسَمَهُ الْعَلَامَةُ الْجُرْجَانِيُّ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا قَالَ :  
لِعِلْمِ الْأَدَبِ أُصُولٌ وَفُرُوعٌ . أَمَّا الْأُصُولُ فَالْبَحْثُ فِيهَا : (١) إِمَّا عَنْ  
الْمُفْرَدَاتِ ( مِنْ حَيْثُ جَوَاهِرُهَا وَمَوَادُّهَا وَهَيْئَاتُهَا فَعِلْمُ اللَّغَةِ . أَوْ مِنْ  
حَيْثُ صُورِهَا وَهَيْئَاتُهَا فَقَطْ . فَعِلْمُ الصَّرْفِ . أَوْ مِنْ حَيْثُ انْتِسَابِ  
بَعْضِهَا بِبَعْضٍ بِالْأَصَالَةِ وَالْفَرْعِيَّةِ فَعِلْمُ الْإِشْتِقَاقِ . (٢) وَإِمَّا عَنْ  
الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ) . فِيمَا بَاغْتِبَارِ هَيْئَاتِهَا التَّرَكِيمِيَّةِ وَتَأْدِيَتِهَا لِمَعَانِيهَا  
الْأَصْلِيَّةِ فَعِلْمُ النَّحْوِ . وَإِمَّا بَاغْتِبَارِ إِفَادَتِهَا لِمَعَانٍ مُغَايِرَةٍ لِأَصْلِ الْمَعْنَى فَعِلْمُ  
الْمَعَانِي . وَإِمَّا بَاغْتِبَارِ كَيْفِيَّةِ تِلْكَ الْإِفَادَةِ فِي مَرَاتِبِ الْوُضُوحِ فَعِلْمُ

# مَقَالَات

لبعض مشاهير كتّاب العرب

في الانشاء

## نُوطَات

فصل في حقيقة علم الادب واقسامه واركانه

—————

البحث الاول

في حدّ علم الادب

( عن الزمخشري والجرجاني والحاج خلفا بتصرف )

( راجع الجزء الاول من علم الادب صفحة ١ من التمهيد )

عِلْمُ الْأَدَبِ عِلْمٌ يُخْتَرُ بِهِ عَنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْخَطَا فِي كَلَامِ  
الْعَرَبِ لَفْظًا وَكِتَابَةً. وَذَلِكَ أَنَّ فَائِدَةَ التَّخَاطُبِ وَالْمُحَاوَرَاتِ فِي إِفَادَةِ  
الْعُلُومِ وَاسْتِفَادَتِهَا لَمَّا لَمْ تَتَبَيَّنْ لِلطَّالِبِينَ إِلَّا بِالْأَلْفَاظِ وَالتَّكْتَابَةِ  
وَإِحْوَالِهَا كَانَ ضَبْطُ أَحْوَالِهَا مِمَّا أَعْتَنَى بِهِ الْعُلَمَاءُ. فَاسْتَحْرَجُوا مِنْ  
أَحْوَالِهَا عُلُومًا سَمَّوْهَا بِالْعُلُومِ الْأَدَبِيَّةِ لِتَوْقِفِ آدَبِ الدَّرْسِ عَلَيْهَا  
بِالذَّاتِ وَآدَبِ النَّفْسِ بِالْوَاسِطَةِ يُتَعَرَّفُ مِنْهَا اتِّفَاقُهُمْ عَمَّا فِي الضَّمَائِرِ

PJ  
6161  
C54  
1889  
v.1





كتاب  
علم الآداب

مقالات

لمشأ هير العريب

على الجزء الاول

من

علم الآداب

جمع الاب لويس شينجو اليسوعي



حق الطبع محفوظ للمطبعة  
طبع في مطبعة الاء المرسلين اليسوعيين  
بيروت سنة ١٨٨٢







PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

---

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

---

PJ  
6161  
C54  
1889  
v.1

Cheikho, Louis  
'Ilm al-adab

كتاب

# علم الأديب

مقالات

## لمشاهير العرب

على الجزء الاول

من

### علم الأديب

جمع الاب لويس شيخو اليسوعي



حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية الآباء اليسوعيين

سنة ١٨٨٧